الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية لعبد الحميد الفراهي

أطروحة قدمت إلى جامعة كاليكوت إتماما جزئيا لمتطلبات الحصول على

شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

قدمها

رجيش س ك

تحت إشراف

الدكتور ساجد إ ك

أستاذ مشارك ومشرف البحث، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها،

كلية فاروق(حكم ذاتي)

كاليكوت، كيرالا، الهند

جامعة كاليكوت

كيرالا- الهند ٢٠٢٤م

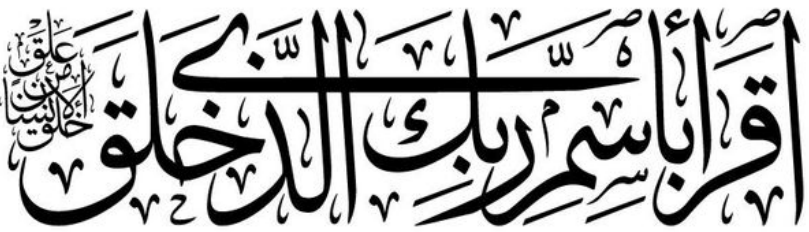
اقرأ باسم ربك الذي خلق
خلق الإنسان من علق

المحتويات

الأبواب والفصول **رقم الصفحة**

- **مقدمة البحث..... ١**
  - تحليل العنوان..... ٢
  - دوافع اختيار الموضوع..... ٤
  - أهمية البحث..... ٤
  - أهداف البحث..... ٥
  - مشكلة البحث..... ٥
  - منهج البحث..... ٦
  - الدراسات السابقة..... ٦
  - الصعوبات التي واجهها الباحث..... ٧
  - خطة البحث..... ٨

كلمة الشكر والامتنان..... ١٠

الباب الأول: الاتجاه اللغوي: مفهومه و أبعاده ١٣

- الفصل الأول: الاتجاه اللغوي معناه لغويا واصطلاحيا..... ١٥

- الفصل الثاني: أهمية الاتجاهات ووظيفتها في الدراسات اللغوية..... ١٨
- الفصل الثالث: مكانة الاتجاهات في علم البلاغة ٢٦
- الفصل الرابع: الاتجاهات الأسلوبية مفهومها وأبعادها..... ٣٠

الباب الثاني : الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية..... ٣٣

- الفصل الأول: الدراسات القرآنية: نشأتها وتطورها..... ٣٤
- الفصل الثاني: الدراسات القرآنية: أهميتها ودوافعها ٣٧
- الفصل الثالث: الدراسات القرآنية: أركانها ومجالاتها..... ٤١
- الفصل الرابع: مصادر العلوم والمفاهيم في الدراسات القرآنية ٤٧
- الفصل الخامس: الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية والتفسير- تعريفه ونشأته..... ٥١
- الفصل السادس: الاتجاه اللغوي في التفسير: مكانته وأسلوبه..... ٥٩
- الفصل السابع: الاتجاه اللغوي : مصادره الهامة..... ٦٥
- الفصل الثامن: مساهمات العلماء الهنود في الدراسات القرآنية والتفسير..... ٧٣

الباب الثالث: عبد الحميد الفراهي ---- حياته و آثاره..... ٧٧

- الفصل الأول: ولادته وأسرته..... ٧٩
- الفصل الثاني: عصره ونشأته ٨٣

- الفصل الثالث: دراسته ووظائفه ٨٦
- الفصل الرابع: أخلاقه وصفاته..... ٩٩
- الفصل الخامس: نظرياته وإصلاحاته..... ١٠٣
- الفصل السادس: مؤلفاته وأسلوبه..... ١١١
- الفصل السابع: آثاره في الشعر العربي ١٢٣
- الفصل الثامن: وفاته وثناء العلماء عليه..... ١٢٧

الباب الرابع: جهود الإمام الفراهي في الدراسات القرآنية ١٢٩

- الفصل الأول: محاولات الإمام الفراهي وأولوياته في الدراسات القرآنية..... ١٣٠
- الفصل الثاني: أقسام القرآن وأساليبه عند الإمام الفراهي..... ١٤٣
- الفصل الثالث: حجج القرآن وحكمته عند الإمام الفراهي..... ١٤٩
- الفصل الرابع: مفردات القرآن- دراسة تحليلية..... ١٥٧
- الفصل الخامس: تفسير القرآن وتأويله عند الإمام الفراهي..... ١٧٥
- الفصل السادس: علم النظام في الدراسات القرآنية للإمام الفراهي ٢٠٢
- الفصل السابع: الأفكار البلاغية في ضوء كتاب جمهرة البلاغة ٢١٩
- الفصل الثامن: آراء الإمام الفراهي المبتكرة في إعراب القرآن..... ٢٣٩

الباب الخامس: الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية للإمام الفراهي ٢٤٤

- الفصل الأول: عبقرية الإمام الفراهي وتجسيد مكونات فكره اللغوي..... ٢٤٥
- الفصل الثاني: آثار الإمام الفراهي وآراؤه في علم النحو..... ٢٥٠
- الفصل الثالث: الاتجاه اللغوي للإمام الفراهي:عوامله ودوافعه.... ٢٦٢
- الفصل الرابع: انعكاسات الاتجاه اللغوي ومناهجه..... ٢٧٠

خاتمة البحث ونتائجه..... ٢٨٤

نتائج البحث..... ٢٨٦

المقترحات والتوصيات..... ٢٨٩

المصادر..... ٢٩٠

المراجع..... ٢٩٢

مقدمة البحث

الحمد لله الذي علم القرآن،خلق الإنسان، علمه البيان والصلاة والسلام على متلقيه عن ربه،ومبلغه لأمته،سيدنا محمد أفصح الخلق لسانا وأعربهم بيانا،وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

هذه أطروحة بحث أكاديمي، تم إعدادها للتقديم إلى قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها بكلية فاروق، مركز البحوث المعترف لدى جامعة كاليكوت،لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة في اللغة العربية وآدابها من جامعة كاليكوت،كيرالا، الهند. عنوان هذه الأطروحة "الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية لعبد الحميد الفراهي".

اللغة هي وسيلة الحركة الإنسانية في المجال العلمي والاجتماعي والتربوي والثقافي والإعلامي والسياسي. تعتبر اللغة أساس وحدة الأمة،ومستودع حضارتها،ومرآة فكرها، فهي نشاط الفكر وصداه الذي يتردد في آفاق المجتمع ورحاب النفس. هي التي تؤثر في عقل الإنسان وعلمه وثقافته وهويته بتحريض التفكير وتحريك الاجتهاد والتجديد. تمتاز اللغة العربية عن سائر اللغات بمكانة فريدة ومنزلة سامية. هي لغة التنزيل للنص الإلهي الأخير للبشرية، ولسان النبوة الخاتمة، تضاف إليها صفتها كلغة فكر إسلامي تضيء المعمورة بنوره، ولغة حضارة تواردت على حياضها أمم كثيرة ناهلة من علومها سنين عديدة. والكثير من العلوم نشأت وتوسعت وتضخمت في سبيل معرفة معاني القرآن وفهم أغراضه. ولذا تركزت عناية العلماء البارزين على بذل الجهود المتضافرة لأجل نشر روح العربية ورسالتها بالاستفادة من الدراسات القرآنية على أساس اتجاهاته اللغوية المبتكرة.

بذل العلماء الهنود جهودا مخلصة في حماية اللغة العربية. كانت دراساتهم العميقة مثمرة ومؤثرة في إعادة النهضة اللغوية الحديثة. تعد محاولاتهم العلمية المحمودة بصمة واضحة في تأصيل المحتوى العربي والإسلامي وتحديثه. تمتاز الشخصيات البارزة من العلماء الهنود بمواهبهم الفذة التي تجلت سماتها في الإنتاج العلمي باعادة التحقيق والتوجيه المعرفي. قد لاقت الإنتاجات المعرفية في شتى حقول التأليف والتصنيف رواجا كبيرا بين الباحثين والدارسين بآثارهم القيمة في تنمية حركات الإصلاح اللغوي والديني والاجتماعي عند الأمة العربية.

كان عبد الحميد الفراهي من أبرز العلماء الهنود الذين قدموا خدمات جليلة لأجل حماية اللغة العربية وصيانتها وتعزيز مبادئ السلامة اللغوية بآثاره القيمة في مختلف العلوم والفنون. هو يعرف فلسفيا ومتكلما

وأديبا وشاعر اللغة العربية والفارسية، ولكن كل هذه الصفات لم تشغله عن البحث في علوم القرآن الكريم. الجانب المهم من شخصيته شغفه بالقرآن الكريم، وعلومه، واشتغل بدراسة القرآن الكريم والتدبر فيه. كان القرآن يسيطر على قلبه،ويراه محورا لكافة أشغاله وأفكاره. هو عالم ذو سعة العلم وصحة النظر وسلامة الذوق وتوقد الذهن والتأمل في القرآن. هو الذي نشأ في بلاد الهند ولكنه فاق كثيرا من المولودين في بلاد العرب بفضل نبوغه اللغوي والأدبي في مجال الدراسات القرآنية. كان نموذجا أفضل للجمع بين القديم الصالح والجديد النافع.

قضى الإمام الفراهي معظم أوقات حياته لدراسة القرآن وتدبره، وكان جامعا بين التبحر في العلوم العربية والدينية، والاطلاع الواسع على العلوم العصرية والطبيعية، وبدت آثار هذه الثقافة الموسوعية العميقة في معظم مؤلفاته التي ألفت باللغة العربية والأردوية في موضوعات مختلفة. من أهم تلك المؤلفات ما كتبه حول القرآن الكريم و تفسيره وتأويله ومفرداته وبلاغته وفصاحته. جدير بالذكر ما قام بوضع أصول الترابط المعنوي بين الآيات القرآنية وسوره. وبالرغم من كل ذلك ،أن شخصية الإمام الفراهي ما زالت مجهولة لدى كثير من المتخصصين في الدراسات القرآنية وفي كثير من الأوساط العلمية. ولذا اختاره الباحث موضوعا لأطروحة الدكتوراه وذلك في ضوء جهوده المبذولة في الدراسات القرآنية للاستفادة من اتجاهاته اللغوية المبتكرة في خدمة اللسان العربي المبين.

قام الباحث بدراسة كتب الإمام الفراهي في العلوم القرآنية وتفسيره الجليل" نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" بتحليل مقومات الفكر اللغوي. قد ألقى الباحث في هذه الدراسة الضوء إلى حياة الفراهي لدراسة جادة عن الاتجاهات اللغوية تنم عن تداوله في مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة.

تحليل عنوان البحث: الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية للإمام عبد الحميد الفراهي.

الاتجاه هو إقبال مع القصد على شيئ بنظرية خاصة ، اللغوي هو إسم منسوب إلى اللغة، هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وعواطفهم. المقصود منه طريقة استعمال النطق بالتعبير عن الأفكار والعواطف. فالاتجاه اللغوي هو طريقة تعبير عن الأفكار والعواطف، تتشكل قوامها على أصول المفردات والمعاني والأساليب بنظرية خاصة. ينمو الاتصال بين البشر اتصالا فكريا ووجدانيا وسلوكيا عن طريق الاتجاه اللغوي. شكلت الدراسات اللغوية حسب الاتجاهات والمناهج تركيزا على توظيفها في مختلف ميادين الاتصال اللغوي. فيجب أن يعرف عن الاتجاه اللغوي في إطار المجتمع نظرا إلى مستويات الاستخدام مع اهتمام بملامح البنية اللغوية.

إن لغة القرآن تفضل سائر اللغات بحلاوتها ودقتها وأحكامها. قد أثر القرآن الكريم بألفاظه ومعانيه وطريقة نسجه في الأدباء العرب جميعا ، كما أعطى القرآن للغة العربية ألفاظا عذبة، والرقة والدقة في التركيب، والثروة في المعاني، ووسع دائرتها باستخدام الألفاظ الدينية كالصلاة والزكاة والقيام. قد مهدت الدراسات القرآنية سبلا لتطور العلوم الجديدة كالنحو والصرف والمعاني والبديع والحديث والأصول والفقه والتفسير. فالدراسات القرآنية تفيد أن يتأثر بفضل كلام الله عن طريق تعبيره المعجز واتجاهه اللغوي. لذا يورد الباحث في الاطروحة جهود الامام عبد الحميد الفراهي الذي يحتل درجة عالية بخدماته الجليلة في الدراسات القرآنية وإسهاماته القيمة في المجالات اللغوية والأدبية ليستخرج منها الاتجاه اللغوي.

عبد الحميد الفراهي هو أبرز أعلام اللغة العربية والتفسير،أحد مخضرمي القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين. ولد سنة ١٢٨٠هـ في قرية "فريها " من قرى مديرية أعظم كره بالهند. كان العالم الوحيد في الهند في عصره الذي برع في العلوم النقلية والعقلية. وله مهارة فائقة في اللغات الشرقية والغربية، لكن العلم الذي غلب على الفراهي هو علم القرآن. إنه فاق الأقران بقدرته المتميزة على التأليف في موضوعات دقيقة في القرآن الكريم. فلقبه معاصروه"ترجمان القرآن". ألف عدة مؤلفات في الدراسات القرآنية وما يتصل بها من العلوم، أهمها مفردات القرآن،التكميل في أصول التأويل، وجمهرة البلاغة، وتفسيره الجليل "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" . توفي هذا العبقري الفذ سنة ١٣٤٩هـ.

يحاول الباحث لإبراز مفهوم الاتجاه اللغوي في إطار هذا البحث مع إيضاح أهمية الاتجاهات في علم الأصوات وعلم الصرف وعلم المعجم وعلم الدلالة وعلم البلاغة والدراسات الأسلوبية عموما. يناقش الباحث جهود الفراهي بدراسة تحليلية حول كتابه مفردات القرآن وجمهرة البلاغة والالإمعان في أقسام القرآن وحجج القرآن ودلائل النظام وتفسيره الجليل نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان. يقصد بهذا البحث الاطلاع على خصائص شخصية الفراهي التي تقوي في تشكيل الاتجاه اللغوي مع إبراز مقوماته وعوامله ومزايا مناهجه في التعليم وطريقة التعبير.

دو افع اختيار الموضوع

قادت عدة دوافع الباحث إلى اختيار الموضوع "الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية لعبد الحميد الفراهي". أهمها حب الباحث للدراسات القرآنية بتحليل عجائبها اللغوية والبلاغية،والاطلاع على العلوم القرآنية ومجالاتها في مدة دراسة البكالوريا والماجستير، قد كونت الرغبة في تذوق الكلام الرباني عن طريق عجائبه اللغوية ولطائفه البيانية. إضافة إلى ذلك، سنحت للباحث فرص قيمة للحضور في الندوات العلمية والجلسات الأكاديمية التي تفيد في فهم مساهمات العلماء الهنود الأفذاذ تأليفا وتصنيفا. جدير بالذكر ما قام به الفراهي في إبراز علم المناسبة بين الآيات القرآنية بعضها ببعض. هذه العلوم الابتدائية أثبتت للباحث ضرورية دراسته بهذا الصدد من المصادر الأصلية. قد زاد حرص الباحث على معرفة الاتجاه اللغوي في مؤلفاته التي تتصل بعلوم القرآن. فهم الباحث أن جهود الفراهي في الدراسات القرآنية وإنتاجاتها المعرفية، لم تحلل بقيمها اللغوية في الأوساط العلمية الأكاديمية في الوقت الحاضر. فأراد إبراز ما قدمه الفراهي من الدراسات القرآنية والإنتاجات العلمية ذات مضامين لغوية تعم الافادة لكل محبي لغة القرآن الكريم.

أهمية البحث

اختار هذا الموضوع لأسباب هامة، فهي تبرز أهمية البحث من خلال النقاط الآتية.

١-يسلط هذا البحث الضوء على دور العلماء الهنود في خدمة القرآن الكريم، ونشر اللغة العربية عبر القرون حتى عصر الفراهي.

٢- يساعد على التعريف بسيرة عبد الحميد الفراهي العلمية من أهم جوانبها واتجاهه الإصلاحي في عصر الذي عاش فيه.

٣- يبرز جهود الفراهي في الدراسات القرآنية في ضوء مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة،إضافة إلي التعليقات والملحقات التي ألفت بأقلام العلماء البارزين كمرجع أساسي للباحثين والدارسين.

٤- يهدف للباحثين والطلبة إفادة أهمية الاتجاهات اللغوية والبيانية من شتى فروعها في الدراسة اللسانية ، بجانب ذلك يعطى إلماما بالاتجاهات اللغوية والبيانية من شتى أنواعها في الدراسات القرآنية

٥ -يقدم انعكاسات الاتجاه اللغوي للفراهي في مؤلفاته القرآنية والكتب اللغوية والبلاغية، كما يسلط الضوء على مناهج جديدة التي تستمد من هذا الاتجاه في الدراسات القرآنية.

أهداف البحث

١- إجراء دراسة منهجية حول مساهامات الفراهي في الدراسات القرآنية
٢ -تسليط الضوء على مكانة عبد الحميد الفراهي بين المفسرين واللغويين في الهند
٣ -تحليل جهود الفراهي في الدراسات القرآنية وإبراز اتجاهه اللغوي والبياني.
٤ -إبراز مقومات الاتجاه اللغوي للفراهي والعوامل المؤثرة في تنمية فكره اللغوي
٥ -الاطلاع على خصائص الاتجاه اللغوي ومزايا مناهجه عند الفراهي

مشكلة البحث

حاول الباحث خلال دراسته لإيجاد من الإجابات للأسئلة التالية

١- ما هي وظيفة الاتجاهات في الدراسات اللغوية ؟
٢--كيف كانت نشأة الدراسات القرآنية وتطوره ؟
٣- ما هي أركان الدراسات القرآنية ومجالاتها؟
٤-كيف كانت نشأة الاتجاه اللغوي وتطورها في التفسير؟
٥- ما هي الآثار العلمية للهنود في الدراسات القرآنية والتفسير؟
٦ -ما هي جهود الفراهي وأولوياته في الدراسات القرآنية والتفسير؟
٧- ما هي العوامل التي أثرت في تشكيل الاتجاه اللغوي وتنميته في الدراسات القرآنية للفراهي ؟
٨- ما هي انعكاسات الاتجاه اللغوي ومناهجه في الدراسات القرآنية للفراهي ؟

منهج البحث

اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي لإعداد هذه الأطروحة. قام الباحث بجمع المعلومات والبيانات التي تحتاج إليها لتحقيق أهداف البحث من المطابع المشهورة والمكاتب المعروفة داخل كيرلا وخارجها. كما اعتمد الباحث على الشبكة الإلكترونية مصدرا لجمع المعلومات التفصيلية. قد زار الباحث خلال بحثه مكتبات الجامعات والكليات داخل الهند وخارجها،وشارك في المناقشة مع العلماء والأكاديميين حتى أدرك منهم معلومات تسلط الضوء على الموضوع. ثم راجع المجلات والصحف والدوريات التي نشرت فيها مقالات حول مساهمات الفراهي في الدراسات القرآنية واتجاهاته اللغوية. ثم قرأ الباحث مصادر الموضوع ومراجعها حسب أولوياتها لتحليل مضامينها اللغوية. يوجز الباحث أهم الخطوات المتبعة لتحقيق منهج هذا البحث في النقاط التالية:

- جمع المصادر الأولية والثانوية التي تحتاج إليها هذه الدراسة.
- البحث عن الدراسات السابقة ذات الصلة، التي تناولت موضوعات الاتجاهات اللغوية بأبعادها المختلفة في الدراسات القرآنية لدى المفسرين اللغويين.
- دراسة شاملة تحليلية حول مساهمات عبد الحميد الفراهي في الدراسات القرآنية حتى يستوعب الباحث مقومات اتجاهه اللغوي وعوامله وانعكاساته في الدراسات القرآنية.
- مشاركة في المناقشة مع العلماء والأكاديميين للحصول على المعلومات التي تتصل بالموضوع.
- توثيق النقول توثيقا علميا بحيث يكون توثيقا كاملا عند أول ورود للمرجع، وبعد ذلك يكتفي الباحث بذكر إسم المؤلف، واسم الكتاب، الطبعة، مكان النشر والناشر، والسنة والصفحة.
- تسجيل أهم نتائج البحث.

الدراسات السابقة

لم يقف الباحث على دراسة جامعة أعدت في هذا موضوع على منهج أكاديمي، يتعلق بموضوع هذا البحث. لكن بعض المقالات العلمية والرسائل الجامعية والأطروحات الأكاديمية موجودة في الجامعات المتنوعة. هذه الرسائل الجامعية لا تتعلق بموضوع أطروحة الباحث، وهي تتناول مساهمات الفراهي في التفسير عموما،وتبحث عن مناسبات الآيات والسور فقط. يذكر الباحث تلك الرسائل والمقالات مع التفاصيل.

١-حميد الدين الفراهي: حياته ومنهجه في تفسير القرآن وأثر ذلك في الهند ، للباحث سيد سعيد أحسن العابدي، وهي رسالة الدكتوراه التي قدمها الباحث إلى جامعة الأزهر في عام ١٩٧١م.

٢- مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، للباحث عادل بن محمد أبي العلاء،قدم هذا البحث إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،عام ١٤٢٥هـ.

٣- عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير، للباحث سالم العلوى،وهي رسالة ماجستير قدمها الباحث إلى جامعة الشارقة في عام ٢٠٠٩م.

٤- عبد الحميد الفراهي وأثره في تفسير القرآن، للباحث معين الدين الأعظمي،وهي رسالة الدكتوراه قدمها الباحث إلى جامعة علي كره الإسلامية في عام ١٩٦٨م.

٥-مساهمة العلامة حميد الدين الفراهي في الأدب العربي-دراسة تحليلية لآثاره الأدبية، للباحث عرفات ظفر،هي الأطروحة قدمها إلى جامعة جواهر لال نهرو، دلهي، في سنة ٢٠٠٢م.

٦-مساهمة عبد الحميد الفراهي في اللغة العربية وآدابها،للباحث أبو ذر متين، وهي رسالة الدكتوراه قدمها إلى جامعة علي كره الإسلامية قي سنة ٢٠٠٦م

Collection of the Quran: A Critical and Historical Study of Al-Farahi"s View; Submitted By Shehzad Saleem: PhD Scholar in the University of Wales Lampeter (2010).

A comparative Analysis of the Farahi School of Thought a Case Study Approach; Submitted By Farhad Shafti: PhD Scholar in the School of Divinity The University of Edinburgh (2016)

الصعوبات التي واجهها الباحث

واجه الباحث بعض الصعوبات خلال إعداد هذه الأطروحة، من أهمها

- قلة الدراسات اللغوية التي تتركز على اتجاهاتها في ضوء الدراسات القرآنية
- ندرة كتب عربية ذات أصالة تشرح الجمال اللغوي والبياني بالاستفادة من القرآن الكريم .
- صعوبة الفهم والإدراك في اللغة الأردوية

خطة البحث

قسم الباحث هذه الأطروحة إلى خمسة أبواب ما عدا المقدمة والخاتمة ونتائج البحث. كل باب مقسم إلى عدة فصول حسب متطلبات عمق الموضوع وسعته.

الباب الأول عنوانه "**الاتجاه اللغوي: مفهومه و أبعاده**". وهو يشتمل على أربعة فصول. يلعب الاتجاه بدور فعال في تعلم اللغة وتعليمها. الاتجاه اللغوي هو المصطلح المهم تستحق الإيضاح بكل مناحيها في هذا الباب. ولذا اختار الباحث **الفصل الأول** لبيان معنى الاتجاه اللغوي لغويا واصطلاحيا. أوضح فيه مفاهيم كلمة الاتجاه بإيراد كلمات متشابهة مثل النظرية والمذهب والمنهج والتيار والنزعة مع الفروق الدقيقة بينها. تلعب الاتجاهات الحديثة بدور فعال في الدراسة اللغوية. يشرح الباحث أهمية هذه الاتجاهات ووظيفتها في **الفصل الثاني**. يتضمن **الفصل الثالث** مكانة الاتجاهات في علم البلاغة. الأسلوبية هي أهم الجوانب في الدراسة اللغوية، ولذا يسلط الباحث الضوء على مفهوم الاتجاهات الأسلوبية وأبعادها مع شرح موجز في **الفصل الرابع**.

والباب الثاني يشتمل على ثمانية فصول. عنوانه **الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية**. تتضمن الدراسات القرآنية كل العلوم التي تعتبر بمثابة بيان لكتاب الله. تتسع حقول الدراسات القرآنية إلى المعارف،لذا يوضح الباحث نشأتها وتطورها في **الفصل الأول**. يناقش في **الفصل الثاني** عن أهمية الدراسات القرآنية ودوافعها وشروطها . مجالات الدراسات القرآنية مختلفة، كما تجري على أساس أركانها الثابتة. يبين هذه الأركان والمجالات في **الفصل الثالث**. تتجلى العلوم المتنوعة والقيم الأصلية في الدراسات القرآنية. فالباحث يشرح مصادرها ومفاهيمها في **الفصل الرابع**.

الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية والتفسير أهم المباحث في هذه الأطروحة، لذا أوضح الباحث تعريفه ونشأته في **الفصل الخامس**. إن تعيين مكانة الاتجاه اللغوي ومعرفة أسلوبه في التفسير أمر ضروري، وهي تساعد على استفادة المعنى منها بكل دقة ووضوح. قد رتب موضعه للمناقشة في **الفصل السادس**. ثم يناقش عن مصادر الاتجاه اللغوي الهامة في **الفصل السابع**. يبين الباحث خدمات العلماء الهنود ومساهماتهم في علم التفسير والدراسات القرآنية في **الفصل الثامن** .

والباب الثالث في عنوان" **عبد الحميد الفراهي: حياته و آثاره**" يشتمل على ثمانية فصول. **الفصل الأول**: ولادته وأسرته حيث عالج فيه الباحث بيانات عن مولده وأحوال أسرته. ثم يفصل عن أوضاع عصره ومراحل نشأته في **الفصل الثاني**. ويليه البحث عن رحلاته العلمية واشتغاله بالوظائف والمناصب

الأكاديمية في **الفصل** الثالث. أما الفصل **الرابع** يناقش عن أخلاقه وصفاته،كما يوضح نظرياته الدينية والسياسية وأعماله الإصلاحية في **الفصل الخامس**. يذكر الباحث عن مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة و الدائرة الحميدية ودار المصنفين بإلقاء الضوء على مزايا أسلوبية كتابية في **الفصل السادس**. وله مكانة مرموقة كشاعر نابغ، ولذا يطلع الباحث على آثاره الشعرية في **الفصل السابع**. وفي الفصل الأخير من هذا الباب تفاصيل حول وفاة عبد الحميد الفراهي وثناء العلماء البارزين على وفاته.

والباب الرابع فيه دراسة تحليلية عن جهود الفراهي في الدراسات القرآنية. يوضح الباحث في **الفصل الأول** محاولات الفراهي وأولوياته في الدراسات القرآنية. يبحث في **الفصل الثاني** عن أقسام القرآن وأساليبه في ضوء كتابي الفراهي. حجج القرآن وحكمه من أهم مؤلفات الفراهي، يقوم الباحث بتحليل محتويات هذين الكتابين في **الفصل الثالث**. ثم يتناول موضوع تحقيق المفردات القرآنية ومنهج الفراهي بتحليل كتابه الجليل مفردات القرآن في **الفصل الرابع**. ثم يدخل البحث إلى تفسير القرآن وتأويله عند الفراهي في **الفصل الخامس**. علم النظام هو أهم المباحث في التفسير والدراسات القرآنية للفراهي. ولذا يبين أدلة علم المناسبة ومجالاتها مع الأمثلة في **الفصل السادس**. يورد تفاصيل دور الفراهي في تجديد فن البلاغة في ضوء كتابه جمهرة البلاغة في **الفصل السابع**. وفي **الفصل الأخير** من هذا الباب بيان موجز عن مساهمات الفراهي في علوم القرآن مع ذكر خاص عن نظرياته في علم إعراب القرآن .

عنوان **الباب الخامس** في هذه الدراسة" **الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية للإمام الفراهي**". يفتتح **الفصل الأول** بمناقشة جادة عن عبقرية الفراهي وتجسيد مكونات فكره اللغوي. ثم يقوم الباحث بتعريف نظرياته اللغوية المنعكسة في مؤلفات نحوية. هذا هو موضوع **الفصل الثاني**. يحلل في **الفصل الثالث** عوامل الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية ودوافعه عند الفراهي. هذه العوامل العامة التي ساعدت في تشكيل الاتجاه اللغوي،كما أثرت العوامل اللغوية والعلمية في تنمية الاتجاه اللغوي بكل خصائصه في الدراسات القرآنية واللغوية. يحتوي **الفصل الرابع** على انعكاسات الاتجاه اللغوي في المؤلفات القرآنية المختارة للفراهي. يستفيد الباحث من مظاهر هذا الاتجاه بعض خصائصه التأليفية، ويلخصها في هذا الفصل . قد مهدت اتجاهاته اللغوية التي برزت في الدراسات القرآنية طرق الاستفادة السهلة و المناهج الجديدة. يضيف الباحث في هذا الفصل مناقشة عن المناهج الجديدة في ضوء تأليفاته اللغوية والدراسات القرآنية، و يختتم الباحث هذه المناقشة ببيان دور الاتجاه اللغوي للفراهي في التعليم والتأليف والترجمة موجزا.

ذيل البحث بخاتمة يوضح فيها الباحث أهم ما توصل إليه من نتائج خلال دراسته عن هذا الموضوع وبحثه عن المصادر والمراجع المهمة المتوفرة له. وفي النهاية لا يزعم الباحث بأنه أتم ما يستفاد من الدراسات القرآنية للفراهي بكل جوانبها ذات أهمية بحثية، بل إنما حاول الباحث بقدر الإمكان محاولة متواضعة في هذا الموضوع. يقدم الباحث فيما بقي للباحثين من الأجيال القادمة بعض الاقتراحات والتوصيات ويعرض لهم الجوانب المهمة الأخرى لهذا الموضوع للبحث والتحليل. وفي الختام يلحق الباحث بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها لإعداد هذه الأطروحة.

كلمة الشكروالامتنان

وقبل كل شيء أشكر الله تعالى شكرا ما يحبه ويرضى على ما أتاحني من التوفيق لتقديم هذه الخدمة العلمية المتواضعة وأسأله من فضله العظيم أن يوفقني ويرشدني فيما بقي من أعماري.

وعندما أفرغ من هذا العمل العلمي، لا يمكن أن أنسى من حولي الذين كانوا يساعدونني على إتمام هذه الدراسة بشكل مرضي منذ بدايتها إلى النهاية. فلا بد للباحث من التعبير عن الشكر والتقدير لكل من بسط يده في ميدان بحثه. الألفاظ عندي عاجزة لأعبر ما عندي من المشاعر.

أزجي جزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ الفاضل الدكتور ساجد إ.ك،أستاذ مشارك ونائب عميد الكلية، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها بكلية فاروق (حكم ذاتي) كالكوت، وهو الأستاذ المشرف الذي قام بمساعدة عظيمة وإرشادات قيمة في جميع مراحل البحث. وله من الباحث فائق التقدير والاحترام لكل ملاحظاته الدقيقة وتوجيهاته السديدة، وجزاه الله خير الجزاء.

أقدم كل الشكر والامتنان من أعماق قلبي لكل من الأساتذة الفاضلين في قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها بكلية فاروق(حكم ذاتي)، هم الذين أعانوني باقتراحاتهم القيمة لإعداد هذه الأطروحة. وأخص منهم رئيس القسم الدكتور يونس سليم، والرئيس السابق الدكتور علي نوفل ،والدكتور عبد الجليل ، والدكتور محمد عابد، والدكتور عباس لما منحوه للباحث كل نصح وإرشاد في إتمام هذه الدراسة. جزاهم الله خير الجزاء. لا أنسى أن أعبر من الشكر والتقدير الدكتور عبد الرحمن آدرشيري، هو الذي أرشدني بإرشادات نفيسة وبملاحظات مطلوبة واقفا على جمل وتراكيب ومصطلحات هذه الأطروحة ليكون هذا البحث جامعا لمقصوداته ومانعا لمردوداته ومكتملا بصورته. كذلك أذكر مساعدة الدكتور جمال الدين الفاروقي والدكتور عبد المجيد إي، والدكتور جليل ت ك ، والسيد رياز أحمد بكل احترام وشكر،

هم الذين ساعدوني بلا حد على إتمام هذا البحث بتقديم توجيهاتهم الثمينة وبذل جهودهم المخلصة في إبداء الملاحظات للتصحيح والتنقيح والتنظيم.

جدير بالذكر ما قام بمساعدات عظيمة وتزويد تسهيلات كبيرة من قبل أمناء مكتبات الكليات العربية في كيرلا، ومكتبة جامعة كاليكوت، ومكتبة كلية فاروق. أقدم أجمل معاني الشكر والامتنان لهم في هذه الفرصة.

أذكر في هذه الفرصة الميمونة والدي حيث حرضاني في مسيرة هذا البحث، وشجعاني على السير إلى الأمام، فأدعوا الله أن يرحمهما كما رباني صغيرا. كما أقدم الشكر والامتنان لزوجتي وأبنائي وإخوتي الذين حرموا شيئا من الحنان والرعاية لانقطاعي عنهم في كثير من الأوقات بسبب شغلي في إعداد هذه الأطروحة.

أخيرا أشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد بما مهد لي طرقا لإتمام هذا البحث، وجزاهم الله خير الجزاء في الدارين، وأسأله التوفيق للجميع وهو ولي التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا وعلى آله وأصحابه أجمعين.

رجيش. س ك
الباحث

عبد الحميد الفراهي (١٢٨٠ هـ – ١٣٤٩ هـ)

الباب الأول

الاتجاه اللغوي: مفهومه و أبعاده

الفصل الأول: الاتجاه اللغوي معناه لغويا واصطلاحيا

الفصل الثاني: أهمية الاتجاهات ووظيفتها في الدراسات اللغوية

الفصل الثالث: مكانة الاتجاهات في علم البلاغة

الفصل الرابع: الاتجاهات الأسلوبية : مفهومها و أبعادها

الباب الأول
الاتجاه اللغوي : مفهومه و أبعاده

اللغة هي أهم وسائل التفاهم والإحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة. هي المقوم الأهم لتشكيل الأمم وبناء ثقافتها. تحتوي اللغة على مجموعة إشارات تصلح للتعبير عن حالات الشعور للإنسان من النواحي الفكرية والعاطفية والإرادية. هي الوسيلة الحية، يمكن بواسطتها تحليل أية صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها. قد عرّف العلامة ابن خلدون اللغة بقوله" اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده أو تلك العبارة فعل اللسان، فلا بد أن تعبير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب إصطلاحاتهم"[١]. تقوم اللغة بوظيفة هامة في المجتمع البشري، تتسع تأثيرها كوسيلة الحركة الإنسانية كلها في المجال العلمي والسياسي والثقافي والإعلامي والاجتماعي والتربوي. فاللغة وعاء ذلك كله نظرا إلى الوجوه من وظيفتها،تتجه الدراسات اللغوية إلى اتجاهات مختلفة، تسمى هذه كلها بالاتجاهات اللغوية عموما. هذه الاتجاهات ناشئة عن منطلقات أصحابها الفكرية،وهي تمثل نظرة فلسفية واجتماعية باعتبار واقع اللغة الإنسانية هي أصوات وألفاظ وتراكيب منسقة في نظام خاص بها، لها دلالات ومضامين معينة. ولذلك أن الهدف الأساسي لتعليم اللغة وتعلمها هو أن يكتسب المتعلم القدرة على الاتصال اللغوي الواضح السليم المبين، سواء كان هذا الاتصال شفويا أو كتابيا. إنما يكون الاتصال اللغوي بين المتكلم والمستمع،أو بين الكاتب والقارئ، فتضم إليه فنون الاستماع والكلام والقراءة والكتابة متصلة ببعضها،وكل منها يؤثر بغيره. وبهذا السبب شكلت الدراسات اللغوية حسب الاتجاهات والمناهج تركيزا على توظيفها في مختلف ميادين الاتصال اللغوي. فيجب أن يعرف عن الاتجاه اللغوي في إطار المجتمع نظرا إلى مستويات الاستخدام مع اهتمام بملامح البنية اللغوية. يسلط الباب الأول في أربعة فصول الضوء على مفهوم الاتجاه اللغوي و أهمية الاتجاهات ووظيفتها في مجالات شتى للدراسات اللسانية مع بيان مكانة الاتجاهات في علم البلاغة. إضافة إليها يشرح عن الاتجاهات الأسلوبية ومفهومها وأبعادها.

[١] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة من سلسلة كتاب العبر،الناشر: مؤسسة الرسالة،ط: ٩ ،ص: ٣٤٦

الفصل الأول: الاتجاه اللغوي: معناه لغويا واصطلاحيا

مفهوم الاتجاه في اللغة:

كلمة "اتجاه" هي مصدر الفعل" اتجه"، وهي اسم عادي يعرب حسب موقعه في الجملة. قد يكون مبتدأ، مثلا اتجاه الشمال مزدحم. قد يكون خبرا، مثلا هذا اتجاه الشمال. قد يكون فاعلا، مثلا ازدحم اتجاه الشمال، وقد يكون مفعولا به، مثلا زحفت السيارات اتجاه الشمال.

تجاه واتجاه هما كلمتان مترادفتان، لكن الترادف لا يعني تطابق المعنى، بل يعني تقاربه. هما مرادفان ل"مقابل" أو "إزاء" أو "ناحية". فرغم التشابه في المعنى، بين الكلمتين فرق في الاستعمال، هو أن "تجاه" ظرف، أي يحمل معنى حرف الجر "في" ، أما مصدر "اتجاه" فاسم ليس ظرفا، فلا يحمل معنى حرف الجر" في". تجاه تستعمل للعاقل واتجاه تستعمل لغير العاقل.

قال ابن منظور في "لسان العرب"، الوجهة: القبلة والموضع الذي نتوجه إليه ونقصده، ووجه الكلام السبيل الذي نقصده". يقال: هذا وجه الرأي أي هو الرأي نفسه. والوجه والجهة بمعنى، والهاء عوض عن الواو،والاسم الوجهة والوجهة، بكسر الواو وضمها، والواو تثبت في الأسماء كما قالوا ولدة، وإنما لا تجتمع مع الهاء في المصادر. واتجه له رأي أي سنح، وهو افتعل، صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها، وأبدلت منها التاء، وأدغمت ثم بني عليه قولك قعدت تجاهك وتجاهك أي تلقاءك."[٢]

قال الفيروزابادي في "القاموس المحيط"، الوجه - بالضم والكسر- الجانب والناحية"[٣].قال الزبيدي في "تاج العروس" الوجه النوع والقسم، يقال الكلام فيه على وجوه، وعلى أربعة أوجه،ووجوه القرآن معانيه، ويطلق الوجه على الذات و القصد"[٤].وفي قوله تعالى: " ﴿أَأَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ "[٥] وأخواته من نحو " ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ "[٦]. قال الفيروزابادي في "بصائر ذوي التمييز"، الوجه في كل ذلك كما تقدم أو على الاستعارة للمذهب والطريق."[٧]

---

[٢] ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي،أبو الفضل،جمال الدين ، لسان العرب، مادة وجه، المجلد الثالث عشر، بيروت، دار صادر،الطبعة الثالثة، ١٩٤/ ص ٥٥٦

[٣] الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مادة وجه، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦، المجلد:١، ص:٤٧٠

[٤] مرتضى الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسني، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة وجه، الناشر: دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ج:٩، ص: ٤٢٠

[٥] سورة آل عمران:٢٠

[٦] سورة الأنعام:٧٩

[٧] الفيروزابادي، محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز، الناشر: المكتبة العلمية بيروت، ج:٥، ص ١٦٧.

اتجاه كلمة معادلة لTrend في الإنجليزية. وكلمتا "نزعة" و"وضع "تستخدمان مترادفتين لاتجاهات. اتجاه أنسب في المقام وأعم استعمالا. جمعه اتجاهات، قد ورد من مادة اتجه يقال اتجه فلان إلى السوق أي ذهب إليه. يقول في المنجد في اللغة والأعلام" اتجه إليه: أقبل.[٨]

الاتجاه في الاصطلاح

تسمية الاتجاه أو المذهب أو النزعة تختلف باختلاف وجهات النظر بين الأدباء والنقاد. قد أطلق إحسان عباس على الاتجاهات السياسية والقومية والوطنية اسم "المنفذ الداخلي". عرف صاحب معجم مصطلحات الأدب الاتجاه الإقليمي أو النزعة الإقليمية فيقول: هي نزعة تظهر من وقت لآخر في الأدب بعامة وفي الرواية أو الشعر بخاصة لتصوير الحياة في منطقة معينة يتأثر فيها الناس بالبيئة الجغرافية التي تحيط بهم. وتتميز هذه النزعة بالتزامها الواقعية في الوصف والحوار، وباهتمامها بحياة القرى والمدن الصغيرة بدلا من اهتمامها بالحياة في العواصم والأمصار."[٩]

الاختلاف بين الاتجاه والتياروالمنهج والنظرية والمذهب والمقاربة

يهتم البحث عن مصطلح من مصطلحات بالرجوع إلى تأصيله اللغوي مع اعتبار مدار توظيفه الاصطلاحي. فاتجاه من "وجه" معناه طريق وغاية وهدف، كما في قوله تعالى" ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾"[١٠] .أما مصطلح تيار فإنه من "تير" أي اندفع مع أو نحو شيئ. يراد به متابعة الطريق الظاهر والأقوى في وقت معين، وجريان معه في فلكه بغض النظر عن هدفه النهائي. فيقال: سار مع التيار أو ضد التيار، فالتيار هو في الأصل فكرة وجدت قبولا. يوجد معنى تيار في "معجم اللغة العربية المعاصرة" في قول:"تيار مفرد ، جمعه تيارات بمعنى شدة جريان الماء، انجرف مع التيار أي عجز عن مقاومة الأحداث فجاراها وسار في مجراها،سبح ضد التيار أي عارض،خالف. اتجاه فكري، أدبي،أو سياسي أو نحوه يجري في أدبنا تياران، عربي إسلامي وغربي دخيل."[١١] أما منهج من مادة" نهج" أي شق دربه بتعب وبشق الأنفس، وهو الهيكل التنظيمي الواضح من أجل تطبيق الاتجاهات أو التيارات. هنا تعتبر الاتجاهات بمثابة اللبنات.

[٨] لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق بيروت، ١٩٨٦م، ص: ٨٨٩

[٩] مجدى وهب، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٤٤، ص/٤٧٠

[١٠] البقرة: ١٤٤

[١١] د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة تير، الناشر:عالم الكتب، ج:٤، ص: ١٤٥

الأولى لبلوغ إلى المنهج يوجد في معجم الرائد معنى كلمة "منهج"الطريق الواضح أي خطة، برنامج: منهج التعليم، سلك منهجا قصدا"[١٢] . أما الكلمة " النظرية" فإنها من نظر أي بحث ثم افترض فرضية قد تكون قابلة للتحقيق من عدمه. وهي مبني على أساس التجريب ومن ثم قبولها التعديل والإضافة والحذف وفقا لمقتضيات التجريب والنتائج منها. توجد معناها في معجم الوسيط، النظرية، هي قضية تثبت ببرهان. النظرية في الفلسفة: طائفة من الآراء تفسر بها بعض"[١٣] "نظرية جمعه نظريات. هي رأي أو اجتهاد يدلى به أحد العلماء ويحاول إثباته بالبراهين. نظرية النشوء والارتقاء لدارون ، نظرية النسبية لاينشتاين"[١٤] .الكلمة "مذهب" من ذهب، يذهب ،ذهابا ، يقصد به المعنى " الرأي أو مجموعة الآراء المتحدة الهدف. قال صاحب معجم الوسيط:"المذهب هو الطريقة، المذهب المعتقد الذي يذهب إليه، يقال ذهب مذهبا حسنا، يقال: ما يدرى له مذهب. أصل المذهب عند العلماء مجموعة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية ارتبط بعضها ببعض ارتباطا يجعلها وحدة منسقة، والجمع مذاهب".[١٥] المقاربة هي مجرد مرحلة من مراحل النظرية،حيث أنها الطريقة أو الأساس النظري الذي يعالج به الباحث الموضوع أو الظاهرة. والمنهج يتميز عن المقاربة كونه الأسلوب الذي يسير على نهجه الباحث لبلوغ هدف بحثه.

يتضح مما سبق أن المصطلحات المذكورة ، تدل على مفاهيم متشابهة. لكن توجد بينها الفروق الدقيقة في المعاني. لايمكن أن يقول فيها التناقض والتعارض، بل يتصل بعضها ببعض، ويؤيد بعضها بمراد بعض الآخر. تختلف معاني هذه المصطلحات حسب اختلاف المقام والحال والسياق. هنا أذكر تعريفا موجزا عن الاتجاه اللغوي.

مفهوم الاتجاه اللغوي

الاتجاه هو إقبال مع القصد على شيء بنظرية خاصة، اللغوي هو اسم منسوب إلى اللغة، هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وعواطفهم. المقصود منه طريقة استعمال النطق بالتعبير عن الأفكار والعواطف. فالاتجاه اللغوي هو طريقة تعبير عن الأفكار والعواطف،تتشكل قوامها على أصول المفردات والمعاني والأساليب بنظرية خاصة. ينمو الاتصال بين البشر اتصالا فكريا ووجدانيا وسلوكيا عن طريق الاتجاه اللغوي،لأن الإنسان هو يعيش في المجتمع مع الترابط في الفكر والسلوك والوجدان . إن دراسة اللغة

[١٢] جبران مسعود، معجم الرائد، مادة نهج، دار العلم للملايين ط:١، ١٩٦٤،ص:٢٢

[١٣] نخبة من االغويين، المعجم الوسيط،، مادة نظر، مجمع اللغة العربية ، القاهرة، ط:٢، ١٣٩٢،ص:٤١

[١٤] جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم للملايين، مادة نظر، ط:١، ١٩٦٤

[١٥] نخبة من اللغويين، المعجم الوسيط، مادة ذهب، مجمع اللغة العربية بالقاهرة،ط: ٢، ١٣٩٢.

وعلاقتها بالثقافة والمجتمع حقل واسع عريض إلى أبعد الحدود. يلعب الاتجاه اللغوي بدور فعال في دراسة اللغة وتطورها بتوطيد العلاقة الثقافية في كل مجال من مجالات الحياة الاجتماعية.

الفصل الثاني : أهمية الاتجاهات ووظيفتها في الدراسات اللغوية

أهمية الاتجاهات في الدراسات اللغوية

تتصدر الدراسات اللغوية، منذ ما يزيد على نصف قرن، مكانة مرموقة تتميز بعدة سمات بين العلوم الإنسانية والاجتماعية. تقوم أهمية الدراسات اللغوية بارتباطها في حياة الإنسان ووجوده. كما تؤكد أهميتها على حاجة الإنسان القصوى للتعبير والتبليغ بوساطة الكلمات عن الأفكار والأحاسيس. ولذا شكلت الدراسات اللغوية في الحقبة الأخيرة، مع بدايات القرن العشرين الحاجة إلى تعميق المنهجية والاتجاه في الظاهرة اللغوية. إضافة إلى ذلك اطلع الخبراء على كيفية التعامل معها باعتبارها وسيطا فعالا لنقل الخبرة العلمية، وتفعيلها ماديا بحيث تتم تطوير آفاق البحث فيها. إن الدراسات اللغوية مع التركيز على الاتجاهات الحديثة تحاول لتقريب المناهج اللسانية الحديثة وقيمتها الإجرائية إلى كل من يشتاق في علوم اللغة، كما أنها تستضيء بهذه العلوم في تقويم الفكر اللغوي العربي قديما وحديثا، وهي تزود قوة الإدراك الواعي للنظرية اللسانية الحديثة بكل تفاعلاتها وتعدديتها.

استحالة عولمة اللغة العربية وثقافتها فتحت مناهج البحث اللغوي الجديدة في مستوى اللفظ والقول. قد جرت البحوث على وعي تام بالخصوصية الثقافية والنظرية اللغوية العربية في ضوء الاتجاهات الحديثة. أقام البحث دعائمه على فكرة مركزية تمتد تفاعلاتها في الاتجاه اللغوي العربي الحديث مع مناهج اللسانيات الغربية بشقيها الأوروبي والأمريكي في مد العولمة الجارف. توجد تطورات المعرفة اللسانية الحديثة، وتأثيرها في المحيط اللساني العربي في الصعيدين النظري والتطبيقي. استمرت الجهود العلمية بعلم الأصوات والمورفولوجيا والمعجم والدلالة، بالإضافة إلى جهود أخرى، انفتحت على الأنساق النفسية والاجتماعية والثقافية الأخرى. تطورت الدراسات اللغوية العربية العديدة في ضوء اتجاهات لسانية حديثة بنيوية وصفية أو توليدية أو وظيفية أو تداولية. ترتكز الاتجاهات الحديثة على علم الأصوات،وعلم الصرف وعلم الدلالة وعلم المعجم والدراسات اللسانية الاجتماعية والأنثروبولوجية والنفسية.

أهمية الاتجاهات في علم الأصوات

اهتم العرب منذ أمد بعيد بعلم الأصوات اهتماما كبيرا. يدل هذا الاهتمام على صورة من صور الوعي اللغوي العربي بأهمية الصوت في النسق اللساني للغة. هذا الوعي أدركته أمم العالم منذ لحظة ميلادها الأول. انتجت عبر هذا الوعي نظم الكتابة المختلفة، والرموز التي تساعد على فهم خاصية اللغة. قد نوه بها اللسانيون المعاصرون في القرن العشرين،يتصدرهم أندريه مارتنيه(Andret Martinet) مؤسس الاتجاه الوظيفي في اللسانيات الفرنسية."[١٦] كانت الإمكانيات التكنولجية قليلة في ذلك الزمن، وبالرغم من ذلك،قد استطاع اللغوي العربي الاطلاع على خصائص الصوت، ونوقشت ميزات كيفية النطق، ومراحل التي يمر بها منذ حالته الهوائية في حركة الزفير، حتى يصبح حدثا مسموعا. يوضح اللغوي المشهور أحمد عوض "لما تطورت العلوم كعلم التشريح في زمن ابن سينا الطبيب ازدادت معرفة العلماء بالظاهرة الصوتية بعامة، والنظام الصوتي للغة العربية بخاصة، تاركين إرثا لا تستغني عنه الدراسات الصوتية الحديثة.[١٧] قد حاول بعض اللغويين للاسترشاد بالدراسات الصوتية لأجل اعادة وصف منظومة الأصوات مركزين على الجانب السمعي من ناحية، وعلى الظواهر التطريزية للكلام من ناحية أخرى مثل: النبر (Accent) والتنغيم (Intonation) وأثرهما في توجيه دلالات الخطاب.[١٨]

قد خصص محور أصوات العربية لإبراز خصائص الأصوات في اللغة العربية من خلال تحديد العناصر الثلاثة.١- مصدر الطاقة،٢ -مخرج الصوت،٣- كيفية النطق في مستوى الصوامت. يثبت منصور بن محمد الغامدي في كتابه المشهور"الصوتيات العربية"،"إن اللغة العربية تحتوي على ستة وثلاثين صوتا، منها صوائت مفردة وصائتان مزدوجان، ثلاثة من الصوائت المفردة القصيرة، ولكل منها نظير طويل، أما عدد الصوامت ثمانية وعشرون، منها ثلاثة عشر صوتا احتكاكيا، والبقية تنطق بطرق مختلفة منها الأنفي والوقفي والتكراري والجانبي، كما أن المخرج اللثوأ سنالني يستحو على عشرة صوامت بينما،تتوزع البقية على عشرة مخارج من الشفتين إلى الحنجرة."[١٩].

أثرت هذه الصوتيات في مجال الدراسات اللسانية، كما بدت الاتجاهات الحديثة في ضوء هذه الدراسات اللغوية. لا يمكن تأسيس لسانيات للغة العربية أمام ضعف الذي تعانيه الصوتيات العربية ولذا لايمكن

[١٦] أندريه مارتنيه ، مؤلف مبادئ اللسانيات العامة، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، العدد ١٤،شتاء ٢٠٠٥، الجزائر،ص١١ وما بعده

[١٧] أحمد عوض، مترجم كتاب موجز تاريخ علوم اللغة في الغرب الكويت: العدد ٢٢٧،سلسلة عالم المعرفة، سنة ١٩٩٧، ص٢٣١

[١٨] الشهري، عبد الهادي بن ظافر، نحو توسع مفهوم الخطاب، مقاربة لسانية تواصلية، مجلة فصول، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد٧٧، شتاء ، ربيع سنة ٢٠١٠،ص:٩٤

[١٩] الغامدي، منصور بن محمد،الصوتيات العربية ، مكتبة التوبة،، ١٤٢١هـ، ،ص:٨٠

إغفال الصوتيات بناء علم لساني في ظل غياب معرفة صوتية دقيقة. تلعب الاتجاهات في علم الأصوات بدور فعال في تطور تعليم اللغة وتعلمها.

أهمية الاتجاهات في علم الصرف والنحو

سلك علم الصرف أو المورفولوجيا مسارا مستقلا عن الدراسات الصوتية والتركيبية. يرتبط هذا العلم شديد الارتباط بموضوع الذي يتناول في بدايات التأليف اللغوي العربي. كان أول بحث صرفي عرفته الدراسة اللسانية العربية كتاب التصريف لأبي عثمان المازني(ت:٢٤٨هـ)، ثم تابعته بحوث أخرى. هذه الدراسات مبنية على أساس لأجل قواعد صياغة الكلمة، ووصف تغيراتها الظاهرة. جدير بالذكر كتاب "الممتع في التصريف"لابن عصفور الإشبيلي(ت:٦٦٩هـ)، و"المفتاح في علم الصرف" لعبد القاهر الجرجاني(ت:٤٧١هـ) وغيرهما. توجد تأثيرات اللسانية الغربية في الدراسات اللسانية العربية الحديثة في الثلث الثاني من القرن العشرين. برزت الاتجاهات الحديثة في ضوء هذه الدراسات اللسانية. يقول محمود السعران في كتابه "علم اللغة" "يعد الصرف علما هاما يصف أشكال اللفظة المختلفة. تختلف أشكال اللفظة أي صيغها، وهي تقوم ملامحا تمييزية تفرق بين المعاني. هذا المصطلح يظهر نوعا من الغموض بسبب إطلاقه على أنساق غير متجانسة من حيث الشكل والوظيفة، فاقترح بديل له في الدراسات الصرفية الحديثة هو المورفيم أو المونيم، على اختلاف المدارس اللسانية في المصطلح"[٢٠] تكون نتائج الصرف موطئة لدراسة التركيب النحوي والنصي. لا يتم تعلم اللغة العربية إلا باكتساب علم النحو،لأن له علاقة وطيدة للغة ودلالتها.

تتسع مجالات الاتجاهات الحديثة في علم الصرف بحيث تؤثر في تناول اللغة بين عامة الناس مباشرا وغير مباشرا. إن علم الصرف هو الذي يحدد دلالة مفردات التركيب في الجمل،وعلم النحو يضع ترتيبها ويحدد وظيفتها بناء على دلالتها الصرفية والمعجمية. العلماء القدماء تناولوا التركيب والإعراب والأصوات والصرف موضوعات دراسة النحو. ولكن المحدثين أخذوها باتجاهات جديدة، هي أكثر دقة وموضوعية، ووظفوها بمناهج حديثة في دراسة هذه الموضوعات. قد اعتبر علماء العربية وظيفة القواعد النحوية الدلالية باتجاه معرفة التركيب. توصلوا لهذا فهم العلاقة بين مفردات التركيب، كما أوضح السكاكي هذا الاتجاه في قوله" اعلم أن علم النحو هو تنحو إلى معرفة التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا

[٢٠] ،محمود السعران، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة، ج: ٢٥ ،رمضان ١٣٨٩-١٩٦٩، ص: ٢٢٠

بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطإ في التركيب من حيث تلك الكيفية، وأعني بكيفية التركيب تقديم بعض الكلم على بعض، ورعاية ما يكون من الهيئات إذ ذاك"[٢١]

تأثير الاتجاهات في علم المعجم

قد اهتم الدرس المعجمي العربي بموضوع المعنى الوضعي للفظة في اللغة، وما يرتبط به من معان ثانوية سياقية. يقول ابراهيم بن مراد" إن الظروف الحضارية المعينة واكبت نشأة المعاجم في اللغة العربية، على رأسها وصف معاني مفردات القرآن. هي تثبت علاقتها باللغة العربية، ثم تطور التأليف المعجمي حتى أضحى صنعة قائمة بذاتها. ثم توسعت الدراسات المعجمية، وبدت الاتجاهات الحديثة في ضوءها على صورة نظريات صناعة المعجم في الفكر اللساني العربي، والتي أسست على المقاربة اللسانية المعجمية الغربية.[٢٢] ثم ظهرت معاجم مختلفة في شكلها وأهدافها، بحيث يمكن للدارس أن يميز بين المعاجم العامة احادية اللغة، والمعاجم متعددة اللغات،وبين المعاجم المتخصصة في مصطلحات علم أو حرفة أو فن من الفنون. يمكن للباحث من الحصول على العولمة اللغوية بأيسر جهد وأقرب وقت باستخدام المعاجم المتنوعة، من أهمها معاجم الترجمة،المعاجم الموضوعية، المعاجم التأصيلية، المعاجم التاريخية، معاجم الموسوعات، المعاجم التقنية.

لقد اهتم كثير من الخبراء في علم التربية بالجانب المعجمي .أصبح هذا المجال اليوم فرعا من اللسانيات التطبيقية تربطه علاقات وثقى بتعليم اللغات والعلوم. هذه الجهود نافعة لإثراء الفكر اللغوي العربي والعلوم . على إثر ذلك أضيفت إليه ما يستجد من نظريات ومعلومات في العالم المتقدم. قد ناقش اللغويون حول نقل مصطلحات اللسانيات الاجتماعية إلى العربية. تعتبر اللسانيات الاجتماعية (Sociolinguistics) إحدى أبرز فروع اللسانيات الحديثة. إنهم خصصوا فصلا مستقلا لمناقشة طرق النقل، مثل : التعريب والترجمة والترجمة الجزئية. قد جرت البحوث حول هذا من جهة أسماء الجسد الإنساني، ومعالجة المادة المعجمية في المعاجم اللفظية ودراسة حول اسم الصوت في العربية. لا تزال تتطور اللغة بمرور الزمان حسب تأثير الاتجاهات في الدراسات المعجمية.

المعجم يبحث معني الكلمة المفردة ، والتركيب الاصطلاحي، والمثل، والقوالب اللفظية التي تشكل وحدة معنوية. إضافة إلى ذلك يناقش حول المعاني السياقية مع ذكر شواهدها ويبحث عن المعنى الحقيقي والمعنى

[٢١] السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم،طبعة التقدم، القاهرة، ١٣٤٨هـ، ص: ٣٣

[٢٢] ابراهيم بن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، دار الغرب الإسلامي،بيروت سنة ١٩٩٧،ص ٣٨-٤٠

المجازي. أما الدلالة المعجمية لا تهتم بدلالة كلمة مفردة فقط بل يضم إليه كل التراكيب التي تشكل وحدة دلالية متماسكة لا تتجزأ. ثم توسعت الدراسات المعجمية باتجاهات حديثة باحتواء كافة فروع المعرفة الإنسانية مع اعتبار تقنيات العصر. إن هذه الدراسات المعجمية توضح مراد اللفظ وتكشف غموض الدلالة المعجمية باتجاهات التي تساعد على تقريب مفهومه للأذهان. لكل كلمة روابط التي ترتبط بخلفيتها اللغوية والثقافية والبيئية والزمنية. فلا بد من اعتبار هذه الأبعاد في الدلالة المعجمية حسب الاتجاهات الجديدة. أما الكلمات عند بعض الباحثين أنها مستقلة الدلالة مثل : المدينة المنورة، مكة، ليست ذات دلالة مستقلة لأنها قد تفهم عند من لا يحيط بها علما عكسا لمراده الصحيح.

مكانة الاتجاهات في علم الدلالة

اعتبر فريق من اللغويين علم الدلالة بؤرة التفكير اللساني الحديث. لأن هذا العلم يساعد على تحليل ظاهرة اللغة، ووصف آلية عملها في التواصل. لا يمكن أبدا عزل المعنى عن الدراسة العلمية للغة إلا بقدر الذي تتوافر فيه الأدوات لاستكمال وصفه. بدت نظريات دلالية مختلفة في الفكر اللساني الحديث مثل النظرية التصويرية والنظرية الإشارية ونظرية السمات المعجمية ونظرية الحقول الدلالية والنظرية السلوكية وغيرها. اختلفت آراء الدارسين المعاصرين شرقا وغربا في مسألة المطابقة أو المخالفة بين المعنى والدلالة. ذهب نفر من اللغويين إلى المرادفة بين المصطلحين،كما رأى الآخرون أن الدلالة تختص بالعلاقة الكائنة بين العلامة اللغوية. قد يشير مصطلح معنى إلى علاقة اللفظة بغيرها في التركيب في المستوى الاستبدالي . هكذا تترابط كلمات المعجم عموديا بعلاقات معنوية مثل التنافر والتضاد والترادف والعموم والخصوص وغيرها.

إن الفكر اللغوي العربي قائم على وصف المعنى وتحليل أنماطه المختلفة في بعده التطبيقي. كان لعلم الدلالة في التراث العربي مكانة عظيمة. يقول الكاتب اللغوي سيف الدين محمد الشيباني" عندما نزل القرآن الكريم يتحدى العرب ببيانه وإعجازه حاملا بين طياته ثورة عظيمة ذات صلة روحية في مجال الأدب والاجتماع والأخلاق والعلم واللغة. بدت هذه التحديات في أعز ما يملكون ويعرفون، وبه يتفاخرون. فأقبلت كثير من الناس على الدراسات حول إعجاز كتاب الله عز وجل في شتى حقوله. كانت الدراسات مؤسسة على منهج وصفي اسقرائي يدل على متابعة اللغة في ألفاظها وموضوعاتها قصد تحديد المعانى التي يتوقف على فهمها فهم الكتاب.[٢٣] كانت البحوث الدلالية العربية من القرون الثالث إلى الخامس الهجرية،وهي تدل

[٢٣] الشيباني، سيف الدين محمد، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٣، ص ١٦٠

على نضج اللغة العربية. كانت جهود الباحثين في علم الدلالة مركزة على تسجيل معاني الغريب في القرآن، والحديث عن مجاز القرآن، والتأليف في الوجوه والنظائر في القرآن،وإنتاج المعاجم الموضوعية ومعاجم الألفاظ، حيث يوجد المصحف مضبوطا بالشكل يعد في حقيقته عملا دلاليا.

قد أثبت محمد عابد الجابري في مقالته" تناول الأصوليون موضوعات متنوعة وقسمها أبوابا للدلالات في كتبهم. ومنها دلالة الاجتماعية والخصوص، والتخصيص والتقييد والترادف والتضاد والاشتراك ودلالة التضمن والالتزام والمطابقة. بالإضافة إلى دراسات وإشارات كثيرة للمعنى في مؤلفات الفلاسفة مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالي والخوارزمي وابن حزم وغيرهم.[٢٤] لقد نظرالبلاغيون العرب منذ بدايات التفكير البلاغي إلى الجانب الاستعمالي للغة تداوليا وأدبيا. تمثلت جهود البلاغيين في دراسة الحقيقة والمجاز،ودراسة كثير من الأساليب، مثل الأمر والنهي من ناحية علاقة التركيب بالمعنى في السياق. اتجه البلاغيون في ضوء هذه الجهود إلى الدراسات الدلالية بالإضافة إلى عناية فائقة بالمعنى السياقي، وعلاقة المقال بالمقام.

برزت الاتجاهات الحديثة من الدراسات اللغوية الجديدة، فأصبح بحث الدلالة هدفا هاما لكثير من اللغويين ومجالا من أهم مجالات البحث اللغوي. قد قامت هذه الدراسات بتصنيف الدلالة إلى أربعة أصناف. كما أشار الدكتور محمود عكاشة في كتابه المشهور التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة."قد اتجهت بعض الدراسات اللغوية إلى تصنيف الدلالة إلى دلالة صوتية، ودلالة صرفية، ودلالة تركيبية (دلالة الجملة)، ودلالة قاموسية (معجمية)، وغير ذلك من التصانيف التي تقوم على بحث المعنى في إطار علم الدلالة."[٢٥]

كانت اللغة تدرس دراسة عامة دون تحديد أو تخصيص الموضوعات في بداية نشأتها. ثم تطور البحث فيها بتأثير الاتجاهات في إطار علم الدلالة. على إثرها ظهرت المناهج العلمية ، وحيكت على منوالها فروع العلم الحديث. قد اهتم بعض العلماء بوظيفة اللغة ،فأقبلوا على دراسة اللغة باتجاه عملي. ثم ظهرت الحاجة إلى تحليل اللغة للتعرف على دلالتها تحقيقا لمقاصد اللغة في التواصل اليومي. قام علماء اللغة بتفكيك اللغة إلى وحدات دلالية واختلفوا في أصغر وحدة دلالية. بعضهم رأوا أن الكلمة هي أصغر وحدة حاملة المعنى. أما بعض العلماء توصل إلى وحدات أخرى أصغر من الكلمة، وهي الوحدات الصوتية والصرفية. لكنهم لا يرون أنها أصغر وحدة دلالية فاختلاف الحرف (الصوت) يؤثر في دلالة الكلمة. نبر الجملة وتنغيمها

[٢٤] الجابري، محمد عابد، اللفظ والمعنى في البيان العربي،مجلة فصول،المجلد ٥،العدد١،أكتوبر،سنة ١٩٨٥،ص٣١

[٢٥] د. محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، ط ٢- القاهرة ٢٠١١، ص٥

وإيقاعها ودرجة الصوت كلها العناصر الصوتية التي تصاحب أداء الجملة وتؤثر في دلالتها. أثبت بعض علماء العربية قديما وحديثا أن حركات الإعراب تلعب دورا هاما في إيضاح دلالة التراكيب. يؤكد الدكتور محمود عكاشة بكلامه على تأثير اختلاف المورفيم (الوحدة الصرفية)"فصوت الياء في "مصري" يدل على النسب، والياء وحدة صرفية، وكذلك الميم والواو في "محمود"، والألف في "قاتل" فالميم والواو يدلان على اسم المفعول، والألف يدل على اسم الفاعل، وهمزة الوصل والسن والتاء في "استخراج" للدلالة على الطلب، وزيادة التاء والألف في "تقاتل" تدل على المشاركة في الحدث".[٢٦]

هناك اتجاهات جديدة من بعض أنظار المحدثين العرب، تمثل أهمية دراسة جهود الغربيين في مجال اللغة. إنهم أثبتوا أن للغربيين فضل كبير في وضع أسس علم الدلالة. فلا بد من الرجوع إلى تعريف علم الدلالة." وهو العلم الذي يتناول المعنى بالشرح والتفسير،ويهتم بمسائل الدلالة وقضاياها، ويدخل فيه كل رمز يؤدي معنى سواء أكان الرمز لغويا أو غير لغويا (مثل الحركات، والإشارات، والهيئات، والصور، والألوان، والأصوات غير اللغوية، وغير ذلك من الرموز التي تؤدي دلالة في التواصل الاجتماعي"[٢٧].اللغة العربية تعتبر أكثر اللغات بحثا، وإنتاجا، فلم تحظ لغة عالمية برعاية أبنائها مثلما حظيت به العربية منذ نزول القرآن الكريم. قد ترك علماء العربية تراثا غنيا في كافة فروع اللغة، فوضعوا علم الأصوات مشارك في بنية الكلمة، ويشارك النحو بدور كبير في الدلالة. كذلك اختلاف الكلمات واختلاف الترتيب يؤثران في دلالة الجملة، مثلا "دخل محمد المنزل"، والقول:"دخل محمد القبر"، والقول: دخل محمد عش الزوجية". فمعنى التركيب الأول معلوم،ومعنى الثاني: مات،ومعنى الثالث: تزوج.اختلاف الترتيب في مثل:"قتل محمد عليا"، والقول: قتل علي محمدا" أثر في دلالة الجملتين.

وظيفة الاتجاهات في الدراسات اللسانية الاجتماعية والأنثروبولوجية

إن الدراسة الاجتماعية للسان البشري ترجع إلى العلاقة التي تقوم بين النظامين اللغوي والاجتماعي. تؤثر أحدهما في الآخر، بالإضافة إلى تحقيق أهداف دراستهما مباشرا وغير مباشرا. هنا برزت اتجاهات في دراسة البنية اللغوية باعتبار عوامل التطور الاجتماعي. تؤثر كل من الإحتكاك الاجتماعي والهجرات والعمران والعزلة في نمو وتطور اللغة في مختلف المستويات، وهي تشكل الاتجاهات التي تساعد على فهم دراسة التنوعات اللهجية، وتفرع اللغات. لا شك أن هذه الاتجاهات تفتح وسائل معرفة المعرب والدخيل والفصيح والعامي في اللغة المعينة. إن معرفة الحاجات اللغوية والاجتماعية تجعل مدخلا لإعداد المعجمات

[٢٦] د. محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، ط:٢ القاهرة ٢٠١١، ص ٦

[٢٧] د. محمود عكاشة: الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية ط١/ ٢٠٠ م ، ص ٤،٥

المتخصصة في بيئة لسانية معينة، ويبحث هذا الفرع في العلاقة الوثيقة التي تقوم بين النسق الثقافي واللغة. تركز الدراسة اللغوية على أنماط التفكير والعادات وأنظمة القرابة بين المجتمعات، وهي تعرض كيفية استعمال اللغة في التعبير عن الفكر والانفعال.

تعيش المجتمعات في عالمها اللغوي الذي يجسد في وجودها العالم المادي المحسوس. إن جوهر اللغة انعكاس مادي للواقع بينما تمثل اللغة بالنسبة إليه أداة النقل. هنا يختلف الناس في توظيفها، وهي تتصل بالبحث اللساني الأنثروبولوجي. تختلف الاتجاهات في وجهات النظر في طبيعة علاقة الفكر باللغة، وأسبقية أحدهما على الآخر، كما هي تقر بكينونة اللغة من حيث هي وقائع رمزية تواصلية التي تؤكد أهمية الفكر في الحياة الإنسانية. يقول محمد زياد كبة" البحث الأنثروبولوجي في اللغات يرتبط بين نمط التفكير السائد بين أفراد جماعة معينة تختص بثقافة معينة، ونوعية اللغة المستعملة بينهم في التواصل . تقرر السلوكية بوجود نوع من الترابط والتماثل بين بنية الفكر وبنية اللغة.[٢٨] لا يزال الإنسان يرتقي ارتقاء معرفيا،ويتجه إلى الاكتشافات الحديثة حسب مقتضيات العصر. يحدث أولا هذا الارتقاء المعرفي، ثم يبرز التطور اللغوي. يقرر اللغوي المشهور "نوام شومسكي" أن التطور اللغوي يعتمد على الفكر الإنساني. تختلف الاتجاهات اللغوية باختلاف أفكار الإنسان ووجهاته النظرية، لكن توجد في الفكر واللغة التنظيم الخاص. لا شك هذا التنظيم يرتبط بظروف المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان.

إن اللغة نسق غرضه التواصل بين البشر، وتحقق لهم جملة من المنافع التي تساعد على الاستقرار النفسي لهوية البشرية داخل المجموعة ، وترسخ لهم مبدأ التعاون الاجتماعي، ونقل المعارف والخبرات للأجيال السابقة. تعد اللغة مصدر الهويات والقوميات المختلفة، وهي تقوم بدور فعال في وضع القوالب الجاهزة تولد في الدماغ. هذه القوالب تفرض حالة من التميز والانحياز إلى أفكار ومواقف تصنعها في اختيار الإنسان. حينما يسير الإنسان على هذا الإطار يبرز فيه الاتجاه يضم إليه صور الاجتماع وظواهره. فيعبر عن طريق اللغة مواقفه وآراءه تعبيرا صادقا. هذا الاتجاه اللغوي يتجلى في الدراسات اللسانية الاجتماعية والأنثروبولجية.

علاقات الاتجاهات بالدراسات في اللسانيات النفسية

تعتبر اللسانيات النفسية فرعا معرفيا جديدا،تهتم بالظواهر العضوية والنفسية التي تصاحب لعملية انتاج الكلام وإدراكه. تتركز الدراسات النفسية اللسانية على التلاحم بين المباحث اللغوية والمباحث

[٢٨] محمد زياد كبة ، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب،جامعة الملك سعود، الرياض،ص٧٩

النفسية، خصوصا في الاتجاه السلوكي. تتناول هذا العلم الجوانب اللسانية في اللسانيات النفسية، أو مستويات التحليل اللساني. اللسانيات النفسية من حيث مفهومها ومجالاتها ونشأتها وتطورها يعبر أهم نظرياتها، منها النظرية السلوكية والنظرية المعرفية الفطرية والنظرية التكاملية. تشكل عناية اللسانيات النفسية بموضوع الادراك والذاكرة مجالا خصبا للبحث في عملية التعلم، خصوصا في تعلم اللغة. يوضح سعد مصلوح وفاء كامل في كتابه" تؤكد الدراسات النفسية اللسانية على دراسة العلاقات التي تكون بين المنظومة العصبية المقابلة لمستويات البناء اللغوي الذي يتضمن فيه علم الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية من خلال تحديد الوحدات اللسانية المضطلعة بالوظيفة الإشارية لمعان معينة.[٢٩]

الفصل الثالث: مكانة الاتجاهات في علم البلاغة

مراعاة المقامات والأحوال

لقد اهتم البلاغيون العرب منذ بدايات التفكير البلاغي بالجانب الاستعمالي للغة تداوليا وأدبيا. فمراعاة المقامات والأحوال هي مدار الأمر في بلاغة الكلام. قد عرف الخطيب القزويني "البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"[٣٠]. يكون أي الكلام مطابقا لمقتضى الحال، ويورد لهذا الأسلوب الذي يقتضى الحال أو المقام. إن مقتضى الحال في الحقيقة هو خصوصية في الكلام. يقول ابن يعقوب المغربي عن مناسبة الحال والمقام،" إنه الخصوصية التي تناسب المقام، ويتعلق بها الغرض،لاقتضائها المقام، كالتأكيد بالنسبة إلى الإنكار، وكالإيجاز في الضجر، وكالإطناب في المحبوبية،وغير ذلك من الاعتبارات والخصوصيات الزائدة على أصل المراد"[٣١] تختلف هذه الاعتبارات والخصوصيات باختلاف المقامات. فكل مقام وحال فيه مراتب كثيرة وفق الاعتبارات المناسبة له. مثلا مقام الإنكار التام ،إذا أكد فيه بتأكيبد واحد، فهذا الاعتبار مرتبة. وإذا أكد فيه بتأكيدين، فهذا الاعتبار مرتبة هي فوق الأولى. إذا بولغ في التأكيد ، فهذا الاعتبار مرتبة هي أعلى مما قبلها.

علم المعاني هو يعرف به أحوال اللفظ التي يطابق مقتضى الحال واختار لنفسه مصطلحا ثانيا مكافئا للبلاغة هو "النظم". هو الذي يسميه الشيخ "عبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧١). قد أضاف الشيخ القزويني:"النظم تآخي معاني النحو فيما بين الكلم،على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام"[٣٢] فالنظم

[٢٩] سعد مصلوح وفاء كامل،اتجاهات البحث اللساني، المجلس الأعلى ،المطبعة الأميرية،ط:١، ص ٣١٠

[٣٠] الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة ،شرح وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت،ط:٣، الجزء الأول،ص:٤١

[٣١] المغربي، ابن يعقوب، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح،دار الكتب المصرية، بيروت، ط:١، الجزء الأول، ص:١٣٠

[٣٢] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، الجزء الأول،ص:٤٤

هو ترتيب المعاني في النفس وضم الألفاظ وفقا له. هنا يحتاج المتكلم إلى ملكة يقتدر بها في تأليف كلام بليغ. يقال بصفة فصاحة المتكلم اعتبارا لقدرته على تمييز الكلام الفصيح من غيره. وهو ما يتحصل للمتكلم بالسليقة العربية،وبتتبع خواص تراكيب البلغاء. إن الأغراض التي يقصدها المتكلم، ويصوغ كلامه لتأديتها هي أحوال المخاطبين، كأنها قدرة على المطابقة مع حال المخاطب، ومع مناسبة للقول عامة ونمطية.

إن محاولة التعرف على المقام أو الحال، لا تقف عند حدود ما انتهى إليه الدرس البلاغي من تعريفات وتصنيفات وصياغات . بل تمتد إلى اتجاهات تتصل بالمقامات والأحوال وما يرتبط بها من اعتبارات لغوية وخطابية. هنا اعتمد البلاغيون على اتجاه"التداولية"(pragmatic approach) التي تهتم بكيفيات استعمال اللغة في السياقات أو المقامات المختلفة.

اتجاه التداولية

التداولية هي دراسة اللغة، لا بوصفها نظاما أو بنية، بل على نحو ما تستعمل في المواقف الاتصالية المختلفة واقعية أو متخيلة. تقصد بالتداولية إقامة التواصل بين البشر هي جوهر اللغة الطبيعية ووظيفتها. يقول اللغوي المشهور أحمد المتوكل في كتابه المشهور" اللسانيات الوظيفية"ليست اللغة مجرد تعبير عن الفكر،وأداة لنقل المعرفة وتمثيلها وإبلاغها، ولكنها الأداة الأكثر نجاعة لتحقيق التواصل بين مستعمليها"[٣٣] . اللغة متجلية في جملة،أو قول، أو نص،أو خطاب، أو محادثة، هي نفسها موضوع التداولية. أعلنت التداولية من خلال استعمالها لسانا ذات الصلة بإنتاجه وفهمه وتأثيره بحيث تدرس الأقوال بوصفها أفعالا تواصلية تخضع في إنتاجها أو صياغتها وتأويلها. تؤثر فيها عديد من العوامل السياقية والذهنية والنفسية والمعرفية والاعتقادية...إلخ.

انصرفت التداولية إلى دراسة البعد الاستعمالية للغة، وإلى قدرتها الخطابية. الأمر الذي يدفع إلى ضرورة النظر إلى اللغة والتعامل معها كظاهرة خطابية، وتواصلية، واجتماعية معا. فهي لا يمكن أن تفهم فهما حقيقيا ، بمعزل عن أبعادها الاستعمالية والاجتماعية والتواصلية، وما يرتبط بذلك من عمليات ذهنية ونفسية واستدلالية وتأويلية. تقوم وظيفة اللغة في الميادين المختلفة للحياة عن طريق اتجاه التداولية بكل أبعادها.

تعتبر التداولية علما مختصا بدراسة استعمال العلامات اللسانية في علاقاتها المختلفة. هنا دراسة التلفظات التي هي بمنزلة إنجاز لفعل ما في سياق معين بقصد التواصل. تتقاطع التداولية بمقتضى

[٣٣] أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية- مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، ط: ١٩٨٩، ص:١٢

روافدها ومفاهيمها ومجال اشتعالها مع اختصاص نظرية الأفعال الكلامية (Speech act theory) وتحليل الخطاب. إن الخطوات نحو الحقيقة ترتبط بحركة التواصل المباشر نحو المعنى. .هذا الانفتاح يبدو على فكر الإنسان متكلما ومخاطبا،باعتبار مقاصده ومعارفه واعتقاداته وسلوكه. فيقال إذن التداولية بمنزلة علم جديد للتواصل. يدرس استعمال اللغة في التواصل، وما يحكم هذا الاستعمال أو هذا التواصل.

المطابقة في اتجاه علم البلاغة

ارتبطت البلاغة عند العرب بمفهوم "المطابقة". مقصودها مطابقة الكلام لمقتضى الحال أو للاعتبار المناسب، بتمام المطابقة أو عدم تمامها. يكون شأن ارتفاع الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقته له. يقول ابن يعقوب" إن المطابقة أو الكلام المطابق متفاوت في علاقته بمقتضى الحال الذي هو خصوصية في الكلام. هذه الخصوصيات مقتضيات الحال،أو الاعتبارات المناسبة، تكون كلية عامة ومطلقة،يتطابق معها كلام المتكلم،جزئيا وبدرجات متفاوتة حسب السليقة العربية،أو بالممارسة لتراكيب البلغاء والتتبع لخواصها".[٣٤] إن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره. إن المطابقة لا تتعلق بالمعنى الوضعي،بل بالمعنى المراد من الكلام، الأغراض التي يقصدها المتكلم (البليغ)،فيورد لأجل تأديتها الخصوصيات المناسبة. هكذا تكون المطابقة،أوالبلاغة بما هي مطابقة طريقة تأدية المعنى. يقول السكاكي في تعريف البلاغة:"هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها."[٣٥]

إن علمي المعاني والبيان هما مرجعا البلاغة. أما العلم الثالث من علوم البلاغة، هو علم البديع، يقول القزويني عن علم البديع:"وإذ قد عرفت معنى البلاغة في الكلام وأقسامها ومراتبها،فاعلم أنه يتبعها وجوه كثيرة غير راجعة إلى مطابقة مقتضى الحال، ولا إلى الفصاحة، تورث الكلام حسنا وقبولا وهو البديع علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة"[٣٦]. يتضح مما سبق أن المطابقة هي تأدية المعنى المراد، وهي لا تتحقق بمجرد التأليف أو التركيب بين الألفاظ وفق قواعد اللغة أو النحو، فما يستفاد من النحو أو التركيب هو أصل المعنى، بينما يرتد المعنى المراد إلى عوامل واعتبارات خارج لسانية من مقاصد وأغراض ومقامات تشير إليها خواص وصياغات (تركيبية) خاصة.

[٣٤] المغربي، ابن يعقوب، مواهب الفتاح،الجزء الأول،ص:١٢٩-١٣٠

[٣٥] السكاكى،مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت ،ص:٤١٥

[٣٦] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان ،دار الكتب العلمية، الجزء الأول، ص:٤٨،٤٧

قصدية المتكلم في اتجاه علم البلاغة

تقصد بالمطابقة هي تأدية المتكلم مراده من المعاني والأغراض والمقاصد باقامة الدلالة بين المعاني وبناء صورتها وهيئتها في نفسه. وهي تناسب مع اعتبارات خارجية ، تضم إليها الواقع، العقل، الوضع، مقتضى الحال. تستخدم اللغة بتضمين الواقع والوضع لكشف مراده وابانته والاستدلال عليه. في ظل هذه الوضعية تبرز قصدية المتكلم مع إتقان التطابق والتناسب بين المراد وتلك المقتضيات. إن ذات المتكلم مترابط بموضوعات شتى، منها الموجودات والأفكار والتصورات.

إن للخطاب طريقته الخاصة في الإخبار عن العالم والإحالة إليه. هي تتحدد بقصدية الذات. مقصود بالقصدية(Intentionality) قدرتها على إدراك العالم، وتمثله، والوعي به، والاستجابة له وتأويله. قد عرف صلاح اسماعيل "القصدية هي العلاقة التي تربط الذات بالعالم،وهي تتضمن حالات عقلية كثيرة مثل : الاعتقاد، والرغبة، والقصد، والخوف،والأمل، والحب، والإدراك الحسي...إلخ. [٣٧] يحمل الخطاب من معنى أو قصد هو بناء لتجربة الذات مع العالم داخل الخطاب. يتجلى هذا القصد من خلال تلفظاتها وطريقة بنائها للخطاب.

إن للمتكلم مقاصده وأغراضه من القول التي لا تنحصر في الدلالة اللسانية المباشرة للقول. يكون القول دليلا على مقصود المتكلم. فالمتكلم يريد تبليغ مراده بمقصوده. إن القصد في هذه الحالة هو معنى القول، هو شرط بلوغه معناه. لاينفي مقاصد أخرى يحتملها القول ولم يردها المتكلم، أو العكس. يتجسد قصد المتكلم من خلال القول ، لا في بنيته اللسانية العامة المتواضع عليها، بل في بنية أو هيئة تركيبية مخصوصة وليدة طريقة المتكلم الخاصة في استخدام اللغة،خاصة نظامها النحوي، تعبيرا عن قصده ومعانيه. يتضح من هذا البيان أن قصدية المتكلم تلعب دورا هاما في تشكيل الاتجاه اللغوي في علم البلاغة.

الوعي بالمخاطب في اتجاه البلاغة العربية

يحتل المخاطب مكان الصدارة في اهتمام البلاغيين العرب. ينبغي مراعاة حال المخاطب، وايراد الكلام وفقا لها. حال المخاطب من علم أو جهل أو إنكار وهو ما يعنى معرفة المتكلم بهذه الأحوال. اعتبار حال المخاطب، وإتقان مطابقة الكلام لها فسيكون تعبير المتكلم عن اعتقاده الشخصي قصدا ثانويا ،بينما يتمثل قصده

[٣٧] صلاح اسماعيل، نظرية جون سيرل في القصدية، دراسة في فلسفة العقل، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت،ص:٥٤

الرئيسي في علاقة "تخاطبية" مع المخاطب بواسطة القول. فلم تكن الأغراض البلاغية للخبر والإنشاء سوى اعتبار لأحوال المخاطب ومقاماته.

تسخر كل عناصر التخاطب أو التواصل اللسانية وغير اللسانية لإفهام المخاطبين وإقناعهم بمراعاة أحوالهم ومقاماتهم من جهة أنه فهم وإفهام ومعرفة وإقناع وكشف ومحاجة. قد أوضح الإمام جاحظ في كتابه البيان والتبيين:" البيان اسم جامع لكل شيئ كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجرى القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيئ بلغت الإفهام،وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع".[٣٨]

انصرفت البلاغة العربية إلى العناية بدور المقام في تأدية المعنى المراد، وما يقتضيه ذلك من بنية تركيبية مخصوصة. ثم برزت في التصور العربي مواصفات الاتجاهات الجديدة. يوجد تأثيرها في الواقع الخارجي والتصور الذهني والوضع اللغوي وحال المخاطب والعرف. أصبح الكلام تجسيدا لنظام يخضع له المتكلم، ويتجه بقوله إلى تمثيله والتطابق معه وتأسيس وضع اتصالي مع مخاطب.

الفصل الرابع: الاتجاهات الأسلوبية: مفهومها و أنواعها

مفهوم الأسلوب

تشير معاجم اللغة إلى أن مفهوم الأسلوب هو الطريقة. يقال، سلكت أسلوب فلان- أي طريقته، يبين عبد الرحمن عثمان معناه ": كلامه على أساليب حسنة [٣٩]. يستفاد من قول اللغويين أن المقصود بالأسلوب هو الطريق والوجه والمذهب. قد أوضح أحمد الشايب رأيه بقول "أن الأسلوب: الطريق تأخذ فيه، ويستعمل لمعنى الوجه والمذهب، ويقال: أنتم في أسلوب سوء، كما يستعمل لمعنى الفن،ويقال: أخذ فلان في أساليب من القول: أفانين منه[٤٠] . يرجع الأسلوب إلى الصور الذهنية للتراكيب المنظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص. لكل فن من فنون الكلام أسلوب خاص يميزه عما سواه من الفنون.

يتسع معنى الأسلوب عند عبد القاهر الجرجاني . وهو الذي وضع أصوله ونظرياته في علم المعاني وما قرره فيها من توجيهات بلاغية التي لها أوثق صلة بالأسلوب. قال عبد القاهر الجرجاني، يشمل الأسلوب على

[٣٨] الجاحظ، البيان والتبيين، مؤسسة هنداوي، الجزء الأول: ص:٧٦

[٣٩] عبد الرحمن عثمان، تاريخ الأدب في عصره الذهبي: دار السنابل ،اسطنبول،٢٠١٩م ص:١٠٢

[٤٠] أحمد الشايب،الأسلوب، مكتبة نور، ص:٤١

جانبين،طريقة التفكير،طريقة الأداء اللفظي الذي يتجلى في أنماط التعبير. قال"واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء، وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه، أن يبتدئ الشاعر في معنى وغرض أسلوبا- والأسلوب : الضرب من النظم والطريقة فيه- فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره."[٤١]

قسم العلماء الأسلوب اللغوي إلى قسمين هما: الأول الأسلوب العلمي، والثاني: الأسلوب الأدبي. تتسع وظيفة الأسلوب في العصر الحديث. إن الأسلوب ملحوظ فيه معنى الطريقة. وهذا المعنى هو الذي يحتاج إلى التعميم في الإطلاق. شاعت من هذه الإطلاقات نوعان من الطريقة، هما الأسلوب العلمي، والأسلوب الأدبي.

اتجاه الأسلوبية التعبيرية

اللغة في أصلها خالية من الأسلوب. ذهب بعض الباحثين واللغويين إلى أن الأسلوب إضافة. يقصد به أن الأسلوب شيء يضاف أو يزاد إلى اللغة عبر ما يمكن أن يميز الكلام بسمة أو علامة من العلامات الأسلوبية. إن النظرية الأسلوبية قائمة على نظرية رائد علم اللغة الحديث فرديناند دي سوسير[٤٢] فرق بين اللغة واستعمالها الشخصي الذي سماه كلاما. خلاصة القول أن اللغة عنده هي المادة الخام والكلام هو الاستعمال الشخصي لتلك المادة. كل كلام أو تعبير منه ما هو "متأسلب"أي ذو أسلوب ومنه ما هو "غير متأسلب" أي خال من الأسلوب.

برزت للأسلوبية الحديثة اتجاهات مختلفة منذ أو وضع شارل بالي[٤٣]. إنه وضع أساس الاتجاه الأسلوبي باسم" الأسلوبية التعبيرية" .يعد هذا الاتجاه من أشهر الاتجاهات الأسلوبية.

إن الأسلوبية التعبيرية تهتم بالتعبير مبنيا على شحنه العاطفي، كما يدل هذا المصطلح نفسه. تقصد بها دراسة النص من حيث كونه صورة لفظية تعبيرية تعكس عواطف الكاتب. قد عرف شارل بالي الأسلوبية قائلا:" العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتوى العاطفي، أي التعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة، وواقع اللغة عبر هذه الحساسية. فبناء على هذا تدرس الأسلوبية التعبير أو النص عن طريق العواطف والمشاعر التي يحملها هذا التعبير في طياته". [٤٤] إن اللغة متكونة من نظام

[٤١] الجرجاني، عبد القاهر، التعريفات، المطبعة الحميدية، ١٣٢١ه،ص: ٧٢

[٤٢] لغوي سويسري ولد في جنيف عام ١٨٦٥،حصل على الدكتوره في فقه اللغة اليونانية، وهو مؤلف عدة كتب، منها الوجيز في الأسلوبية،وكتاب الأسلوبية الفرنسية.

[٤٣] رائد الأسلوبية التعبيرية،ولد عام ١٨٦٥،قد بدأ في تأسيس لها من كتابيه "في الأسلوبية الفرنسية" الصادر ١٩٠٢م، وكتاب "المجمل في الأسلوبية" الصادرك ١٩٠٥م.

[٤٤] د. صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادؤه وإجراءاته،دار الشروق،ص:١٨

لأدوات التعبير التي تضمن إبراز الجانب الفكري للإنسان. كما أشار محمد عبد المطلب في كتابه المشهور"البلاغة والأسلوبية" "ليست مهمة اللغة مقصورة على الناحية الفكرية وحدها، بل إنها تعمل أيضا على نقل الإحساس والعاطفة، فلا بد إذن أن تعبير اللغة عن كل من الفكر والعاطفة للإنسان".[٤٥]

يمكن بتحليل أسلوب النص أو التعبير على هذا الاتجاه، فهم شخصية المؤلف أو الكاتب في أسلوبه من خلال ما يحمل التعبير من بسماتها وملامحها. كما يستطيع للقارئ أن يدرك العواطف والمشاعر بالتركيز في هذا الاتجاه على التعبير نفسه. فسمي لذلك الأسلوبية التعبيرية.

اتجاه الأسلوبية البنيوية التي تهتم بالخطاب

برزت نظرية أخرى حول الأسلوبية قدمها علم لغوي مشهور وهو مايكل ريفاتير[٤٦]. هو الذي قدم نظريته أن الرسالة التي تحتوي النص لا يمكن أن توجد بذاتها، بل توجد هناك علاقة بين الرسالة والمخاطب. إن أسلوبية ريفاتير هي تقدم اتجاها جديدا وذلك يهتم بالخطاب ، ولذا يسمى هذا الاتجاه بالأسلوبية البنيوية التي تهتم بالخطاب. العلاقة بين النص والمخاطب عنصر هام من عناصر الأسس التي وضع عليها ريفاتير أسلوبيته البنيوية.

يتضح مما سبق أن هذه الاتجاهات الأسلوبية كلها تدل على إمكانيات اللغة ما يستطيع أن يختار ليحقق به هدفه من استعماله اللغوي. كل لغة تحتوي على دخيرة من المفردات والبنى النحوية المختلفة، والأسلوب هو اختيار مفردات معينة وبنى نحوية خاصة من ذلك الذخيرة المعجمية والنحوية، وتوظيفها وترتيبها بطريقة يختارها المنشئ ثم يعرضها ويقدمها إلى المتلقى أو القارئ. على هذا الأساس يتكون الاتجاه، ويسمى بوصفه اختيارا.

[٤٥] د. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية،مكتبة لبنان، ص: ١٧٥

[٤٦] مايكل ريفاتير باحث في الرومانسية ولغوي من أمريكا وفرنسا،ولد سنة ١٩٢٤،كان عضوا في الأكادمية الأمريكية للعلوم والفنون، وهو موظف في جامعة هارفاردهو هو مؤلف كتاب"معايير تحليل الأسلوب".

الباب الثاني

الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية

الفصل الأول: الدراسات القرآنية: نشأتها وتطورها

الفصل الثاني: الدراسات القرآنية : أهميتها ودو افعها

الفصل الثالث :الدراسات القرآنية: أركانها ومجالاتها

الفصل الرابع: مصادر العلوم والمفاهيم في الدراسات القرآنية

الفصل الخامس: الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية والتفسير: تعريفه ونشأته

الفصل السادس: الاتجاه اللغوي في التفسير: مكانته وأسلوبه

الفصل السابع: الاتجاه اللغوي في التفسير: مصادره الهامة

الفصل الثامن: مساهمات العلماء الهنود في الدراسات القرآنية والتفسير

الباب الثاني
الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية

القرآن هو بيان للناس يبين فيه الله الخالق كل شيء يتعلق بحياة الناس، هو أعلم بما يصلح الناس ليحصل على سعادة الدنيا والآخرة. اعتنت أمة محمد ﷺ القرآن اعتناء عظيما ،لأن القرآن هو معجزة محمد ﷺ الخالدة وحجة الله البالغة ودعوة إلى كافة الناس. لا تزال تبدو إعجازاته في اللغة والمعاني، وتتفوق مكانته في جميع أنحاء الرقية للإنسان لغويا ومعنويا و دنيويا وأخرويا. إن لغة القرآن تفضل سائر اللغات بحلاوتها ودقتها وأحكامها. أثر القرآن الكريم بألفاظه ومعانيه وطريقة نسجه في الأدباء العرب جميعا. أعطى القرآن للغة العربية ألفاظا عذبة،وهي تمتاز بالرقة والدقة في التركيب، والثروة في المعاني، كما وسع دائرة اللغة باستخدامه الألفاظ الدينية كالصلاة والزكاة والقيام ،واخترع علوما جديدة كالنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والحديث والأصول والفقه والتفسير. فالدراسات القرآنية تفيد أن يتأثر بفضل كلام الله عن طريق تعبيره المعجز واتجاهه اللغوي. يشرح في الباب الثاني عن نشأة الدراسات القرآنية وتطورها وأهميتها ودوافعها وأركانها ومجالاتها ومصادر علومها الهامة. يضيف إليه مكانة الاتجاه اللغوي في التفسير والدراسات القرآنية بتسليط الضوء على أسلوبه ومصادره الرئيسية. يناقش عن خدمات العلماء الهنود في التفسير والدراسات القرآنية في الفصول التالية.

الفصل الأول: الدراسات القرآنية: نشأتها وتطورها

ظهورها ومحتوياتها

هذا النوع من الدراسات التي يتوصل إليها المسلم ليفهم النص القرآني واستيعابه للسنة المتبعة وتفاصيل الحياة النبوية. تتضمن الدراسات القرآنية كل العلوم التي تعتبر بمثابة شرح وبيان للكتاب وتعليم له، وتطبيق لما جاء فيه. تتسع حقول الدراسات القرآنية إلى المعارف من المصادر الأصلية التي تستفاد منها العلوم القرآنية ،وهي التي تزكي النفوس وتربي العقول وتهدي دارسى القرآن إلى سلوك قويم ونظام حياة مستقيمة في مسيرة الاستخلاف والابتلاء. قد قسم المتقدمون المعارف من الدراسات القرآنية إلى شتى فروعها، لكن هذه العلوم سميت فيما بعد، العلوم الدينية والنقلية

والإسلامية. تكونت هذه الحصيلة المعرفية بالتفاعل مع الخطاب القرآني واتباع متلقيه وتأويله له عمليا وواقعيا. وهي التي تسهل الطريق أن يعرف هذا الخطاب القرآني للأجيال اللاحقة من المسلمين.

إن القرآن الكريم ذو اللسان المتحدي المعجز. ولذا أقبل اللغويون على بناء العلوم في الصرف والنحو والبلاغة والاشتقاق والبيان والبديع والقياس والشذوذ في الدراسات القرآنية ليستنبطوا قواعدهم على لسان القرآن الكريم. القرآن كتاب مقدس، وهو أجل وأعظم من أن يكون فيه لحن واختلاف، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا. تكفل الله بحفظ كلماته وآياته من التزييف في كل زمان ومكان. فلا يمكن لهذا القرآن أن يأتيه الباطل من أي جهة، كما قال الله تعالى " ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾".[٤٧] ولذا بذل كثير من العلماء البارزين جهودا جادة لإبراز العلوم الظاهرة والباطنة في كلام الله عز وجل بقدر الإمكان خدمة لهذا الكتاب وحراسته، واستخدموا الدراسات القرآنية كوسيلة فعالة في تشكيل هوية دينية للأمة المسلمة.

تأتي في إطار الدراسات القرآنية العلوم التي يتناولها تمهيدا وتثبيتا لمحتويات كلام الله ومقاصد نزوله. تنقسم العلوم إلى النوعين فيه.الأول "علوم مقاصد" كالتفسير والفقه والحديث ،والثاني "علوم وسائل" مثل اللغات بنحوها وصرفها وبلاغتها وفقه اللغة والاشتقاق وما شابه ذلك إضافة إلى المنطق وغيره. تكونت مدرسة من متخصصين في هذه المعارف من مختلف الطوائف المذهبية الإسلامية،فتجلت الآراء المختلفة من أهل مذاهب شتى. نتيجة ذلك نشأ اجتهاد العلماء البارزين عبر دراساتهم القرآنية ومراجعاتهم على كتاب الله وما صح من تأويلات وبيان رسول الله ﷺ

قد أنزل الله القرآن الكريم منجما إلى رسول الله ﷺ. كانت الدراسات القرآنية تبدأ من كتابة الوحي عن طريق الماهرين من الكتاب في بداية الرسالة النبوية. كانت البيئة المكية بيئة تجارية. إن الظروف الاجتماعية التي قامت في مكة، زادت أهمية الكتابة وانتشارها حيث تصبح مدينة معروفة تجارية التي تماثل لها علاقات تجارية واسعة في الجزيرة واليمن والشام. من الواضح أن القراءة والكتابة موجودة في تلك البيئة التجارية . دليله على ذلك أن الرسول الله ﷺ يكاتب الملوك والأمراء ويراسلهم في البلدان المتجاورة لتبليغ الرسالة. كلما نزل إلى الرسول ﷺ الوحي الآهي،كان تثبيت القرآن الكريم في قلب النبي ﷺ ضروريا. يسره الله تعالى حين نزوله مفرقا بتثبيت نصوصه كما أنزل في القلوب والعقول والسطور عن طريق الكاتبين النابغين. من المعروف أن عددا من الصحابة في مكة وغيرها كانوا يعرفون الكتابة قبل دخولهم الإسلام ومنهم أبو بكر

[٤٧] فصلت:٤٢

الصديق وعمر وعلي وآخرون ﷺ . أما في المدينة قد ازداد عدد كتاب الوحي الستين كاتبا. كان عدد الكتاب أكثر من السبعين بين أهل الصفة.

تطورها عبر التاريخ

قد تطورت الدراسات التي تختص بعلوم القرآن الكريم تطورا تدريجيا. فبرزت نفوذها في الدراسات القرآنية منهجيا ومعرفيا. فلا شك أن معرفة هذه العلوم القرآنية تهتم بحقول الدراسات القرآنية وتوسعها إلى مجالات شتى من المعارف. إن علوم القرآن بأنواعها، والوعي بتطورها يحتاج إلى فهم القرآن حقيقيا. وفي مقدمة هذه العلوم التفسير. قد أوضح الشيخ طه جابر العلواني في كتابه المشهور"القرآن الكريم والقراءات المعاصرة " عن معنى واسع لعلوم القرآن الكريم."المراد بعلوم القرآن " هي مجموعة من العلوم والمعارف التي وضعها علماؤنا المتقدمون للتعريف بأمور تتعلق بالقرآن المجيد جمعا، وتاريخيا، ونزولا، وتسويرا، وتحزيبا ، وتجزئة، وتفسيرا،وتأويلا، ولغة، وقراءات، وأنواعا، وأسماء، وصفات، وكتابة،ونسخا،وإعجاما،ومناسبات نزول،وإحكاما وتشابها، وإعجازا، وقصصا،وأمثالا.... وما إلى ذلك."[٤٨]

إن الدراسات القرآنية تفتح آفاق العلوم والفنون من نواحي شتى. لأن القرآن الكريم هو المصدر المنشئ للعقل المسلم وللثقافة والتشريع الإسلامي. تقوم حضارة الأمة وثقافتها على أساس الفكر المتين والمنهج القويم. يقدم القرآن الكريم لأهل العلم " المنهج التجريبي" وطريق البحث عن الحقائق. فلا يخفي أثره المباشر في سائر فروع الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية. تتيح الدراسات القرآنية المنهج العلمي والمناخ العقلي بعد تطهير العقل من الخرافة والشعوذة، وأوضار الجاهلية. فمكنه بذلك من استيفاء الشروط النفسية والاجتماعية المطلوبة للبحث والإنتاج العلمي. لايمكن إحصاء أنواع العلوم القرآنية ،لأن قائمة المعارف والعلوم التي أسماها العلماء ب"علوم القرآن" تحتوي على كل علم يخدم القرآن أو يسند إليه. هذه العلوم مقتبسة في المبدإ والقضايا والأهداف وملكات المعنيين من القرآن المجيد، كما قال الزرقاني:"ينتظم في ذلك التفسير، وعلم القراءات وعلم الرسم العثماني، وعلم مجاز القرآن ، وأسباب النزول،وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم إعراب القرآن ، وعلم غريب القرآن، وعلوم الدين واللغة، وإعجاز القرآن وأمثاله وقصصه"[٤٩] . هذه العلوم كلها تندرج في علوم القرآن الكريم وتخدم من وجه أو آخر.

[٤٨] د طه جابر العلواني،القرآن الكريم والقراءات المعاصرة، مجلة الكلمة،لبنان هيئة التحرير،المجلد،١٨،ص:١٥١

[٤٩] الزرقاني ، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن،دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثالثة،٢٣/١

الفصل الثاني: الدراسات القرآنية: أهميتها ودو افعها

أهمية الدراسات القرآنية

قد أظهرت كثير من الاكتشافات العلمية المعاصرة حقائق مذهلة. سبق القرآن إلى ذكر هذه الحقائق أو الإشارة إليها. أعظم مزية للقرآن الحكيم أنه يدعو البشر إلى التأمل في الظواهر الكونية،والتوصل إلى الله عز وجل بالاكتشاف عن علل وأسباب هذه الأشياء والحوادث. قال الله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[٥٠]. هذه الآية تدل على أهمية الدراسات القرآنية في ضوء الآيات الكونية والحقائق العلمية.

قد جاء القرآن بلسان عربي مبين يخاطب للعقل والقلب. أنزل هذا الكتاب المقدس على أسلوب يخالف لما يعرفه العرب من أساليب المنظوم والمنثور. كان وجود هذا الكتاب المنزل بداية طلوع الفجر للنهضة العلمية والتزكية النفسية لأمة التي كانت مجهولة في كتب التاريخ. فأحياها الله هذه الأمة بروح كتابه العزيز وأحيا بها العالم.

فالقرآن له تأثيرات عجيبة على استثارة المشاعر، والسيطرة عليها، وتوجيهها لله عز وجل. يعطى القرآن للجميع من فيضه عبر القرون الطويلة رحيق الحياة، وقوة الهمة والنشاط، وروح التوقد والإيجابية. فلا تنقضى عجائب القرآن كما لا تنتهي وجوه إعجازه. فواجب عل كل من يريد أن يشتغل بالدراسات القرآنية المحاولة لتحقيق غايتها المنشودة . قد أنزل الله القرآن من أجلها كوسيلة ربانية للهداية والشفاء، والتقويم والتغيير، قال تعالى ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [٥١]

قد أدرك سلف الأمة الهدف الحقيقي لنزول القرآن الكريم، فكانوا يتعاهدون القرآن علما، وتعلما، وتعليما. إنهم اعتكفوا على الدراسة القرآنية لتيسير الانتفاع بمعجزته، وتحسين الاستفادة منه، والتعبير عن مشاعره تجاه الآيات بالبكاء والدعاء. كانت لهم في ذلك عناية خاصة ورعاية عظيمة، ومما يدل على ذلك ما ورد عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: إن كل مؤدب يحب أن يؤتى أدبه، وإن أدب الله تبارك وتعالى القرآن. وعن الأعمش قال : مر أعرابي بعبد الله بن مسعود ﷺ وهو يقرئ قوما القرآن أو قال: وعنده قوم يتعلمون

[٥٠] فصلت ٥٣

[٥١] الإسراء:٩

القرآن، فقال: ما يصنع هؤلاء؟ فقال ابن مسعود ﷺ: يقتسمون ميراث محمدﷺ [٥٢]. ورد أيضا عن عمروبن قيس السكوني، قال : سمعت عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول : عليكم بالقرآن، فتعلموه وعلموه أبناءكم، فإنكم عنه تسألون، وبه تجزون، وكفي به واعظا لمن عقل.[٥٣]

لا ريب أن القرآن كتاب الله تعالى أنزله على رسوله الكريم محمدﷺ ، فهو صحيفة سماوية معجزة تحتوي على جميع التصورات والكليات الأساسية التي يقوم عليها صرح الحياة والكون والإنسان في كل فترة من فترات التاريخ إلى يوم القيامة. هذا الكتاب المعجز يحتوي على جميع العلوم والمعارف وحقائق الإيمان والتوحيد والرسالة وعقائد الإسلام ، لا يكتمل إيمان المرء بغيرها. قد منح الوحي غير المتلو لمزيد من الإيضاح وهو الحديث النبوي الشريف. فلا بد الانتفاع به بمعرفة طريقة الدراسة القرآنية ووسائل الاستفادة منها متمسكا بالشروط الأولية والدوافع اللازمة.

الدو افع والشروط للدراسات القر آنية

إن هذا الكتاب الأخير المنزل من الله جزء من كتاب علمه الشامل "أم الكتاب"، وكان ثقيلا على السموات والأرض والجبال بنسبته إلى الله تعالى مباشرة. لكن جعل قلب الإنسان صالحا لقبوله هداية للناس. فإذا استفاد منها واعتبر وجد جزاء حسنا لها،واستحق الجنة قراره. وإذا لم يعرف قدرها، كان مقره جهنم خالدا فيها. ولذا لا بد أن يتجه إلى الدراسات القرآنية بالدوافع اللازمة .أهم منها ما يلي:

١-الرغبة والطلب: إن من الشروط الأولية الأساسية للدراسة القرآنية والاستفادة من علومه ، هو وجود الرغبة إليه، والطلب للانتفاع به. لا يتحقق تأثير القرآن في النفوس بدون أن تتحقق الرغبة والطلب فيما أنزل الله وحيا سماويا. تقود هذه الرغبة صاحب القرآن إلى الجهد للإصلاح والتغيير. والذين لا رغبة لديهم في أقوال ربانية، فلا يجذبهم نداء القرآن. يتحدث عنهم القرآن فيقول: ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾[٥٤] ثم يقول عنهم﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾[٥٥].

[٥٢] أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى، صحيح البخاري، الطباعة:دار المعرفة، فضائل القرآن،ص: ٥١

[٥٣] نفس المصدر

[٥٤] يونس: ٤٢-٤٣

[٥٥] النمل: ٨٠-٨١

٢-الاستماع والاتباع :إن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد. لا يمكن الأخد من الدراسات القرآنية إلا بالاستماع والإصغاء إليه. الاستماع هو الخطوة الأولى في سلم الاستفادة منه. يقول الله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمْ أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٥٦] .لكن الاستماع المحض لا يتم الأخذ من الدراسات القرآنية. لا بد من الأخذ به تطبيقه والعمل عليه. إن العلم ما لم يصحبه عمل ، ترف عقلي ، ولذا أردف القرآن الكريم ذكر الاتباع بعد الاستماع. قال ابن مسعود: ﷺ "كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن"[٥٧].

٣-الخشية والرهبة: إن أساس القرآن الكريم على تصور الله رب العالمين وعلى خشيته والرهبة منه. لايمكن الاستفادة من الدراسات القرآنية إلا بكون قلبه خاشعا بذكر الله تعالى ليلا و نهارا. تلاوة القرآن والاستماع إليه، تزيد الإيمان وتزود التقوى. يقول الله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾[٥٨] ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾[٥٩]. أما من يفقد حاسة من الحواس فإنه يفقد طبعا الإحساس بالمحسوسات التي تتعلق بها. ولذا صرح الله تعالى أن من يخشى الله تعالى و يشعر بعظمته وجلالته، يمكن الاستفادة من الدراسات القرآنية.

٤-الإيمان بالغيب: لا يمكن أن يدرك للإنسان الحقائق الدينية الكثيرة بمحض حواسه الظاهرة ولا بالتجارب السابقة ولا بالمعلومات المجموعة . لأن قطاع كبير مهم من الدين هو ذلك الذي يتجاوز حدود الحواس البشرية والعقل الإنساني. إن صفات الله عز زجل والوحي والملائكة والآخرة والجنة والنار وأمثال هذه كلها حقائق لا تنافي العقل ولا تعارضه، ولكنها وراء طور العقل وفوق حدوده وأبعاده، وإنها من الغيوب التي لابد فيها من الثقة الكاملة بالأنبياء والمرسلين. هذا هو المقصود من "الإيمان بالغيب". يقول الله تعالى﴿الٓمٓ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[٦٠].

٥-التدبر: قد حث القرآن على التدبر في مواضع عديدة ، ووصف به المؤمنين الذين يتلون كتاب الله بفهم وتفكير، ولا يخرون عليه صما وعميانا. يقول الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا

[٥٦] الزمر:١٧-١٨

[٥٧] تفسير الطبرى: ٤٤/١، وصحح إسناده أحمد شاكر

[٥٨] ق:٤٥

[٥٩] يّس ١١

[٦٠] البقرة:١-٣

وَعُمْيَانًا ﴾[٦١] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[٦٢] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾[٦٣]. هذا كله يدعونا إلى المزيد من التأمل في هذا الكتاب الحكيم، والفكر الدؤوب للوصول إلى طريق الهداية بانتفاع علومه. يبرز في القرآن أسلوب الاقتناع،لأن القرآن يخاطب للعقل، ويحث على استخدام العقول والتفكير في كلامه ليثبت دلائل التوحيد الألوهية والربوبية.

٦-**المجاهدة:** ليس القرآن من الكتب البشرية التي يحيط أي إنسان بمحتوياتها، ويتعرف على أغراض مؤليفها ومقاصدهم بمجرد ذكائه وفطنته وعلمه، بل إنه محتاج إلى العلم بمقاصد الله تعالى،وإلى مرضاته وإعانته. لا شك أن الدراسة القرآنية بالنسبة للمسلم هي من واجبات الدين ينبغي أن يداوم عليها إلى أن يكون على قيد الحياة. فيجب عليه المجاهدة وتحمل المشاق في سبيل فهم القرآن وتدبره وكشف حقائقه واتباعه والعمل به. إذا تحمل الإنسان المشاق وشيئا من التضحية والكفاح، فلا شك أن له درجة عليا مع سفرة البررة في الجنة، غشيت بهم رحمة الله في الدنيا والآخرة. فيدنو من فيض نوره، ويشرح به صدره، ويعطيه الحكمة والعلم. حقا يمكن له بقدر صلته بالقرآن وانسجامه معه،انكشاف جمال القرآن وروعة بيانه المعجز. قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٦٤].إن معظم القرآن عملي،ليس نظريا. فلا يستطيع إذن فهمه بطريقة نظرية فحسب. فيجب عليه مشاهدة الآثار المذكورة في القرآن لتحقيق صحة المحتويات. لا يمكن تطبيقاته بدون تجارب يعيشها وعمل يحققه في واقع الحياة. تقتضي هذه كلها المجاهدة في سبيل الدراسة القرآنية.

٧-**تعظيم كتاب الله وآداب حملته:** إن القرآن ليس سجلا للمعلومات، ومجموعة للقوانين والضوابط فحسب، إنه كلام أحكم الحاكمين، الذي اتصف بصفات الجلال والجمال، والعطاء والنوال. ولذا لن يمكن أحد أن يقرأ كما يشاء. فلا بد ملاحظة التأدب والتعظيم في محاولة الاستفادة من القرآن الكريم واستمداد الهداية والفيض منه،وتجلية القلب والروح به. يقول الله تعالى عن عظمة كلامه ووصفه : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٦٥] يقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُولَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ

[٦١] الفرقان:٧٣

[٦٢] محمد: ٢٤

[٦٣] النساء:٨٢

[٦٤] العنكبوت:٦٩

[٦٥] الحشر:21

ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[٦٦].إن الذين يعرفون شيئا من القرآن حق المعرفة بتلاوة مع التأدب والتعظيم، فلا شك أنه يمر بكل آية من آياتها متأثرا بها قلبا وقالبا.

الفصل الثالث :الدراسات القرآنية: أركانها ومجالاتها

أركان الدراسات القرآنية

إن القرآن الكريم جاء بهدايات تامة تفي بحاجات البشر في كل عصر ومصر،وفاء لا تظفر به في أي شرح آخر. يتجلى ذلك في حقائقه الضخمة ومقاصده النبيلة. تمتاز النصوص القرآنية بتعبيرات بليغة فريدة ،وتنتهج في جميع آياته وتوجيهاته التربوية والتعليمية المنهج العلمي المدعم بالإيمان. يتجلى ذلك من استعراض آياتها بالتحليل والموازنة والتقويم. إن من طبيعة القرآن الكريم ورسائله ارتباط عالم الغيب فيه بعالم الشهادة واتصال حقائق الكون والحياة والإنسان بحقيقة الألوهية،واتصال الحياة الدنيا بالآخرة في أسلوب غير مقلد و بيان غير محاكاة. القرآن الكريم كائن متحرك،فيجب أن يقرأ وأن يتلقى بوعي، وأن يتدبر على أنه توجيهات سديدة حية ليعالج القضايا المعاصرة، ولينير الطريق إلى المستقبل. تجرى الدراسات القرآنية مثمرة بمراعات أركانها الهامة، وهي كما يلي:

١-فهم علوم اللغة

إن لبلوغ منزلة المتدبر للقرآن الكريم وللوقوف على مدى بلاغته وإعجازه، ينبغي معرفة علوم اللغة. إن اللغة العربية تفخر على كل اللغات بمزايا عديدة غير موجودة في سائر اللغات. اللغة العربية هي لغة مباركة ممتازة بطول عمرها حيث تكفل الله تعالى بحفظها حين تكفل بحفظ كتابه الذي نزل بلسان عربي مبين. إنها الأغزر مادة حيث تزيد موادها على مائة ألف سوى المشتقات، وأنها الأبلغ في مراعاة مقتضى الحال. وبهذا السبب تفردت بكثرة القواعد النحوية والصرفية والبلاغية التي يستطيع بها الموهوب أن يملك ناصية البيان. تمتاز هذه اللغة بالسهولة والعمق، وعلى قدر همة الغواص يحصل على الدرر الثمينة. كما قال شاعر النيل حافظ بك إبراهيم في شعره.

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

[٦٦] البقرة: ١٢١

وسعت كتاب الله لفظا وغاية وما ضقت عن آي به وعظات[٦٧]

إذا كانت العربية بحرا، فإن القرآن أنفسها دررا ولؤلؤا. ولكن الحصول على جواهره يحتاج إلى التعمق في علوم اللغة وفنونها. مقصود بعلم اللغة نحوها وصرفها وبلاغتها ودلالات ألفاظها. إن فهم أسرار اللغة يمهد طريقا إلى الاطلاع على كل العلوم التي تحتوي الدراسات القرآنية. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله - "لا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله ﷺ من الألفاظ،وكيف يفهم كلامه، فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله ﷺ على ما يدعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك"[٦٨]

الثمرة العظمى لفهم علوم اللغة هو التدبر الذي ندب المرء إليه. لا مراء أن هذا التدبر يمهد سبلا إلى تعظيم القرآن، والإيمان بما أنزل هذا الكتاب. فهو يدرك عجائب القرآن وجميع وجوه إعجاز القرآن الكريم. قال ابن القيم ﷺ "إنما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب، فعرف علم اللغة، وعلم العربية، وعلم البيان. فإذا علم ذلك، ونظر في هذا الكتاب العزيز، ورأى ما أودعه الله تعالى فيه من البلاغة والفصاحة وفنون البيان. فقد أوتي العجب العجاب، والقول الفصل اللباب، والبلاغة الناصعة التي تحير الألباب، وتغلق دونها الأبواب. ولذلك يقع في النفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة ما يملأ القلوب هيبة، والنفوس خشية، وتستلذ الأسماع، وتميل إليه بالحنين الطباع،سواء كانت فاهمة لمعانيه، أو غير فاهمة، عالمة بما يحتويه، أو غير عالمة، كافرة بما جاء به ، أو مؤمنة"[٦٩] قد أجمع العلماء على أن العلم باللغة العربية وأسرارها شرط من أهم شروط المفسر. قد نقل الإمام الزركشي قول مالك بن أنسﷺ "لا أوتي برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا"[٧٠]. إن التفسير أهم مجال في الدراسات القرآنية. فالمفسر محتاج إلى الرسوخ في عدد من علوم اللغة العربية، كعلم دلالة اللفظ وعلمي النحو والصرف، وعلم الاشتقاق،وعلوم البيان والبديع. وذلك يفتح بابا لمعرفة بلاغة القرآن وفصاحته. يعتمد المفسر على القواعد في علم اللغة ومعاييرها للترجيح بين الأقوال المختلفة في تفسير الآية، ولاستنباط بعض الأحكام بمقتضى القواعد النحوية والصرفية واللغوية، وللوقوف على المترادفات،وعلى الحقيقة والمجاز.

[٦٧] منقولة من كتاب أهمية تعلم اللغة العربية للكاتب ،د. عبده محمد بدوي، مجلس النشر العلمي، ١٤١٢هـ، ص: ٦٠ (حالة اللغة العربية،(منظومة)، كتبها حافظ بك ابراهيم، الشاعر النيل.

[٦٨] شيخ الإسلام ابن تيمية،الإيمان الكبير، الناشر:المكتب الإسلامي،ص: ١١١

[٦٩] ابن القيم، الفوائد المشوق إلى علوم اللغة،الناشر: دار الكتب العلمية، ص:٧

[٧٠] الإمام الزركشي، بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن ، دار المعرفة، بيروت، ١٦٠/٢

خلاصة القول أن فهم علوم اللغة العربية أوجب وأحسن، لأنها أسرع وسيلة في فهم القرآن العظيم والسنة الشريفة. ولذا يعد هذا إحدى الركائز والأركان التي توفر السبل الميسرة في الدراسات القرآنية.

٢-التقوى والإخلاص وترك المعاصي

من وظائف القرآن الكريم ورسالاته الخالدة،أن الكون كتاب الله المنظور،والقرآن كتاب الله المقروء، وكلاهما شهادة على صاحبه المبدع. وهو الدستور الذي يستمد منه الدعاة وسائل العمل ومناهج الحياة وزاد الطريق. وهو موعظة للمتقين الذين تستشعر قلوبهم بذكر الله . قد اعتبر العلماء التقوى والإخلاص ركنا هاما من أركان الدراسات القرآنية. يفتتح الله كلامه في سورة البقرة، أن هذا الكتاب يعطى نور الهداية للمتقين. التقوى هو زاد المؤمن في طريق الحياة، وهو سبب سعادة الدنيا والآخرة. المتمسك بكتاب الله عزوجل استماعا وتلاوة وتدبرا وعملا، هو مع الخيار البررة الكرام في الجنة. تحتوي مفاهيم الدراسات القرآنية على جملة من الأشياء، ومن نوعها دراسة لغته وفصاحته وطريقة بيانه ووجوه إعجازه وأنواع علومه. فيجب على الدارسين والباحثين اعتبار القرآن مصدر نور الهداية بتحلية صفة التقوى والإخلاص. يقول الإمام الزركشي- رحمه الله- "إعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة، ولا تظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة، وفي قلبه بدعة،أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر،أو هوى، أو حب دنيا، أو يكون غير متحقق الإيمان،أو ضعيف التحقيق، أو متعمدا على قول مفسر ليس عنده علم بظاهر، أو يكون راجعا إلى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع، بعضها آكد من بعض"[٧١]

لقد جمع القرآن الكريم بين غزارة المعنى وإحكامه ورصانة اللفظ وفصاحته نواح فكرية ونفسية مختلفة من تشريع وتهذيب ووصف، في أبلغ الصور البيانية . تناول القرآن الكريم القيم الإنسانية الفاضلة النبيلة العالية بأسلوب رشيق متين سلس عذب. إخلاص السرائر من أهم هذه القيم التي اهتم بها في النصوص القرآنية . الإخلاص هو أداء العمل ابتغاء رضا الله وحده، وليس لأي مآرب آخر من مدح مادح أو تحصيل منفعة دنيوية. لقد شرطه الله تعالى شرطا أساسيا لقبول العمل. قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾[٧٢]. يظهر أثر إخلاص السريرة في حياة الفرد ومدى ما يصلحه ذلك من سلوكه وأخلاقه. إذا كان العبد عاكفا على دراسة قرآنية ،ومصغيا إلى كلام ربه، مفتقرا إلى

[٧١] الإمام الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دارالحديث ،القاهرة ١٤٢٧،ص١٨٠-١٨١

[٧٢] الكهف:١١٠

غيب الجواب بدعاء وتضرع وخشوع، يفتح أمامه أبواب معارف العلوم القرآنية حيث تنشرح صدره بنور الله تعالى .

٣- الذوق اللغوي السليم

الذوق اللغوي السليم هو الركن الأساسي لتحقيق النجاح في الدراسة القرآنية. إن كان الدارس ذا ملكة وقدرة على الوقوف على جمال الأسلوب وبلاغة كلام العرب، بذوقه اللغوي المتفوق،فيمكن له أن يدرك مواطن الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم بسهولة. كما يستطيع أثناء دراسته القرآنية تمييز الفروق بين المشتبهات وأسرارها،بوقوف على مواطن الفصاحة والبلاغة وإجراء الكلام على النسق الرائع. قال الإمام الزركشي بنقل قول ابن أبي الحديد: " إنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان، وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر، وصارت لهم بذلك ملكة تامة ، فينبغي أن يرجع في معرفة الكلام، وفضل بعضه على بعض"[٧٣]. إن معرفة الفصيح والأفصح، والرشيق والأرشق،والجلي والأجلى، والعلي والأعلى من الكلام أمر لا يسطيع أن يدركه إلا بالذوق اللغوي السليم.

إن الذوق في الأصل ملكة فطرية، لكن الاكتساب فيه هو المعتمد. ولذلك قال الزمخشري عن تدبر كتاب الله تعالى:"إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها،ومسودعات أسرار يدق سلكها، علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجابة النظر فيه كل ذي علم".[٧٤] الذوق حاسة من الحواس المعروفة لدى الإنسان. الذوق الأدبي في أصله فن بلاغي مكتسب، لأنه هبة طبيعية تولد مع الإنسان منذ طفولته، وتنمو معه شيئا فشيئا. فيعبر عنها الموهوب بصفاء الذهن وخصب القريحة والخيال الرصين وضعها في قوالب أدبية بأسلوب فني بليغ. يمتاز التعبير القرآني بخطابه للعقل والقلب معا. ولذا يوجد فيه الأسلوب العلمي والأدبي. قد اختار سبحانه وتعالى المنهج العلمي في تفصيل النصوص العقائدية، مع ذلك يقوم الأسلوب العلمي بهدف الإقناع العقلي بما يستخلصه من نتائج مدعومة بالدليل. عندما تقتضى المناسبات والمواضع لبيان المادة بإقناع العاطفة والشعور،فيورد الأسلوب الأدبي. لا يمكن أن يتذوق الإعجاز العلمي واللغوي والأدبي بدون أن يملك الذوق اللغوي السليم. ولذا يعتبر الذوق السليم اللغوي من أهم الأركان التي ينبغي أن يتحقق في الدراسة القرآنية لنيل الغاية المقصودة من التلاوة والتدبر والتأمل والتعلم والتعليم والعمل به في الحياة .

[٧٣] نقل الإمام الزركشي عن ابن أبى الحديد رحمه الله في كتاب البرهان في علوم القرآن ج: ٢،ص: ١٢٤

[٧٤] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج:١، ١ص: ١٥-١٧

مجالات الدراسات القرآنية

لا يزال يبقى القرآن الكريم حيا ناضرا مزدهرا ملبيا لكل تطلعات الإنسان. تتجلى أبدية الوحي الإلهي وجودته في كل عصر ومصر. هذا الكتاب المقدس يفتح أمام البشر المجال الواسع للبحث والدراسة في علوم القرآن وفنونه لينتفع به الأثر البالغ في قيادة الفرد والمجتمع. لايتحقق ذلك إلا بمعرفة عن مجالات العلوم المتنوعة التي يشتمل عليها القرآن الكريم. يقول الإمام السيوطي: إن "علوم القرآن" تشير إلى أنواع العلوم والمعارف التي تتصل بالقرآن الكريم، سواء كانت خادمة للقرآن بمسائلها أو أحكامها أو مفرداتها ، كعلم التفسير، وعلم التجويد،وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم الفقه،وعلم التوحيد،وعلم الفرائض، وعلم اللغة وغير ذلك. بل توسع بعض العلماء، فعد منها علم الهيئة والفلك والجبر والهندسة والطب وغيرها.[٧٥] لكن يضيف الإمام الزرقاني رأيه إلى هذا القول ."والحق أنه إن كان القرآن الكريم يدعو إلى تعلمها إلا أنه لا يجمل عدها من علوم القرآن، لأن هناك فرقا كبيرا بين الشيء يحث القرآن على تعلمه في عمومياته أو خصوصياته، وبين العلم يدل القرآن على مسائله أو يرشد إلى أحكامه.[٧٦] يتضح مما سبق أن علوم القرآن من أفضل العلوم وأشرفها وأسماها، كما أنها تسلط الضوء على المجالات الواسعة للدراسات القرآنية. قد أثبت ابن الجوزى- رحمه الله-"لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفي الفهوم،لأن شرف العلم بشرف المعلوم".[٧٧]

قد أودع الله في كلامه ما يستفيد منه الإنسان في جوانب مختلفة لحياته. توجد فيه توجيهات للحياة الإنسانية، وحقائق عن الخير والشر، لا يتأثر الإنسان بها فقط، بل يولع بفضل القدرة الإلهية، ويستسلم لعظمته. في ضوء هذه الحقائق قسم الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي علوم القرآن إلى خمسة يقول:

"ليعلم أن المعاني التي يشتمل عليها القرآن لا تخرج عن خمسة علوم:

١-علم الأحكام: كالواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام، سواء كانت من قسم العبادات أو المعاملات أو الاجتماع أو السياسة المدنية، ويرجع تفصيل هذا العلم وشرحه إلى الفقيه.

[٧٥] الإمام السيوطي ، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر ، بيروت، الجزء ٢،ص: ١٢٧

[٧٦] الإمام الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان، دار الكتب العربي، الجزء١،ص:١٧

[٧٧] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير: دار ابن حزم، بيروت، الجزء:١،ص: ٣

٢-علم الجدل : وهي المحاجة مع الفرق الأربع الباطلة: اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين، ويرجع شرح هذا العلم وتعريفه إلى المتكلم.

٣- علم التذكير بآلاء الله: كبيان خلق السموات والأرض، وإلهام العباد ما يحتاجون إليه،وبيان الصفات الإلهية.

٤-علم التذكير بأيام الله: وهو بيان تلك الوقائع والحوادث التي أحدثها الله تعالى إنعاما على المطيعين ونكالا للمجرمين،كقصص الأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات ومواقف شعوبهم وأقوامهم معم.

٥-علم التذكير بالموت وما بعد الموت: كالحشر والنشر والحساب والميزان والجنة والنار.

ويرجع تفصيل هذه العلوم وبيانها وذكر الأحاديث والآثار المتعلقة بها إلى الواعظ والمذكر".[٧٨]

هذه العلوم تفتح أبوابا إلى عدة مجالات الدراسات القرآنية،وهي جديرة بالبحث والمناقشة.

مشكلات القرآن

مشكلات القرآن من أهم مجالات الدراسات القرآنية . إن الآيات القرآنية قسمان، قسم من الآيات واضحة ميسرة. فلو قرأها من هو يعرف اللغة سيدركها فورا من غير صعوبة. فلا مجال لاختلاف الرأي في تفسير هذا النوع من الآيات. فلا حاجة إلى شيء سوى المهارة في اللغة العربية لفهم معاني هذا النوع من الآيات. لكن القسم الثاني من الآيات ما يوجد فيه إجمال أو إبهام، أو صعوبة في تفسيرها، أو توجد حاجة ماسة إلى فهم أسباب نزولها لفهم معاني الآيات جيدا،أو تستنبط منها مسائل التي تتعلق بالقوانين الدقيقة،أو تستخرج منها أسرار ومعارف فيها الدقة والعمق. إن هذا النوع من الآيات تقتضي لفهمها معرفة مجموعة من المعلومات مع الإتقان في اللغة العربية. هذه المعلومات من ناحية ستة، منها القرآن الكريم،الأحاديث النبوية،أقوال الصحابة الكرام،أقوال التابعين، لغة العرب، الذوق السليم. لكل منها مكانة خاصة في تحقيق المعنى المقصود من الآيات القرآنية. هناك نوع لمشكلات القرآن، يتعلق بطريق إفهام القرآن وتفسيره. هذه المشكلات محصورة في خمسة أبواب لدى العلماء الأجلاء:

١-المقطعات

٢-أقسام القرآن

٣-المحكمات والمتشابهات

[٧٨] شاه ولي الله الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم، الفوز الكبير في أصول التفسير، بيت العلم كراتشى،ط: ٣، ١٤٢٦هـ ا،ص:١٩

٤مبحث الناسخ والمنسوخ

٥-تنوع أساليب القرآن الكريم

إذا كان معنى آية من القرآن الكريم واضحا بديهيا، ولم يكن في مفهومه تعقيد أو إبهام أو إجمال، ولم تكن هناك حاجة لفهمها إلى أسباب تاريخية. تعد اللغة العربية في تلك الحالة المأخذ الوحيد لتفسير القرآن الكريم. لكن إذا كان هناك إجمال أو إبهام في معنى الآية، أو كان فهم معنى الآية منوطا بفهم حادثة، أو كانت الآية بحيث تستنبط منها أحكام فقهية، في تلك المواضع، فيلزم الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار الصحابة والتابعين معتمدا على لغة العرب.

الفصل الرابع: مصادر العلوم والمفاهيم في الدراسات القرآنية

مصادر العلوم القرآنية

القرآن هو أول كتاب في اللغة العربية، أنزله الله لتنوير عقول البشر بالهداية لسعادة الدارين. رسم على ألواح القلوب معاني الإرشاد والهداية مع تقديم الحل الناجع لجميع قضايا الحياة ومشاكلها. القرآن هو أول كتاب كشف المصادر الأربعة للعلم والحكمة بتسليط الضوء على تفاصيلها. تعد هذه المصادر الأربعة للعلم والحكمة أولويات القرآن ، تترتب منها خطة الحياة العملية الشاملة. تبرز هذه المصادر الأربعة ينابيع العلم الصافية، وهي كما يلي:

١-الوحي

٢-التاريخ

٣-علم النفس

٤-دراسة الكون

١-**الوحي:** تمثل ظاهرة الوحي مبدأ اتصال عالم الغيب بعالم الشهادة. هو مصدر المعرفة الإنسانية عن عالم الغيب.إن الإيمان بعالم الغيب ليس خارجا عن نطاق القدرة العقلية. الاستدلال بعالم الشهادة على عالم الغيب من وسع العقل. يتناول الظواهر الجزئية في الكون فيطلب لكل معلول علة. ولكل مسبب سبب. فيطلب بالبداهة نفسها هذه العلة لوجوده. إن العقل مضطر إلى هذا الطلب. يمكن للعقل البشري أن يقتنع بما منح من عالم الغيب وحيا.

بدأ القرآن الكريم ينزل تدريجيا حسب الأحداث والوقائع، حتى أتم الله نعمته العظيمة بهذا الدين الحنيف. إن القرآن الكريم له تنزلان . الأول: نزوله من اللوح المحفوظ في ليلة القدر جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا. الثاني:أن القرآن الكريم نزل من السماء الدنيا إلى قلب النبي ﷺ بالأرض مفرقا في ثلاث وعشرين سنة. كان نزول القرآن الكريم على هذه الكيفية لحكم كثيرة. لقد شاءت الحكمة الإلهية أن يظل الوحي متجاوبا مع النبي ﷺ كي يعلمه كل يوم شيئا جديدا، ويهديه مرة أخرى حسب متطلبات السياق ويثبت قلبه ويطمئن نفسه شيئا فشيئا في كل مواطن قلق النفس والأزمة الاجتماعية. يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٧٩] ذكر الله تعالى غاية نزول الوحي منجما لتيسير حفظه وفهمه والعمل به. يقول الله تعالى ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا﴾[٨٠]

٢-**التاريخ** : يحتوى القرآن الكريم على آيات الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والموعظة والنصيحة، والتذكير والأحكام. يوضح في الآيات القرآنية أسس العقائد وأحكام الشريعة عن طريق أسلوب القصص والأمثال. يهدي الله إلى خلود دار الآخرة ببيان حقائق الدنيا والآخرة مع الإشارات والإيضاحات إلى العلوم والفنون ورموز ونكت عالية للفصاحة والبلاغة. كما توجد فيه توجهات إلى علم الاقتصاد والمعاش والعمران والفلسفة والعلوم الطبيعة والحكمة وعلم النفس. تتفق التعاليم القرآنية في كل زمان ومكان. فالقرآن يتخذ التاريخ مادة أساس هذه التعاليم التي تسلط الضوء على القيم العقائدية والأخلاقية والثقافية والتربوية والدينية والاقتصادية. ولذا يعد التاريخ من أهم مواد الاستفادة من نصوص قرآنية. ترتكز التعاليم القرآنية على أسس ثلاثة،وهي الركائز الرئيسية للدين الحنيف، هي التوحيد، الآخرة ، الرسالة. هنا تشرح الآيات القرآنية تاريخ الأنبياء والمرسلين مع ذكر قصصهم وتضمين العبر والعظات منها للأجيال القادمة إلى يوم القيامة. يقول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[٨١] نبه الله تعالى في قوله بالوثائق التاريخية في قصة يوسف عليه السلام. ﴿ لَقَدْ كَانَ فى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[٨٢]

[٧٩] النحل:١٠٢

[٨٠] الإسراء ١٠٦

[٨١] غافر٧٨

[٨٢] يوسف:١١١

٣-علم النفس

إن القرآن كتاب دعوي وتربوي، يدعو إلى الحق ويظهر الحقائق، يحث الإنسان على التحلي بالصفات العالية مطيعا لربه، وشاكرا لأنعمه، ومبتهلا إليه. اتخذ الله تعالى للتعبير عن أوامره ونواهيه الأسلوب الرائع، وهوأكثر مطابقة لحالة الطبيعة الإنسانية والنفسية. هذه الأساليب كلها وسائل العلم والفن التي تبين غاية الكلام الرباني. لأنها تراعي أكثر مراعاة لطبيعة نفسية،وتؤثر في أعماق القلوب أكثر تأثيرا. برزت خصائص البيان من وجوه شتى في النصوص القرآنية. إن التصوير الفني ممثل في القصص والتاريخ والأمثال التي وردت في الآيات القرآنية،تتجلى فيه جوانب مختلفة للفكر الإنساني والطبيعة الإنسانية النفسية بجمال اللغة والنحو والصرف والبلاغة والمعاني والخطابة والوعظ، وغيرها من فنون التجويد والقراءة. هذه السمات كلها تجذب النفوس إلى كلام رباني، ورد ذكرها في القرآن بمناسبات مختلفة. يقول الله تعالى في تعبير الرؤيا: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ﴾ ﴿ قَالَ يَـٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٨٣] من هذه الآية تبدأ قصة يوسف ﷺ وصفها الله تعالى بأحسن القصص . يمكن أن يقرأ القصة إلى الآية ١٠٠ من سورة يوسف حتى قال﴿ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـَٔىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ تتجلى طوال هذه الآيات مظاهر الأحوال النفسية للأب والابن بحب صادق وكيد الإخوة الحساد وسوء العاقبة في الحياة. يمكن أن يتذوق الأسلوب القصصي للقرآن الكريم من قصة يوسف ﷺ، فيه روعة البيان مع تعبير صادق خلاب عن الحالة النفسية الإنسانية.

٤- دراسة الكون

أعظم مزية للقرآن الحكيم أنه يلقي فكرة التأمل في الظواهر الكونية لتقوية الإيمان. يدعو الله سبحانه وتعالى إلى دراسة منتظمة بمشاهدة الظواهر الكونية، ليتوصل إلى الله بالاكتشاف عن علل وأسباب هذه الظواهر والحوادث. يثبت الله تعالى في القرآن الكريم الغايات الأساسية للدين ومعتقداته الأصلية النقية بأدلة نظام الكون الصادقة التي لاترى فيها عوج ولا تفاوت. يقول الله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٨٤]. يفتح هذا الكتاب المقدس أمام البشر مجال الدراسة والبحث في الظواهر الكونية، خصوصا وهو يثبت الحجج على منكرى الحق، كما جاء في قوله عزوجل:﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ

[٨٣] يوسف:٤-٥

[٨٤] الذاريات ٢٠-٢١

أَحْيَيْنَـٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾ ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[٨٥] تبدأ الآية بكلمة"وآية لهم" فيه دلالة واضحة على وجود الصانع وقدرته التامة وإحيائه الموتى، كما صرح ابن كثير في تفسيره." إذا كانت ميتة هامدة لا شيئ فيها من النبات،فإذا أنزل لله عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. ولهذا قال: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾.

تتكرر الكلمة "آية لهم " في بداية الآيات(٣٧)(٤١) من سورة يّس. يدعو الله تعالى إلى التفكير عن اختلاف الليل والنهار والشمس والقمر .الآيات تدل هنا على قدرة الصانع في خلق الليل والنهار ،بطبيعة الظلام والضياء ، وجعلهما يتعاقبان. أضاف إليها الإشارة آية الشمس والقمر حثا على التدبر عن العلل وراء الحوادث الكونية الدائمة. يقول الله تعالى في الآية ٤١ من سورة يّس: أن الله سبحانه وتعالى قادر على تسخير البحر ليحمل السفن بما ينفع الناس لمعاشه ورزقه. فلا شك أن هو الرزاق المتين، بل هو الرب الذي يسير الفلك ويسلم برحمته إلى أجل مسمى.

توجد الأمثلة الكثيرة من القرآن الكريم، وهي كلها دلالة واضحة على دراسة الكون والخلائق فيها،إن كان صغيرا أو كبيرا، طويلا أو قصيرا، خفيفا أو ثقيلا، مرئيا أو غير مرئيا،يوجد فيها من فوائد طبيعية وحياتية في صورة قوانين الفطرة.هذا توجيه الحياة الإنسانية إلى أحسن طريق، لتتحقق بها غايات الخلافة من الأرض، وإصلاح الناس على جميع المستويات.

المفاهيم في الدراسات القرآنية

أنزل الله على عبده ورسوله محمدﷺ هذا القرآن ليهدي الناس إلى الحق، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويسلك بهم طريق الرشاد.أما معاني القرآن ومفاهيمه فإنها تتعلق بما يجب معرفته لهداية البشر، وتشرح للناس عظمة رب العالمين وآلائه. قدم الله تعالى معاني القرآن ومفاهيمه في قالب الكلمات الإنسانية، ليفهم الإنسان، ويتأثر بها قلبه وعقله تأثرا كبيرا. إختار الله تعالى اللغة الفصيحة والأساليب البليغة موافقا لنفسية المخاطبين وعقولهم لبيان الحق.فلا شك أن للقرآن على الإنسان فضل كبير، ونعمة سابغة،فقد نقله من إنسان جاهلي إلى إنسان حضاري رائع. غير القرآن كل شيئ، وأعاد صياغة الإنسان، وأعاد تشكيل أفكاره وتوجهاته من جديد. قد وضع هذا الكتاب المعجز أسس منهج الحياة المستقيمة بإرشادات سديدة إلى القيم الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والروحية والخلقية التي يقوم عليها المجتمع

[٨٥] يس:٣٣-٣٥

الاسلامي. فهذه القيم تعتبر أسس الحياة المستقيمة من المفاهيم والتعاليم في الدراسات القرآنية. إن القرآن الكريم وحي إلهي، يقدم للبشرية جمعاء نور الهداية بتوضيح أوامره ونواهيه بالتركيز على القيم الروحية والفكرية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية في جميع جوانب الحياة الفردية والاجتماعية.

الفصل الخامس: الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية والتفسير: تعريفه ونشأته

مفهوم الاتجاه في الدراسات القرآنية والتفسير

قال الدكتور محمد إبراهيم شريف:"مفهوم الاتجاه يتحدد أساسا بمجموعة من الآراء والأفكار والنظرات والمباحث التي تشيع في عمل فكري- كالتفسير- بصورة أوضح من غيرها، وتكون غالبة على ما سواها، ويحكمها إطار نظري أو فكرة كلية، تعكس بصدق مصدر الثقافة التي تأثر بها صاحب التفسير، ولونت تفسيره بلونها"[٨٦] قد عرف الدكتور فهد الرومي الاتجاه التفسيري بقوله:"هو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون بتفاسيرهم، ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون."[٨٧]

قد اصطلح بعض المعاصرين على "اتجاهات التفسير" بألوان التفسير، "الشخص الذي يفسر نصا يلون هذا النص بتفسيره له وفهمه إياه، وعلى هذا الأصل وجدنا آثار شخصية المتصدين لتفسير القرآن تطبع تفسيرهم في كل عهد ومصر، وعلى أي طريقة ومنهج، سواء أكان تفسيرهم نقليا مرويا، أم كان عقليا اجتهاديا".[٨٨]

يستفاد مما سبق من الأقوال، المراد بالاتجاه في الدراسات القرآنية وعلم التفسير: المقصد الذي يتوجه إليه المفسر والغاية التي يرمي بلوغه.

يتجه المفسر إلى المنهج التفسيري في ضوء اختلاف وتنوع معارف المفسرين،ويهدف من خلاله إبراز وجوه الإعجاز القرآني. من هذه الاتجاهات الهامة ما يلي:

الاتجاه الفقهي: يقصد المفسر إبراز أحكام القرآن وتقريره في ضوء قواعد أصول الفقه مع الشواهد اللغوية والآثار وغيرها.

[٨٦] د محمد ابراهيم شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن، دار التراث، القاهرة، ط ١: ١٤٢٠هـ، ص: ٦٣

[٨٧] د .رفهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، طبعة الرئاسة العامة للبحوث العلمية بالرياض، ج:١، ص: ٢٢

[٨٨] أمين الخولي، مادة تفسير ضمن دائرة المعارف الاسلامية، ج"٥، ص:٣٦٢،

الاتجاه العلمي : يهدف المفسر إبراز الدلالات المختلفة من آيات الآفاق والأنفس في القرآن الكريم.

الاتجاه البياني : يهتم المفسر بإبراز وجوه الإعجاز البيانية عن طريق معرفة علم البلاغة والفصاحة.

الاتجاه اللغوي : يهتم المفسر بمفردات القرآن وشكل الألفاظ القرآنية بمعرفة قواعد النحو والصرف ويتناول فيه إعراب القرآن وغريبه كموضوع رئيسي ويبحث فيه عن وجوه الإعراب ونظائره.

إن هذه الاتجاهات التفسيرية تؤثر في فهم نصوص القرآن لدى الدارس. قد تستغل الثقافات والمعارف استغلالا سلبيا لأجل الوصول إلى الهدف المنشود، وقد يستفاد منها استفادة إيجابية في تفسير القرآن الكريم. قد يكون للمفسر اتجاه منحرف. يقع هذا الانحراف لتأييد مذهب المفسر أو عقيدته الباطلة. فيستغل معرفته بعلم من العلوم التي تتصل بالتفسير: كاللغة أو البلاغة لأجل استدلال مذهبه ونحلته.

الفرق بين الاتجاه والمنهج والطريقة في الدراسات القرآنية

إن هذه المفردات الثلاث مصطلحات حديثة، لا توجد ذكرها في الدراسات القرآنية لدى العلماء الأوائل. إن أصحاب هذه المصطلحات في العصر الحديث عرفها بوجهة خاصة، لكل منها مقصد معين . الاتجاه يمثل في التفسير والدراسات القرآنية فكرة كلية أو إطارا عاما، تتجلى انعكاساتها مصدر ثقافة المفسر الذي تأثر به وسار على نهجه في تفسيره. هذا الفكر العام يكون ظاهرا جليا غالبا على التفسير. يتشكل هذا الاتجاه على أساس مجموعة الآراء والأفكار والمعتقدات والمباحث التي تشيع في عمل فكري.

أما المنهج في الدراسات القرآنية والتفسير، هو الأفكار والنظرية التي تعامل بها المفسر بمعالجة قضايا التفسير، مع إبراز وجهته ورأيه وتعيين مواقفه نحو هذه القضايا بكل وضوح. عندئذ يعتمد المفسر على القواعد ويسير على الأسس والضوابط ويجمعها على نسق واحد وفقا لاتجاهه. يوجد لكل تفسير منهج متميز وخط واضح سلكه المفسر من أول تفسيره إلى آخره. إن المفسرين يتجهون إلى اتجاه واحد في التفسير، مثلا اتجاه التفسير بالمأثور، ولكنهم يسلكون مناهج مختلفة حسب ميولهم. كما يوجد في تفسير ابن كثير يميل إلى الفقه، وابن عطية إلى اللغة.كذلك يتجه المفسرون إلى التفسير بالرأي، ولكنهم يسلكون مناهج مختلفة. يوجد منهج جدلي علمي كلامي عند المفسر فخر الدين الرازي، ومنهج لغوي و بياني عند المفسر الزمخشري.

توجد عدة مناهج داخل الاتجاه التجديدي المعاصر في التفسير.كما يعتبر تفسير المنار في منهج الإصلاحي اجتماعي،وظلال القرآن في منهج وجداني ذوقي. يبرز في التفسير و الدراسات القرآنية لدى أمين الخولي وبنت

الشاطئ اتجاه لغوي بياني،كما يوجد في تفسير الشعراوي اتجاه لغوي ومنهج موسوعي. هكذا بدت مناهج مختلفة للمفسرين تدور داخل اتجاهاتها الأصلية أو التقليدية. ومن أمثالها المنهج الفقهي والمنهج العلمي والمنهج البياني والمنهج الاجتماعي والمنهج الإشاري، كل له أصوله وسماته وملامحه تمتاز عن سواه.

لكل مفسر أسلوب واحد في تناول الآيات القرآنية بشكل متسلسل في أغلب الأحيان .كذلك لكل مفسر طريقة شكلية في تناول النص القرآني. حينا يبدأ المفسر بالنص ثم يشرح معاني المفردات ووجوه البلاغة فيها، ثم أسباب النزول. قد يقتصر المفسر على رأيه وقد يورد آراء المفسرين ويقارن بينها ثم يختار ما كان واضحا وأكثر صحيحا. هذا ما يراد بتسمية "طريقة المفسر". تقوم علاقة الطريقة بالمنهج كعلاقة الشكل بالموضوع،فالمنهج يرتبط بالموضوع، وقد يميل إلى الناحية الشكلية.

تعريف الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن الكريم

إن لغة العرب أهم المصادر وأوثقها في معرفة كلام الله عز وجل. تعتبر لغة العرب من أوائل علم التفسير ليعرف معاني الألفاظ ومراد بالخطاب. فيكون الاعتماد على المصادر الأصلية لزاما على كل من يريد معرفة مدلولات الألفاظ وشرح معانيها. اللغة العربية هي المصدر الرئيسي لفهم تعدد مدلولات لفظ من ألفاظ القرآن الكريم، ومعرفة سبب اختلاف المفسرين، وآراء المجتهدين. يوجد تفسير القرآن في الآثار المنقولة عن الصحابة أو التابعين أو أتباعهم معتمدا على اللغة العربية بالحظ الأوفر. فالاتجاه اللغوي في تفسير القرآن أهم المباحث ليستفيد منه نتائج البحث اللغوي ويدرك الإعجاز اللغوي.

يقصد بالاتجاه اللغوي في التفسير، هو أن يبين معاني القرآن بما ورد في لغة العرب. بيان معاني القرآن من جهة لغوية تشمل كل مصادر البيان في التفسير، كالقرآن، والسنة، وأسباب النزول،وغيرها. المفسر الذي يهتم بالاتجاه اللغوي في بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب، يلزم عليه بيان الألفاظ العربية وتفسير أساليبها التي نزل بها القرآن الكريم.

ومن أمثلة تفسير الألفاظ، تفسير لفظ "استوى" في قوله تعالى: " ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ "[٨٩]، قال أبو عبيدة(ت:٢١٠) " مجازه : ظهر على العرش وعلا عليه. ويقال: استويت على ظهر الفرس، وعلى ظهر البيت"[٩٠]

[٨٩] يونس:٣

[٩٠] أبوعبيدة، مجاز القرآن، مكتبة الخانجى،(١:٢٧٣)

ومن أمثلة تفسير الأساليب، تفسير أبي عبيدة(ت:٢١٠) لقوله تعالى: "﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾"[٩١] قال: "والعرب تختصر الكلام ليخففوه، لعلم المستمع بتمامه، فكأنه في تمام القول: ويقولون: ربنا ما خلقت هذا باطلا.[٩٢]

نشوء الاتجاه اللغوي في التفسير وتطوره

إن اللغة العربية من أهم المصادر وأوثقها في معرفة دلالات الكلام الرباني، التي يدور عليها كثير من علم التفسير. فينبغي أن يفهم مدلولات الألفاظ ويستشرح معانيها من مصادرها المعتمدة في الدراسات القرآنية ليتضح المراد بالخطاب. ولذا يتوصل المسلمون إلى نوع من التفسير اللغوي والبياني الذي يفيد منه ما يتعلق باللفظ أو الأسلوب، أو التركيب، وسخر جميعه في خدمة النص القرآني. قد أشار الإمام الشاطبي[٩٣] إلى ذلك فقال:"فإن قلنا أن القرآن نزل بلسان العرب، وأنه عربي،وأنه لا عجمة فيه،فيعني أنه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة،وأساليب معانيها، وأنها فيما فطرت عليه من لسانها تخاطب بالعام يراد به ظاهره، وبالعام يراد به العام في وجه، وبالعام يراد به الخاص، وظاهر ويراد به غير الظاهر، وكل ذلك يعرف من أول الكلام،أو وسطه أو آخره..." [٩٤]

في عصر الصحابة

كانت بداية التفسير اللغوي في عصر الصحابة. قد دعت الحاجة إليه بعد دخول أهل القبائل العربية تنطق اللهجات المتباينة . فانتشر الدين الإسلامي شرقا وغربا،فكثر عدد معتنقي الإسلام. حينئذ قد ظهر الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية لاستخراج المفاهيم القرآنية المقصودة من التنزيل إنقاذا للمجتمع المسلم من اختلاف اللهجات العربية أولا، ولدخول أقوام من غير العرب إلى دين الله من جهة ثانية". تشير الروايات التاريخية إلى أن البواكير الأولى لنشوء التفسير اللغوي كانت على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ. وإليه يرجع فضل تنبيه الناس إلى التحقيق اللغوي لبعض مفردات القرآن الكريم. قد سئل عمر ﷺ وهو يخطب على منبره عن تفسير قوله تعالى" ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ "[٩٥]، فقام شيخ من هذيل فقال" التخوف عندنا التنقص، فقال عمر ﷺ "هل تعرف العرب ذلك في أشعارهم؟ قال :نعم،قال شاعرنا أبو كبير:

---

[٩١] آل عمران:١٩١

[٩٢] أبو عبيدة،مجاز القرآن،مكتبة الخانجي،١:١١١)

[٩٣] الشاطبي: إبراهيم بن موسى الغرناطي،فقيه، أصولي محقق، عالم بالقراءات توفي (٧٩٠هـ)

[٩٤] ،الإمام الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، مطبعة المكتبة التجارية، جامعة قطر، ص:٤٥،٤٦

[٩٥] سورة النحل:٤٧

تخوف الرحل منها تامكا فردا كما تخوف غود النبعة السفن[٩٦]

قال عمر رضي الله عنه: عليكم بديوانكم، قالوا: ما ديواننا؟، قال: شعر الجاهلية، فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم"[٩٧] ومما يدل على ذلك ما أخرجه الإمام الطبري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سئل عن قول الله تعالى"وإذا النفوس زوجت"[٩٨] ،قال "يقرن بين الرجل الصالح مع الصالح في الجنة وبين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار"[٩٩] ، فقوله (يقرن) تفسير لمعنى التزويج في الآية.وهذا هو أصل معنى اللفظ لغويا. قال ابن فارس:"الزاي والواو،والجيم: أصل تدل على مقارنة شيئ لشيئ"[١٠٠]

يعتبر حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه من رواد الاتجاه اللغوي في التفسير.كان مبرزا من بين الصحابة في هذا الاتجاه بتوسعه في دراسة شعر العرب ولغتهم وأقوالهم وأمثالهم. إنه وضع الأسس العامة لهذا اللون من التفسير، وبذل جهده في تأسيس المدرسة التفسيرية المشهورة باسم مدرسة مكة. يقول ابن قتيبة" الشعر معدن العرب،وسفر حكمتها، ومستودع أيامها، والسور المضروب على مآثرها"[١٠١] ولذا استعان ابن عباس في تفسير الكثير من غريب القرآن الكريم بالشعر العربي، وما كان منه جاهليا، وما أوردت ألسنة الفحول من الشعراء صدر الإسلام. يقول محي الدين بلتاجي" تعتبر هذه المحاولات الخطوة الأولى في الدرس اللغوي لفهم نصوص الكتاب العزيز. فهي مقصورة على فهم مفردات القرآن الكريم وأساليبه وأغراضه"[١٠٢] جدير بالذكر أن الرسول ﷺ لم يفسر القرآن تفسيرا لغويا، لأن المخاطبين العرب الذين نزل فيهم القرآن، يتكلمون اللغة العربية وكانوا يعرفون معاني مفرداتها حق المعرفة. إن الصحابة يعودون إلى تأويل القرآن باعتماد على ما يفهمونه من لغتهم الفصيحة. إذا أشكل عليهم منه شيئ أزالوا شكوكهم بقول صريح من رسول الله ﷺ . كما حدث من عدي بن حاتم في سؤاله عن الخيط الأبيض والأسود في قوله تعالى" ﴿ وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾"[١٠٣] ، ففسره له ﷺ بأنه "بياض النهار وسواد الليل"[١٠٤] ."كل واحد من الصحابة امتلكوا قدرة قراءة القرآن وطاقة فهم مقاصد

[٩٦] قد نسبه الجوهرى إلى ذى الرمة) ينظر الصحاح مادة (السفن)،أما ابن منظور نسبه إلى (ابن مقبل) ينظر لسان العرب(خوف) كما نسبه إلى ذي الرمة)،ينظر: مادة (سفن)،ص: ١٥٠

[٩٧] الإمام الشاطبي،. الموافقات ج:٤: ص: ٨٨،أصول التفسير وقواعده،خالد عبد الرحمن العك،دار النفائس،ص:١٤١،١٤٠

[٩٨] سورة التكوير:٧

[٩٩] الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ج: ٣٠، ص، ٦٩

[١٠٠] ابن فارس، معجم مقاييس، دار الفكر بيروت، ج: ٣، ص: ٣٥

[١٠١] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، :ص: ١٨٥

[١٠٢] محي الدين بلتاجي، تطور التفسير، دار الثقافة، الدوحة ،ص:١٤٤

[١٠٣] البقرة:١٨٧

[١٠٤] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، صحيح البخاري، حديث صحيح، رقم:٤٥١٠

المفردات والتراكيب، ولكن العلماء منهم عرفوا ما حوله من العلوم والمعارف، وقضايا الحلال والحرام وأسباب النزول وما وراء الألفاظ، والمعاني من الاستنباطات الدقيقة، هم الذين اشتهروا بالتفسير والفتيا ومعرفة السنة النبوية الشريفة. عجز عديد من أبناء اللغة عن فهم كثير مما جاء في المؤلفات، فلا بد أن يفتش عن المعاني بموهبة عقلية تتناسب مع درجة الكتاب، وقوة تأليفه. إن مجرد فهم المتبادر الظاهري من الألفاظ ، والتراكيب لا يحتاج إلى الموهبة العقلية وإنما يحتاج إلى المعرفة الشاملة عن التعابير القرآنية والاتجاهات اللغوية والمواد المعرفية الحديثة. هنا يقتضي لنشوء الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن.

بعد عصر الصحابة ،لحقوا بهم التابعون، فلم يلقوا رسول الله ﷺ ، وإنما صحبوا أصحاب النبي ﷺ. وفيهم أعلام وبرزوا في علم التفسير كسعيد بن جبير(ت:٩٥)[١٠٥] ، ومجاهد بن جبر(ت:١٠٤)[١٠٦] وقتادة بن دعامة السدوسي (ت:١١٧)[١٠٧] وإسماعيل السدي الكوفي (ت:١٢٧)[١٠٨]،عبد الملك بن جريح المكي (ت:١٥٠)[١٠٩] وعبد الرحمن بن زيد اسلم المدني (ت:١٨٢)[١١٠] ويحي بن سلام البصري(ت:٢٠٠)[١١١] .

في عصر التابعين

قد اتسع الاتجاه اللغوي في عصر التابعين. لما اشتدت حاجة المسلمين لفهم كتاب الله تعالى بعد دخول أهل القبائل العربية تنطق اللهجات المتباينة إلى الإسلام،على إثر دخولهم انتشر الإسلام شرقا وغربا فابتعد الناس عن عصر الفصاحة. كل هذه الظروف أدت إلى وضع تفاسير لغوية بهدفها السامي لإظهار المعنى اللغوي الدقيق للألفاظ القرآنية.

كان تفسير السلف في القرون الثلاثة الأولى محتويا على معني كل ما يتعلق ببيان القرآن من تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة، أو بلغة أو بغيرها من أنواع البيان التي تدخل في مصطلح التفسير. إن التابعين وتابعي التابعين سبقوا اللغويين في التفسير اللغوي. لم يقتصروا على لون واحد من البيان بل اشتمل على جملة مصادر التفسير. كان التفسير اللغوي جزءا هاما من علم التفسير لديهم. كان لهم في التفسير صحائف وكتب منهم سعيد بن جبير(ت ٩٥ه) الذي كتب جملة من التفسير لعبد الملك بن مروان(ت٨٦ه)[١١٢] وقد

[١٠٥] سعيد بن جبير بن هشام ، الأسدين الكوفي،من كبار مفسري القرآن، من سادات التابعين، صاحب تهذيب التهذيب

[١٠٦] مجاهد بن جبير، أبو الحجاج، المكي، المفسر، من اشهر تلامذة ابن عباس ﷺ من أعلام التابعين اختلف في وفاته ما بين سنة (١٠١ها) إلى (١٠٤ه)

[١٠٧] قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري، تابعي، إمام، وحجة ثقة، من أحفظ أهل زمانه للحديث وأعلمهم بالقرآن واللغة

[١٠٨] أبو محمد، تابعي، كان يجلس في سدة جامع الكوفة فنسب إليها، اشتهر بالتفسير، والمغازي والسير.

[١٠٩] عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح، أبو الوليد، فقيه الحرم المكي،أول مكي صنف كتب الحديث

[١١٠] عبد الرحمن بن زيد بن اسلم، المدني، المفسر،روي تفسيره ابن وهب.

[١١١] يحي بن سلام: أبو زكريا البصري، العلامة، المفسر، نزيل المغرب، لقي غير واحد من التابعين، له كتاب في التفسير.

[١١٢] الجرح والتعديل ٢٣٢/٦، طبقات ابن سعد ٢٦٦/٦

كتب علي بن ابي طلحة(ت ١٤٣هـ)[١١٣] صحيفة مشهورة التي فيها تفسير عبد الله بن عباس ﷺ. يعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم الأساس الرئيسي للتفسير اللغوي، لأن كتب التفسير والمرويات للسلف مهدت طرقا يسيرة للغويين الذين دونوا اللغة.

خلاصة القول أن الاتجاه اللغوي قد اتسع منهجا هاما في عصر التابعين وتابعيهم لما أدت حاجة الأمة إليه. جدير بالذكر أن قواعد تركيب الجملة العربية من ثمار هذا الاتجاه اللغوي في التفسير. ولذا يعتبر علم النحو جزءا لا يتجزأ ، قام بدور بناء في تشكيل الأساس في علم التفسير وفي الدراسات القرآنية. لأن النحو خاصية التي تمتاز بها تاريخ التفسير اللغوي وتعد هذه المرحلة بداية عصر التدوين بعد عصر التابعين.

تدوين التفسير اللغوي

قد برز اللغويون في القرن الثاني الهجري باهتمام التخصص العلمي الذي لم يكن ينسب قبلهم إلى أعلام في جيل الصحابة والتابعين. لا يمكن أن يجد ظهور اللغويين في هذين الجيلين، وإنما يوجد من عرف بسعة علمه بأشعار العرب، وأيامهم وأنسابهم،أو الفصحاء في المنطق. وبهذا السبب لم يهتم في عهد الصحابة والتابعين بجمع كلام العرب، وبيان معانيه، كما لا يوجد في ترجمة أحد من الأعلام مصطلح اللغوي. أبان بن تغلب(ت ١٤١هـ)[١١٤]،والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٥)[١١٥] وعلي بن حمزة الكسائي (ت:١٨٩هـ)[١١٦]، وأبو عبيدة معمر بن المثنى(ت:٢١٠هـ)، هم اللغويون الأوائل الذين عاصروا مفسري أتباع التابعين كمقاتل بن حيان البلخي (ت:١٥٠هـ)[١١٧]،وعبد الملك بن جريج المكي (ت:١٥٠هـ). إن اللغويين من أصحاب هذه الطبقة ومن بعدهم كأبي عبيدة (ت:٢١٠هـ)[١١٨] والفراء (ت:٢٠٧هـ)[١١٩] وتلاميذهم الذين اخذوا عنهم علم

[١١٣] علي بن طلحة اسمه سالم بن المخارق الهاشمي، مولى العباس بن عبد المطلب

[١١٤] ابان بن تغلب بن رباح، الكبرى، مقرئ، مفسر،نحوي،لغوي، محدث من أهل الكوفة

[١١٥] الفراهيدي، خليل بن أحمد بن عمرو صاحب كتاب العين، وواضع علم العروض والقوافي،ينظر:نزهة الالباء ٤٥-٤٧

[١١٦]الكسائي، علي بن حمزة بن عبد الله بن فيروز الكوفي ،إمام أهل الكوفة، من تابعي التابعين احد القراء السبعة، ينظر:طبقات المفسرين ٦٨٢/١

[١١٧] مقاتل بن حيان البلخي الخراز، مفسر، حافظ للحديث،ى مؤرخ، عالم خراسان في وقته.ينظر: طبقات المفسرين ٣٢٩/٢، معجم المفسرين ٦٨٢/٢

[١١٨] أبو عبيدة:، معمر بن المثنى، البصري عالم باللغة، والشعر،وأخبار العرب، والنسب ، توفي في البصرة سنة (٢١٠هـ)، ينظر: طبقات المفسرين للداودي ج:٢:ص: ٣٢٦ معجم الأدباء ج: ١٩،ص: ١٥٤

[١١٩] الفراء: يحي بن زياد بن عبد الله بن منصور الديلمي، من أعلام الكوفيين بالنحو واللغة وفنون الأدب فقيه، عالم بأيام العرب وأخبارها (ت:٢٠٧هـ ينظر:طبقات المفسرين ج: ٢، ص: ٣٦٦،معجم المفسرين،ج: ٢، ص: ٧٣٠

اللغة وتابعوهم في ذلك كأبي عبيد القاسم بن سلام (ت:٢٢٤ھ)[١٢٠] ،وأبو حاتم السجستاني (ت:٢٨٤ھ)[١٢١] وغيرهم دونوا لغة العرب. هؤلاء اللغويون عمدة لمن جاء خلفهم في حكاية اللغة.

كانت خاتمة المفسرين من أئمة اللغة أبو حيان الأندلسي(ت:٧٥٤ھ)، هو الذي ألف كتاب "البحر المتوسط، يمتاز هذا الكتاب بجمع طريقة الفقهاء ومنهج اللغويين وأقوال الأثريين. قال أبو حيان في وصف منهجه" إنى لا أغادر منها أي الآية- كلمة وإن اشتهرت- حتى أتكلم عليها مبديا ما فيها من غوامض الإعراب، ودقائق الآداب من بديع وبيان، مجتهدا أن لا أكرر الكلام في لفظ سبق،ولا في جملة تقدم الكلام عليها".[١٢٢]

الاتجاه اللغوي في التفسير في العصر الحديث

انتهى التأليف في التفسير اللغوي منذ وفاة أبي حيان الإدريسي في منتصف القرن الثامن الهجري. قد ظهر بعض المؤلفين الذين أتموا تأليفا في إعراب القرآن" في نفس القرن الذي عاش فيه أبو حيان، ومنهم أبو اسحاق السفاقسي صاحب "المجيد في إعراب القرآن المجيد"وكالسمين الحلبي (ت"٧٥٦ھ) صاحب"الدر المصون في علم الكتاب المكنون".مضى الزمان وتتالت القرون على ذلك،فانحصر التصنيف في لغة القرآن . قد بلغ المفسرون اللغويون الأوائل كالفراء في علوم اللغة مبلغ العرب، تمتاز شخصياتهم العلمية بمعرفة اللغة العربية. ثم خلف من بعد هؤلاء من لم يكن أشباه في الحفظ والجمع كأبي حيان، لكن هؤلاء الخلف نالوا المقدرة على استيعاب المادة العلمية التي خلفها سلفهم، فرتبوها وهذبوها، وأخرجوها في مؤلفات موسوعية.. لكن بعد هذه الطبقة توقف التأليف والتصنيف في التفسير اللغوي حتى العصر الراهن. كانت إسهامات المعاصرين في هذا الاتجاه التفسيري محدودة.

يتضح مما سبق أن الاتجاه اللغوي نشأ في عصر التابعين. لما ضعفت الملكة اللغوية ، ظهرت الحاجة إلى الاهتمام بعلوم اللسان والاستفادة منها لفهم القرآن الكريم. قد لعبت حركة التأليف والتصنيف بدور بارز في تطور التفسير اللغوي منذ عصر الرعيل الأول من أعلام الاتجاه اللغوي حتى منتصف القرن الثامن الهجري. قد استفاد أئمة اللغة من مادة علوم اللسان في التفسير، حتى نضجت جهودهم بتأليف الكتب الحافلة التي فيها مباحث الغريب والنحو والصرف والاشتقاق، بحيث تعتبر بعض التفاسير مصادر في علم اللسان. هناك عدة خطوات في سبيل نشأة الاتجاه اللغوي وتطوره في التفسير. قد تضمنت مختلف

[١٢٠] أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي،من كبار العلماء بالحديث، والفقه، والتفسير،والأدب، ينظر:طبقات المفسرين م:٢، ص: ٣٢

[١٢١] سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجسمي البصري، روي عن الأصمعي،وأبي عبيدة توفي (٢٤٨ھا)، ينظر:طبقات المفسرين ٢١٠/١، ومعجم المفسرين ٢١٨/١

[١٢٢] أبو حيان، البحر المحيط، الرسالة العالمية، ج:١،ص: ١٠٣

التفاسير مباحث لغوية متفاوتة، يظهر ذلك من خلال "جامع البيان" لابن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ) والمحرر الوجيز لابن عطية (ت:٥٤٦هـ) وغيرهما قديما وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) وغيره حديثا.

الفصل السادس: الاتجاه اللغوي في التفسير: مكانته وأسلوبه

مكانته

إن معرفة اللغة العربية شرط في فهم القرآن الكريم، لا يستطيع أحد أن يعرف معاني المفردات القرآنية، وأن يفسر النصوص فيه إلا بعلم دقيق في اللغة العربية . يقول ابن فارس[١٢٣] "إن علم بلغة العرب واجب على كل من يتعلق بالقرآن والسنة والفتيا،بسبب حتى لا غناء بأحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نزل بلغة العرب، ورسول الله ﷺ عربي فمن أراد معرفة ما في كتاب الله عز وجل، وما في سنة رسول الله ﷺ من كل كلمة غريبة،أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بدا"[١٢٤]

لا بد لكل واحد أن يهتم بفهم اللغة العربية في الدراسات القرآنية ،لأنها تفتح باب فهم الشريعة. ولذا أشار الإمام الشاطبي إلى أهمية الاتجاه اللغوي فيه قائلا:"لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم . فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف، فلا يصح أن يجري في فهمها على ما لا تعرفه، وهذا جار في المعاني والألفاظ والأساليب"[١٢٥] وبهذا السبب اهتمت الأمة من صدر الرسالة إلى أن يشاء الله بفهم لغة كتابه العزيز،وأولتها عناية بالغة ، واتسعت الدرسات القرآنية التي تعني باتجاهها اللغوي من بداية التدوين إلى الوقت الحاضر.

أسلوب الاتجاه اللغوي في التفسيرعند السلف

كان السلف يعتمدون على مصادر في نوعين في بيان القرآن الكريم. منها مصادر نقلية، ومصادر استدلالية. أما المصادر النقلية تتضمن على خمسة أشياء. منها ما يرووبه عن الرسول ﷺ، وما يرويه بعضهم عن بعض، وما يعرفونه من أحوال من نزل فيهم الخطاب من العرب وأهل الكتاب، وأسباب النزول وما يرووبه عن أهل الكتاب. أما ما عدا ذلك يعتبر من المصادر الاستدلالية، هي التي تعتمد على المصادر النقلية. اتبع السلف طريقة البيان اللفظي في التفسير اللغوي. هو أحد طرق البيان عن التفسير اللغوي. يقصد بالبيان

[١٢٣] ابن فارس:احمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين، من كبار أئمة اللغة، توفي في الري سنة ٣٩٥هـا

[١٢٤] أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ،مكتبة المعارف، بيروت،ص:٥٠

[١٢٥]، الامام الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة ، مطبعة المكتبة التجارية، جامعة قطر،ج:٢،ص ٥٦

اللفظي تفسير اللفظ بما يطابقه من لغة العرب،مع ذكر الشواهد إن وجدت، وهذا ما يمكن أن يصطلح عليه بالتفسير اللفظي. يستخرج الاتجاه اللغوي من أسلوب هذا البيان اللفظي.

يوجد في التفسير اللفظي أسلوبان هامان واضحا. كلاهما من البيان اللفظي. قد أوضح الدكتور مساعد الطيار في كتابه المشهور"التفسير اللغوي للقرآن الكريم" مراد أسلوب التفسير اللغوي بقول:"هو أن يكون اللفظ المفسر مطابقا للفظ المفسر، مع الاستشهاد عليه- أحيانا- من لغة العرب شعرا أو نثرا."[١٢٦] هذا الأسلوب يغلب على كتب غريب القرآن وكتب معاجم اللغة التي كتبت في دلالات الألفاظ، ككتاب العين،وجمهرة اللغة،ومجمل اللغة، وغيرها. لهذا الأسلوب مكانة عظيمة في تفسير السلف. يوجد في تفسير الطبري طريقة البيان اللغوي. يتبع المفسر في البيان اللغوي طريقين .الأول: أن يذكروا معنى اللفظة في اللغة دون أن ينصوا على ما يدل عليها من شعر أو نثر.الثاني: أن ينصوا على الاستدلال بلغة العرب في تفسير اللفظة، وهو ينقسم إلى قسمين. القسم الأول: الاستشهاد بالشعر، والقسم الثاني: الاستشهاد بالنثر. أما الاستشهاد بالنثر نوعان. النوع الأول: أن ينصوا على لغة القبيلة التي نزل القرآن بلفظها. النوع الثاني: أن يرجعوا إلى منثور كلامهم دون أن ينصوا على لغة قبيلة بعينها.

قد ورد ذكر معنى اللفظ في اللغة دون أن ينصوا على ما يدل عليه من شعر أو نثر. أخرج الطبري (ت:٣١٠) عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه سئل عن قول الله تعالى: "﴿وإذا النفوس زوجت﴾"[١٢٧]،قال: يقرن بين الرجل الصالح مع الصالح في الجنة، وبين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار"[١٢٨] قوله "يقرن" تفسير لمعنى التزويج في الآية. وهذا هو أصل معنى اللفظ لغويا. قال ابن فارس(ت٣٩٥): الزاء والواو الجيم: أصل يدل على مقارنة شيء لشيء..[١٢٩]

ورد عن ابن عباس (ت:٦٨) في معنى "دهاقا" من قوله تعالى"﴿وكأسا دهاقا﴾"[١٣٠] قال:"ملأي"

قال ابن فارس في أصل معنى هذه اللفظة:"الدال والهاء والقاف،يدل على امتلاء في مجيء وذهاب واضطراب.يقال: أدهقت الكأس:ملأتها،قال تعالى :" ﴿وكأسا دهاقا﴾"[١٣١]

[١٢٦] الدكتور مساعد الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم،دار ابن الجوزي، ص:٦٨

[١٢٦]، الدكتور مساعد الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم،دار ابن الجوزي، ص:٦٨

[١٢٧] التكوير:٧

[١٢٨] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل بي القرآن دار، التربية والتراث،ط:٢،ص: ٦٩

[١٢٩] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة دار الفكر،بيروت،ج:٣،ص:٣٥

[١٣٠] النبأ ٣٤

[١٣١] ابن فارس،معجم مقاييس اللغة ، دار الفكر، بيروت،ج:٢،ص: ٣٠٧

كان الشعر ديوان العرب، يتضمن فيه كليا من حضارتهم و لغتهم. ولذا اعتمد السلف على الأشعار العربية مستعينا بها في التفسير. إن السلف اتجهوا إلى أن يستدلوا لمعنى اللفظة من أصل لغتهم، واستشهدوا لذلك بالشعر. من الأمثلة الواردة عنهم في ذلك:

١-عن عكرمة (ت:١٠٥) أن ابن عباس (ت:٦٨) سئل عن قوله تعالى: "﴿وثيابك فطهر﴾"[١٣٢] قال : لا تلبسها على غدرة ولا فجرة، ثم قال من قول غيلان بن سلمة.[١٣٣]:

إني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست، ولا من غدرة أتقنع

في ضوء هذا القول من الشاعر المخضرمي، قال الفراء (ت:٢٠٧)" لا تكن غادرا فتدنس ثيابك، فإن الغادر دنس الثياب".[١٣٤]

٢-عن عكرمة (ت:١٠٥)، عن ابن عباس(ت:٦٨) في قوله تعالى: "﴿فإذا هم بالساهرة﴾"[١٣٥]، قال على الأرض. هذا المعنى حكاه أهل اللغة، كما قال ابن الفارس: يقال للأرض: الساهرة، سميت بذلك لأن عملها في النبت دائما ليلا ونهارا. استشهدوا بقول الشاعر أمية بن أبى الصلت:

وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به لهم مقيم[١٣٦]

هكذا يوجد كثير من الأمثلة التي استشهد السلف بالشعر لكي يستدلوا لمعنى اللفظة من أصل اللغة العربية. هذا هو الطريق المهم للاتجاه اللغوي في التفسير عند السلف.

اعتمد السلف على استشهاد بالنثر أيضا. إنهم اتجهوا إلى أصل اللغة العربية في تفسير اللفظة. النوع الأول منها،أن ينصوا على لغة القبيلة التي نزل القرآن بلفظها. إن الألفاظ القرآنية تنتمى أصلها إلى ألفاظ قبائل العرب. أما أغلبه فكان بلغة الرسول ﷺ، أي لغة قريش. ولذا كان المفسرون من السلف حاولوا لتعيين القبيلة التي نزل القرآن بلفظها.

[١٣٢] المدثر:٤

[١٣٣] غيلان بن سلمة بن متعب بن مالك الثقفي من شعراء الطائف، مخضرم أدرك الإسلام. ينظر: طبقات فحول الشعراء (ص:٢٢٩)

[١٣٤] الفراء، معانى القرآن، (٣:٢٢)، وينظر: مادة (ثوب) في لسان العرب.

[١٣٥] النازعات:١٤

[١٣٦] البيت ورد في ديوان أمية بن أب الصلت،تحقيق: بشير يموت (ص:٥٤)

من أمثلة ما فسر السلف بلغات العرب ما يلي:

عن أبي الصلت الثقفي: أن عمر بن الخطاب ﷺ قرأ هذه الآية "﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾"[١٣٧] بنصب الراء. قال: وقرأ بعض من أصحاب الرسول ﷺ ضيقا حرجا.[١٣٨] فقال عمر: أبغوني رجلا من كنانة، واجعلوه راعي غنم، ولكي مدلجيا، أي من بنى مدلج. قال عمر: يا فتى ما الحرجة؟ قال :الحرجة فينا ، الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء. قال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيئ من الخير".

قد قال محمود شاكر في تعليقه على هذا الأثر:"وهذا خبر عزيز جدا في بيان رواية اللغة وشرحها،وسؤال الأعراب والرعاة عنها".[١٣٩]

عن مجاهد (ت:١٠٤) في قوله تعالى: " ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ "[١٤٠] قال: هي بلغة قريش، أوصد الباب: أغلقه"[١٤١]

وهذا المعنى الذي فسر به مجاهد(ت:١٠٤) هو معنى هذا اللفظ في لغة العرب، قال ابن فارس(ت:٣٩٥): الواو والصاد والدال: أصل يدل على ضم شيئ إلى شيء، أوصدت الباب: أغلقته..... والموصد: المطبق، وقال تعالى :" ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ " (الهمزة:٨)

تدل الأمثلة المذكورة هنا على اعتبار لغة القبيلة لصحة المعنى اللفظي. هذا أسلوب الاتجاه اللغوي معروف في تفسير السلف.

هنا أسلوب آخر للاتجاه اللغوي في تفسير السلف، وهو أن يرجع إلى منثور كلام العرب، دون أن ينصوا على لغة قبيلة بعينها. يعتمد المفسر على شيء من كلام العرب المنثور،أو ينص على أن هذا من لغة العرب، ومن أمثلة ذلك:

---

[١٣٧] الأنعام:١٢٥

[١٣٨] إعراب القراءات السبع وعللها،لإبن خالويه (١:١٦٩)

[١٣٩] حاشية رقم ٤ من تفسير الطبري،تحقيق، محمود شاكر(١٢:١٠٤)

[١٤٠] الهمزة:٨

[١٤١] السيوطي، جلال الدين الدر المنثور في التفسير المأثوردار الفكر،ط:٨،ص:٥٢٦

عن ابن عباس (ت:٦٨) في قوله تعالى: " ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ "[١٤٢] قال : من الإثم، ثم قال: نقي الثياب في كلام العرب"[١٤٣] يراد بهذا القول"نقي الثياب"، أي أن فعله فعل محمود.

قد ورد في اللغة: فلان دنس الثياب: إذا كان خبيث الفعل والمذهب خبيث العرض، قال امرؤ القيس:

ثياب بني عوف طهارى نقية وأوجههم بيض المسافر غران"[١٤٤]

قال عكرمة(ت:١٠٥) في قوله تعالى: "﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ "[١٤٥]" إن العرب إذا اشتد القتال فيهم والحرب، وعظم الأمر فيهم، قالوا لشدة ذلك: قد كشفت الحرب عن ساق، فذكر الله شدة ذلك اليوم بما يعرفون"[١٤٦]

هكذا يوجد كثير من الأمثلة التي تدل على أسلوب الاتجاه اللغوي في تفسير عند السلف بالرجوع إلى منثور كلام العرب.

أسلوب الوجوه والنظائر

يقصد بالوجوه، هي المعاني المختلفة للفظة القرآنية في مواضعها من القرآن. أما النظائر، هي المواضع القرآنية المتعددة للوجه الواحد التي اتفق فيها معنى اللفظ، فيكون معنى اللفظ في هذه الآية نظيرا أي شبيه ومثيل معنى اللفظ في الآية الأخرى.

يوجد هذا المصطلح كثيرا في المؤلفات التي تتصل بهذا العلم. قد اختلفت آراء العلماء في بيان هذا المصطلح. قال مقاتل(ت: ١٥٠)" تفسير الحسنى على ثلاثة أوجه. يوضح الدكتور مساعد الطيار في كتابه المشهور"التفسير اللغوي للقرآن الكريم"

الوجه الأول: الحسنى،يعنى الجنة، فذلك قوله في يونس: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَىٰ﴾[١٤٧] يعني: الذين وحدوا لهم الحسنى، يعنى الجنة، (وزيادة)، يعنى: النظر إلى وجه الله تعالى.

[١٤٢] المدثر:٤

[١٤٣] الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري، دار التربية والتراث،مكة المكرمة،ج:٢٤، ص: ١٢٤

[١٤٤] أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، دار الكتب العلمية (١٥:١٥٤)

[١٤٥] القلم:٤٢

[١٤٦] جلال الدين السيوطى، الدرالمنثورفي التفسير المأثور، دار الفكر: (٨:٢٥٥)

[١٤٧] يونس:٢٦

ونظيرها في النجم، حيث يقول: ﴿وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا بِٱلْحُسْنَىٰ﴾[١٤٨]، يعنى: بالجنة، وكقوله تعالى في الرحمن: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾[١٤٩] يقول : هل جزاء أهل التوحيد إلا الجنة.

الوجه الثاني: الحسنى أي : البنون، فذلك قول الله تعالى في النحل: ﴿لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[١٥٠]،أي البنون.

الوجه الثالث: الحسنى، يعنى: الخير، فذلك قوله في براءة : ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾[١٥١]يقول: ما أردنا ببناء المسجد إلا الخير، إشارة إلى قول الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١٥٢].

ونظيرها في النساء: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [١٥٣] يعنى: الخير.

يستنبط المفسر معاني الوجوه والنظائر من الآيات مباشرة. تكثر الوجوه في بعض الألفاظ بسبب النظر إلى الاستعمال السياقي عند المفسرين . تتعلق هذه النظائر والوجوه القرآنية بالاتجاه اللغوي في التفسير. إن بعض هذه الوجوه تكون دلالات لغوية مباشرة .قد تتعدد الوجوه بتعدد الدلالات، نظرا إلى استعمال العرب المقرر لدى أهل اللغة. من الأمثلة ما يوضح ذلك:

قال مقاتل(ت:١٥٠)" تفسير اللبس على أربعة وجوه:

الوجه الأول: يلبسون ، يعني: يخلطون، فذلك قوله في البقرة: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾[١٥٤] يعنى: لا تخلطوا. ونظيرها في آل عمران: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾[١٥٥] يعني: لم تخلطون، كقوله تعالى في الأنعام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُو وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[١٥٦]، يعني: لم يخلطون الإيمان بالشرك.

[١٤٨] النجم ٣١

[١٤٩] الرحمن:٦٠

[١٥٠] النحل:٦٢

[١٥١] التوبة:١٠٧

[١٥٢] التوبة ١٠٧

[١٥٣] النساء: ٦٢

[١٥٤] البقرة:٤٢

[١٥٥] آل عمران:٧١

[١٥٦] الأنعام:٨٢

الوجه الثاني: اللباس، يعني: سكن[١٥٧] فذلك قوله في البقرة: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾[١٥٨]، يقول: نساؤكم سكن لكم. ﴿وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ يعني سكن لهن ، كقوله في الفرقان: وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾[١٥٩] يعني: سكنا، نظيرها في عم يتساءلون: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾[١٦٠] يعني: سكنا.

الوجه الثالث : اللباس،يعني الثياب التي تلبس، فذلك قوله في الأعراف: ﴿ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾[١٦١] يعني: الثياب.

وقال في حم الدخان: ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾[١٦٢] يعني: الثياب.

الوجه الرابع: يعني العمل الصالح،كذلك قوله تعالى في الأعراف: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[١٦٣] يعني: العمل الصالح.[١٦٤]

حينما يحلل هذه الوجوه، يفهم أن أصل مادة"لبس" يدل على مخالطة ومداخلة. جاء الوجه الأول على أصل مادة اللفظ. غلب إطلاق لفظ اللباس على الثياب الملبوسة، فصار شيوع هذا المعنى أشبه بأن يكون أصل المادة. أما في الوجه الثاني والرابع، يعود مدلول اللفظ إلى أصل المادة التي تدل على الاختلاط، وهو أكثر ملاصقا بالمدلول المشهور في المادة، وهو اللباس.

الفصل السابع: الاتجاه اللغوي : مصادره الهامة

المصادر جمع مصدر، والمصدر ما يصدر عنه الشيئ[١٦٥]. مصادر التفسير اللغوي هي الكتب التي موضع له ، وعنها يصدر. من أهم مصادر التفسير اللغوي ما يلي:

١-المصدر الأول: كتب التفسير

٢-المصدر الثاني: كتب معاني القرآن

---

[١٥٧] هارون الأعور، الوجوه والنظائر،ص:٤٣

[١٥٨] البقرة:١٨٧

[١٥٩] الفرقان:٤٧

[١٦٠] النبأ:١٠

[١٦١] الأعراف:٢٦

[١٦٢] الدخان: ٥٣

[١٦٣] الأعراف: ٢٦

[١٦٤] السيوطي،الإمام جلال الدين عبد الرحمن، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، دار الكتب العلمية،بيروت، ط: ١، ١٤٠٣ ص:١٠٥

[١٦٥] إبراهيم أنيس،المعجم الوسيط، ،مجمع اللغة العربية،ممكتبة الشروق الدولية (ص:٥١٠)

٣-المصدر الثالث: كتب غريب القرآن

٤-المصدر الرابع: كتب معاجم القرآن

٥-المصدر الخامس: كتب أخرى لها علاقة بالتفسير اللغوي

تختلف هذه المصادر في عرض التفسير اللغوي. ولذا تتجلى في هذه المصادر الاتجاه اللغوي حسب مناهج المؤلفين في التأليف.

أولا: كتب التفسير

تعتبر كتب التفسير أهم مصادر التفسير اللغوي، وأقوم وسيلة لفهم الاتجاه. قد بدأت كتابة التفسير من القرن الأول، برزت أعلام من المفسرين، كسعيد بن جبير (ت:٥٤) ومجاهد بن جبر (ت:١٠٤)، توالت كتابته إلى القرن الرابع،ومن أعلام المفسرين في هذا القرن محمد بن جرير الطبري(ت:٣١٠)،ومحمد بن ابراهيم بن المنذر(ت:٣١٩).

يمكن لمن يريد الاستفادة من كتب التفسير اللغوي أن يميز منها الاتجاه اللغوى لأنه يتجلى في طريقة عرض المفسر، وقلته وكثرته، ومدى استفادة المفسر من لغة العرب في بيان معاني كلام الله سبحانه وتعالى. قد شارك العلماء في علم التفسير وقاموا بدور فعال في إبراز الاتجاه اللغوي والبلاغي. الدكتور مساعد الطيار يشير إلى هذه الحقيقة في كتابه"التفسير اللغوي للقرآن الكريم."لما شارك في علم التفسير علماء برزوا في علم من العلوم التي تحددت معالمها، كعلم النحو، وعلم البلاغة، وعلم الفقه، وغيرها، صبغوا تفاسيرهم بهذه العلوم التي برزوا فيها، كما فعل الزمخشري(ت:٥٣٨) في تفسيره: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل الذي صبغه بالاتجاه البلاغي"[١٦٦]

جدير بالذكر ثلاثة كتب من التفاسير اللغوية، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري(٣١٠)، والجامع لعلم القرآن، للرماني(ت:٣٨٢)، والمحرر الوجيز،لابن عطية(ت:٥٤٢). كتب التفسير في هذا النوع كثيرة. من الواضح أن في كل كتب يسلك المفسر، ويعرض صور التفسير اللغوي ويبرز الاتجاه الذي يرشد إلى فهم معنى التعبيرات القرآنية.

[١٦٦] الدكتور مساعد سليمان الطيار،التفسير اللغوي للقرآن الكريم،دار ابن الجوزي، ص:١٨٤

ثانيا: كتب معاني القرآن

كتب معاني القرآن هي أبرز طريقة فهم الاتجاه اللغوي، لأنه يعد من أعظم مصادر التفسير اللغوي. المراد بمعاني القرآن، كما عرفه الراغب(ت:بعد ٤٠٠)" المعنى: إظهار ما تضمنه اللفظ. والمعنى يقارن التفسير، وإن كان بينها فرق".[١٦٧] لها معنى اصطلاحي،أي أن هذه الكتب تتناول فيه مباحث في العربية تخرج عن مفهوم (المعاني) اللغوي، توجد فيه كثيرا المباحث النحوية التي تكاد تطغى على بعض الكتب، والمباحث الصرفية ، والاشتقاقية وغيرها. يمكن لمن شاء أن يستخرج الاتجاه اللغوي من هذه المباحث عن طريق كتب معاني القرآن الكريم.

تعتبر كتب معاني القرآن من أوائل كتب اللغويين . إن اللغويين شاركوا مشاركة مباشرة في علم التفسير. قد نسب إلى أبان بن تغلب (ت: ١٤١) كتاب معاني القرآن الكريم، فإنه يعد أول كتاب في معاني القرآن الكريم. قد سبق الدرس النحوي في الدرس اللغوي. كانت بداية تعلم النحو وتعليمه والكتابة فيه ظاهرة في أول عهد التابعين. قد أجمع الباحثون على أن أبا الأسود الدؤلي كتب فيه وقام بتعليم تلاميذه. أما البحث اللغوي قد ظهر في عهد أتباع التابعين، وكان في مقدمتهم أبان بن تغلب، وأبو عمرو بن العلاء(ت:١٤٥)، والخليل بن أحمد (ت: ١٧٥) وغيرهم. علم إعراب القرآن هو يضم إلى علم معاني القرآن الكريم . خير مثال لذلك تأليف النحاس حيث جعل كتابا لمعاني القرآن، تناول فيه المؤلف تفسير المعانى والغريب وأحكام القرآن والناسخ والمنسوخ عن المتقدمين من الأئمة. يورد المؤلف فيه من القراءات بما يحتاج إلى تفسير معناه، وما احتاج إليه المعنى من الإعراب، وبما احتج به العلماء في مسائل سأل عنها المجادلون، وبيان فيه حذف، أو اختصار، أو إطالة لإفهامه، وما كان فيه تقديم أو تأخير، شرح ذلك حتى يتجلى الاتجاه اللغوي في هذه الحقول. قال النحاس(ت: ٣٣٨) في قوله تعالى: "﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ﴾[١٦٨]: فأنزلوا منزلة من اتجر، لأن الربح والخسران إنما يكونان في التجارة، والمعنى: فما ربحوا في تجارتهم، ومثله قول العرب: خسر بيعه، لأنه قد عرف المعنى"[١٦٩]

يستفاد في ضوء هذا القول أن معاني القرآن تتطلب البحث اللغوي في بيان المراد في القرآن . إن معاني القرآن مصطلح يقصد به " البيان اللغوي لألفاظ والأساليب العربية الواردة في القرآن الكريم. يتضح باستقراء كتب معاني القرآن أن معاني في التعبيرات القرآنية واضحة عن طريق المنحى اللغوي للتفسير.

[١٦٧] تحقيق: صفوان داوودي، مفردات ألفاظ القرآن، دار الثقافة، (ص:٥٩١)

[١٦٨] البقرة: ١٦

[١٦٩] نحاس، تحقيق محمد الصابوني، مهاني القرآن، دار التراث الإسلامي، (١: ١٠٠، ١٠١)

يتحقق ذلك ببيان غريب الألفاظ، أو تقدير المحذوف والمضمر،أو تخريج مشكل الخطاب القرآني على الأسلوب العربي، أو تحليل تركيب الجملة لبيان المعنى. إذا يبحث عن طريقة كتابة المؤلفين في معاني القرآن الكريم ،سيجد المناهج المتبعة التي يستخرج منها الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية عاما وفي التفسير خاصا.

ثالثا: كتب غريب القرآن

كلمة" الغريب" معناها لغويا، كما ورد في كتاب العين: الغريب: الغامض من الكلام.[١٧٠] يراد به يكون الكلام بعيدا عن الفهم والإدراك. يراد بغريب القرآن اصطلاحيا أنه تفسير ألفاظ القرآن تفسيرا لغويا، وقد يكون هذا التفسير مدعوما بالشواهد العربية، ويستشهد بها، وقد يكون خاليا من الشواهد، وهو الأكثر.

لم يظهر كتاب مجرد لغريب القرآن في عهد الصحابة والتابعين، وإنما ظهر في عهد أتباع التابعين. كان ابتداء التأليف في علم غريب القرآن في النصف الثاني من القرن الثاني، أي في عهد أتباع التابعين. يعد كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري (ت:٢١٠) أول كتاب مطبوع من كتب غريب القرآن.

قد عرف الدكتور أحمد مطلوب المجاز في كتابه المشهور"معجم المصطلحات البلاغية وتطورها"قائلا: المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له حقيقة. "[١٧١] أما المؤلف أبوعبيدة أوضح مفهوم المجاز أنه ما يجوز في لغة العرب من التعبير عن الألفاظ والأساليب. ولذا ألف أبو عبيدة كتاب مجاز القرآن"بوجهة خاصة. يستفاد من مراد تأليفه اتجاهه اللغوي. قد بين الدكتور مساعد الطيار هذا الإتجاه في كتابه."لقد كانت وجهة أبي عبيدة (ت: ٢١٠) في كتابه (مجاز القرآن) واضحة حيث أراد تفسير القرآن تفسيرا عربيا، لذا اعتمد الشواهد الشعرية في بيان معاني القرآن في كثير من المواطن. وقد يكون سبب هذا الاتجاه عنده ما يحكى من وجود المعرب، فأراد أن يبين أن القرآن عربي، وليس فيه مدخل للغة غيرها."[١٧٢]

قد أكد أبو عبيدة على تأصيل مفهومي في تحقيق المفردات بنفي وجود ألفاظ بغير لغة العرب في القرآن. قال الله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[١٧٣] ولذا يثبت أن من زعم عن وجود اللفظة غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن "طه"

[١٧٠] الخليل بن أحمد، كتاب العين،مادة (غرب)، دار ومكتبة الهلال، ج:٤، ص: ١١٤

[١٧١] د حمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الدار العربية للموسوعات، (ص،(:١٩٣-٢٢٠)

[١٧٢] د. مساعد الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم،دارابن الجوزي،ص:٣٣٦

[١٧٣] الشعراء:١٩٢-١٩٥

بالنبطية، فقد أكبر، وان كان معناه غير معلوما،فلا بد أن يقول هو افتتاح كلام، وهو اسم للسورة وشعار لها.

قد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه، ومعناهما واحد، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها، فمن ذلك الاستبرق بالعربية، وهو الغليظ من الديباج، والفرند، وهو بالفارسية: إستبرق وكوز ، وهو بالعربية: جوز، وأشباه هذا كثير. خلاصة القول أن المؤلف لكتاب مجاز القرآن يتجه في بيان ألفاظ قرآنية إلى اعتماد على أصالتها مع الشواهد الشعرية.

رابعا: كتب المعاجم اللغوية

المعاجم اللغوية قسمان. الأول: كتب اعتمدت على الموضوعات اللغوية. تختص بجمع الألفاظ اللغوية التي تتعلق بموضوع واحد من الموضوعات اللغوية،ككتاب الأضداد لأبي حاتم السجستاني (ت:٢٥٥)، وكتاب الأنواء لابن قتيبة (ت:٢٧٦). الثاني: كتب اعتمدت على الحروف الهجائية في ترتيب أبوابها مع اختلافها في طريقة ترتيبها. مثلا كتاب العين لخليل بن أحمد (ت: ١٧٥) وكتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني (ت:٢٢٠)، وكتاب تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهرى وغيرها.

حينما يحلل المباحث اللغوية في كتب المعاجم التي ذكرت هنا ، فيستفيد منها الاتجاه اللغوي باعتبارها مصدرا هاما من المصادر للتفسير اللغوي. هنا جدير بالبحث ما ورد في كتاب العين من تفسير ألفاظ قرآنية . تتجلى فيها منهج المؤلف في التفسير الذي يتشابه بكتب غريب القرآن فيه مباحث اللفظ القرآني، ثم يبين معناه في لغة العرب. من صور هذا التفسيرما يأتي:

١- بيان معنى اللفظة القرآنية دون ذكر شاهد عليها: قوله "المهطع" أي المقبل ببصره على الشيء لا يرفعه عنه. قال الله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾[١٧٤]

٢-الاستشهاد بالشعر على معنى اللفظة القرآنية : لقد كان الاستشهاد بالشعر قليلا في كتاب العين. يورد المؤلف الكلمات القرآنية لبيان معناها في لغة العرب، ومن أمثلة الاستشهاد بالشعر ما يلي: قال: "وكبر كل شيء: عظمه وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾[١٧٥] يعنى عظم هذا القذف. ومن قرأ كبره، يعنى إثمه وخطأه. قال علقمة:

[١٧٤] ابراهيم: ٤٣

[١٧٥] النور:١١

بدت سوابق من اولاه نعرفها وكبره في سواد الليل مستور[١٧٦]

٣-تفسير ألفاظ قرآنية دون ذكر الآية: يكثر في كتب المعاجم بيان معانى ألفاظ قرآنية دون ذكر الآية التي ورد فيها هذا اللفظ. ومن الأمثلة، قال عقدة النكاح، وجوبه ، وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾[١٧٧]

٤- توجيه القراءات: كل كتاب في مفردات اللغة العربية حافلة بتوجيه القراءات.حينما تختلف القراءات تتباين معانيها،كما ذكر في كتاب العين. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ﴾[١٧٨]أي مستعدون. ومن قرأ "خدران" فمعناه: إنا نخاف شرهم.[١٧٩]

خامسا: كتب أخرى لها علاقة بالتفسير اللغوي

بعض الكتب التي تستحق أن تعتبر مصادر التفسير اللغوي ، وهي تتعلق بالعلوم التي تستفاد منها الاتجاه اللغوي. أهم منها ما يلى:

١-كتب غريب الحديث
٢-كتب الاحتجاج للقراءات
٣-كتب شروح دواوين الشعر
٤- كتب الأدب

ا) كتب غريب الحديث : هي تعد من أهم المصادر التي يستخرج منها الاتجاه اللغوي، لأن العلماء في غريب الحديث كتبوا فيه بحثا عن دلالة الكلمة والاستشهاد لها بكلام العرب من شعر أو نثر. من العلماء البارزين في هذا الفن، النضر بن شميل (ت:٢٠٣) وقطرب (ت:٢٠٧) وأبو عبيدة (ت: ٢١٠) وغيرهم من علماء اللغة. يفهم من كتاب غريب الحديث لأبي عبيدة بحثا لغويا في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾[١٨٠] قال الحربى: (ت: ٢٨٥) "أخبرنى أبو عمر، عن الكسائى قرأ ابن عباس

[١٧٦] الخليل بن أحمد، كتاب العين،دار ومكتبة الهلال: م:٤،ص: ٣٦١
[١٧٧] البقرة: ٢٣٥
[١٧٨] الشعراء:٥٦
[١٧٩] الخليل بن أحمد، كتاب العين، دار ومكتبة الهلال:٣:١٩٩
[١٨٠] الأنبياء ٩٨

حضب، وقرأ علي حطب ، والفراء حصب، ويقال حصب جهنم وحضب. والحضب والحصب ما حصبت به النار. وأخبرنا سلمة عن الفراء ، الحضب كل ما هيجت به النار وأوقدتها به، فهو حضب. [١٨١]

٢)كتب الاحتجاج للقراءات : الاحتجاج للقراءة أهم شيئ في بيان وجه كلام العرب. يقصد بالاحتجاج للقراءة في القرآن تخريج ما جاء فيه، وقد يكون بيان طريقة أداء، أو تعريف كلمة ، أو إعراب، أو بيان معنى. حينما تختلف القراءة، تختلف النطق والإعراب. فيكون البيان والمعنى حسب هذا النطق والإعراب.

حينما يريد في الآية قراءتين مختلفتين في النطق، ويكون لكل واحدة منهما معنى يخالف معنى القراءة الأخرى. ولذا اهتم العلماء بالاحتجاج للقراءة أكثر اهتماما في كتب التفسير ومعاني القرآن وغريبه وغيرها. من هؤلاء العلماء أبو منصور الأزهري (ت:٣٧٠)، وابن خالويه (ت:٣٧٠) وأبو على الفارسي (ت:٣٧٧) وابن جني (ت:٣٩٢). "مثلا قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[١٨٢] حيث قرئت بالضاد وبالظاء،قال ابن خالويه " قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي " بظنين" بالظاء أي بمتهم، يقال بئر ظنين أي إذا كان لا يوثق بها. قرأ الباقون (ضنين) بالضاد أي ببخيل ، أي ليس بخيل بالوحي بما أنزل الله من القرآن فلا يكتمه أحدا. يقول العرب، ضننت بالشيء أضن به إذا بخلت به "[١٨٣]. قد أورد قعنب بن ضمرة الغطفاني بيتا من شواهد الكتاب لسيبويه لهذا القول:

مهلا أعاذل قد جربت من خلقي إني أجود لأقوم وإن ضنوا [١٨٤]

يلاحظ مما سبق أن كتب الاحتجاج للقراءات فيه إيضاحات من التفسيرات اللغوية. هذه التفسيرات مستمدة من توجيه القراءات التي أدت إلى تفسير بعض الألفاظ القرآنية . يمكن الاستفادة في ضوء هذه التعبيرات اللغوية الاتجاه اللغوي وأبعاد مفهومه في التفسير. إن لم يكن فيه خلاف في القراءة ، لا تختلف المعاني في شرح المفردات وبيان مقصوده.

٣-شروح دواوين الشعر: إن الأشعار وشروحها تعين المعاني المقصودة في كلام العرب. ولذا لا يمكن أحد أن ينكر تأثيرها في تحقيق المفردات العربية. قد اعتمد اللغويون على دواوين الشعر مصدرا هاما في بيان معاني الألفاظ. إنهم يأخذون أصول معانيها بتحقيق ألفاظ الشعر وبيان معانيها. إن الألفاظ القرآنية

[١٨١] الحربي، ابراهيم بن اسحاق، غريب الحديث، جامعة أم القرى، ج:٢، ص: ٤٦٧، ٤٦٨

[١٨٢] التكوير ٢٤

[١٨٣] اعراب القراءات السبع وعللها (٤٤٦:٢)، ينظر: الحجة للقراءات السبع لأبي على الفارسي(٣٨١/٦، ٣٨٠)

[١٨٤] منقول من كتاب لسيبويه، بيت من شعر قعنب بن ضمرة الغطفاني (١:١١)

مشروحة قليلة لأنها ليست الأصل في الشرح، بل ترد استطرادا عند ذكر لفظ الشاعر المشروح ومن أمثلة ذلك في قول ذي الرمة (ت: ١١٧)

هل تعرف المنزل بالوحيد ثغراء عفاه أبد الأبيد

قال شارح الديوان أحمد بن نصر الباهلي، الوحيد : المكان، والأبد : الدهر، قال دهر الدهور، عفاه، درسه. عفا في غير هذا الموضع: زاد، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾[١٨٥] أي كثروا

في قول ذى الرمة

لبس بين أقوام فكل أعد له السفارة المحال

السفارة: الصلح بين القوم، يقال: سفر يسفر سفارة، ويروى الشغازب أي الكيد والخصومة والمحال: الجدال، قال الله تعالى﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾[١٨٦] أصله المكاظة والأخذ بالنفس"[١٨٧]

هكذا كثير من الأمثلة ، وهي التي تدل على شروح دواوين الشعر بأسلوب كتب معاجم اللغة وكتب تمتاز بأسلوب غريب القرآن. كل هذا تحتل أهم مصادر الاتجاه اللغوي، وهي من الكتب التي لها علاقة بالتفسير اللغوي.

٤-كتب الأدب: تشتمل كتب الأدب على عدة مصنفات ككتاب الأمالى، وكتب مجالس العلماء و كتاب البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥)، والكامل في الأدب لمحمد بن يزيد المبرد (ت: ٢٨٨)

قال عمرو بن بحر الجاحظ (ت:٢٥٥) وأنشد للحارث بن حلزة

لا اعرفنك إن أرسلت قافية تلقى المعاذير إن لم تنفع العذر

معنى المعاذير هنا غير معنى قول الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾[١٨٨] المعاذير هنا الستور[١٨٩]

[١٨٥] الأعراف: ٩٥

[١٨٦] الرعد: ١٣

[١٨٧] أبو نصر الباهلي، شرح ديوان ذي الرمة،ص: ١٥٤

[١٨٨] القيامة: ١٥، ١٤

[١٨٩] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون (ص:٢: ١٠٦)

توجد كثير من المباحث في كتب الأدب، خصوصا عن شرح المفردات والأسلوب في التفسير اللغوي. يستفاد من هذه الكتب إشارات لاستخراج الاتجاه اللغوي من النصوص اللغوية في ضوء المباحث الأدبية.

الفصل الثامن : مساهمات العلماء الهنود في الدراسات القرآنية والتفسير

علاقة الهنود بالعرب

إن اللغة العربية لها أهمية كبرى لكونها لغة القرآن الكريم ولغة الأحاديث النبوية واللغة التي تؤدي فيها المناسك والعبادات في حياة المسلم. لذلك اهتم المسلمون عربا وعجما خالص الاهتمام بتعليم هذه اللغة المباركة. جدير بالذكر ما اهتم المسلمون الهنود بالدراسات القرآنية كل الاهتمام إلى أن يكونوا متفوقين في تعليمها وترويجها. كما بذلوا جهودا مكثفة لتأليف الكتب العلمية. قد مهدت علاقة العرب بالهند عن طريق التواصل التجاري جوا ملائما لظهور العباقرة الفذة في فنون اللغة وعلومها.

كانت الهند معروفة لدى العرب منذ أمد بعيد. قد بدأ التواصل التجاري بين العرب والهند منذ قديم الزمان. قد حافظت على ذلك كلتا الأمتين،فحظيت العلاقات الثقافية بين الهند والعرب بالاهتمام نفسه. عندما بدأ تدوين العلوم شهدت المنطقتان تطورا بارزا في علاقات التواصل التجاري والتبادل الثقافي التي ربطت بينهما. صارت الهند تعتز بتراثها الثقافي الإسلامي والأدبي،فخلف لنا العلماء الهنود آثارا لا يستهان بها، في كل مجال من مجالات الأدب العربي والعلوم الإسلامية. إن للهند إسهامات علمية جليلة في آداب اللغة العربية لا يوجد لها نظير في أي بلد آخر خارج العالم العربي. فشهدت الهند على مر العصور لنهوض المفسرين والمحدثين والفقهاء والأدباء والشعراء من أرض الهند،وهم عرفوا بفصاحة اللسان العربي المبين. قاموا بأدوار رائعة في مجالاتهم المتخصصة لا يمكن أن ينكرها أحد من المؤلفين في تاريخ الأدب العربي والثقافة الإسلامية.

الآثار العلمية للهنود في مجال التفسير

تأثر المسلمون في الهند بعادات الحياة العربية تأثرا ملحوظا. لما كانت بعض مناطق الهند خاضعة للحكم الأموي والعباسي في القرنين الثاني والثالث، فأقبلوا على استخدام اللغة العربية ليقضي الحاجات في حياتهم. على إثر ذلك راجت اللغة العربية في هذه البلاد كلغة علمية مع أنهم يستخدمون اللغة الهندية والفارسية ثم الأردوية كلغة محلية. برز كثير من العلماء الأجلاء،ساهموا في خدمة الإسلام وعلومه مساهمة جليلة من خلال التصنيف والتأليف، وتركوا فيها آثارا علمية خالدة. قد بدأت النشاطات القرآنية في شبه

القارة الهندية دراسة وفهما وتفسيرا وتعليما منذ دخول الإسلام فيها. أنشئت في مختلف مناطقها الحلقات القرآنية، خصوصا مدارس تحفيظ القرآن الكريم منذ فترة مبكرة.

كانت مساهمة علماء الهند في تفسير القرآن الكريم تقتصر في البداية على دراسة بعض التفاسير فقط،مثل "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" للنسفي و"أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للبيضاوي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله و"الجلالين" لجلال الدبن المحلي وجلال الدين السيوطي و"الكشاف" للزمخشري أبي القاسم محمود وغيرها من التفاسير المشهورة. هذه المساهمات العلمية للهنود في مجال التفسير جديرة بالبحث والمناقشة. نظام الدين حسن بن محمد حسين الشافعي هو أول مفسر القرآن الكريم باللغة العربية في الهند،كتابه مشهور "غرائب القرآن ورغائب الفرقان"وقد تمت كتابته في دولت آباد الدكن. أما الآخرون من العلماء البارزة الذين اشتهروا بإسهاماتهم الجليلة في مجال التفسير،هم أبوبكر إسحاق بن تاج الدين الحنفي ومحمد بن أحمد الكجراتي وعلاء الدين المهائمي الشافعي صاحب كتاب "تيسير المنان في تفسير القرآن" والقاضي شهاب الدين بن شمس الدين الدولت آبادي الملقب"ملك العلماء" عند سلطان جونبور وغيرهم. يوجد الاتجاه التقليدي سائدا في الهند حتى القرن السابع الهجري. ثم اتجه بعض علماء الهند أن يفسر القرآن بالعربية حيث برزت حركة تفسير القرآن الكريم في هذه البلاد واستمرت نشاطاتها وازدهرت مع مرور الزمن في اللغات العربية والفارسية والأردوية. نتيجة لتلك الجهود تكونت مكتبة عظيمة تحتوي على التفاسير التي ألفت بالعربية.

من الملاحظ أن الهند مخزن العلوم والفنون نبتت من أرضها أزهار عطرة مختلفة الألوان انتشرت ريحها في كل بقعة من بقع العالم. إنما يدل على نجابة أمة وصلاحيتها للبقاء نبوغ العباقرة في أصناف العلوم وأنواع الفنون. قد إزدانت صفحات تاريخ المسلمين القدماء بالجهود المكثفة التي بذلوها لنموً الثقافة الإسلامية ونشر اللغة العربية في الهند. من الحقائق التي لا غبار عليها أن الهند قد أنجبت رجالا كبارا كانت لهم علو كعب في العلوم القرآنية وعلم التفسير. إنهم خدموا هذه اللغة بنشر العلوم القرآنية تدريسا وتأليفا وبحثا. فنالت مؤلفاتهم رواجا واسعا ليس في الهند فحسب، بل في العالم كله. كان العلماء الأفذاذ الهنود نسجوا على منوال المفسرين العباقرة أمثال الطبري والبيضاوي والرازي والزمخشري والشوكاني في تفسير القرآن الكريم . إنهم نهجوا منهج هؤلاء المفسرين، فتمكنوا أن يتقن في اللغة العربية و علومها وآدابها كما قاموا بإسهامات علمية ضخمة. هنا جدير بالذكر أسماء العلماء الهنود، منهم العلامة التهانيسري، والشيخ مخدوم علي المهائمي ، وأبو الفيض فيضي،ونواب صديق حسن خان القنوجي، والقاضي ثناء الله الباني بتي، والشيخ ثناء الله الأمرتسري، والعلامة حميد الدين الفراهي رحمهم الله تعالى. لكن تاريخ بداية هذا العلم

على وجه التحديد غير معلوم. أما القول المرجح لمحمد عارف أعظمي عمري في كتابه"تذكره مفسرين هند"." إن "كاشف الحقائق وقاموس الدقائق" هو أول تفسير كامل باللغة العربية للقرآن الكريم ألفه عالم هندي وهو الشيخ محمد بن أحمد شريحي التهانيسري الكجراتي من علماء عهد السلطان غياث الدين بلبن. وكان من معاصري العلامة البيضاوي (٦٨٥هـ/١٢٨٦م) واعتمد في تفسيره منهج البيضاوي حيث يتدرج من التفصيل إلى الاختصار."[١٩٠]

التفاسيرالعربية الهامة التي ألفها العلماء الهنود

١- تفسير ملتقط لسيد محمد غيسودراز

٢-تبصير الرحمان وتيسير المنان للشيخ علاء الدين علي بن أحمد المهائمي

٣-منبع عيون المعاني ومطلع شموس المثاني للشيخ مبارك بن خضر الناغوري

٤-سواطع الإلهام لصاحبه أبي الفيض فيضي

٥-أنوار الأسرار في حقائق القرآن للشيخ عيس بن قاسم السندهي

٦-زبدة التفاسير للشيخ معين الدين الكشميري

7-ثواقب التنزيل للشيخ علي أصغر القنوجي

٨-قران القرآن بالبيان الشيخ كليم الله جهان آبادي

٩-فتح البيان في مقاصد القرآن للنواب صديق حسن خان القنوجي

١٠-تفسير مظهري للقاضي ثناء الله الباني بتي

١١-تفسير القرآن بكلام الرحمن للشيخ ثناء الله الأمرتسري

١٢-تيسير التفسير للشيخ محمد هاشم الحسيني

١٣-تفسير القرآن للملا شاه البدخشي

١٤-نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان لمولانا حميد الدين الفراهي

لقد اتسع إنتاج علماء الهند في التفسير وانفتح على اتجاهات ومدارس تفسيرية مختلفة. يعتبر "فتح البيان" للقنوجي في التفسير بالمأثور، و"تفسير القرآن بكلام الرحمن" للأمرتسري في تفسير القرآن، كتاب "دلائل النظام" لعبد الحميد الفراهي في نظام القرآن وعلاقات الآيات والسور و"البحر المواج" لشهاب الدولة آبادي في العناية بالأدب والتراكيب النحوية من التفاسير الهامة التي ألفت بأقلام العلماء العباقرة. ثم تنوعت لغات

[١٩٠] محمد عارف أعظمي تذكره مفسرين الهند، عمري،ج ١، دار المفسرين شبلي اكيدمي، ص ٢-٣ نفلا عن تطور علم التفسير في الهند، مقال البروفسير زبير أحمد الفاروقي، ص ١٥

التفسير ولهجاته ،كما ألف"التفسير المحمدي"في اللغة العربية و"تفسير جهانكيري" في اللغة الفارسية، وجل التفاسير الهندية كتبت في اللغة الأردية مثل "الإكسير العظيم". خلاصة القول أن حركة التفسير بدأت في القرن السابع الهجري بتفسير واحد، ثم أخذت تنمو حتى بلغ عدد في القرن الحادي عشر ١٩ تفسيرا، وفي القرنين التاليين ألفت عشرات التفاسير التي أوضحها صاحب نزهة الخواطر.

الباب الثالث:

الإمام عبد الحميد الفراهي: حياته و آثاره

الفصل الأول: ولادته وأسرته

الفصل الثاني: عصره ونشأته

الفصل الثالث: دراسته ووظائفه

الفصل الرابع: أخلاقه وصفاته

الفصل الخامس: نظرياته وإصلاحاته

الفصل السادس: مؤلفاته وأسلوبه

الفصل السابع: آثاره في الشعر العربي

الفصل الثامن: وفاته وثناء العلماء عليه

الباب الثالث
الإمام عبد الحميد الفراهي: حياته و آثاره
(١٢٨٠ هـ - ١٣٤٩هـ)

الإمام عبد الحميد الفراهي هو أحد أفذاذ العلماء الهنود البارزين. كانت شخصيته الجامعة بين علوم الشرق والغرب، تتجلى عبقريته في كل فن من فنون اللغة العربية وفي كل فرع من فروع الأدب العربي. هو من نوابغ العلماء الذين لهم حظ وافر وفضل كبير في نشر علوم القرآن وإيقاظ الفكر الإسلامي. لقيه العلامة الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي قبل وفاته بسبع سنوات، فوصفه في مذكراته بأنه "نادر في علماء العرب فضلا عن علماء الهند".قد كانت له جولات وصولات في اللغة والأدب، ونظرات ثاقبة في أفكار لغوية، وإليه ينتهى فقه العربية، فكان فيه السابق المبرز والجواد المبر. لقد تجلت عظمته في تدبر القرآن ومدارسته،فبلغ في علمه شأوا لم يبلغه إلا قليل من أهل العلم. يقول أبو الحسن البيهقى"ومن نظر في تصانيفه علم أنه لاحق سبق السابقين"[١٩١]. لقد اعترف الكثيرون من كبار علماء الهند والعالم الإسلامي بما كانت تتمتع به شخصية الفراهي من غزارة علم، وسعة اطلاع، وأثنوا عليه كعالم القرآن وعلومه. كما ذكر العلامة سليمان الندوي في ترجمته عن الفراهي" كان عالما عبقريا في الهند في عصره الذي برع في العلوم النقلية والعقلية و نبغ في اللغات الشرقية والغربية، ودرس علوم الغرب وآدابه باللغة الإنكليزية دراسة الناقد البصير، لكن العلم الذي غلب عليه هو علم القرآن، الذي بلغ فيه منزلة عالية، لم يبلغه إلا قليل من أهل العلم، فلقبه معاصروه ب"ترجمان القرآن"،فكان لسانه ينبغ علما بالقرآن،وصدره يتدفق بحثا عن مشكلاته،وقلمه يجرى كشفا عن معضلاته.[١٩٢]. يحتوي الباب الثالث على ترجمة حياة الفراهي مع بيانات عن ولادته وأسرته ونشأته ودراسته ووظائفه وأخلاقه ونظرياته وإصلاحاته ومؤلفاته وأسلوبه وآثاره الشعرية ووفاته وثناء العلماء عليه، ويرتبها الباحث في الفصول الثمانية .

[١٩١] منقول من كتاب معجم الأدباء، ألفه ياقوت الحموي،نشره دار الغرب الإسلامي، المجلد:٤،ص:١٧٣٧

[١٩٢] الندوي، سيد سليمان، ترجمة عن الفراهي في مقدمة كتاب "الإمعان في أقسام القرآن"، دار القرآن، الكويت، ١٩٨٠م، ص: ١٧

الفصل الأول: ولادته وأسرته

ولد الفراهي في قرية "فريها" صباح يوم الأربعاء سادس جمادى الآخرة سنة ١٢٨٠هـ في أسرة طيبة معروفة بنسبها وعلمها ومكانتها الاجتماعية. كانت أعضاء أسرته من أعيان المنطقة ووجهائها. ولذلك استطاع أن ينشأ ويترعرع في بيئة رفاهية وحال نعيم ورخاء.

اسمه

هو عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي،حميد الدين،أبو أحمد، الأنصارى الفراهي. وقد ذكر العلامة السيد سليمان الندوي في ترجمته إلى أن اسمه الحقيقي"حميد الدين"، ولكن هذا الاسم يذكر في العربية لقبا فيه تعاظما ، فسمي نفسه في أول مصنفاته العربية "عبد الحميد". عبد الحميد هو الاسم الحقيقي الذي سمي به بعد ميلاده، وظل معروفا به حسب الشواهد الموجودة إلى سنة ١٣٠٦هـ إذ كان عمره ٢٦ سنة.

وللشيخ محمد المهدي أيضا قصيدة بالفارسية بمناسبة زواج الفراهي في ١٧ رجب سنة ١٢٩٩هـ و سماه في عنوانها"عبد الحميد". كتب الفراهي رسالة إلى والده من لاهور، حينما كان يدرس على العلامة فيض الحسن السهارنفوري عام ١٣٠٠هـ أو قبله،كتب اسمه "عبد الحميد" واسم أخيه "عبد الرشيد".[١٩٣] توجد في خزانة كتب الفراهي نسخة خطية من مثنوي جلال الدين الرومي (الدفتر الأول) ذكر الفراهي في آخرها بالفارسية أنه اشتراها سنة ١٣٠٦هـ، ثم كتب اسمه مركبا هكذا :محمد عبد الحميد أنصاري يسر عبد الكريم أنصاري".هذه النسخة محفوظة في مكتبة مدرسة الإصلاح. والجدير بالذكر أن هذا الاسم المركب هو الذي صدر به أول كتبه سنة ١٨٩١م. قد غلب "حميد الدين" على "عبد الحميد" وخاصة بعد ما ثبت في أوراقه الرسمية، وصار مشهورا به وأكثر شيوعا على ألسنة أهل الفارسية والأردية. ثم أخد الفراهي نفسه يذكر في كتاباته التي صدرت في اللغة الأردية والفارسية بهذا الاسم. أما معظم مؤلفاته في اللغة العربية أثبت عليه اسمه "المعلم عبد الحميد الفراهي". إن الإمام الفراهي آثر اسمه الأول"عبد الحميد" على الاسم الثاني"حميد الدين" لأن هذا الاسم في العربية من ألقاب المدح والتعاظم، فتجنب الفراهي ورعا وتواضعا كما أشار إليه العلامة السيد سليمان الندوي.

[١٩٣] الاإصلاحي ،شرف الدين، د. الفراهي حمد الله، مكاتيب الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، ١٩٩٤م، ص:١٠

كان عبد الحميد الفراهي مشهورا باسم حميد الدين، يوجد هذا الاسم مكتوبا في وثائقه الذاتية وسجلات المعاهد التعليمية. أما اسمه الحقيقي هو عبد الحميد، ذلك مكتوب على مؤلفاته المطبوعة. أتم العلامة سيد سليمان الندوي كتابة ترجمة حياة الإمام الفراهي، فذكر اسمه فيها "حميد الدين أبو أحمد عبد المجيد الأنصاري الفراهي. قد نشرت هذه الترجمة مع كتاب الإمام الفراهي "الإمعان في أقسام القرآن" وطبعت من القاهرة.

كنيته

كنيته "أبوأحمد" استعملت في أول ديوانه العربي باسم "ديوان أبي أحمد الأنصاري". يقول أمين أحسن الإصلاحي" قد أرسل قصيدة إلى العلامة شبلي النعماني ضمن رسالة غير مؤرخة كتب عنوانها "قصيدة لأبي أحمد الأنصاري". لم يكن من أبنائه من يسمى "أحمد"،فالظاهر أنه قصد بهذه الكنية التعمية على استخبارات الاستعمار البريطاني التي كانت تراقبه لأسباب من أكبرها قصائده العربية في وصف عداء الصليبيين للمسلمين وهجومهم على بلادهم، وتحريض المسلمين على جهادهم.[١٩٤]

نسبته

أما نسبة الأنصاري فقد نص عليها صاحب نزهة الخواطر عبد الحي الحسني والعلامة الندوي، ولكن الفراهي نفسه لم ينتسب إليها في كتاباته إلا قليلا. لعل السبب لاقتصار على نسبة الفراهي ابتعادا مما قد تشم منه رائحة التفاخر بالنسب. أما وجود هذه النسبة في عنوان الديوان العربي بني على الإخفاء والإغماض دون الإعلام والإظهار.

كانت قرية "فريها"مسقط رأسه. وهي من قرى (أعظم كره) أحد أضلاع الإقليم الشمالي في الهند "أتربراديش".صار المؤلف عبد الحميد مشهورا بنسبة إلى قريته"الفراهي".

كانت أسرة الفراهي رحمه الله تنتمي إلى أهل المجد والشرف ،هم أنصار المدينة. يفهم من تاريخ قدوم الأنصار أن أحد منهم جاء إلى الهند، ثم استوطن "باني بت" أولا،ثم انتقل منها "جونفور". بعد ذلك سكن في أعظم كره على إثر مجيئه إلى ولاية أترابراديش . هناك قرية مشهورة باسم "فريها" تقع على مسافة اثني عشر ميلا من أعظم كره،إستقر فيها جد الفراهي لأنه امتلك فيها عقارا. وبعد ذلك صار يكتب اسمه "الفراهي" نسبة إلى هذه القرية مع اسمه حميد الدين.

[١٩٤] الاإصلاحي، أمين أحسن، حياة حميد الدين الفراهي، الناشر: مركز جماعة إسلامية، لاهور بدون تاريخ ص:٦١

الحالة الأسرية

كانت هذه الأسرة اهتمت بالعلم والثقافة والمعرفة كل الاهتمام. كان جده الشيخ قربان قنبر الأنصاري مهاجرا من الأنصار الذين لهم صفات حميدة وخصائل حسنة مثل الكرم والجود والإيثار والإخلاص في شخصيتهم. و بفضل النسب هذا أضيف اسم الفراهي إلى كلمة " الأنصاري". ولكن تاريخ هجرة هذه الأسرة وطبيعتها مجهولة. لا يمكن القول بالدقة في ضوء السند القوي طبيعة هذه الهجرة. لعل هجرته علمية ثقافية أو تجارية مادية.

جده قربان قنبر محامي مشهور في أعظم كره. هو جد العلامة شبلي النعماني من الأم، قد مالت نفسه إلى تدريس ابنه عبد الكريم القانون، لكنه لم يتخذ المحاماة مهنة. كان ثريا وصاحب عقارات،حيث يعيش بكل رخاء وغنى، ورزق ولدين الأكبر منهما عبد الحميد الذي كان معروفا بلقب "الفراهي" نسبة إلى مسقط رأسه "فريها ". ولد الفراهي يوم الأربعاء ٦ جمادى الآخر سنة ١٢٨٠هـ، الموافق ١٨ نوفمبر سنة ١٨٦٣م.

كان جده الشيخ قربان قنبر الأنصاري موهوبا في قرض الأشعار. إنه مدح في أشعاره أهل البيت والأنصار. قد إختار أبياتا في أشعاره أن يذكر صفات الأنصار وأهل البيت بولائهم للرسول ﷺ، فإنما يدل على نزعته الدينية. قد تمكن له أن يأخذ مبادئ العلوم من المناهج العلمية المعروفة في زمنه وتربى على السيرة الحسنة خاضعا لتعاليم الإسلام.

كان أبوه الشيخ عبد الكريم (ت ١٩١٠) مثقفا بالعلوم الدينية ومتقنا في اللغة الفارسية ومعروفا بخلق حسن وذا شخصية متميزة بالورع والتقوى. إنه أيضا اشتغل في إحدى محاكم أعظم كره محاميا ماهرا. اسم أمه مقيمه بي بي،هي التي شجعت الفراهي على التعلم بتربية حسنة.

أما شقيقه الوحيد الحاج الشيخ رشيد الدين تخرج من جامعة عليكره، وهو يعد من المتخرجين الأوائل من هذه الجامعة. إنه قام بخدمة جليلة كناظر مدرسة الإصلاح إلى نهاية عمره. كانت له أخت توفيت في حياته وكتب الفراهي رثاءها بالفارسية.

أما عمه الحاج محمد سليم (ت ١٩٠٦)، يذكر العلامة سيد سليمان الندوي "فقد درس على كبار علماء عصره، و أكمل المناهج الدينية والتعليمية التي كانت رائجة في ذلك الوقت، فتلمذ على الأستاذ المفتي محمد

يوسف الفرنجي محلي والأستاذ القاضي محمد المجهلي الشهري وعلى العالم الشهير عبد الله الغازي فوري[١٩٥]

كانت بين أسرته وأسرة عمته صلات متينة وروابط وثيقة طيبة حتى تكاد تعد بيتا واحدا وكانت أسرة عمته أسرة ثرية علمية ودينية جمعت الكمال الدنيوي والمادي فكان زوج عمته الشيخ حبيب (ت ١٩٠٠م) والد الأستاذ شبلي النعماني رجلا اجتماعيا يتقن اللغة الفارسية والعربية، معروفا لدى الناس بذوقه العلمي والفارسي المصفي وكان محاميا في محكمة إله آباد العالية.[١٩٦]

جدير بالذكر إسم ابن عمته الأستاذ شبلي النعماني (١٨٥٧-١٩١٤) وهو من العلماء البارزين في الهند. كان أديبا ذا قريحة نادرة وأسلوب فريد، كما عرف باحثا محققا مشهورا ومؤرخا إسلاميا معروفا في الهند كلها.

كان زواج الفراهي في ١٧ رجب سنة ١٢٩٩ هـ. اسم زوجته سائره بانو، هي التي قضت مع الفراهي امرأة صالحة، ورزق منها أولاد صالحون.

رزق الفراهي بولدين ذكرين في عام م١٨٩٧،أحدهما معروف باسم سجاد، والثاني بعد سنتين عام ١٨٩٩م اسمه عباد. رباهما تربية دينية، ولم يقدم لهما والد الفراهي التعليم العالي لأنه كان يرى أن التعليم العالي لا يفيد للأبناء، وذلك يبعدهم عن العمل ويوقعهم في الشك في وجود الله. كان لسجاد خمسة أولاد وهم أبو الحسين علي ومحمد رضي ومحمد وصي ومحمد صفي ومحمد ولي، وأما عباد كان له أربعة أولاد وهم محمد ذكي وعبيد الله وسعد الله وحمد الله.

الحالة الاقتصادية

كانت أسرته معروفة بأغنى أسرة في تلك القرية تمتلك عقارات وممتلكات وأراضي واسعة في مواضع متفرقة. إن أسرة الفراهي متمتعة بفضائل دينية وعلمية ودنيوية، ونالت حظا وافرا من الوجاهة الدينية والدنيوية وبرزت سماتها بالغنى والعلم والوظائف المحترمة.

[١٩٥] الندوي، السيد سليمان ،حياة شبلي،دار المصنفين شبلي أكيدمى،أعظم كره، ص:١

[١٩٦] نفس المرجع ص ٣

الفصل الثاني :عصره ونشأته

عصر الإمام الفراهي

العصر الذي يولد فيه الإنسان، والعالم الذي يعاصره ،والوضع الذي يتعايش معه، كل ذلك من العوامل الرئيسية في تشكيل شخصيته الدينية والعلمية والاجتماعية والفكرية. هنا يجدر البحث عن الوضع السياسي والاجتماعي والتعليمي والفكري والديني في عصر الفراهي ليعرف عن شخصيته بجميع نواحيها.

الوضع السياسي: سقطت الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م بعد أن حكمت معظم بلدان العالم الإسلامي قرابة أربعة قرون. أما الهند التي كان يحكمها المسلمون منذ ثمانية قرون . فهي كذلك قد سقطت بيد الاستعمار البريطاني سنة ١٨٥٨م، وانتقلت إلى الحكم البريطاني الذي عاصره الفراهي حتي توفي في عهده. ولذا نشأ الفراهي وأمثاله من علماء الهند بالمقاومة والمدافعة عن مرارة هذا الحكم بكل ما أوتوا في سبيل ذلك من الوسائل المادية والعلمية.

الوضع الاجتماعي: بعد سقوط حكم المسلمين في هذه البلاد، ظهر داء التعصب المذهبي ،وانتشار الجهل، وشيوع الهوى والبدع والخرافات. على إثر ذلك ضعفت القيم الأخلاقية في المجنمع بسبب معايشة المسلمين مع الإنكليز المستعمرين للبلاد. قد واجه الفراهي هذا الوضع الاجتماعي بمحاولة إنقاذ المجتمع الاسلامي من تقليد الغرب، وإرشادهم إلى تعاليم الكتاب والسنة.

الوضع التعليمي: كان زعماء المسلمين في بلاد الهند أدركوا أهمية التعليم في ظل الاستعمار البريطاني. اهتموا بالعلوم الدينية والعلوم العصرية. فأنشأوا مدارس دينية وجامعات إسلامية في مختلف بقاع الهند ليحفظ على هويتهم الدينية. كان من أشهر تلك المدارس والجامعات: دار العلوم الإسلامية بديوبند، ومدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور، ودار العلوم لندوة العلماء بلكنؤ. كما أسسوا مؤسسات وجامعات للتعليم العصري مثل جامعة عليكره الإسلامية بعليكره، والجامعة الملية الإسلامية بدلهي، والجامعة العثمانية بحيدراباد . هذه المعاهد التعليمية لا تزال تلعب بدور كبير في إقامة النهضة التعليمية في بلاد الهند.

الوضع الفكري: شهد الفراهي ما حل بالمسلمين في الهند من الاستعمار الفكري بتخطيط دقيق. قد أوقد هذا الاستعمار الفكري معركة فكرية خبيثة ضد مسلمي هذه البلاد. كان من آثارها السلبية جلب نظام التعليم الغربي في الهند وفرضها على أهلها. على إثر ذلك أنشأوا المدارس الاستعمارية والتبشيرية في كل أنحاء

البلاد. فأقبل الفراهي على مقاومة التعليم الغربي، وتصحيح الأفكار المعادية ضد الإسلام وتعاليمه في هذه البلاد.

الوضع الديني: كان الوضع الديني في عصر الفراهي في تدهور بسبب سقوط حكم المسلمين وخضوعهم للاستعمار البريطاني. نشطت حركات التبشير والتنصير ،كما نشطت محاولات الهندوس في تبليغ دينهم الوثني بين المسلمين. إن المسلمين أيضا عاشوا في ظلمات الجهل والشرك والبدعة. في هذه الحالة الحرجة قام بعض العلماء بتأسيس مدارس دينية في مختلف بقاع البلاد بمهمة نشر الدين الصحيح وتصحيح العقيدة وإصلاح المسلمين. جدير بالذكر مدرسة الإصلاح في بلدة" أعظم كره" التي أشرف عليها الفراهي حتى موته. خرجت هذه المدارس نخبة طيبة من الدعاة والمبلغين والعلماء الراسخين الذين لهم دور بارز في نشر الإسلام في الهند.

مراحل نشأة الإمام الفراهي

نشأ الإمام عبد الحميد الفراهي ملتفتا إلى دراسة علم النظام في القرآن الكريم. يلاحظ ميله إلى هذا العلم بمعرفة مراحل تطور عقله وذهنه في حياته. هي مقسمة إلى أربعة مراحل وهي كما يلى:

المرحلة الأولى: نشأ الفراهي في هذه المرحلة، ونال التعليم الابتدائي، ثم اتجه إلى دراسة اللغة العربية واللغة الفارسية وآدابهما. إستطاع أن يتقن في اللغة العربية والفارسية تحت تربية الأستاذ العلامة شبلي النعماني. وبعد ذلك قام برحلات علمية إلى مدن أخرى لإشباع رغبته في تعلم الأدب. كان مقيما آنذك في لكناؤ ولاهور. أصبح الفراهي سعيدا بلقاء الأستاذ الشيخ فيض الحسن السهارنفورى رحمه الله الذي كان يدرس اللغة العربية في الكلية الشرقية بمدينة لاهور. إنه تلقى كثيرا من الأستاذ فيض الحسن السهارنفورى الذي كان غير مثيل في علم اللغة العربية وآدابها وفقه اللغة في أنحاء الهند كلها. قد استفاد العلامة شبلي نفسه من الشيخ فيض الحسن السهارنفوري. قد تمكن الإمام الفراهي أن يتمهر في فنون اللغة وآدابها بتربية الأستاذ الشيخ فيض الحسن السهارنفورى والعلامة شبلي النعماني. بدأ الفراهي يقرض الأشعار في اللغة العربية والفارسية مع كتابة المقالات. مرة عرض العلامة شبلي بعض قصائدالفراهي أمام الشيخ فاروق الجرياكوتي،فاعترف الشيخ الجرياكوتي بروعة أبياته ولكن لم يمدحه.

المرحلة الثانية: تبدأ المرحلة الثانية لحياة الفراهي بعد قدومه إلى مدينة عليكره. كانت جامعة عليكره الإسلامية مركزا كبيرا للحصول على العلوم الحديثة. ولذا اختار الأثرياء الهنود هذه الجامعة للدراسة العليا في بداية القرن العشرين. لما علم الفراهي عن هذه الجامعة من الأستاذ شبلي ،سافر إليها لدراسة

اللغة العربية في مرحلة البكالوريوس. وحصل الإمام على شهادة البكالوريوس منها مع أنه بذل جهوده لتعلم اللغة الإنجليزية والعلوم الحديثة وخاصة في علم الفلسفة وبرع فيها.

قامت جامعة عليكره الإسلامية بدور بارز في التربية العلمية والثقافية والأدبية. أتيحت له فرصة ثمينة لمصاحبة الأساتذة الأجلاء والباحثين المجتهدين الذين ينتسبون إلى ديانات مختلفة واستفاد من أعمالهم الأدبية في مدة إقامته في عليكره. تعلم اللغة العبرية من الأستاذ البرفيسور يوسف هارديز الذي كان معلما مشهورا للغة الألمانية. عرف الفراهي المناهج الجديدة للدراسة والكتابة التي كانت رائجة في المعاهد الهندية والتي دخلت فيها بعد التواصل بين المعاهد ومعاهد الغرب خلال إقامته في عليكره.

قد اعترف الإمام الفراهي بأن تعلم اللغة العربية وآدابها مع معرفة علم الكتب السماوية ضروري لتيسير فهم القرآن ولتصحيح تفسير الآيات القرآنية. ولذا اهتم الإمام بتأليف الكتب والملاحظات التي تتعلق بعلوم القرآن. قضى الإمام لتعلم اللغة العبرانية في مدة إقامته في عليكره كما اتجه إلى تأليف الكتب بكل رغبة وشوق. قام الإمام بترتيب خطة تفسيره المشهور "نظام القرآن"وهو ساكن في عليكره . كان يلقي محاضرات عن مباحث التورات بالمامه في اللغة العبرانية.

المرحلة الثالثة: تختص هذه المرحلة بمهنته كمدرس الذي قام بمحاولات لتعليم اللغة العربية. إنه انتقل إلى كراتشي أولا وعمل هناك يدرس اللغة العربية. ثم رجع إلى عليكره وقضى هناك أستاذا اللغة العربية. لما أتم السيد أحمد خان تفسيره "تفسير أحمدي"طلب من الفراهي بعض أصدقائه أن يترجم هذا التفسير إلى اللغة العربية. كان الفراهي يعترف بتفوق علم السيد خان ولكنه رفض أن يترجمه إلى اللغة العربية لأنه يخالفه في نظريته . ثم سافر الفراهي إلى مدينة إله آباد آب ثم إلى مدينة حيدراباد. حيث سنحت له فرصة ليتحلى منصب مدير دار العلوم التي كانت معهدا علميا مشهورا في حيدراباد. قد تمكن له أن يشتغل بخدمتها راجيا الترقية في مجال العلوم.

المرحلة الرابعة: تمتاز بأعمال علمية خاصة في حياة الفراهي. أهمها تأسيس مدرسة الإصلاح التي قامت بدور رئيسي في تطوير نشاطات علمية وثقافية. قضى الإمام معظم أوقاته للدراسة حول الموضاعات القرآنية والتأليف العلمي في مواد مختلفة ترتبط بعلوم القرآن.

الفصل الثالث: دراسته ووظائفه

رحلاته العلمية

تلقى الفراهي التعليم الابتدائي في منزله، فحفظ القرآن الكريم عند الأستاذ الشيخ أحمد علي الذي أقام في "سكرور"وهو ابن عشر سنوات. ثم تعلم وتمهر في اللغة الفارسية، كان أستاذه حينئذ الشيخ مهدي الجتاوري الذي كان شاعرا مفلقا مشهورا في الفارسية. ثم انتقل إلى ابن عمته العلامة شبلي النعماني الذي كان معلما ومرشدا ليتعلم العلوم الإسلامية واللغة العربية حيث تمكن للفراهي أن يقرأ عليه معظم كتب المنهاج الدراسي السائد. إنه شارك في مجالس علمية واستفاد من العلامة شبلي النعماني والشيخ محمد فاروق التشرياكوتي. يقول صاحب نزهة الخواطر "كانت حلقات الدروس للشيخ أبي الحسنات عبد الحي الفرنكي محلي في لكناؤ مشهورة في الفقه الإسلامي. كذلك انتفع الإمام بدروس الشيخ فضل الله بن نعمة الله الأنصاري(ت: ١٣١٢) في المعقولات.[١٩٧] .ثم ارتحل إلى لاهور وهو ابن ١٨ سنة. قد مهدت هذه الرحلة سبيلا ليقرأ على الأديب العربي الشهير بروفسير الكلية الشرقية العلامة فيض الحسن السهارنفوري(ت: ١٣٠٤) ديوان الحماسة، والمعلقات السبع، وكتب الأدب الجاهلي، ومن هذا الأستاذ الفاضل حصل على الملكة في معرفة بلاغة القرآن الكريم المعجزة.

كان فيض الحسن مدرسا في الكلية الشرقية بمدينة لاهور. أصبح الإمام الفراهي محبوبا لدى الأستاذ لفرط ذكائه وحسن أدبه،فأهدى إليه نسخة كتبها وصححها بخط يده من كتابه "رياض الفيض". وهو شرح المعلقات السبع في ثلاث لغات: العربية والفارسية والأردية. قرأ الفراهي كتب الأدب العربي للأستاذ فيض الحسن وأقبل على نشر ديوانه العربي سنة ١٣٣٤ه على نفقته. وهو يعد أول مطبوعات دار المصنفين بمدينة أعظم كره.

دراسته العصرية

كانت مدرسة كرنل غنج في إله آباد مركز تعلم الفراهي في العلوم العصرية بانتظام بعد رجوعه من لاهور إلى مسقط رأسه. ثم إنه حضر في اختبار القبول عام ١٨٩١ ليلتحق بالكلية المحمدية (M.A.O.COLLEGE) . بعد اجتياز الاختبار في الكلية، تعلم هناك الفلسفة الجديدة من البروفسور توماس أرنولد، وكان آنذاك في كلية عليكره الشرقية الإسلامية.

[١٩٧] الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، دار ابن حزم، ط:،١، ١٤٢٠ه ، ص ٢٢٩

قد تمت معادلتها في جامعة إله آباد. قد نال الفراهي شهادة البكالوريوس من جامعة إله آباد عام ١٨٩٥. ثم إنه اتجه إلى دراسة القانون لمدة سنتين، ولكنه لم يقبل على مشاركة في الاختبار له. لكنه لم يستطع أن يستمر سلسلة دراسته العصرية عام ١٨٩٧م.

دراسته القرآنية

قد بدأ الفراهي حفظ القرآن الكريم وتجويده قبل بلوغ السن التي تؤهله للتعليم. إن أسر المسلمين آنذاك اتبعوا هذا المنهج للتعليم. ولذا سرعان ما تفتح عقله وبدت عليه مخايل النبوغ منذ حداثة سنه. تمكن له أن يتم حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وداوم على تلاوة القرآن الكريم ودراسته وتدبره طوال عمره في الطفولة والشباب والكهولة. لأن شغفه بالقرآن جعله عاكفا على دراسته بحيث يجد الراحة الوجدانية الروحية عن ارتباطه الوثيق بالقرآن الكريم. وهو يقول عنه "إني كنت مولعا بتلاوته وهو أحب الكتب وألذها عندى ولله الحمد"[١٩٨]. ثم أكمل دراسة الخط والحساب واللغة الأردية التي هي لغة الأم وتلقى مبادئ العلوم من المراحل التعليمية من بيته.

ومن خلال تعلمه اهتم الفراهي بدراسة القرآن ببالغ الاهتمام، ولا يزال يتدبر آياته ليكتشف أسراره وعجائبه. حينما كان مقيما بعليكره قد مهد له طريقا ليفهم نظام سور القرآن ، ثم إنه اتخذ طريقة لفهم القرآن طوال الحياة حيث بدت فيه سمة المهارة في الدراسة القرآنية وعرف كمؤسس لطريقة جديدة في علم التفسير.

مترجم ماهر

لما بلغ من عمره عشرون سنة،أقبل الفراهي على تعلم اللغة الإنجليزية والعلوم الحديثة. فالتحق بثانوية(كرنل غنج) بمدينة (إله آباد) ثم بكلية (عليكره) .هذه الكلية مرت في تطورها إلى جامعة عليكره. كانت العربية والفارسية من المواد اللازمة في المقررات الدراسية. ولذا قام الفراهي بترجمة كتابين مشهورين من اللغة العربية إلى الفارسية. أحدهما جزء من كتاب طبقات ابن سعد، والآخر رسالة بدء الإسلام من تأليف العلامة شبلي النعماني باللغة العربية.

قد اهتم الفراهي بدراسة الفلسفة الحديثة في كلية عليكره وحصل على درجة الامتياز مع اعتنائه بالإنجليزية والعلوم العصرية الأخرى. وقد أخذ العلوم الفلسفية من المستشرق الإنجليزي الشهير توماس

[١٩٨] الفراهي، عبد الحميد، مقدمة نظام القرآن، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، ١٣٨٨، ص:٢

أرنولد الذي كان مدرسا فيها عشر سنوات. قد ألف توماس أرنولد كتابا بعنوان "الدعوة إلى الإسلام" الذي نال اعترافا كبيرا في الأوساط العلمية. ولكن الفراهي انتقد هذا الكتاب انتقادا حادا ويرى أن الغرض من تأليفه تجريد المسلمين من روح الجهاد. حينما كان طالبا في كلية عليكره ،طلب سيد أحمد خان الذي كان مؤسس كلية عليكره من الفراهي ترجمة تفسيره إلى اللغة العربية،فرفضها قائلا:"لن أشارك في نشر هذا الإثم". ثم أيقظهم الإمام باستعراضه المفصل له. ثم درس سنتين علم القوانين الجارية (الحقوق)، ولكن لم يحب أن يشتغل به، فهجره هجرا جميلا. ولم يكمل تحصيله.

ثقافته وعلومه

كان الإمام عبد الحميد الفراهي مطلعا على ثقافة واسعة متنوعة. قد حصل على معرفة في تنوع الثقافات،كما برع في العلوم العقلية والنقلية. كانت له جولات وصولات في مختلف اللغات وتعلم اللغات العربية والفارسية والإنجليزية والعبرانية. إنه حاول أن يدرس جميع علوم الغرب وآدابه في اللغة الإنجليزية بوجهة الناقد البصير. ولكن لم يطلع على مزيد من الأشياء إلا قوة في الدين واستقامة عليه علما وعملا. كان الفراهي رجلا عظيما فذا قلما يوجد أمثاله، تجلت عبقريته في مختلف مجالات العلم، لكن العلم الذي غلب عليه هو علم القرآن. ولذا وهو أحق أن يوصف رجل قرآني،عاش به، وعاش فيه، وعاش له.

نبوغه في اللغة الفارسية

قد نال الإمام الاعتراف الكبير والقبول الواسع لدى الأقران والشيوخ بعلو منزلته في معرفة اللغتين الفارسية والعربية. قال الأستاذ عبد الماجد الدريابادي: "قد فاق العلامة الفراهي في الآداب الفارسية والعربية أقرانه بل شيخه شبلي نعماني أيضا."[١٩٩]

قد طبع ديوان شعر الفراهي في اللغة الفارسية عام ١٩٠٣م فأرسل العلامة شبلي النعماني نسخة منه إلى الأمير العالم صاحب المكتبة الشهيرة الشيخ حبيب الرحمن الشيرواني وكتب إليه:"طبع شيئ من شعر حميد الدين، نرسل إليكم نسخة منه،ولعلكم تنظرون في القصيدتين اللتين في آخر الكتاب لتذوقوا اللسان الفارسي الأصيل"[٢٠٠].وقد طبع الديوان مرة أخرى في طبعة أو بعنوان (نواي فهلوى) سنة ١٩٦٧م). قام الفراهي بترجمة ديوان آخر إلى اللغة الفارسية الخالصة لا يشوبها شيئ من الألفاظ في اللغة العربية. وقد طبع في حياته في حيدرآباد بعنوان (خردنامه). كانت دراسة اللغة الفارسية مدخلا لتعلم العلوم الدينية

[١٩٩] مقالة كتبها عبد الماجد الدريابادى بعنوان"مولانا حميد الدين الفراهي" في صحيفة الداعي،عدد ٣،ديسمبر ١٩٧٦م

[٢٠٠] النعماني، السيد شبلي، مكاتيب شبلي:،دار المصنفين،أعظم كره، ١٩٢٧م، ج:١، ص: ١٢٤

والتخصص في الشريعة، ولذا اتجه الفراهي إلى تعلم هذه اللغة كمادة إلزامية قبل التعمق في الدراسات الإسلامية. ثم بدأ تعلم اللغة العربية من ابن عمته شبلي النعماني بعد هذه الخطوات التمهيدية.

إتقانه في اللغة الإنجليزية

قد اهتم الفراهي بدراسة اللغة الإنجليزية وأتقن فيها لأنها لغة عالمية ألفت فيها مؤلفات علمية كثيرة. توجه الإمام إلى دراسة هذه اللغة للتأليف والمحاضرة فيها. قد اطلع على الأدب الإنجليزى شعرا ونثرا وبلاغة. أقبل الفراهي على مطالعة كتابات المستشرقين عن القرآن الكريم وتاريخ العرب. قرأ الإمام كتب الفلسفة الحديثة والكتب الفلسفية المترجمة والآداب اليونانية. تعد من آثاره الجليلة بالإنجليزية مقالة في عقيدة الشفاعة والكفارة، رد بها على بعض علماء النصارى. لما أقرت ندوة العلماء في اجتماعها السنوى الذي عقد في دلهى عام ١٣٢٨هـ إعداد ترجمة إنجليزية لمعانى القرآن الكريم،أتم تشكيل لجنة مؤلفة من العلامة الفراهي والنواب عماد الملك البلجرامي والشيخ محمد صالح. كانت التراجم الأخرى الموجودة في ذلك الحين مؤلفة على أيدى النصارى. ولذا تولى عماد الملك مسؤولية الترجمة، وقام الإمام الفراهي والشيخ محمد صالح بمراجعتها.

معرفته باللغة العبرانية

لما انتشرت جمعيات التنصير في الهند فدعت الحالة إلى الرد على اليهود والنصارى من خلال كتبهم يقتضى دراستها الدقيقة وبصورة مباشرة. فاتجه الفراهي إلى معرفة اللغة العبرانية والاطلاع على الدراسات التي ترتبط بصحف أهل الكتاب في اللغة الإنجليزية ليكشف كثيرا من تحريفاتهم بنصوص كتبهم. كتابه بعنوان "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح" ألف للرد على زعم النصارى بأن الذبيح إسحاق عليه السلام. قد جاء الإمام فيه بثلاثة عشر دليلا من التوراة نفسها ليثبت الحق وليدحض الباطل في ضوء القرآن الكريم. استفاد الفراهي بمعرفته اللغة العبرانية--وهى من أخوات العربية-- لتحقيق بعض ألفاظ القرآن الكريم وأساليبه. كان علماء أهل الكتاب يفسرون بعض ما أشكل عليهم من كتبهم. فوجب على الفراهي أن يجمع في كتاب جملة من تحريفاتهم. كتابه الذي لم يتمه "الطريف في التحريف"يعتبر ثمرة لجهد المؤلف.

اهتمامه على العلوم العقلية

كانت العلوم العقلية جزءا لازما من مناهج الدراسة في عصر الإمام الفراهي. لذا اهتم بدراسة الفلسفة الحديثة وهو طالب في كلية عليكره وفاز منها بدرجة الامتياز. ثم إنه اطلع على الكتب التي ألفها فلاسفة

الغرب. يقول الأستاذ عبد الماجد الدريابادى الذي كان من المختصين في الفلسفة الحديثة."إن الفراهي قد درس الفلسفة دراسة واسعة و عميقة جدا، وكان يقرأ أحدث ما يصدر في الغرب من كتب الفلسفة والمنطق، ولم يكن يكتفي بالاطلاع عليها، بل يقرؤها قراءة بحث ونقد ومقارنة"[٢٠١]

التعمق في علوم المنطق والفلسفة

عند ما بحث الفراهي عن الفلسفة الحديثة التي تصدر من الغرب، ففهم خطرها وضررها وضلالتها. فحاول الإمام لتنبيهها في كتبه. ولذا قرر المنهج الدراسى لمدرسة الإصلاح تخلو منه كتب المنطق والفلسفة،وأخذ منها مبادئهما ليلم الطالب بالمصطلحات المستعملة في الفنين في الدراسة. وهي التي تساعد على الاستفادة من كتب علماء الإسلام في أصول الفقه والكلام. وكان من أعظم كتبه في هذا الموضوع، كتاب حجج القرآن، لم يتمكن أن يتم هذا الكتاب. والأبواب الثلاثة الأولى منه في نقد الفلسفة والمنطق وعلم الكلام. استطاع الفراهي أن ينقد هذه العلوم وكشف زيفها في محاضرات علمية. ولذا حضر العلماء والباحثون في مجالسه شوقا إلى العلم. كانوا يرضون بمحاضراته ويصفونه بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، لأنه كان متقنا في العلوم العقلية ومتبحرا في علوم القرآن الكريم.

إذا وصف عن الإمام أنه مجمع البحرين للقديم والجديد من العلوم،لايبالغ هذا الوصف. قد زاد الله في هذا العلم العبقري علما وتقوى مع كون تبحره في العلوم والفنون. ولذا يعتبره العلماء الهنود مرجعا أصليا لتحليل مشكلات القرآن، يجدون فيه أسوة حسنة لكل باحث ومولع بالتفكير والتحقيق في علوم القرآن.

إمام العربية

كان الإمام الفراهي أحق بالوصف أنه إمام العربية. له تحقيقات واجتهادات واستدراكات على أئمة اللغة والنحو والبلاغة والعروض .يكفي لنا دليلا كافيا على تعمقه في هذه اللغة كتابه "جمهرة البلاغة"الذي نقض فيه الأساس الذي يقوم عليه فن البلاغة عند أرسطاطاليس. وهو يناقض نظرية المحاكاة في هذا الكتاب، ويدعو إلى تأسيس فن البلاغة على قواعد جديدة في ضوء القرآن الكريم وكلام العرب الأقحاح. يرى الفراهي أن فن البلاغة العربية متأثرة بنظرية المحاكاة التي تصدر من أهل اليونان، فجار عن قصد السبيل، وانتقد في ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني مع اعترافه بجلالة العلم.

[٢٠١] مقالة كتبها عبد الماجد الدريابادي في صحيفة الداعي،عدد ٣،ديسمبر،١٩٧٦

بعد ما تمهر الإمام في فن النحو والصرف،جعل القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ أصلا رئيسيا، واعتبرهما مصادرين تنبع منهما كافة العلوم والفنون. لما علم الفراهي أن علم البلاغة الرائج الموجود في كتب السكاكي والجرجاني مأخوذ من اليونان، أراد الإصلاح هذا العلم لفهم القرآن على أصل عربي. فكتب الإمام لأجل تحقيق هذا الهدف "جمهرة البلاغة" بإثبات ميزان واضعا الأصول من كلام العرب،التي تجدر بأن تكون ميزانا لفهم بلاغة القرآن.

قد حكى لبعض زملائه أنه كان يقرأ المقامات للحريري (٤٨٦-٥١٦هـ) من ابن عمته شبلي النعماني يذكر أمين أحسن الإصلاحي" وكان يحدد كل يوم جزءا معينا للدرس المقبل ويأمرني بحل جميع المسائل النحوية والصرفية واللغوية والإعراب والترجمة فكنت إذا أخطئ لا ينبهني قائلا"أعد الكلمة". ومرة كنت أقرأ عبارة وفي مكان ما نبهني قائلا كيف تقرأ؟ فقرأت مثل ما قرأت في المرة الأولى فنبهني ثانيا فقرأت مثلما قرأت في المرة الأولى، فلطمني على وجهي، فوقفت ورأى العبارة بنفسه فإذا هي مثلما قرأت، وكان فيها إشكال صرفي فندم."[٢٠٢]

أساتذته

لم يكن حظ الفراهي من التعليم المدرسي المنظم إلا قليلا.قد أتم الفراهي معظم دراسته بواسطة علماء عصره الممتازين وقضى وقتا طويلا لمطالعة الكتب مع استفادة من الأساتذة بجهد شاق. جدير بالذكر بعض أساتذته، و كان لهم تأثير كبيرفي تكوين شخصيته العلمية. أولا ابن عمته العلامة شبلي النعماني.

١-**العلامة شبلي النعماني** (١٢٧٣هـ-١٣٣٢هـ) هو شبلي النعماني بن حبيب الله بن حسن علي. عالم كبير ومؤرخ مشهور وأديب ناقد. كان يشبه السلف في غزارة العلم وسعة الاطلاع على العلوم النقلية والعقلية. ولد في بلدة " أعظم كره" وأخذ العلوم عن العلماء المعاصرين الكبار. يذكر عنه السيد سليمان الندوي " كان عميد "دار العلوم ندوة العلماء". ظل على هذا المنصب حتى وفاته. قد تعلم الفراهي اللغة العربية من العلامة النعماني، وصار يلازمه حتى يكون متقنا فيها. كان الفراهي في أول عهده هذه اللغة، يرسل إلى النعماني ما كان يكتبه بها وبالفارسية من النثر والشعر،فكان النعماني يراجع ذلك ويرشده إلى الصواب. [٢٠٣]

كان الشيخ شبلي النعماني ابن عمة الفراهي، وهو أكبر منه سنا.قام الشيخ شبلي النعماني بدور المشرف والمرشد في تعليم الفراهي بتوجهات سديدة نافعة. إنه ساعد الفراهي بإزالة جميع العقبات التي تعوق في

[٢٠٢] الاإصلاحي، أمين أحسن، ، مجموعة التفاسير للفراهي ، المكتبة المركزية للمنظمة الإسيلامية، ص: ٢٢

[٢٠٣] الندوي، سيد سليمان، ، مكاتيب شبلي مطبعة معارف، دار المصنفين ، أعظم كره، ١٩٧٠م ، ج:١، ص: ١٢٤

دراسته وتمهيد كل التسهيلات الممكنة ليصل إلى مرتبة العالم الكبير والباحث المحقق الذي يخدم الأمة الإسلامية.يتضح من مكاتيب شبلي أنه قد حرض كل التحريض على كتابة المقالات باللغة الأردية لأنها تسبب في رفع مكانته العلمية" وتارة ينصحه بترجمة كتاب لابن خلدون إلى اللغة الفارسية كانت تريدها حكومة أفغانستان وتقدم مكافأة ضخمة"[٢٠٤] وتارة أخرى يأمره بترجمة كتاب في النحو إلى اللغة الإنجليزية لتزداد صلاته بالدكتور أرنولد"[٢٠٥]. وبالجملة كان الشيخ شبلي حريصا على تنوير مستقبل الفراهي التعليمي باتاحة الفرص والنصائح الخالصة ليجعله عالما دينيا جليلا شهيرا يخدم الإسلام والمسلمين.

٢-**الشيخ فيض الحسن السهارنفوري (ت: ١٣٠٤هـ)** : هو أحد كبار علماء العربية في عصر الفراهي في الهند. ولد في "سهار نفور". وقرأ على كبار علمائها. اشتغل بالتدريس في الكلية الشرقية بلاهور، في قسم اللغة العربية. كانت له ملكة خاصة في اللغة العربية وعلومها وفنونها، حتى يعد في عصره أعلم بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب، وما يتعلق بها . قد درس الفراهي على هذا العالم الفذ الأدب العربي وبعض كتب العلوم العقلية. يذكر أيوب الإصلاحي " كان الشيخ يحب الفراهي لفرط ذكائه وحسن أدبه. فأهدي إليه بعض الكتب القيمة. كان من حب الفراهي لشيخه أنه نشر ديوانه بالعربية على نفقته الخاصة.[٢٠٦]

٣-**الشيخ عبد الحي اللكنوي(١٢٦٤هـ- ١٣٠٤هـ)**: هو علامة الهند، وإمام المحدثين والفقهاء فيها. ولد ببلدة "باندە". تلقى العلوم على والده. إنه تبحر في العلوم النقلية والعقلية. كان متخصصا ومتعمقا في علوم الحديث وفنونه. لا يوجد له مثيل بين علماء الهند في هذا العلم. توفي بلكنؤ، وألف عدة مؤلفات علمية في الفقه والحديث وغيرهما. كانت مطبوعة في البلاد العربية بعناية الشيخ عبد الفتاح أبي غدة رحمه الله تعالى. قد أخذ الفراهي من هذا العالم العبقري العلوم النقلية، حتى تبحر فيها.

٤- **الشيخ فضل الله اللكنوي (ت ١٣١١هـ، أو١٣١٢هـ):** ولد ونشأ بلكنؤ. قد درس عليه الفراهي العلوم العقلية. لم يكن في الهند في عصره من يباريه في العلوم العقلية. قام الشيخ بتأليف الكتب القيمة في المنطق وعلم الكلام. كان من ذرية الشيخ الشهيد قطب الدين محمد السهالوي، لما برزت مهارته في الفنون الحكمية ،ولي التدريس في المدرسة الكلية كيننك كالج بلكهنؤ، فدرس وأفاد بها مدة عمره.

---

[٢٠٤] رسائل شبلي، ج٢ مكتوب إليه الفراهي، سفيان الاإصلاحي، دار المصنفين، أعظم كره، ١٩٢٧م رقم الرسالة:٢و ٢٧

[٢٠٥] الأستاذ ارنولد،حياة شبلي، ص ١٤١

[٢٠٦] الاإصلاحي، أيوب، في ترجمة الفراهي، لكتابه "مفردات القرآن" ص: ١٧

وظائفه التدريسية

كانت بداية حياته العملية بمهنة التدريس في مدرسة الإسلام بكراتشي. وهو عمل هناك كمعلم للعربية والفارسية عام ١٨٩٧. عندما بدأ خدماته التدريسية، تركزت عنايته على تدوين نتائج فكره وتدبره في القرآن الكريم. قد عين الفراهي كأستاذ مساعد للغة العربية في الكلية المحمدية (M A 0. College) في عليكره. كان المستشرق المشهور جوزف هارويز(Joseph Horovitz)رئيسا القسم آنذاك. كان متأثرا بالمامه في اللغة العربية. فطلب منه لتعليم اللغة العربية إياه، وهو يعلمه اللغة العبرانية. فوافق الفراهي على هذا الرأي ليتضلع في اللغة العبرانية . قد تمكن له أن يقرأ النسخ العبرانية ل"العهد العتيق" بفضل جهوده المكثفة حيث أعانه هذا العلم ليولع في بعض التحقيقات القرآنية الهام. بعد أن كان مدرسا في هذه الكلية لسنة ونصف، ثم اتجه إلى منصب الأستاذ للغة العربية في كلية ميور بإله آباد حيث استمر عليه لمدة ست سنوات. أختير عضوا في اللجنة العربية للعلوم الشرقية. ثم اختارته حكومة حيدر آباد الدكن عميدا لدار العلوم التي كانت كلية شرقية، فغادر إليها سنة ١٣٣٢هـ منتدبا من قبل حكومة ولايته. كان مسؤولا في الشؤون الإدارية، ولكنه تولى مسؤولية التدريس في الصفوف العليا في الكلية.

مناصبه التعليمية في المعاهد العلمية

قد أثرت أفكار الفراهي في تدريس العلوم العصرية الفرعية الأخرى مثل العلم الحديث، والرياضية وغيرهما. كان الفراهي واحدا من المساهمين في اللجنات المختلفة في تأسيس الجامعة العثمانية، كما انضم كعضو من الأعضاء الأربعة في اللجنات اللاتي نظمت لأجل وضع الدستور(المنشور) والمقرر الدراسي والاختبارات للعلوم الجديدة ،كما كان مشاركا في اللجنة لقسم العلوم الدينية. إنه عمل رئيس المدرسين لدار العلوم في حيدرا آباد وعضو بارز من أعضاء الأربعة للجنة. كان عضوا من الأعضاء التسعة في الدرجة الرابعة في الرقم في لجنة الاختبارات للآداب للجامعة العثمانية. انعقدت جلسة في الفترة ما بين ٣ و ١٧ يوليو عام ١٩١٧م تحت رئاسة هذه اللجنة لوضع المقرر الدراسي لكل من الصفوف الثانوية، الثانوية العليا، والبكالوريوس. هناك لجنة أخرى لاختبارات قسم العلوم الدينية، وهي تضم تسعة أعضاء. تولى الفراهي منصب مدير دار العلوم وهو في الدرجة الأولى من أعضاء اللجنة. قد تم تعيين أوراق الامتحانات لكل من أقسام الثانوية،الثانوية العليا" عالم" و"فاضل" في جلسة التي انعقدت في الفترة ما بين ٧-٦ من شهر أكتوبر عام ١٩١٧م.

وظيفته في مدرسة الإسلام بكر اتشي

كانت مدرسة الإسلام بكراتشي أقدم المدارس الإنكليزية للمسلمين وهي مشهورة في مدينة السند. لما عين الفراهي مدرسا في مدرسة الإسلام بكراتشي حتى ١٣٢٤هـ/١٩٠٦،قد أتم طبع ديوانه الفارسي في مدة قيامه خلال ١٣٢١هـ/١٩٠٣م بهذه المدرسة. اختار اللورد كرزن الإمام الفراهي مترجما له في رحلاته البحرية السياسية للخليج الفارسي. قد أعلنت الحكومة الإنكليزية بمنح مبلغ كبير خاص بأستاذ العربية لكلية عليكره . ولذا عين الأستاذ الفاضل الألمانى يوسف هارويز أستاذ العربية،كما انتخب الفراهي مساعدا له في قسم العربية. حاول الفراهي أن يجعل العربية وسيلة لإبلاغ ما يجيش في قلبه،فبدأ يكتب في اللغة العربية بكراتشي،كما أنه بدأ كتابة التفسير ١٩٠٣م بأنه جعل يتدبر القرآن الكريم على منهج غير منهج القدماء،وجعل يكتب تفسيرا باسم" نظام القرآن.

لما توظف في مدرسة الإسلام بكراتشى فتحت له فرصة ليعين في منصب الترجمان للورد كرزن. لما أراد اللورد كرزن الرحلة إلى سواحل العرب وخليج فارس في ١٩٠٠م لإحتياجات السياسية وإقامة آثارها فيه بالتعاون مع رؤساء العرب،فإختار الإمام الفراهي ترجمانا له. ولكن لم يقصد الإمام أن يدوم على هذا المنصب وبالرغم من إجبار الأصدقاء وكباره على ذلك. كان الإمام يعتبره خطأ سياسيا.

نشاطاته التعليمية في عليكره

رجع الفراهي من لاهور إلى عليكره ،فأتيحت له فرصة للتعلم اللغة العبرية من الأستاذ الفاضل هارويز كما تمكن له أن يؤلف في هذه الفترة كتابه النفيس تحت عنوان "أقسام القرآن" .ثم أضاف إليه المعلومات وأتم طبعه بعنوان "الإمعان في أقسام القرآن"من عليكره . ثم إنه توجه إلى تفسير سورة المسد وسورة القيامة ونشرهما في سنة ١٩٠٦م. قضى الفراهي سنتين في منصب الأستاذ المساعد في كلية عليكره سنة ١٣٢٤هـ. قد ربطت بين الفراهي وبين الحلقات العلمية بكلية عليكره روابط عميقة بسبب ابن عمته شبلي أولا، ثم بسبب تضلعه في العلوم. قامت العلاقات الودية بينه وبين النواب صدر يار جنك حبيب الرحمن الشيرواني. وفي عليكره كان شغله الشاغل تدبر القرآن مع التدريس. إنه يوضح نتائج بحثه عند لقاءه مع العلامة شبلي، وهو يرسل أجزاء تفسيره إليه.فكان شبلي يوضح آرائه عن هذه الأجزاء في رسائله. كان ينظر إلى حل المطالب القرآنية بدراسته العميقة. أقام الفراهي في ندوة العلماء عدة مرات ودرس الطلاب الفلسفة الجديدة ودروس القرآن الكريم. قد استفاد كثير من الطلاب من دروسه القيمة. في ذلك الوقت كان أبو الكلام آزاد

مقيما مع شبلي، وهو يعمل كمساعد رئيس التحرير ل" الندوة"، فتمكن له أن يستفيد كثيرا من صحبة الفراهي ، خصوصا في العلوم التي ترتبط بالتفسير.

أستاذ في جامعة إله آباد

عين الفراهي أستاذا العربية في جامعة إله آباد سنة ١٣٢٦ هجرة الموافق ١٩٠٨ م وبقي هناك في هذا المنصب حتى عام ١٣٣٢هـ. قضى الفراهي في هذه الفترة أوقاته لتأليف الكتب وتصنيفها، فتم نشر تفسيره لسورة التحريم. ثم إنه بذل جهده الجاد لترجمة نصائح سليمان عليه السلام بالشعرالفارسي. وفي أثناء إقامته في إله آباد، فكر شبلي والفراهي في تأسيس مدرسة في سرائ مير، فأنشأت هذه المدرسة في بستان بالقرية. فتولى الفراهي مسؤولية المدير بتكليف من شبلي. أراد شبلي أن تبقي هذه المدرسة برئاسة الفراهي مثل "كروكل" مدرسة دينية خالصة. تطورت هذه المدرسة مركز الحياة الدينية البسيطة بتوجيهات هذين العالمين. كانا يهتمان بها حق الاهتمام. قد أقام الفراهي في إله آباد حتى عام ١٩١٣م.

عميد في دار العلوم بحيدرآباد

كان في حيدرآباد دكن مدرسة قديمة باسم دار العلوم. لعبت هذه المدرسة دورا بارزا في ترويج العلوم والفنون. كانت ملحقة بقسم الدراسات الشرقية لجامعة مدراس. لكن أنهي هذا الإلحاق في ١٩٠٨م. أنشئت لجنة أهل العلم لهذه المدرسة تحت رئاسة النواب عماد الملك رحمه الله والسيد ألما لطيفي والسيد حيدرى وغيرهم. كان شبلي عضوا في اللجنة. قدم لها اقتراحا بإنشاء جامعة للعلوم الشرقية. كان نهج شبلي أن تكون هذه المدرسة جامعة للعلوم العربية مع مزيج من العلوم الجديدة. هذه الخطة ظلت موضوع المناقشة الجدية لفترة طويلة. عين الفراهي عميد المدرسة.

دار العلوم بحيدر آباد جامعة عربية أسست لتدريس العلوم العصرية وفق متطلبات العصر الراهن،ولكن الفراهي حاول لتغيير خطة دار العلوم. كانت اقتراحات منه تدريس العلوم العربية باللغة الأردوية المحلية كما أشار إلى قبول اللغة العربية وسيلة تدريس مبادئ الدين لكل من الطلاب. ولكن لم يقبل الرئيس مسعود والنواب السير حيدر نواز جنغ اقتراح تدريس مبادئ الدين في العربية . قد أصبح هذا السبب الرئيسي لخيبة أمله من حيدرآباد، وفي سنة ١٩١٧م بدأ إنشاء الجامعة العثمانية وترجمة الكتب ووضع الاصطلاحات. كان الفراهي يجتهد لأجل تحقيق أهداف الجامعة العثمانية وإنجاز هذه الجامعة حتى افتتحت في ١٩١٩م.

قام الفراهي بإصلاحات كتب المنهج التعليمي في الجامعة العثمانية بحيدر آباد. إنه أقبل على تعيين النواب صدريار جنغ الشيخ حبيب الرحمن خان الشيرواني[٢٠٧]على منصب "صدر الصدور" كرئيس دار العلوم. كان الفراهي عضوا للهيئة التعليمية في الجامعة العثمانية، ولذا يعتبر مؤسسي الجامعة العثمانية، ولكنه انفصل منها لبعض الأسباب. استقال الإمام عن هذا الدار وغادر حيدرآباد وانتقل إلى مسقط رأسه "بفريها"(أعظم كره).

حلقات القرآن في حيدرآباد

قد جرت حلقة أسبوعية في حيدرآباد لتفسير القرآن الكريم. كان العلماء والباحثون والطلاب شاركوا في هذه الحلقات رغبة في التحصيل على علوم القرآن. قد انتهزوا هذه الفرصة ليعرض عليه الأسئلة فيجيب عنها حتى انعدمت الشكوك والأوهام. مكث الفراهي بحيدر آباد إلى سنة ١٣٣٧هـ، ثم استقال من منصبه ورجع إلى بلده. ولكن المسؤلون رغبوا في بقائه. قد ذكر الفراهي عن ذلك في ترجمته الذاتية: "ولما كانت هذه المشاغل تمنعنى عن التجرد لمطالعة القرآن المجيد، ولا يعجبنى غيره من الكتب التي مللت النظر في أباطيلها،غير متون الحديث وما يعين على فهم القرآن،تركت الخدمة. ورجعت إلى وطنى، وأنا بين خمسين وستين من عمري فيا أسفا على عمر ضيعته في أشغال ضرها أكبر من نفعها! ونسأل الله الخاتمة على الإيمان"[٢٠٨].

تأسيس مدرسة الإصلاح

بعد رجوعه إلى بلدته تولى الفراهي إدارة مدرسة إصلاح المسلمين التي أنشأتها جمعية إصلاح المسلمين في بلدة سراي مير. كانت هذه الجمعية في منطقة أعظم كره تقوم بنشاطاتها الإصلاحية لأجل إرشاد المسلمين إلى عقيدة مستقيمة وإزالة البدع المنتشرة وإعدام المنازعات والخصومات بين المسلمين. أسست لأجل تحقيق هذه الأهداف السامية مدرسة خاصة باسم "مدرسة إصلاح المسلمين" هي التي سميت فيما بعد بمدرسة الإصلاح اختصارا. قد تخرج كثير من العلماء ودعاة يحملون رسالة الإسلام السمحة ويقومون بدورهم التبليغي من هذه المدرسة.

[٢٠٧] النواب صدر يار جنغ الشيخ حبيب الرحمن خان الشيروانى من أعلام الهند المشاهير,ولد في ٢٨/ شعبان ١٢٨٣ ها في مدينة بيكنفور, محافظة علي كره.

[٢٠٨] منقولة من مقالة السيد راشد الندوي في مجلة الضياء، :مجلد:٢،عدد:٧،ص:٢٦٠

مراحل تطورها:

وضع الشيخ السيد أصغر حسين من ديوبند ١٩٠٨الحجر الأساسي لمدرسة الإصلاح. جدير بالذكر هنا أسماء الشيخ محمد شفيع السيدهاري والشيخ عبد الأحد المرحوم المنجيربتوي الديوبندي اللذان قاما بدور ملحوظ في تأسيس هذه المدرسة. قد مرت هذه المدرسة بثلاث مراحل في تطورها. تعد المرحلة الأولى لمسيرة هذه المدرسة من جلساتها العظيمة عقدت في ١٩٠٩ شارك في هذه الجلسة كبار علماء الهند بمن فيهم العلامة شبلي النعماني والعلامة عبيد الله السندهي والعلامة ثناء الله الأمرتسري. ناقشوا في هذه الجلسة لتقدم هذه المدرسة بأن يجعلوها فرعا لدار العلوم بديوبند. لكن العلامة السندهي خالف لهذا الرأي وأخبره العلامة شبلي النعماني. أخيرا اتفقت الهيأة الاستشارية على أنها لا تكون فرعا لأي مدرسة. أرسل الإمام شبلي النعماني عدة رسائل إلى الإمام عبد الحميد الفراهي تطلب منه ألا يغفل عن تقدم هذه المدرسة . إنه كان مقيما في حيدراباد. هذه الرسائل كلها مصونة في مكاتيب شبلي".

تعد فترة(١٩٠٨إلى-١٩١٤) المرحلة الأولى في تطور هذه المدرسة. أختير الشيخ شبلي النعماني مديرا لهذه المدرسة. هوالذي رفع مكانة هذه المدرسة بجهوده المتواصلة حتى أصبحت من مدارس الهند الإسلامية. ثم تولى الإمام الفراهي سنة ١٩٢٢أو١٩٢٣المسؤولية الرئيسية لهذه المدرسة التعليمية، بقي على هذا المنصب حتى وفاته في ١٩٣٠م. تقدر المرحلة الثانية ما بين عام ١٩٢٢- ١٩٣٠) لايزال الإمام يلازم بهذا المعهد مدرسا القرآن الكريم بعد صلاة الفجر. كانت جلسة تدريسه أيقضت روح الإيمان والعلم والتقوى في نفوس المشاركين. تنتهي المرحلة الثالثة على ١٨٤٥م ١٩٤٦في مسيرة تقدم هذه مدرسة الإصلاح.

مدير مدرسة الإصلاح

كان الفراهي مشرفا لهذه المدرسة وهو في حيدراباد. لما رجع إلى البلدة تولى إدارة المدرسة. إنه قام بدور فعال في الشؤون الأكاديمية لهذه المدرسة بوضع فكرتها التعليمية. ثم إنه رسم لها منهجا دراسيا فريدا يختلف عن مناهج المدارس الدينية الأخرى في نظامها. كانت مقرراتها الدراسية وطريقة التدريس فيها متميزة ومفيدة لكل من يطلب العلم بعشق ورغبة. اشتغل الفراهي بكل فعاليات هذه المدرسة التعليمية لاسيما في السنوات الخمس الأخيرة من عمره. قضى جزءا كبيرا من وقته لخدمة هذه المدرسة مقيما ثلاثة أيام من كل أسبوع في المدرسة. يلقى الإمام الدروس لتفسير القرآن الكريم على طلابها الكبار وأساتذتها الأجلاء. كانت محاضراته تعم الإفادة للدارسين والمدرسين جميعا.

إنشاء مؤسسة دار المصنفين ورئاسة الفراهي فيها

لما انتقل أستاذه الجليل العلامة شبلي النعماني إلى جوار رحمة الله سنة ١٣٣٢ إجتمع تلامذته، وفيهم الفراهي ليتشاور عن الأعمال التنفيذية لأفكار أستاذهم الجليل شبلي النعماني. فأنشأوا مؤسسة دار المصنفين في مدينة أعظم كره،وأجمعوا على إختيار الإمام الفراهي رئيسا لها والعلامة سليمان الندوي مديرا.

دار المصنفين

أسست هذه الأكاديمية العلمية للتأليف والطبعوالنشر. قامت هذه الدار بخدماتها العلمية الفعالة في نشر الثقافة الإسلامية والرد على مزاعم معترضي الإسلام وهي لا تزال تلعب دورها على أحسن وجه.

كان الفراهي مشرفا على هذين المعهدين، قضى ثلاثة أيام في الأسبوع في المدرسة لالقاء الدروس على الطلبة في القرآن. قد تأثر الأساتذة والمسؤولون بأفكاره التعليمية وآرائه الإصلاحية وقاموا بتطبيقها في المنهج التعليمي.

تلامذته :

يعد الفراهي من العلماء القلائل في الهند، الذين جمعوا بين الثقافتين الإسلامية والغربية. كان متبحرا في علوم القرآن، ولذا يراجعه كبار العلماء من المثقفين المسلمين في حل مسائل تخص القرآن وتفسيره، واللغة العربية وآدابها. إنهم استفادوا كثيرا من مجالس الفراهي ومحاضراته في تفسير القرآن وغيره. ثم تأثروا بأفكاره ونظرياته تأثرا كبيرا في مؤلفاتهم وكتاباتهم. هنا التعريف على حياة بعض من تلاميذه موجزا.

الشيخ عبد الله العمادي (هـ١٢٩٣: ١٣٦٦هـ) هو من علماء الهند الذين تعمقوا في اللغة العربية والحديث النبوي. ولد ونشأ في قرية "أمرت" من أعمال مدينة "جونفور"، وقرأ على والده وأخذ عنه الفقه وأصوله. ثم على جده، وأخذ عنه العلوم النقلية والعقلية. عمل كمحرر مجلة" البيان" العربية ، ثم إنه أقبل على إنشاء جريدة باسم " الوكيل". قضى مترجما ماهرا في دار الترجمة بحيدرآباد، وظل يعمل فيها حتى وفاته.

العلامة السيد سليمان الندوي (هـ١٣٠٢-١٣٧٣هـ): كان مؤرخا كبيرا،مؤلفا شهيرا في القارة الهندية في عصره. ولد بقرية "دسنه" من أعمال ولاية "بهار". تلقى العلوم من دار العلوم ندوة العلماء على كبار علمائها أمثال شبلي النعماني. هاجر إلى باكستان في سنة١٣٦٩ وشارك في وضع دستورها، وتوفي بكراتشي. له مؤلفات قيمة ، ومن أشهرها تكملة "سيرة النبي ﷺ لشيخه شبلي النعماني.

الشيخ أختر أحسن الإصلاحي (١٣٢٠هـ-١٣٧٨هـ): هو الذي درس في مدرسة الإصلاح،ولازم الفراهي ملازمة طويلة، ونهل من معين علمه. قدم حياته لخدمة مدرسة الإصلاح حسب المنهج الذي رسمه لها أستاذه الفراهي. تخرج على يده جيل ممتاز من العلماء العاملين، وله دور بارز في صيانة حفظ مسودات كتب الفراهي من الضياع والتلف.

الشيخ أمين أحسن الإصلاحي (ت: ١٤١٨) : هو من كبار علماء الهند، ولد في قرية "بمهور" "أعظم كره" في شمال الهند. درس في مدرسة الإصلاح ونسب إليها، ولازم الفراهي وتعلم منه علوم القرآن وتفسيره. وله مؤلفات عديدة، ومن أشهرها "تدبر القرآن" بالأردية في مجلدات ضخام. اتبع الشيخ أمين أحسن منهج أستاذه الفراهي في هذا التفسير. هو الذي ترجم كتب الفراهي إلى الأردية بأسلوبه الجذاب.

الفصل الرابع: أخلاق الإمام الفراهي وصفاته

صفاته الخُلقيَّة

إن الأخلاق هي مرآة تنعكس فيها طبائع الإنسان ونزعاته، وهي تبدي صورة صادقة لما يدور في فكر الإنسان وخاطره. فيمكن معرفة شخصية الإنسان بأخلاقه في المعاملات. إن حياة الإنسان لا تزال تبقي آثارها وتذكر بعد رحلته من هذه الدنيا بفضائل الأخلاق الحسنة والسيرة الطيبة. من الملاحظ أن العلماء القدامى ذوي الأخلاق الفاضلة بدون التأثر بالحياة المادية الغربية. كان عبد الحميد الفراهي أسوة حسنة ورجلا مثاليا للجميع في أخلاقه وعلمه، يتحلى بالصفات الحميدة منذ الصغر إلى الكبر. يقول مولانا أبو الكلام آزاد(ت ١٩٠٨م):" الأستاذ حميد الدين من أولائك العلماء الذين لا يكون نصيبهم العلم فحسب بل العمل أيضا وقلة هذه الناحية وفقدانها ظاهر لا يخفي على أهل النظر، في الواقع أني كلما لقيته تأثرت من أخلاقه الطيبة وأدركت أن ورعه وتقواه أكثر من علمه ولا شك أنه كان متقيا حقا يهتم بطهارة نفسه وتزكيتها"[٢٠٩].تكفى انطباعات العالم الجليل العبقري مثل آزاد واعترافه دليلا على أن الفراهي نال القبول الواسع بشخصيته الفذة واتصلاته ومعاملاته بالناس. هنا أذكر بعض صفاته الخلقية التي امتازت شخصيته الطيبة.

[٢٠٩] منقولة من مقالة منشورة في مجلة الإصلاح ، ١٩٠٦العدد ١٠، ص ٥٤

الابتعاد عن الشهرة

كان الفراهي محبا الخلوة والعزلة في الحياة. إنه ابتعد عن الاختلاط وأماكن الشهرة. قد مالت نفسه إلى العزلة عن المجتمع لئلا يكون قريبا من الرياء والشهرة. ولذا لم يحاول أن يكون اجتماعيا ولم يسع وراء المنصب والجاه. لكنه حاول كل المحاولة لتأدية رسالته نحو الأمة المسلمة. لما طبع كتاب"جمهرة البلاغة"عام ١٩٠٥م كان الفراهي أستاذا في كلية دار العلوم بكراتشي وقد طبع له قبل ذلك ست رسائل في علوم القرآن وسافر مع الحاكم البريطاني العام اللورد كرزن إلى السواحل العربية والفارسية، كتب عنه معرفا ذلك الكتاب:" هذه حقيقة تشهدها التجارب وأحداث التاريخ أن العباقرة وأرباب الفضل والنبوغ لا يكونون غير معروفين بين الناس ولكن لا تخلو أي حقيقة أو قاعدة كلية عن الشواذ والمستثنيات والأستاذ حميد الدين مثال واضح لهذه القاعدة الشاذة"[٢١٠].كانت هذه الواقعات تكفي له لنيل الشهرة ولكنه لم يتأثر بكل هذه الترغيبات وعاش عيشة مرضية بعيدة عن الشهرة.

الحمية الدينية

قد امتازت شخصية الفراهي بالأنفة الدينية في حركاته وسكناته من الحياة. لم يحركه شيء من زخارف الدنيا، فإنما يؤثره بشدة الولاء للإسلام والمسلمين. ولذا قام الفراهي مدافعا عن كل قضية تمس الدين الإسلامي بكل إخلاص وأمانة. قد حرضه على تأليف تفسير باعتبار التناسب بين الآيات والسور في حالة الطعن في القرآن أنه كتاب غير منسق المعاني والأفكار. كان هدف المستشرقين إثارة الفتنة بين صفوف المسلمين واستعملوا كتبهم لنشر العداوة والكراهية للإسلام والمسلمين وأظهروا نواياهم الكامنة الخبيثة المسمومة مثل ما نرى في كتاب الدكتور أرنولد preaching of Islam . ألف هذا الكتاب للقضاء على روح الجهاد من بين المسلمين. فحاول الفراهي برد هذا الكتاب محاولا لاعادة مجد الإسلام والمسلمين ورفع عزة الإسلام.

لما هاجمت إيطاليا على طرابلس الغرب في ليبيا ،حزن الإمام حزنا شديدا، فعبر عن انفعاله وأسفه العميق في قصيدة طويلة عربية فيقول:

كيف القرار وقد نكس أعلامنا بطرابلس

كيف القرار وحولنا الأعداء ترتقب الخلس

نبكي على إخواننا بين القتيل ومن حبس

[٢١٠] مجلة "الندوة،شهر ديسمبر ١٩٠٥م العدد:٨، ص: ٣٤

هم أهلنا وعشيرنا أفيألمون ولا نحس[٢١١]

قضى الفراهي حياته مدافعا ومناضلا عن الإسلام والمسلمين في نشاطاته العلمية والأدبية.

الصدق

الصدق والقول الحق من صفات أخلاق الفراهي المحمودة منذ صغر سنه. قد التزم به شديد التزام ولم يحب أن يذكر عنه أنه كذب وخدع ونافق حتى في المواضع الحرجة. قال مرة "تجاربي قد أكدت لي أنه ليس في الصدق أدنى ضرر"وهو يذكر واقعة طريفة حدثت في الصغر فيقول: لما أردت الرحيل إلى لاهور لأدرس الأدب العربي من الأستاذ فيض الحسن ذهبت إلى أمي لأؤدي لها تحية الوداع فودعتني بحرارة وأعطتني شيئا من النقود ثم ذهبت إلى والدي لأودى التحية وأطلب منه الإذن فسألني "كم روبية أعطتك أمك" ؟ فحيرني هذا السؤال وأوقعني في الارتباك وخشيت بأنني إن بينت له العدد الكامل فيمكن أن ينتقص من العدد الذي يريد أن يعطيني أبي ولكن ما كنت أريد أن أكذب فقلت له أنا لا أدلكم على هذا فأعجب من هذا الجواب وقال إن حميدا لن يكذب في أي حال من الأحوال وأعطاني نقودا أكثر مما كنت أحسب وأتوقع.[٢١٢]

الرحمة على الفقراء

اعتاد الفراهي أن يعين الفقراء والمحتاجين في حياته. إذا رأى شخصا محتاجا يحس بالألم والشفقة، فيعطي قدر ما يستطيع من النقود، حينا يرسل النقود بالحوالة البريدية إلى ذوي الحاجة. كانت أسرته غنية، كما له دخل من مرتب عال، لكن المنزل والمفروشات كلها عادية متواضعة لا توجد فيها آثار التكلف والإسراف. كان يلتزم بالاقتصاد في المأكل والملبس بدون ميل إلى الحرص والطمع، بل ينفق القسط الكبير من دخله لشراء الكتب النادرة.

يذكر الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي عن حياته الأخيرة في مدرسة الإصلاح حين كان يشرف عليها فيقول "إنني قضيت معه قرابة ما يتجاوز خمس سنوات وفي خلال هذه المدة كانت حياته مثل الطلبة والأساتذة،يأكل معنا جالسا على الحصير كل ما كان يقدم لهم من الأطعمة العادية ويلبس مثل ما كنا نلبس من الملابس العادية ويختلط معنا وكان منا حيث يصعب على الرجل الغريب معرفة شخصيته إلا بلحيته

[٢١١] الفراهي، ديوانه العربي، مطبعة أختر حيدر آباد، ١٩٣٧م ص ١٨

[٢١٢] مأخودة من مقالة بعنوان عبد الحميد الفراهي للكاتب د. ظفر الإسلام الاإصلاحي في مجلة الهند، يوليو سمتمبر ٢٠١٨م، ص: ١٧

المستديرة ووجهه المشرق المنير ولا يخطر على بال أحد أنه الذي كان في يوم من الأيام مرجعا هاما وخاصا للأستاذ شبلي وأنه الذي أسست على نظرياته ومناهجه التعليمية جامعة كبيرة مثل الجامعة العثمانية"[٢١٣]

الإباء

كان الفراهي محافظا شخصيته من الإهانة والذلة والعار بسلاح الإباء. لم يسع أبدا وراء المناصب العالية بمدح كاذب ومجاملة زائفة. لما كان في عليكره طلب منه سيد أحمد خان ترجمة تفسيره إلى اللغة العربية ولكنه أبى. لم يستعد أن يشارك فيما لا يرضى عن نفسه. لو كان حريصا مجاملا ليمكن أن ينال منصب عال لنفوذ سيد أحمد خان لدى الإنكليز . حينما كان مسافرا مع اللورد كرزن الحاكم البريطاني أبى أن يكون مجاملا له. إن كان مادحا أحدا من الوزراء والأمراء لكان متمتعا بمناصب عالية لديهم.

الورع والزهد

كان الفراهي معروفا بفرط الذكاء ونفاذ البصر وسرعة الإدراك ودقة الاستنباط. تمتاز شخصيته بالورع والزهد عن الدنيا والعزوف عن السمعة. كان يحسن العبادة ويجود الناس برفق وغنى النفس ويخالطهم بتواضع وسلام. يقول العلامة شبلي النعماني رحمه الله ":من جلس إلى عبد الحميد إنصرف قلبه عن الدنيا"[٢١٤]

ويقول السيد سليمان الندوي رحمه الله:"كان رحمه الله آية من آيات الله في حدة الذهن وكثرة الفضل وسعة العلم ودماثة الخلق وسداد الرأي والزهد في الدنيا والرغبة في مرضاة الله"[٢١٥]

وصفه صاحب نزهة الخواطر بالقول"جودة فهم، ووفور ذكاء، وشهامة نفس، وانصراف عن بنى الدنيا، وعدم اشتغال بما لا يعنيه". ويقول الأستاذ عبد الماجد الدريابادي رحمه الله:"كانت شخصية الفراهي قوية جذابة، قلما رأينا مؤمنا قانتا مثله،قيل في وصف أولياء الله، إن الجلوس معهم يذكر الإنسان بالله سبحانه، وكان يصدق هذا الوصف على الفراهي صدقا تاما. أما الصلاة فكأن قلبه معلق بأوقاتها. أقام في حيدرآباد سنوات عميدا لدار العلوم، يتقاضى مرتبا عاليا، وكانت صلته بطبيعة الحال بعلية القوم، لكن لم يتغير شيء مما كان عليه من القناعة والاقتصاد في المطعم والملبس والديانة والصدق والإخلاص. أما

[٢١٣] الاإصلاحي، أمين أحسن، مجموعة تفاسير الفراهي، المكتبة المركزية والمنظمة الإسلامية، مطبعة مركنتائل ، بدون التاريخ ،ص٣٩

[٢١٤] النعماني، شبلي حياة حميد الدين الفراهي ، مجلة الهند، عدد خاص، الجزء الثالث، ص: ٥٥

[٢١٥] ترجمة الفراهي الملحقة بكتابه"الإمعان في أقسام القرآن"الناشر:دار القلم:ص:١٥

مجالسه فلا مجال فيها للغيبة ولغوالقول والهزل. وبالجملة فلم يكن له نظير لا في العلم والفضل ولا في الديانة والتقوى"[٢١٦]

لقد تهيأت كل فرص النعم والثروة للفراهي ولكن لم يتمتع به كما يتتمع أهل الدنيا، وحاز كل ما تطمع فيه النفوس من الأموال والألقاب وحسن الصيت ولكنه زهد عن زخارف الدنيا مقبلا على الله. كان من ورعه وعدله أنه حكم في قضية على والده، مع أنه كان من أبر الناس به. كان الفراهي متمسكا بالعدل والورع ولو كان على ذا قربى في كل حين من أحيان الحياة.

صفاته الخلقية:

قيل في وصف الفراهي الخلقي: إنه كان أسمر اللون الماثل إلى البياض، ونحيل الجسم، ومتوسط القامة، وكامل اللحية، قليل الكلام، كثير الفكر، محبا للعزلة، ومهيبا ووقورا، ورشيدا ورزينا.[٢١٧]

صفاته العقلية والعلمية:

كان الفراهي ذا عقل نير وذهن ثاقب وقاد. قد امتلك موهبة فطرية وقريحة أدبية. لمعت شخصيته كنجم باهر في بيئة علمية بجهده المتواصل. قد بدت مخايل النبوغ والتفوق والكمال في شخصية الفراهي منذ حداثة سنه. فأيقن أهل العلم والخبرة التربوية في الشؤون التعليمية أن هذا الطالب المجتهد الموهوب سيكون عالما كبيرا وعبقريا فذا. تمتاز شخصيته بسرعة التفكير وقوة الحجة. كان ذا حافظة قوية وذكاء حاد. وبهذه الميزات نال الفراهي احترام الجميع كأنه مؤدبا وتلميذا صالحا منذ صغر سنه.

الفصل الخامس: نظرياته وإصلاحاته

موقف الإمام الفراهي من السنة النبوية والحديث الشريف

كان الإمام عبد الحميد الفراهي من الأعلام البارزين في تاريخ الإسلام ،هم الذين وفقهم الله تعالى للتدبر في كتابه العزيز. إن القرآن هو كتاب الهدى الحقيقي الذي نزل من رب العالمين. تفسيره السنة التي هي أفعال الرسول ﷺ وأقواله وأعماله المعروفة. بني الإسلام على هذين الأساسين، فإذ القرآن نورا فالسنة ضياءها التي خرجت منها. ولذا يحب الفراهي السنة حظا هاما من حب كتاب الله تعالى. وهو يشتغل بها أكثر من غيرها بعد كتاب الله تعالى. إنه درس معظم كتب الحديث بإمعان النظر،لأنها أهم المصادر لمعرفة السنة.

[٢١٦] الدريابادي، عبد الماجد، مقالة كتبها في صحيفة(صدق)،عدد:١٩/المجلد :٦،عام ١٩٤٥،ص: ٢٣

[٢١٧] الاإصلاحي، شرف الدين، ذكر فراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، البلاغ ببليكشنز، نيو دهلي، ص: ٦٧

يقول تلميذه أمين أحسن الإصلاحي: " أنه (الفراهي) كان قد درس جميع كتب الحديث الموثوق بها بغاية الدقة والتحقيق، وكان يرى أن معظم الأحاديث مستنبطة من القرآن والسنة."[٢١٨] يستفاد من هذا القول أن الفراهي يطالع كتب الحديث وأصوله وكتب الرجال ويعلق عليها أثناء المطالعة تأييدا أو نقدا أو توضيحا. كان يجرح الرواة ويعدلهم، ويحكم على الأحاديث بالانقطاع والإرسال والشذوذ والضعف وما إلى ذلك . إنما يدل ذلك على دقة نظر الفراهي في الحديث وسعة اطلاعه ومطالعته.

المراد بالسنة عند الفراهي هي الطريقة الثابتة عن النبي ﷺ وهي أن تكون معلومة ومعروفة فقط والتي عمل بها النبي ﷺ مرارا. ولذا لا يحتمل للكذب، وهي قطعية. أما الحديث يحتمل صدقا أو كذبا، ولهذا يقال ظنيا. كتب الفراهي تعليقات على كتاب "المصفي شرح المؤطأ" للشاه ولي الله المحدث الدهلوي، يتضح فيه الفرق بين الحديث والسنة. قال الشافعي في كتابه الرسالة . تعريف الحديث عند الفراهي فهو ما قاله المحدثون، ولكن يختلف معنى السنة عنده فيعرفها: السنة ما ثبت عن النبي ﷺ وقد علمه الصحابة وعرفوه.[٢١٩] يقول الإمام الفراهي عن مكانة الحديث التشريعية واضحا " إن قوله ﷺ أصل مستقل سواء استنبطه من الكتاب أم لم يستنبطه. وهذا أمر مسلَّم لا يشك فيه مسلم. ومع ذلك معلوم أنه ﷺ كان يستنبط من كتاب الله". [٢٢٠] يتضح من قوله أن النبي ﷺ مبين الكتاب ومفسر له. هو يفسر عن طريق الأقوال والأفعال. قسم الإمام الفراهي الأحكام التي بينها النبي ﷺ من حيث نسبتها إلى القرآن إلى ثلاثة أقسام. القسم الأول: ما صرح فيه الرسول ﷺ بأنه حكم بالكتاب، ولم يكن الحكم بظاهر الكتاب ونصه. القسم الثاني: من الأحكام ما لم يصرح فيه بذلك ولكن وجه استنباطه من الكتاب ظاهر على العارف بدلالات الكلام. ومن هذا القسم ما خفي فيه وجه الاستنباط على العلماء. القسم الثالث ما لا نجد في الكتاب ولكن الزيادة به محتملة، فجعلنا السنة فيه أصلا مستقلا، فإن الله تعالى أمرنا عموما بإطاعة الرسول ﷺ. يرى الفراهي أن الأقسام الثلاثة الأولى حقيقية. القسم الأول فهو بمكانة الأحكام التوضيحية، وأما القسم الثاني هو بمكانة الفتاوى التي أصدرها النبي ﷺ طبقا للنصوص القرآنية. وفي القسم الثالث جعل الفراهي الحديث أصلا مستقلا. ستكون وجوه الاستنباط واضحة بعد التدبر. فيعتبر الكتاب أصلا والسنة فرعا.

---

[٢١٨] الفراهي، عبد الحميد ، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، الهند، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، ص ١٦

[٢١٩] الإمام الشافعي، أبو عبد الله بن إدريس بن العباس، الرسالة، تعليقات الفراهي، رقم: ١٩، رقم الكتب: ١٤، ص: ١٨، ١٧

[٢٢٠] الفراهي، عبد الحميد، رسائل في علوم القرآن، المجموعة الثانية،إحكام الأصول بأحكام الرسول، الطبعة الأولى، ٤٣٢هـ،ص: ١٠٩

قال الإمام الفراهي في مقدمة كتابه" تفسير نظام القرآن" إن القرآن نفسه أصل وإمام للتفسير. والأحاديث النبوية وما ثبت واجتمعت عليه الأمة من أحوال الأمم والصحف القديمة كالفرع والتبع يقول: ولولا لا تطرق الظن والشبهة إلى الأحاديث والتاريخ، والكتب المنزلة من قبل لما جعلنا كالفرع، بل كان كل ذلك أصلا ثابتا يعضد بعضه بعضا من غير مخالفة."[٢٢١] ولذا يقف الفراهي موقفا باتخاذ القرآن مأخذا للتفسير دون بناء التفسير على الحديث، ثم يرجع إلى الأحاديث الصحيحة للتأييد أو المزيد من الاستدلال. قال الفراهي : " واليأس من القرآن والتمسك بالأحاديث وهن وفتح لأبواب الأكاذيب ولا يتم الحجة عليهم،فليعتصم بالقرآن وبنظمه ويشيده بالسنة والخبر الصحيح والعقل الصريح"[٢٢٢]

مذهب الإمام الفراهي الديني

من المعروف لدى الجميع أن الإمام الفراهي نذر حياته بكل أمانة وإخلاص للبحث والاستفادة في علوم القرآن. كانت حياته العملية ومواقفه العلمية توضح أنه لم يكن مقلدا لمذهب أحد .إنما تتجلى حياته التي تبرز مآثرها في شخصيته وهو يخدم لنشر علوم القرآن تأليفا وتدريسا. كان الإمام عبد الحميد الفراهي متمسكا بعقيدة أهل السنة والجماعة باتباع السلف الصالح. لكنه انتقد آرائهم في مؤلفاته بدون سب ولا شتم. توجد في مؤلفاته البحوث والتحقيقات والاجتهادات. ويخالف بقوله "أخطأ رحمه الله". إنه اتخذ موقفا متوسطا موافقا للأدب الإسلامي في إثبات ما استنبط من الكتاب والسنة وانتقاد ما يخالف لهذا من الاجتهاد والبحث. يقول الإمام الفراهي:"لا ريب أن الشك تحته شيئان يبنى عليهما البحث والتحقيق وهما الجهل وبغضه. فعندما يفهم الإنسان تفاهة علمه التقليدي فهو يرى ذلك العلم جهلا فلا يعتبر علمه علما وعندما غلب عليه هذه الحالة فهو طبعا ترغب في العلم فينبغي لطالب الحق أن يضع أمام عينيه الحرية والعناية بآراء السلف ثم يتقدم لا سيما في القضايا التي تكون خطيرة وإلا فلا يمكن لطالب الحق أن يستفيد من السلف وتجعله الحرية أسفل مما يخاف التقليد".[٢٢٣]

يعتبر الإمام الفراهي مجتهدا في كافة العلوم وإماما لعلوم القرآن الكريم. يعد من خواص الأمة لأن التلاميذ يرثون من ميراث علومه ويعملون عليها وفيهم العلماء الذين تنسب أسماءهم إلى الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي. وبالرغم من ذلك أنهم مجتهدون وأئمة في مذهبهم. قد عملوا على مذهب أئمتهم،كما أنهم خالفوا في بعض نظرياتهم وآرائهم.

[٢٢١] الفراهي، عبد الحميد، فاتحة تفسير نظام القرآن،المقدمة الثانية في المآخذ الخبرية، الدائرة الحميدية، سرائمير، ١٣٥٧هـ، ط/ ١ص: ٢٨

[٢٢٢] الفراهي، عبد الحميد، رسائل الفراهي، المجموعة الأولى ، االتكميل في أصول التأويل،الدائرة الحميدية، سرائمير، ١٩٩١م، ص: ٢٢٥

[٢٢٣] الفراهي، عبد الحميد، فاتحة نظام القرآن، الدائرة الحميدية، سرائمير، ص:٢٥

كان العلامة محمد فاروق التشرياكوتي وفاضل اللكنوي من أساتذة العلامة شبلي والإمام الفراهي كانا من الأحناف.العلامة شبلي المرحوم هو أول مهندس لقصر الفراهي. قد استفاد الفراهي من أستاذيه العلامة شبلي النعماني والعلامة فيض الحسن السهارنفوري استفادة كثيرة. كان الإمام الفراهي يعمل على الحنفية ولكنه لم يكن غاليا فيها .إنه اعترف بدقة نظر الإمام أبى حنيفة وأثنى على تفقهه في الدين و لذا يتضح هنا أن الإمام يوافق المذهب الحنفي في اتباع أحكام الإسلام مثل الصلاة والصيام والزكاة والحج وجزئياتها.

نظرياته الإصلاحية

بعد ثورة ١٨٥٧ م قد قام علماء الهند الأعلام بنشاطات جليلة على إثر خطة العمل خلال انحطاط السلطنة المغولية. قد كانت طريقة هذه الجهود المخلصة بامتزاج من العلم الصحيح والعمل الصالح. اتبعوا منهج السلف الصالح في أداء الأمانة مع التمسك بالعقيدة المستقيمة وتعاليم الدين الحنيفة السمحة .لا يمكن أحد أن ينكر دور معاهد ديوبند وسهارنفور ومراداباد ودلهى العلمية في إثارة روح الحرية وإقامة الأعمال الجليلة لإعلاء كلمة الله. بذل العلماء قصارى جهودهم بتضحية ما في أنفسهم لتحقيق إصلاح الأمة بكل معانيها. بدأوا أعمالهم من محاريب المساجد وزوايا المدارس والمواضع الأخرى. أقبل علماء ذلك العصر وتلامذتهم الراسخون في العلم على النشاطات العلمية والدعوية منتشرين في ربوع الهند وما وراء النهر. كانوا بعيدين عن الإشاعة والتعصب الديني. هنا لا يمكن أحد أن ينكر ما قام به الفراهي ببذل جهود متضافرة بموهبته وبصيرته لإثارة الثورة عن طريق القرآن كي يظهر الإسلام على الدين كله. كان مجاهدا حقيقيا ومصلحا دينيا وساعيا مخلصا في تربية الأمة البشرية جمعاء بتعاليم الأنبياء البررة. يرى الإمام أن الدواء الوحيد لكل داء خلقي وثقافي واجتماعي هو العودة إلى التعاليم الإسلامية متمسكا بكتاب الله عزوجل وسنة رسول الله ﷺ. لذا قال الإمام "أن أول واجب على العلماء أن يطهر العالم الإسلامي من الدنس الخلقي والضلال الديني بنشاطات تربوية دينية من المصادر التشريعية الأصلية النقية"[٢٢٤].

مو اقفه السياسية

كان الإمام الفراهي ناصحا أمينا في مصالح الأمة وله وعي تام وشعور خالص في سر نجاح ما قام به الرسول الأمي ﷺ ببعثته في الأمة الإسلامية. يكفي لكل من يطلب الدليل على حب وطنه قصيدته التي قرضها الفراهي عن طرابلس. أصبح الإمام مهتما أمام الحكومة البريطانية،ولذا قرضت هذه القصيدة ليتخطف عينا لهم، ولكن لم تنجح هذا الكيد،فبقيت هذه القصيدة بدون أن يتخطف الأعداء . هنا يرجع الفضل

[٢٢٤] الفراهي، عبد الحميد، ،فاتحة نظام القرآن الكريم، الدائرة الحميدية،سرائمير،١٣٥٧هـ، ص: ٢٠

لجمع هذا الديوان إلى الشيخ أختر أحسن الإصلاحي. لايزال يدوى أصوات إصلاح الفراهي بقلمه ولسانه في كل نواحى العالم،بمساهاماته الجليلة،قلما توجد أمثاله فيما ترك للاحقين من ثروة علمية جمة.

نظرياته التعليمية

كان الإمام عبد الحميد الفراهي من أبرز شخصيات القرن الرابع عشر الهجري. قد ترمز شخصيته ومآثره إلى البحث والتحقيق في العلوم القرآنية. لا يكتمل تاريخ العلم والفكر للهند الإسلامي من دون ذكر الفراهي، لأن خدماته العلمية والفكرية تظهر عدة جوانب تمتاز بها شخصيته، وينفتح بها دور جديد لعلوم الإسلام. كان منفردا عن سائر علماء العصر لعلمه واطلاعه على العلوم والفنون القديمة والحديثة. تتمثل مآثر شخصية الإمام باطلاعه الدقيق على مجريات العصر. ذكر العلامة عبد الحق عالم الأردية المشهور في إحدى رسائله إلى الفراهي:

"إنك فرد من جماعتنا لا نجد لك نظيرا،فأنت تملك الفضائل الشرقية والغربية، وقد رزقك الله ذهنا متقدا وقلبا مدركا.[٢٢٥]

لا يوجد له نظير لدى الشخصيات الأخرى لارتباطه الوثيق طوال حياته بالقرآن الكريم. قد اعتكف آناء الليل والنهار على التفكر والتدبر بحيث يجرى بحثه وتحقيقه على منهج متميز.كان يعتمد على القراءة فيما يكتب بدل النقل والرواية.

تتبلور خدمات الإمام في مجال التدريس،وتتجلى علامات نبوغه في التعلم بإرتباطه طوال حياته. كان في مدرسة الإسلام بكراتشي من ١٨٩٧م إلى ١٩٠٤م،كلية عليكره من ١٩٠٧م إلى ١٩٠٨م،كلية ميور المركزية بالاه أباد من ١٩٠٨ إلى١٩١٤م، دار العلوم بحيدرآباد من ١٩١٤ إلى ١٩١٩م،مدرسة الإصلاح بسراي مير من ١٩١٩م إلى ١٩٣٠م. قد منحت له التجارب في المؤسسات المختلفة في هذه المدة تصورا جديدا وفكرة مميزة في نظرياته التعليمية.

بعد ثورة ١٨٥٧م صار النظام التعليمي للمسلمين مشتة. إن المسلمين واجهوا قضية مهمة، هي التي تفقد هوية المسلمين. فلا بد لهم من حفظ الهوية مع شخصيتهم المميزة. قد وجدوا حلا لهذه القضية أن يحث المسلمين على التعليم بحيث يمكن أن يعيش شعبا حيا ذا هوية فاخرة. لذلك حاول المسلمون بالرغم من الصعوبات التي كانوا يواجهونها أن يحقق الإصلاح والنهضة في النظام التعليمي. كانت هذه المحاولات مثمرة

[٢٢٥] الفراهي، عبد الحميد، ذكر فراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، البلاغ ببليكيشنز،, ٢٠٠١م ، ص:٢٩٩

لوجود حركة عليكره وحركة ديوبند. كل واحدة من هذه الحركتين تتمثل طريقين مختلفين في العملية التعليمية. لا مراء أن هاتين الحركتين كانتا تؤتى أكلهما، ولكن تحتاج إلى حركة جديدة بحيث يمكن أن يحقق الإصلاح الكامل في المناهج التعليمية. لذلك قام العلماء الأجلاء والمفكرون المتفتحون أن يؤسس حركة جديدة لإصلاح المناهج التعليمية. كان العلامة شبلي النعماني على رئاسة هذه الحركة التي قدمت تصورا شاملا للعملية التعليمية. جدير بالذكر اسم تلميذه عبد الحميد الفراهي الذي قام مساعدا ومشاركا للأستاذ في النشاطات القومية والعلمية والتأليفية. وبالرغم من وجود توافق فكري بين شبلي والفراهي،كما ظهر بعض الخلاف في أمور تعليمية وعلمية. ولكن تمكن لوجود التطور الممدوح في هذا المجال من قبل هذين العالمين الجليلين. قد نوقشت نظرية الأستاذ في التعليم كثيرا، ولكن لا توجد المناقشات مع تحليل نظرياته التعليمية كبحث مهم. ولذا أحاول لتسليط الضوء على أعماله التعليمية ليفهم تطبيق نظرياته في معاهد مختلفة.

تطبيق نظريات الإمام الفراهي في دار العلوم

الفترة التعليمية التي قضاها الفراهي في دار العلوم ومدرسة الإصلاح،وهي تسلط الضوء على مظاهر تطبيق نظرياته التعليمية. قد جمع الدكتور شرف الدين الإصلاحي في "ذكر فراهي"جميع المعلومات المرتبطة بمدرسة الإصلاح.

بعد أن تولى الفراهي منصب مدير دار العلوم، صارت المؤسسة إلى درجة الكلية الشرقية موافقة على الخطة التعليمية من قبل حاكم حيدراباد. لاتتم تحقيق أهدافا منشودة من إنشاء هذه الكلية إلا بواسطة الطرق الثلاث التالية :

١-أن يكون تعليم العلوم الشرقية كاملا ودينيا أكثر من ذوي قبل.
٢-قرر أن تكون اللغة الإنجليزية إلزامية وتمنح درجة اللغة الثانية
٣-وأن يتم إدخال العلوم الحديثة ضمن المنهج التعليمي

حاول الإمام لرقي هذه الكلية لإصلاحها بتشكيل هيئة دار العلوم، وقدم خطة تتحقق التغيرات الجذرية والنتائج بعيدة المدى. كان الهدف الرئيسي من هذه الخطة جعل دار العلوم مؤسسة ممتازة بمحاولات مزج العلوم القديمة بالعلوم والفنون الحديثة حسب الضرورة. أختير الفراهي رئيسا للجنة"إصلاح المناهج" التي تضم أربعة عشر عضوا، بالإضافة إلى كونه مديرا لدار العلوم في حيدرا آباد. بعد تقديم هذه اللجنة التقرير لإصلاح المناهج، تم خلال فترة تجاوزت سنتين إعلان عن تأسيس الجامعة العثمانية وتقرر ضم دارالعلوم

إليها .قد خطط تطوير منهج دار العلوم باحتفاظ المقترحات المقدمة من قبل اللجنة ،لكن لم تنجح هذه المحاولات في تنمية دار العلوم.

كانت دار العلوم ملتزمة بتدريس مقررات المنهج فقط. حينما تولى الفراهي منصب المدير أدخل مادة التاريخ في المنهج كمادة رئيسية. كذلك قام بتدريس العلوم لدرجة "العالم" كمادة اختيارية لشهادة الثانوية، ولكن لدرجة "دبير" كتيبات عن العلوم الطبيعية والكيمياء. كان للفراهي وجهة خاصة في المنهج التعليمي لعلو إدراكه ومعرفته بالعلوم الغربية.

تتميز نظرية الفراهي التعليمية عن معارضيه في نوع التعليم ومناهجه وهدفه. لما أقبل المعارضون على تحويل قبلة الجامعة من جامعة شرقية مقترحة من قبل شبلي إلى جامعة تتزين باللباس الغربي،فحاول للتطوير بحيث يتم التعليم باللغة الأردية.

قد تربع العلامة على منصب رئيس المدرسين في دار العلوم حيدرآباد في يونيو ١٩١٤ هـ حيث احتلت دار العلوم درجة الكلية الشرقية، ولذا يلقب رئيسها بالمدير.وضع العلامة شبلي النعماني مشروعا للعلوم الشرقية، وأسست المدارس الشرقية العليا في الحكومة الآصفية حسب هذا المشروع سنة ١٩٠١-١٩٠٥م. كانت الدراسة تجري على أساس المقررات الدراسية الخاصة التي تمزج بين العلوم القديمة والجديدة. يعرف خريج هذه المقررات بلقب "المولوى"ثم يلتحق الطالب لنيل شهادات عليا من "عالم" و"فاضل"وكامل" بمدرسة "دار العلوم".

أعدت دار العلوم المشروع الذي يصلح للتطبيقات لكي يقتضى للتغييرات في المقرر الدراسي. فأقبل الأساتذة الجدد على تقديمها، فوضع الدكتور سراج الحسن، مدير قسم التعليمات على الحكومة الآصفية مشروعا كاملا باسم"إصلاحات مدرسة دار العلوم". ثم وكل السيد أكبر علي نذر حيدر لإعادة النظر في هذا المشروع من قبل مستشار الشؤون التعليمية. قام الفراهي بمسؤولتين هامتين,١)إصلاح المقررات الدراسية لدار العلوم ٢)رسم الخطة التعليمية الجديدة لها. قد بذل الإمام جهودا مخلصة في مجال التعليم بحيث تطورت إلى الجامعة العثمانية.

تأسيس الجامعة العثمانية

لما أسست الجامعة العثمانية للحكومة الآصفية بحيدرآباد، فتحت أبواب الفرص لتدريس العلوم الجديدة والقديمة. قد تم تطبيق نظريات الفراهي التعليمية من خلال خطة دراسية. يدرك من متن الخطة المطبوع للجامعة العثمانية.

"تأسيس جامعة للحكومة الآصفية تدرس العلوم الجديدة والقديمة وكانت نموذجا للمزج التام بين العلوم الجديدة والقديمة، وبين العلوم الشرقية والغربية وفنونها وتعمل لتقليل المناقص في المقررات الدراسية الرائجة، يمكن بها الاستفادة من محاسن التعليم الجديد والقديم للجسم والدماغ والعاطفة على السواء، وهي تعمل لإبلاغ العلم في جانب والإشراف على إصلاح القيم والأخلاق في جانب آخر،كما استمر عمل التحقيق في الأقسام الكلية العلمية من غير توقف، وأن يكون أساس هذه الجامعة توفير التعليم العالي في اللغة الأردية.[٢٢٦]

قدمت خطة تعليمية بعنوان تشكيل هيئة دار العلوم نظرا إلى الإصلاحات العلمية. تطورت دار العلوم وأصبحت كلية عالية مستقلة. إن انتشار العلوم وترويجها والتفكير في المسائل العلمية أمر شاق،لكن لما أعلن المقرر الدراسي، وهو لا يختلف عن المقرر الدراسي الماضي. كذلك نظريات الفراهي التعليمية مفعولة في تعليم العلوم الجديدة. ولذا جدير بالذكر والثناء مجهودات الفراهي في نشأة الجامعة العثمانية وتطورها.

تطبيق نظريات الإمام الفراهي في مدرسة الإصلاح

مدرسة الإصلاح بسرائ مير مشهورة، وهي تقدر من أقدم وأهم المؤسسات التعليمية في أترابراديش الشرقية. هذه المدرسة متميزة بالتعليم المحقق للقرآن الكريم. تم تشكيل نظامها التعليمي للمزج بين القديم والجديد والتسامح الديني وعدم الانحياز. لن يستهان ما قام به شبلي النعماني والفراهي لتأسيس الجامعة العثمانية بحيدراباد. كذلك تنعكس الجهود وراء تأسيسها للتصورات العلمية والتعليمية لهذين الشيخين في تحديد الهدف العلمي والفكري لمدرسة الإصلاح وتشكيل نظامها التعليمي. حينما يبحث عن دور الفراهي في تشكيل منهج المد رسة الإصلاح، يمكن أن يدرك نظريته التعليمية. عبر الإمام عن الخطة التي أعدت للمدرسة كلمات مكتوبة في دستور مدرسة الإصلاح. إنما يقصد بتأسيس هذه المدرسة هو تعليم المسلمين الديني والدنيوي. اعتبر الإمام النقاط التالية حسب الأولوية في النظم التعليمية.

[٢٢٦] الخطة المطبوعة، الرقم المسلسل ٢٥/١, قسم التعليمات الحكومية العالية ١٣٣٥هـ

أ-أولى الإهتمام بالقرآن الكريم والحديث والفقه والأدب العربي.
ب-الغاية الكبرى هي التعلم والتمكن الصحيح بدون ميل إلى مذهب أو منهج خاص. إنما يكون النظر إلى تعاليم القرآن ومتون الحديث.
ت-إصلاح الأخلاق أي الالتزام بالشرع وروحانية الإسلام
ث- تسهيل المناهج مع التمكن
ج-التقليل من المصروفات مع توفير التسهيلات للطلاب.

اعتبرت مدرسة الإصلاح القرآن منبعا للهداية والتطور، ومحور جميع العلوم والفنون. ولذا أسست هذه المدرسة لتعليم القرآن وإنشغال المسلمين بعلوم أخرى التي تعتبر وسائل للتعلم، هي العلوم المستهدفة. إن الهدف الأساسي من تأسيس مدرسة الإصلاح هوعمل بوصية الرسول ﷺ في خطبة حجة الوداع: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله".في ضوء هذا القول ﷺ يجب علي الجميع أن يتمسك القرآن حق التمسك حيث يستهدي بنوره بالتعلم والتعليم. ولذا جعل الفراهي تعليم العلوم الأخرى تحت مظلة القرآن حيث يمكن تدريس الأدب والفقه والحديث والتاريخ والسير والمنطق والحكمة لتمهيد الطرق للتعمق في علوم القرآن.

يتضح من النظرة الاجمالية للخطة التعليمية أن فكرة التعليم لدى الفراهي ترشد إلى التبصر في الدين بالازدهار العلمي والارتقاء الثقافي. وضع الفراهي خطة تعليمية عالمية هي التي تدعوا إلى تدبر القرآن والتعمق في علومه. خلاصة القول أن أساس فكرة الفراهي التعليمية هو كتاب الله، وسائر العلوم والمعارف عنده يستلزم من القرآن الكريم.

الفصل السادس: مؤلفاته وأسلوبه

آثاره العلمية

كان الإمام الفراهي كاتبا عبقريا نابغا. أخذ هذا العالم الجليل الفذ قلمه لتسجيل المعارف القيمة مما قام به من البحوث والتحقيقات مستخرجا من المنهل الصافي وهو كلام الله عزوجل. كان القرآن الكريم عمل ليله ونهاره، ومحور فكرته وأساس نظريته. لذا حاول هذا العالم الكبير أن يقوم بتطبيق التوجيهات القرآنية السديدة في مؤلفاته القيمة. قد اختار الإمام اللغة العربية لغة تأليفه. كان معظم مؤلفاته في لغة الضاد وهي تعتبر ثمرة جهوده الخالصة بتدبر القرآن وتحقيقات من علوم كلام الله عز وجل. يمتاز منهج تأليفه عن منهج عامة المؤلفين بمداومة النظر ودقة البحث في مادة الكتابة. إن المؤلفين معظمهم إذا عزموا على

تأليف كتاب،جمعوا مادته ثم رتبوها في صورة كتاب. أما الفراهي يختار مادة مؤلفاته حسب ضرورة الكتابة فيها، ثم يحل مشكلاتها كانت ماثلة بين عينيه. إذا حقق مسألة أو حل معضلة أو أحكم رأيا قيد ذلك وكتب عليه كتابة. لا يبدأ التأليف إلا بعد اكتمال جوانب البحث. أخيرا يقوم بالتنسيق حتى تكون إفادته فائدة تامة لكل عشاق العلوم.

قد قسم الشيخ أمين أحسن الإصلاحي آثار الفراهي إلى ثلاثة أقسام: الأول ما وفقه الله لانجازه ونشر أكثره في حياته، والثاني ما كتب جملة صالحة من فصوله، والثالث ما لم يمكن له أن يكتب إلا بعض مباحثه أو تعليقات متفرقة حوله. أسرد هنا عناوين آثار الفراهي-- إن كانت كاملة أو ناقصة- - وفيها المطبوعة والمخطوطة مرتبة على حروف المعجم.

الآثار المطبوعة

-أسباق النحو هو كتاب ألف في اللغة الأردية في جزءين لتعليم النحو والصرف للناشئين على منهج ميسر جديد. وقد صدرت طبعته الأولى في حياة المؤلف، ثم زاد فيه أشياء، وكان في بعض الأبواب بياض تركه للأمثلة فأضافها تلميذه الشيخ أختر أحسن الإصلاحي ونشره سنة ١٣٥٧هـ . وصدرت منه طبعات كثيرة، وهو مقرر في عدد من المدارس الدينية في الهند.

٢-أساليب القرآن : يختص هذا الكتاب بذكر وجوه الأساليب في القرآن وبيان دلالاتها ومواقع استعمالها. نشرته الدائرة الحميدية سنة ١٣٨٩هـ

٣-أمثال آصف الحكيم : مجموعة حكايات آصف، ونقلها الفراهي من الإنجليزية إلى العربية في زمن طلبه. ونشر الكتاب بعد وفاته ،وصدرت منه عدة طبعات، وهو مقرر في بعض المدارس الدينية في الهند.

٤- الإمعان في أقسام القرآن : أفرد هذا الكتاب للبحث عن أقسام القرآن. صدرت منه طبعتان في حياة المؤلف أولهما في مدينة لكناء وكانت صغيرة الحجم. ثم زاد المؤلف في فصوله وألفها على نحو جديد وصدرت هذه النسخة المعدلة من المطبعة الأحمدية في عليكره سنة ١٣٢٩هـ ،وصدرت الطبعة الثانية من المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٩هـ ،وصورتها دار القرآن الكريم بالكويت سنة ١٤٠١هـ. ثم صدرت طبعة منه باعتناء الكاتب من دار القلم بدمشق سنة ١٤١٥هـ.

٥-تحفة الإعراب : قصيدة رائية في النحو بالأردية مشتملة على ١٢٨ بيت،مقررة في بعض المدارس الدينية، طبعت في حياة المؤلف وصدرت منها عدة طبعات.

٦-ترجمه فارسي باره طبقات ابن سعد. ترجمة جزء من طبقات ابن سعد بالفارسية طبعت في مطبعة مفيد عام بمدينة آغره سنة ١٨٩١م.

٧-ترجمه فارسي رسالة بدء الإسلام ترجمة رسالة بدء الإسلام من تأليف العلامة شبلي النعماني بالعربية،طبعت بمطبعة مفيد عام بمدينة آغره سنة ١٨٩١هـ.

٨-التكميل في أصول التأويل: رسالة قيمة في أصول التفسير لم يقدر للمؤلف إكمالها. نشرته الدائرة الحميدية سنة ١٣٨٨هـ .

٩-جمهرة البلاغة : هذا الكتاب يبين مبادئ علم البلاغة على أساس القرآن الكريم وكلام العرب الأقحاح. بدأ تأليف هذا الكتاب في سنة ١٣٢٢ هـ. نشرته الدائرة الحميدية بعد وفاة المؤلف سنة ١٣٦٠ هـ

١٠-خرد نامه : ترجمة منظومة لأمثال سليمان عليه السلام بالفارسية الدرية، نشره المؤلف في حيدراباد سنة ١٩١٦م.

١١-دلائل النظام : ألف هذا الكتاب لإقامة الحجة على وجود النظام(الوحدة الموضوعية) في كل سورة من سور القرآن الكريم. يوضح فيه المؤلف الطرق التي تهدي إلى نظام السورة، نشرته الدائرة الحميدية سنة ١٣٨٨هـ

١٢-ديوانه العربي : نشره الشيخ بدر الدين الإصلاحي من الدائرة الحميدية سنة ١٣٨٧ هـ.

١٣-الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح. صدر هذا الكتاب في حياة المؤلف سنة ١٣٣٨هـ وطبع في مطبعة معارف بأعظم كره، وصدرت طبعة أخرى منه من الدائرة الحميدية سنة ١٤١٤هـ، ثم أصدرت دار القلم بدمشق سنة ١٤٢٠ هـ.

١٤-رسالة في عقيدة الشفاعة والكفارة بالإنجليزية ،رد بها على بعض علماء النصارى. قد ذكر هذه الرسالة العلامة السيد سليمان الندوي في ترجمة الفراهي.

١٥-فاتحة نظام القرآن: مقدمة تفسيره(نظام القرآن وتأويل الفرقان بالقرآن)نشرها الدائرة الحميدية سنة ١٣٥٧ هـ بعد وفاة المؤلف،وتقديم الكتاب بقلم العلامة السيد سليمان الندوي.

١٦-في ملكوت الله : قصد فيه ذكر السنن الإلهية في رقي الأمم وانحطاطها وعلو الحق وهزيمة الباطل وأصول النظام السياسي للإسلام. لم يوفقه على إتمام هذا التأليف. نشرته الدائرة الحميدية سنة ١٣٩١هـ

١٧-القائد إلى عيون العقائد : نشرته الدائرة الحميدية سنة ١٣٩٥ هـ.

١٨-مفردات القرآن : أتم المؤلف تأليف هذا الكتاب لأجل تحقيق المفردات في ضوء القرآن الكريم وسنن كلام العرب.

١٩-نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان وهو تفسيره الكبير الذي صدرت منه الأجزاء الآتية:

أ-تفسير سورة الفاتحة والبسملة. نشر مع فاتحة نظام القرآن سنة ١٣٥٧هـ.

ب- تفسير سورة الذاريات، مطبعة معارف باعظم كره.

ج- تفسير سورة التحريم ،مطبعة فيض عام عليكره، سنة ١٣٢٦ هـ

د-تفسير سورة القيامة،صدرت طبعته الأولى من مطبعة فيض عام بمدينة عليكره

هـ- تفسير سورة المرسلات،مطبعة معارف

و-تفسير سورة عبس، مطبعة معارف

ز-تفسير سورة الشمس، مطبعة فيض عام ، سنة ١٣٢٦هـ

ح-تفسير سورة التين ،مطبعة معارف

ط-تفسير سورة العصر، مطبعة فيض عام سنة ١٣٢٦ هـ

ي-تفسير سورة الفيل، مطبعة معارف، سنة ١٣٥٤هـ

ك-تفسير سورة الكوثر،مطبعة معارف.

ل-تفسير سورة الكافرون، مطبعة فيض عام، سنة ١٣٢٦

م-تفسير سورة اللهب، مطبعة معارف

ن-تفسير سورة الإخلاص، هذا الجزء وحده بالأردية، ولعل المؤلف ألفه لأحد معارفه بناء على طلبه، مدة إقامته بكراتشي. نشرته الدائرة الحميدية سنة ١٣٧٨هـ

٢٠-نواي بهلوى: وهو ديوانه الفارسي وقد طبع في حياة المؤلف بعنوان "ديوان حميد" بمطبعة شمسى فلى مدينة حيدرآباد سنة ١٩٠٣م. ثم أصدره الأستاذ بدر الدين الإصلاحي بهذا العنوان سنة ١٩٦٧م.

الآثار المخطوطة

تعد معظم هذه المخطوطات من القسم الثالث من آثار المؤلف حسب تقسيم الشيخ أمين أحسن الإصلاحي.

٢١-إحكام الأصول بأحكام الرسول ﷺ : هذا الكتاب في علم أصول الفقه المأخوذ من استنباطات الرسول عليه السلام في القرآن الكريم. النسخة المنقولة من الأصل في ٩ أوراق.

٢٢-الأزمان والأديان: هذه رسالة في حكمة عناية الدين بشهور وأيام وساعات معينة. لهذه الرسالة ثلاث مسودات يبلغ عدد صفحاتها ٢٢ صفحة.

٢٣-أسباب النزول:المسودة في ٩ أوراق.

٢٤-الإشراق في الحكمة الأولى من حقائق الأمور ومكارم الأخلاق: النسخة المنقولة من الأصل في ٤ أوراق

٢٥-أصل الفنون: رسالة بالأردية للمدرس في الأصول العامة لتعليم العلوم. المسودة في ٨ أوراق.

٢٦-الإكليل في شرح الإنجيل: المسودة في ١٠أوراق.

٢٧-أوصاف القرآن: لهذه الرسالة مسودتان، مجموع أوراقهما ٢٥ ورقة.

٢٨-تاريخ القرآن: المسودة في ١٠ أوراق.

٢٩- تزكية الروح: هذه الرسالة في ٣ أوراق.

٣٠- تعليقات في التفسير: هذه التعليقات قيدها على حواشي نسختين من المصحف في أثناء تدبره للقرآن الكريم، قد اصطحبهما تلميذه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي.

٣١-حجج القرآن: هذا من أجل مؤلفات الفراهي ،لكن لم يقدر على اتمامه. كتب المؤلف جملة من المباحث في هذا الكتاب. يشتمل على ثلاث مقالات وكل مقالة في ثلاثة أبواب. المقالة الأولى في نقد المنطق والفلسفة وعلم الكلام، والمقالة الثانية في تأسيس العلم وبيان طريق احتجاج القرآن، والمقالة الثالثة في ذكر حجج القرآن على الربوبية والمعاد والرسالة. والنسخة المنقولة من الأصل في ١٦٨ صفحة.

٣٢-حكمة القرآن: وهو أيضا من أهم كتب المؤلف، والنسخة المنقولة من الأصل في ٢٧ ورقة.

٣٣- الدر النضيد في النحو الجديد: بدأ تأليفه سنة ١٣١٥هـ، وله مسودتان مجموع أوراقهما ٤٤ ورقة.

٣٤- دلائل إلى النحو الجديد والمعانى والعروض والبلاغة: ذكر هذه الرسالة السيد سليمان الندوي في ترجمة الفراهي.

٣٥-الدمدمة والشمقمة: أراد المؤلف ترجمة كتاب (هتها يوك) من كتب الهنادك، وهو في تزكية النفوس، وبعد ذلك كان ينوي ذكر أصول التزكية في ضوء القرآن في كتابه السابق(تزكية الروح)و المسودة في ٦ ورقات.

٣٦-الرائع في أصول الشرائع: المسودة في ٢٣ ورقة ألحقت بها ٣٤ ورقة تشتمل على المباحث المتعلقة بالكتاب.

٣٧-رسالة في إصلاح الناس: المسودة في ٥ ورقات، وقد ترجمها الشيخ أمين أحسن الإصلاحي بالأردية ونشرها في مجلة (الإصلاح) عدد يونيو ١٩٣٦م

٣٨- الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ. النسخة المنقولة من الأصل في ٨ ورقات.

٣٩-سليقة العروض. هذا الاسم تاريخي يشير إلى سنة ١٣١٢هـ وللرسالة مسودتان في ٢١ ورقة، وكان المؤلف يريد إصلاح علم العروض ووضعه على نحو جديد . وقد علمه بعض تلاميذه على طريقته، ولكن لم ينجز تأليف كتابه.

٤٠-الطارق والبارق: مجموعة خواطر وأفكار

٤١-العقل وما فوق العقل: النسخة المنقولة من الأصل في ٤ ورقات.

٤٢-فقه القرآن: النسخة المنقولة من الأصل في ٦ ورقات.

٤٣- فلسفة البلاغة: أراد المؤلف بهذا التأليف تمهيد لفهم كتابه جمهرة البلاغة. لها مسودتان في ٦ ورقات.

٤٤- القسطاس: وهي رسالة في علم جديد، وهو منطق العمل وميزان الإرادات وأساس الحكمة العملية. النسخة المنقولة من الأصل في ١٤ ورقة.

٤٥-قيد الأوابد: مجموعة خواطر وأفكار

٤٦-لوامع الأفكار: مجموعة خواطر و أفكار

٤٧-مسائل النحو:الأصل في ٨ ورقات،وفي الصفحة الأولى عنوان الكتاب وبعده "من المفصل للزمخشرى"

٤٨-المنطق الجديد: الأصل في ١٨ ورقة

٤٩-نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان. بقيت أجزاء ناقصة من التفسير لم تطبع إلى الآن منها تفسير سورة البقرة،وهو يشتمل على تفسير ٦٢ آية في ٥٦ فصلا، وعدد أوراقه ١٢٤ ورقة. ومنها تفسير سورة آل عمران انتهى فيه إلى الآية ٣١.

٥٠-النظام في الديانة الإسلامية. وهو جزء من كتاب حكمة القرآن، ولكن نظرا لأهمية الموضوع أفرده بكتاب وكتب له خطبة مستقلة. النسخة المنقولة من الأصل في ١٠ ورقات.

٥١-النظر الفكري حسب الطريق الفطري. النسخة المنقولة من الأصل في ٦ ورقات.

المؤلفات المنشورة للإمام الفراهي في حياته:

١-أجزاء من تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان. وهي سور مفترقة من القصار فسرها على منهجه وطبع كل منها على حدة، ومنها تفسير سورة الذاريات، والتحريم، والقيامة، والتين ،والفيل، والكوثر والمسد

٢-الإمعان في أقسام القرآن

٣-الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح

٤-"خردنامه" نظم المؤلف باللهجة الدرية من اللغة الفارسية صحيفة أمثال "سليمان"

٥-رسالة بالإنجليزية في الرد على عقيدة الشفاعة والكفارة للنصارى

٦-الترجمة الفارسية لرسالة "بدء الإسلام"للعلامة شبلي النعماني

٧-الترجمة الفارسية لجزء من طبقات ابن سعد قام بها امتثالا لأمر السير سيد أحمد خان

٨-ديوان حميد وهو مجموعة شعره الفارسي.

تبقى مؤلفاته كلها ممتازة بثمرة الاجتهاد وقوة الابتكار وجودة الفكرة. يكفي لنا دليلا على فضله بين العلماء ما لقبه الذي العلامة السيد سليمان الندوي باسم ابن تيمية العصر في كلمة تأبينه بمجلة "معارف" .قد قام العلامة شبلي النعماني بتلخيص كتاب الفراهي "جمهرة البلاغة" باللغة الأردية في مجلة "الندوة".إن هذا الكتاب يحتوي على أصول جديدة منبثقة من الدراسات القرآنية و معتمدة على كلام العرب. قد أوضح المؤلف الأسس الجديدة لعلم البلاغة ردا فيه نظرية المحاكاة لأرسطو.

الدائرة الحميدية

كانت دولة الهند قامت بدورها الفعال في نشر الثقافة الإسلامية وإثرائها عن طرق مختلفة. طبعت كثير من أمهات الكتب العربية في التفسير والحديث والفقه والتراجم واللغة والفلسفة والمنطق والطب والعلوم. ومن الملاحظ أن عددا ملحوظا من المصادر وذخائر التراث العربي تم إخراجها إلى النور بفضل جهود أصحاب المؤسسات والمطابع الهندية. أنشئت دائرة قديمة للنشر والتوزيع باسم "الدائرة الحميدية"، وهي التي تطبع معظم مطبوعاتها في اللغة العربية وتقوم بالبحث عن الدراسات الإسلامية وعلوم العربية. ولكن لا يعرف عنها العلماء والباحثون في الأقطار العربية وأوساط الاستشراق إلا قليلا لأسباب هامة.

قد تم تأسيس الدائرة الحميدية في أوائل سنة م١٩٣٦ بعد وفاة الإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله صاحب تفسير "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" بست سنين. وسميت باسمه "الدائرة الحميدية".توفي الفراهي في شهر نوفمبر ١٩٣٠م. وخلف آثاره ودراساته القرآنية بين كامل وناقص. ومعظمها ألفت في اللغة العربية.

بعد وفاة الإمام الفراهي أقبل أصحابه وتلامذته على إنشاء مجمع يقوم بتحقيق مؤلفاته ونشرها وترجمتها باللغة الأردية. وهم تعلموا القرآن على منهجه وقاموا بنشر دراساتهم القرآنية. في أواخر سنة ١٩٣٦ أنشأوا مجلسا باسم "الدائرة الحميدية" بفضل مساعدة الأسخياء من المسلمين. كان الطبيب الجراح السيد حفيظ الله الطبيب الخاص للفراهي أنتخب الرئيس الأول لهذا المجلس .قد قررت الدائرة الحميدية أهداف المجلس في بداية النشاطات ولخصها الشيخ أمين أحسن الإصلاحي تلميذ الفراهي وصاحب تفسير "تدبر القرآن" في ثماني مجلدات باللغة الأردية في إفتتاحية العدد الأول من مجلة "الإصلاح".وهي كما يلى:

١-نشر المؤلفات العربية للإمام الفراهي ،ونقلها إلى اللغة الأردية

٢-إنشاء جماعة تدبر القرآن على منهج الإمام الفراهي، وتنظيم النشاطات التي تنشر ثمار أفكارها في تأليف الكتب والمقالات.

٣-إصدار مجلة شهرية بالأردية تقوم بدور ملحوظ في نشر العلوم من الدراسات القرآنية.
٤-إصدار صحيفة أسبوعية تقوم بإصلاح المسلمين الديني والثقافي والاجتماعي في أسلوب يمتاز به الجمال والسهولة والبساطة.

كان الشيخ أمين أحسن الإصلاحي قائما بالشؤون الإدارية للدائرة. إنه لعب دورا ملحوظا في تحرير المجلة وترجمة مؤلفات الإمام إلى اللغة الأردية. أما العلامة المرحوم أختر أحسن الإصلاحي ثاني اثنين من أخص أصحاب الفراهي، يرجع إليه الفضل لتصحيح المخطوطات وترتيبها وإعدادها للنشر

مجلة الإصلاح:

نالت مجلة "الإصلاح" الشهرية بالأردية مكانة عالية بين المجلات العلمية في شبه القارة الهندية، وهي التي أصدرتها الدائرة الحميدية بميزات علمية وطباعة أنيقة. وقد صدر العدد الأول للمجلة في شهر يناير سنة ١٩٣٦م. نشرت مجلة "الإصلاح" الترجمة الأردية لكتاب "الإمعان في أقسام القرآن"،والرأي الصحيح فيمن هو الذبيح"، وفاتحة نظام القرآن، وثلاثة عشر جزءا من تفسير الفراهي، عدا البحوث والدراسات القيمة حول مشكلات القرآن وعلومه. قد نشرت مقالات مترجمة من مجلة "الهلال" ومجلة "المقتطف" حول علوم الاقتصاد والاجتماع في مجلة "الإصلاح".قد استمر صدور المجلة طوال أربعة أعوام من يناير ١٩٣٦م إلى ديسمبر ١٩٣٩م، ثم اضطرت الدائرة إلى احتجابها لضيق الموارد.

مؤلفات الإمام الفراهي التي نشرتها الدائرة الحميدية

مؤلفات الفراهي التي نشرتها الدائرة الحميدية تحت صاحبيه ، أسماؤها فيما يلي:

١-تفسير سورة الفيل
٢-فاتحة نظام القرآن (مقدمة تفسيره الكبير)
٣-مفردات القرآن
٤-جمهرة البلاغة
٥-أربعة عشر جزءا من تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان باللغة الأردية
٦-الترجمة الأردية لكتاب "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح"
٧-الترجمة الأردية لكتاب "الإمعان في أقسام القرآن". الطبعة الثانية للأصل العربي قد صدرت بالقاهرة. الطبعة الجديدة للكتاب صدرت حاليا عن دار القرآن الكريم بالكويت.
٨-أسباق النحو: كتيب في جزئين في النحو بالأردية على منهج ميسر جديد لتعليم الناشئين

٩-تحفة الإعراب: منظومة في النحو بالأردية

١٠-أمثال آصف الحكيم: قد ترجمها الفراهي رحمه الله من الإنجليزية إلى العربية في زمن طلبه.

قام العلامة المرحوم اختر أحسن الإصلاحي بتصحيح المؤلفات. وهي جاهزة للطبع نحو كتاب "دلائل النظام" " والتكميل في أصول التأويل" وأساليب القرآن"، ولكن لم يتمكنوا من نشرها لأسباب مادية. كان الشيخ بدر الدين الإصلاحي تلميذ العلامة أختر أحسن الإصلاحي. قد امتازت شخصية بدر الدين بحدة الذكاء وقوة العارضة وشدة الحرص على ثروة علمية، ولذا إنه حاول لنسخ الأصول وتبييضها في حياته. تولى الشيخ بدر الدين مسؤولية مدير الدائرة الحميدية بعد وفاة أستاذه. إنه بذل جهودا جليلة لنشر مخطوطات الإمام باشتراء مطبعة جيدة للدائرة. هنا إشارة إلى أسماء المخطوطات التي نشرتها الدائرة تحت إشراف الشيخ بدر الدين الإصلاحي:

١-نواي بهلوي: طبعة جديدة لشعره الفارسي.

٢-ديوانه العربي

٣-دلائل النظام (حول فلسفة نظام القرآن عماد منهجه التفسيري)

٤-التكميل في أصول التأويل

٥-أساليب القرآن

٦-ملكوت الله

٧-القائد إلى عيون العقائد

ومن المؤسف أن الدائرة الحميدية لم تتمكن لها أن تنشر رسائل المؤلف كاملا. قد مضى على وفاة الإمام أكثر من تسعين عاما. وبالرغم من ذلك لا تزال نظرياته المبتكرة والمشكلات التي عالجها مجهولة في الأوساط العلمية. لو ظهرت الكتب في متناول الأيدي لتقدمت البحوث والدراسات عن العلوم القرآنية والنحوية والبلاغية والفلسفية. ولكن جدير بالملاحظة أن رسائل الفراهي معظمها نشرت ناقصة فلا تشتمل إلا فصولا وأبوابا، وبالرغم من ذلك وهي تحتل مكانة مرموقة في ميزان العلم من مجلدات ضخام. تعد هذه الرسائل تحقيقا وتجديدا واكتشافا، تمتاز بالإبداع والاجتهاد والاستدراك والإثارة والإنارة. ولذا يجب أن يكون نشر مؤلفات الفراهي بأكملها للبحث والتحقيق، خصوصا في الدراسات القرآنية.

المزايا الأسلوبية لكتابة الإمام الفراهي

قد تربى الفراهي على الأسلوب البارد الثقيل واللغة المسجوعة المعقدة والمحسنات اللغوية والبدائع اللفظية. كل هذه صفات اللغة العربية اللتي يتناولها الكتاب والمؤلفون في زمن حياته. لكن إختار الإمام

لكتابته سليقة أدبية فريدة تنم عن قدرته الفائقة على التعبير. كان موهوبا في التعبير عن المعاني اللطيفة والأفكار الدقيقة بأسلوب بسيط فصيح دون أيً تعقيد لفظي ومعنوي. قد عالج في مؤلفاته المواضيع المتنوعة والمباحث العلمية الرزينة من علوم القرآن وأصول التفسير والعقائد والتزكية وملكوت الله والتاريخ والبلاغة بأسلوب يمتاز بالبساطة والسهولة والدقة والرصانة. كل هذا يدل على أنه يملك القدرة اللغوية الفائقة المتميزة والبراعة الإنشائية الفريدة. لايوجد بين العلماء الهنود عبقري مثل الفراهي الذي كان له حظ وافر في الثراء اللغوي والعطاء الفكري. كل من يقرأ النصوص العربية المقتطفة من بعض مؤلفات الفراهي ورسائله العربية، يدرك المزايا الأسلوبية. أذكر هنا بعضا منها موجزا.

الإيجاز في الكتابة

ومن أهم ميزات لكتابة الفراهي هي الإيجاز. الإيجاز في اللغة العربية يطلق على أداء المعنى الكثير باللفظ القليل. وهو نوع من البلاغة. كان الفراهي ميالا إلى غاية من الإيجاز، ولذا لايزيد كلمة على ما يراه كافيا لأداء المعنى المراد. في بعض الأحيان قد اعتمد على الإشارة وهي تكفى للعاقل. حينما قدم الإمام أمام الدارسين والقراء البيان من شدة الإيجاز وحسن الرصيف، لايمكن الاستفادة منه بالقراءة السطحية. فتتطلب قدرا كبيرا من الإمعان والتفكر من قرائها ليستوعبوا مباحثها حق الاستيعاب. قد أشار الشيخ أمين أحسن الإصلاحي إلى هذه الميزة الأسلوبية في كلامه قائلا " قل هذه الخاصية ما شئت من العيب أو القدرة بأن العلامة الفراهي كان يحب الإيجاز والاختصار في أسلوبه لم يكن يخل في تأدية المعاني والمطالب وفي الحقيقة أنه كان يؤدي كلاما في سطور مما يبينه الأخرون في صفحات، وليس هذا الأسلوب بصحيح ومفيد لرجل ذكي فحسب بل إنه لا يحب سواه، ولكن رجلا عاديا ان لم يدرس مؤلفاته بعمق النظر ودقة البصر،قلما يدرك منه شيئا."[٢٢٧] يستفاد من قول الفراهي أن أسلوبه يخاطب ذوي العقل والفكر.قد أشار في كتابه "جمهرة البلاغة" إلى هذه الميزة الأسلوبية قائلا."إنى لا أحب الاسهاب ونحسن الظن بعقلك"[٢٢٨] .يقول الفراهي عن أهمية الإيجاز وتأثيره في الكتابة والبيان."فإن اللفظ إذا قل يتراءى المعنى متجردا عن حجبه، فيزيده تنويرا وتأثيرا كأنه أرهف حده وقرب بعده، وهذا مما يجعل الاستعارة أحيانا أبلغ من التشبيه. ولا حاجة إلى توضيح حسن الإيجاز فإنه مبسوط في كتب البلاغة. قد بالغ في استحسان بعض كتاب زماننا،فقال إن الإيجاز لهو البلاغة، وتكلف في رد جميع المحاسن إليه. وإنما جعله أصل البلاغة لتشعب أفنانه وتقلب ألوانه، فلم يدخل بابا من أبواب البلاغة إلا ورأى الإيجاز هناك موجودا،فقصر النظر عليه

[٢٢٧] الإصلاحي، شرف الدين، مكاتيب فراهي الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، ١٩٩٤م، ص:٦٥

[٢٢٨] الفراهي، عبد الحميد ، جمهرة البلاغة، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم كره، مطبعة معارف، أعظم كره، ١٣٦٠هـ، ص:٣٤

هذا، والعرب بذكائهم وكبرهم كانوا يحبون الإيجاز أكثر من أقوام أخر ولذلك لا نرى شيئا من القرآن إلا ومعناه أوفر من اللفظ فإن أطنب قولا من وجه أوجزه من وجوه أخر،ولذلك لا تنقضى عجائبه."[٢٢٩]

الإفصاح والتركيزعلى المعنى

قد تأثر الإمام الفراهي بالقرآن الكريم والسنة النبوية وبتاريخ الإسلام وأبطاله وبالأدب العربي. كان القرآن الكريم منبع أفكاره وفلسفته الذاتية وإبداعه الشعري وسر بلاغته. إذا تأملنا عن الآيات في القرآن الكريم وتأدية الذكر الحكيم، يبدو نقطة تمييز إبداعية القرآن الكريم من مؤلفات البشر الضعيف. فهناك يبدو كيف تتنوع آي القرآن الكريم وجمله وأساليبه وذلك في نحوه وبلاغته ولغته وغيرها. أسلوب القرآن الكريم سيد أساليب الكلام شامل بمحاسنها، ولم يترك من أصغى إليه إلا أعجب به وأطرق رأسه ساجدا فهو حقا وحقيقة عديم المثيل في قوة تعبيره وعديم النظير في حسن بيانه.

إن فقهاء الصحابة وعامتهم كانوا ذوي البصر والعلم بالقرآن لوجوه كثيرة. كانوا يمتلكون العلم الفطري والذوق الرفيع ليتأثر بكلام الله عز وجل. ولذا لا يحتاجون إلى العلم النظري من أصول علم البيان وفروعه. هؤلاء السابقون الأولون من أهل لغة الضاد إعتمدوا على تناول اللغة وتذوقها مع كل أصالتها ورصانتها. تمتاز طريقتهم المثلى لتعبير البيان بالبساطة والسلاسة. قد حاولوا في إنتاجاتهم الأدبية تقديم الآراء والأفكار بأساليب خاصة تسهل إدراك المعاني بدون أي تعقيد. بناء على ذلك تمسك الفراهي بطريقة مناسبة لبلغاء العرب الأقحاء في كتاباته العلمية والأدبية واللغوية. ولذا نجد في كتاباته إيضاح المعاني والأفكار بعيدا عن التكرار والزخارف اللفظية. يقول العلامة سليمان الندوي عن رسائله العربية وأسلوبها."وكان يكتب الرسائل على سبك بلغاء العرب وفصحائهم"[٢٣٠]

قد إستطاع الفراهي أن يتحقق في كتاباته التناسب والاتزان بين الشكل والمعنى. يوجد فيها الاستواء بين الألفاظ والمعنى دون أن يطغى فيه اللفظ على المعنى وعلى العكس. يذكر هنا نموذجا لسهولة أسلوبه الرائع رسالته التي كتب إلى صديقه الكريم عبد الحق البغدادي الذي كان يجيد اللغة العربية."وصل كتابكم المبارك بعد أن رجعت عن الوطن وفرحت بما بيتكم فيه ، فأهنئكم بأعياد كثيرة."[٢٣١]

---

[٢٢٩] المصدر نفسه

[٢٣٠] الندوي، سيد سليمان، مكاتيب للشيخ مسعود عالم الندوي، دار المصنفين، أعظم كره، الهند،ص:١٨٠

[٢٣١] الفراهي، عبد الحميد، ذكر فراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير ،٢٠٠١ ص: ٧٣٢-٧٣٣

التعبيرات القرآنية

كان الإمام الفراهي يمتلك رؤية ثاقبة في علوم القرآن وصميم العربية. تدور أفكاره في المؤلفات والرسائل حول القرآن الكريم وعلومه. قضى الإمام معظم مراحل حياته عاكفا على تعلم القرآن وتعليمه ليأتي منه بالجواهر البديعة التي لم يرها العيون قط، ولم يسمع عنها الآذان من قبل. كان باحثا عن لآليه وعجائبه وأسراره، مجاهدا في تحقيق علومها ليل نهار. وبسبب ارتباطه الوثيق بالقرآن الكريم، ارتسخت لغة القرآن وتعابيره في ذهنه، وغلبت كلماته وأساليبه على لسانه. إنه لم يغفل في طور من أطوار حياته العلمية والأدبية عن كتاب الله عزوجل. كان القرآن الكريم محط أنظاره وموضوع أفكاره ومادة تأليفه. كتب عن هذا تلميذه العلامة سليمان الندوي بعد وفاة الفراهي."إنقطع إلى تدبر القرآن ودرسه والنظر فيه من كل جهة، وجمع علومه من كل مكان،قضى فيه أكثر عمره، ومات وهو مكب على أخذ ما فات من العلماء، ولف ما نشروه، ولم ما شتتوه، وتحقق ما لم يحققوه، وكان لسانه ينبع علما بالقرآن، وصدره يتدفق بحثا عن مشكلاته،وقلمه يجرى كشفا عن معضلاته .[٢٣٢]

تتدفق التعبيرات القرآنية والأساليب الموافقة لها من قلم الإمام الفراهي في تأليفاته العلمية والأدبية واللغوية .أذكر بعضا من الأمثلة للتعبيرات التي يتجلى نور القرآن وتفوح منها رائحته العطرة. يقول الإمام الفراهي في موضع "فذلك برهانان ثم نعززهما بثالث وهو أن العرب لم يحمدوا الكلام إلا لحسن معناه . نجد نفس الأسلوب في القرآن الكريم حيث يقول: "﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ (سورة قصص:٣٢) ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ (سورة يس ١٤) يقول العلامة في موضع آخر : ولهذه الدلالة التي هي ظاهرة على السليمي القلوب الذين لا يخرون على آيات الله صما وعميانا، جاء هذا التعبير في القرآن الكريم كما يلي " ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ **(سورة الفرقان:٧٣)**

كذلك يرى أنه يثبت آرائه وأفكاره باستدلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال أجلة الصحابة والتابعين وآراء كبار المفسرين.

التشابه بالكلمات الأردية

قد رأى بعض العلماء والأدباء أن بعض الكلمات والتعبيرات في كتاب "جمهرة البلاغة" متشابهة بالكلمات الأردية والأساليب غير الأصلية العربية. انتقدوا هذا الكتاب لوجود فيه الغموض والإجمال كثيرا. قد أوضح

[٢٣٢] مكاتيب السيد سليمان الندوي لمرتبها الشيخ مسعود عالم الندوي ص: ٢١٠

السيد سليمان الندوي السبب الرئيسي لهذا هو أن هذا الكتاب من باكورة أعمال الفراهي. هو يقول:"إنه من أوائل كتب الفراهي ولعله ألفه في عام ١٩٠٤، بعد ذلك تمرس قلمه، وبالرغم من ذلك مستوى عربية في هذا الكتاب عالي جدا غير هذه الكلمات والمحاورات المعدودة غلبت على قلمه."[٢٣٣]

إن جمهرة البلاغة هو كتاب غير مكتمل مثل معظم كتب العلامة ولم يتمكن له لإعادة النظر في شكل هذا الكتاب ومضمونه.

إن الإمام عبد الحميد الفراهي هو من رواد الكتاب اللذين أقبلوا على الكتابة في النثر العربي الفصيح المرسل. هو الذي كتب على سبك البلغاء الفصحاء من العرب الأقحاح. تختلف كتاباته عن النثر المسجوع والأسلوب التقليدي القديم الذي كان رائجا في زمن حياتهم. قام الأستاذ الفراهي بمساهمات جليلة لإثراء اللغة العربية ورفع مستواها تأليفا وتدريسا في شبه القارة الهندية. قد اعترف هذه الحقيقة الأستاذ الدكتور محمد راشد الندوي:"على كل حال أن الأستاذ الفراهي من الشخصيات الفذة التي رفعت مستوى التأليف في الهند بل في العالم العربي كله، فهو بأعماله وآثاره أصبح معجزة للثقافة العربية والدينية ويبقى خالدا في صفحات تاريخ الفن والأدب"[٢٣٤]

الفصل السابع: آثاره في الشعر العربي

شاعرية الإمام عبد الحميد الفراهي

كان الفراهي من أبرز شعراء العربية في الهند. يعد الفراهي من الشعراء المشهورين الذين لهم باع طويل في اللغة العربية وقدرة نادرة على قرض الأبيات والقصائد. ترك الفراهي ديوان شعر في العربية يشتمل على قصائد غراء زاخرة بذكر الدعاء والرثاء والتذكير والتهنئة والحكمة والأخلاق والوقائع والأحداث بأسلوب رائع، يتسم بعذوبة البيان ومتانة التركيب وسهولة العبارة وقلة التكلف. كان مضماره الخاص الذي انصرف إليه من آخر أنفاس الحياة هو فهم القرآن وإفهامه والغوص في آياته والكشف عن حكمه ومعارفه. فتغلبت سمته هذه على شخصيته الفذة. ولذا يمكن أن يقول عن حياة الفراهي، أن الجانب الأدبي والشعري هامشي فيه. فلا شك أن الفراهي هو شاعر فطري وأديب موهوب. كان منذ طفولته ميالا إلى الشعر والأدب. بعد تعلم اللغة الفارسية قرض قصيدة بالفارسية على منوال شعراء الفارسية الأقدمين.

[٢٣٣] المرجع السابق

[٢٣٤] د. الندوي، محمد راشد ، مقالة منشورة في مجلة المجمع العلمي الهندي، عليكره، ٥٦/١-٢/١٧

كانت الظروف التي نشأ فيها الفراهي موافقة للتعلم، وزيادة حصيلته في اللغات العربية والفارسية والأردو. قد ساعدت قرابته من العلامة شبلي النعماني على تعلم اللغة العربية بسرعة عجيبة، وكسب المهارات في نظم الأشعار. لما سنحت الفرصة للفراهي ليتعمق في اللغة العربية على يد الشيخ فيض الحسن السهارنفوري أستاذ العربية بكلية العلوم الشرقية- وهو شاعر أيضا- مالت نفسه في هذه الفترة إلى قراءة دواوين الشعر العربي وخاصة الشعر الجاهلي.

كان الفراهي محبا في قرض الشعر، لكن لم يكن متفرغا له. هو شاعر باللغات الثلاث: العربية والفارسية والأردو. قد بذل أقصى جهوده وأطول أوقاته وأوفر مواهبه للدراسات القرآنية. كان الشعر يأتي بشكل عفوي. حينما يريد أن يقرض الأشعار، أولا يفكرفي الموضوع، ثم يختار اللغة المناسبة للتعبير عن الأفكار نظما. قد غلب على فكره وذوقه الحب والولاء تجاه لغة القرآن الكريم. ولذا قضى وقته وجهده لمدحها وتشجيع الناس في تعلمها بنظم مجموعة من القصائد العربية في مناسبات مختلفة. قد جمع شعره الأستاذ بدر الدين الإصلاحي وأصدره في "ديوان الفراهي" وفيه معظم شعره العربي.

مادة أشعاره : إن الشعور والوجدان منعكس في أشعار الشعراء. تؤثر النظريات الاجتماعية والميول السياسية في اختيار موضوع الأشعار. هذه الحقيقة ظاهرة في أشعار عبد الحميد الفراهي. كان الفراهي رجلا اجتماعيا. خصوصا لما فهم الفراهي أحوال المسلمين السيئة على إثر ما جر الاستعمار من ويلات، فأقبل على قرض القصائد في هذا الموضوع معبرا عن نظرياته السياسية. ولذا يكون أجدر أن يوصف أنه شاعر سياسيٌ. كانت عادة الحكومة الإنجليزية في الهند إكرام العلماء البارزين بمنح الجوائز تقديرا لخدماتهم الجليلة في الأوساط العلمية والأدبية. قد اختير العلامة شبلي النعماني لجائزة"شمس العلماء" التي منحتها الحكومة سنة ١٨٩٤م. فقرض الفراهي قصيدة في مدح ذلك العالم العبقري بذكر مناصبه العالية مع كل احترام وتقدير،يقول فيها:

يا خير من يسمو إلى العلياء	كالشمس بازغة بوسط سماء
قد كنت قدما للمعالي ساميا	أورثته عن شيمة الآباء
فلئن سموت إلى المكارم والعلى	فلقد نشأت بعزة قعساء
لا غرو نصل السيف إن يك صارما	أو يستهل البرق باللألاء
فلأنت بالعزمات سيف صارم	ولأنت برق لامع بذكاء[٢٣٥]

[٢٣٥] الفراهي، عبد الحميد، مجموعة القصائد للفراهي، الدائرة الحميدية، ١٩٨٥ص:٥

كان الشيخ الفراهي مدافعا عن الإسلام والمسلمين والعرب والعربية بأشعاره المؤثرة. عندما واجه المسلمون مشاكل الاستعمار العديدة تمس بهويتهم، فتأثر الشاعر بسوء حالهم واجتهد مع الشعوب الإسلامية لنيل استقلالها واسترداد عزتها. عندما غزت إيطاليا ليبيا، فجرت الثورة من جانب اليبيين ضد الاستعمار الإيطالي. فأقبل الشاعر الفراهي على الدفاع عن العرب المسلمين في ليبيا، على الرغم من بعد الشقة بين الهند وليبيا إلا أنه قرض قصيدة، يقول فيها:

يا عين بكي بالهوامع لا ترقأن لك المدامع
قتلى طرابلس الذي بن تطحطحت بهم الفوارع
نبكي على إخواننا أهل المكارم والدسائع
دهمتهم الروم الفوا تك بالمراكب والمدافع
دخلوا المدينة يقتلو ن المشايخ والرعارع[٢٣٦]

يقدم الشاعر الفراهي في أبياته معاني الوحدة بين المسلمين. إنه يدعوهم إلى الحياة كأمة واحدة، وهي كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، كما يدل الحديث الشريف ، فيقول:

ما الترك إلا مثل كف الباسل العادي الأشاجع
والعرب مثل أصابع لا كف إلا بالأصابع[٢٣٧]

الشاعر الاجتماعي والسياسي

عبد الحميد الفراهي شاعر اجتماعي وسياسي، لأنه يخاطب الناس بتنبيه ونصيحة في الظروف المريرة والأحوال الشاقة بحثهم على الدفاع والثبات. كان الفراهي شاعرا ذا محبة ورجاء وخوف على المجتمع من الانحراف والضياع. ولذا رفع الشاعر صوته للحق . لا يزال الشاعر ينصح لإخوانه وأحبابه من الانحراف عن جادة الصواب. وعلى الرغم من اهتمامه بالدراسات القرآنية إلا أن فكره ونظره وشغله ليركز على تحسين أحوال المسلمين اجتماعيا وسياسيا. ولذا لم يدخر من وسعه شيئا إلا ما بذله لتخفيف معاناة الناس. كانت محور أفكاره كتاب الله عز وجل ، لا يزال عاكفا على دراسته طوال الحياة. فتجلت تأثيرها في

[٢٣٦] المرجع السابق
[٢٣٧] مجموعة قصائد لعبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية، ص:١٢

الأشعار لأنه قوي التمسك بأهداف الدين و عالم في مقاصد الشريعة الإسلامية. وبهذا السبب قد استطاع هذا العالم الجليل العبقري أن يقوم بدوره بتضحية حياته لخدمة المجتمع راجيا وجه الله عز وجل.

تعليم الحكم والمواعظ في أشعار الإمام الفراهي

كان الفراهي شاعرا ذا نزعة إسلامية. يمتاز شعره بالتعاليم القرآنية ونزعاته الدينية ودروسه الخلقية وشاعريته النضجة. قد اتخذ الفراهي الأشعار وسيلة تعليم الأخلاق والحكمة بدون انحراف. فلذا استطاع أن يرشد القراء إلى سبيل الهدى متبعا ما قال الرسول ﷺ "إن في الشعر لحكمة". يشتمل الجزء الكبير من ديوانه على معاني الحكمة والموعظة الحسنة والاستعاذة بالله والتذكير بالموت. يستهل ديوانه بالدعاء والتضرع إلى الله والاستعاذة به من جميع وساوس النفس ومكايد الشيطان وفتنة الأموال والأولاد. يقول الفراهي في هذه القصيدة:

أعوذ بالله العظيم الأفضال الغافر الذنب الشديد الأنكال
من همزات النفس ذات الإيغال نفثات كل باغ مختال
وفتنة الحرص وطول الآمال وفتنة الأهل ومال ميال[٢٣٨]

تأثير القرآن في ديوان الإمام الفراهي

تدور شاعرية الفراهي حول علوم القرآن الكريم وتستلهم منه في ألفاظها وأساليبها وفي معانيهاو مطالبها. لأن القرآن هو المحور الأساسي لجميع نشاطات الفراهي العلمية والأدبية واللغوية والثقافية.إنه يستخدم ألفاظ القرآن وأساليبه للتعبير عما يجيش في نفسه من الأفكار والمشاعر. يقول في قصيدة قرضها بعنوان" في ذكر الملحمة الكبري" . يصف فيها الشاعر مفاسد الحرب العالمية الأولى ويشير إلى عواقبها الوخيمة.

لقد حل بالروم شر شمر فنار الحروب بهم تستعر
فهم حصب كالهشيم اليبيس يصلونها زمرا فزمرا
فإن لم يتوبوا ولم يتقوا ه يبطشهم بطشة المقتدر
كذا الروم لما طغوا في البلاد ويعثون في الأرض بحرا وبرا
شديد المحال، شديد النكال حديد الفؤاد، حديد النظر[٢٣٩]

[٢٣٨] ديوان عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية مدرسة الإصلاح، ١٩٠٣م ص: ٩
[٢٣٩] المرجع السابق: ص: ٢٤،٢٥

قد انتقى الفراهي الكلمات القرآنية ونظمها في سلك الشعر. توجد أمثالها في الأبيات المذكورة هنا . كلمة "حصب" مأخوذة من الآية الكريمة ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ –سورة **الأنبياء**: ٩٨)، كذلك "يصلونها" من الآية ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ - **سورة الانفطار**: ١٥) كذلك" بطشة " من الآية ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ - **سورة البروج**: ١٢) كذا من الآيات ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا فى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ - **سورة الفجر**: ١١)، ﴿وَلَا تَعْثَوْا فى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ **سورة البقرة**: **60**) ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ - **سورة الرعد**:١٣).

خلاصة القول أن الفراهي من أبرز شعراء العربية في الهند. تأثرت شاعريته بالدراسات القرآنية، فهو آية في الروعة والجمال والسهولة والمتانة والقوة والتأثير. تنعكس في أبياته عواطف الإيمان والإيقان والغيرة والحماسة هي تؤثر في قلوب القراء من الشباب والشيوخ على السواء.

الفصل الثامن: وفاته وثناء العلماء عليه

اللحظات الأخيرة من حياة الإمام الفراهي

قد أصابه وجع الرأس الذي تبعه مرض المثانة فذهب إلى ماثورا ليقوم بمعالجته. فأجريت الجراحة ولكن لم يوفق الله له الحياة مع الصحة والعافية.

توفي رحمه الله تعالى وهو يتلو القرآن الكريم في ١٩ جمادى الآخرة عام هـ ١٣٤٩المصادف ١١/نوفمبر ١٩٣٠م على إثر عملية جراحية أجراها الطبيب الخاص في مدينة مثورا ودفن بها . كانت وفاة هذا العلم العبقري، يبقى فارغا في عالم العلماء الأجلاء بعظمة مساهاماته العلمية القيمة إلى أن تقوم الساعة. إنا لله وإنا إليه راجعون. قد عاش هذا العالم الجليل حميدا ومات شهيدا بتضحية لحظات حياته كليا لخدمة كتاب الله عز وجل ونشر علومه.

الرثاء على وفاته

قد رثاه عدد من أصحابه وأصدقائه بقصائد عربية وفارسية وأردية. منها قصيدة الشيخ اللغوى الأديب عبد الرحمن الكاشغرى (ت١٩٧١م)

ومنها قوله في وصف الإمام:

ويعطر الأيام من أنفاسه عرف الهدى والعلم والعرفان

قد كان كعبة سؤدد وبفضله للمكرمات مشيد الأركان

ويد السماح وهامة الهمم العلى ولسان صدق فيصلا كيمان

ومحجة الحسنى وحجة أهلها ويمين دين الحق والإيمان[٢٤٠]

ثناء العلماء على وفاة الإمام الفراهي

قد أطال العلماء المعاصرون الكلام وصفا عن مناقبه وفضائله بعد وفاته. كتب العلامة السيد سليمان الندوي في مجلة معارف الصادرة من دار المصنفين بأعظم كره بعنوان (الصلاة على ترجمان القرآن) استهلها بقوله:"الصلاة على ترجمان القرآن" نودي بذلك قبل نحو ستة قرون من مصر والشام إلى حدود الصين للصلاة على الإمام ابن تيمية رحمه الله، وحق أن ينادى بذلك مرة أخرى من ربوع الهند إلى بلاد مصر والشام على الأقل، فإن ابن تيمية هذا العصر قد توفي في التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٤٩هـ (الموافق ١١ نوفمبر سنة ١٩٣٠م).ذلك الإمام الجليل الذي كانت شخصيته الجامعة بين علوم الشرق والغرب نادرة العصر،شخص واحد اجتمع فيه عالم من العلم والمعرفة، ماهر في العلوم الدينية، ناقد للعلوم العقلية، وحيد عصره في علوم العربية، نسيج وحده في علم القرآن،عارف بحكمته ودقائقه،كنيف ملئ علما، ولكن لم ينقل من علمه- مع الأسف- إلى الدفاتر والأوراق إلا قليل".[٢٤١]

قال العلامة أبوالكلام آزاد رحمه الله "كان حميد الدين الفراهي رحمه الله من العلماء الربانيين الذين لا تكون بضاعتهم العلم فحسب، بل يجمعون بين العلم والعمل. ويندر وجود أمثال هؤلاء الحائزين للشرفين،كما لا يخفي على أهل النظر. وإنى كلما قابلته تأثرت بعمله أكثر من علمه،فإنه كان رجلا تقيا بكل معنى الكلمة.."[٢٤٢]

كتب الدكتور تقي الدين الهلالي في مذكراته حينما زار الفراهي رحمه الله قبل وفاته بسبع سنين، ومما جاء فيها أيضا:"والرجل فصيح في التكلم لغاية،نادر في علماء العرب فضلا عن علماء الهند .سمعت منه خطبة تفسيره للقرآن اغرورقت منها عيناي لفصاحتها وحقيتها. وهو عارف بمسألة الخلافة محقق لها،لا يلتبس عليه شيء من أمرها خلافا لأهل الهند،مجتهد في العقائد والعمليات، لا ينتمى لمذهب لكنه يتعبد على مذهب الحنفية لأنه نشأ عليه ويعتقد أن الأمر في مثل ذلك سهل. ماهر في الإنجليزية والعربية والفارسية والأردية. "[٢٤٣]

[٢٤٠] عبد الرحمن الكاشغرى،قصيدة منشورة في مجلة الضياء لكناؤ، المجلد الأول،العدد السابع: ص: ٢٩-٣٠

[٢٤١] مجلة ،معارف ١٤١١هـ،مجلد٢٦،العدد:٦ ص:٣٢٢

[٢٤٢] مجلة الإصلاح، ١٩٣٦م، المجلد الأول، العدد ٨،ص:٥٦-٦١

[٢٤٣] مجلة الضياء: ١٤١١هـ المجلد:٢، العدد ٧،ص:٢٦٠

الباب الرابع

جهود الإمام الفراهي في الدراسات القرآنية

الفصل الأول : محاولات الفراهي وأولوياته في الدراسات القرآنية

الفصل الثاني : أقسام القرآن وأساليبه عند الإمام الفراهي

الفصل الثالث : حجج القرآن وحكمته عند الإمام الفراهي

الفصل الرابع : مفردات القرآن: دراسة تحليلية

الفصل الخامس : تفسير القرآن وتأويله عند الإمام الفراهي

الفصل السادس: علم النظام في الدراسات القرآنية للفراهي

الفصل السابع : أفكار الفراهي البلاغية في كتاب جمهرة البلاغة

الفصل الثامن : آراء الإمام الفراهي في إعراب القرآن

الباب الرابع
جهود الإمام الفراهي في الدراسات القرآنية

الإمام عبد الحميد الفراهي غني عن التعريف بشهرته الواسعة وخدماته الجليلة في مجال الدراسات القرآنية. هذا العالم العبقري الفذ يعد من طليعة العلماء الذين خدموا القرآن وعلومه. هو الذي ركز دراساته على علوم قرآنية وبرع فيها وفاق الأقران بعلو كعبه وطول باعه وتضحية نفسه لخدمة القرآن الكريم. إذا قلنا عنه لا نبالغ أنه محب اللغة وعاشق القرآن قضى معظم حياته لتدبر آياته ونشر علومه تدريسا وتأليفا . يكفي لنا دليلا على تعمقه في كتاب الله ما ألف من عدة كتب في علوم القرآن ومنها مفردات القرآن والرأي الصحيح فيمن هو الذبيح وأساليب القرآن والتكميل في أصول التأويل ودلائل النظام وجمهرة البلاغة وأكبرها وأجلها تفسيره القيم باسم "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان". هوالذي تفرغ لدراسة كلام الله وبحثه بروح الحيوية. ولذا استطاع أن يؤلف رسائل عديدة لفهم وتفهيم معاني القرآن واستخراج دره وحكمه. بناء على هذا قد أشاد بها العلماء في زمنه وبعد وفاته حتى تقبلها العرب والعجم بقبول حسن فأقبلوا على دراستها والاستفادة منها. يختص الباب الرابع ببيان جهود الفراهي وأولوياته في الدراسات القرآنية بتسليط الضوء على كتبه الهامة التي ألفت في علوم القرآن. يوضح عن منهج الفراهي في التفسير والتأويل ونظريته الخاصة عن نظم القرآن وإعرابه ودوره البناء في تجديد فن البلاغة في الفصول الثمانية.

الفصل الأول: محاولات الإمام الفراهي وأولوياته في الدراسات القرآنية

القرآن هو محورالأفكار وأساس الإصلاح عند الإمام الفراهي

كانت شخصية الإمام الفراهي متميزة فذة ذا موهبة نادرة في ثلاث لغات حتى نضجت المهارة في العربية والفارسية والإنكليزية. ثم تمكن له التضلع في الفلسفة الجديدة. إذا درسنا عن حياته العلمية والعملية دراسة عميقة شاملة،ما وسعنا إلا أن نعترف بأن مفتاح شخصيته هو القرآن الكريم. هو جزء لا ينفك عن حياته، فبه وله كان يعيش عيشة طيبة ورعة نموذجية في العلم والصلاح. كان الإمام واقفا على التيارات الفكرية والأدبية والفنية في العالم ومطلعا على الآداب والفنون، حتى قيل لو أخذ أي فن من الأدب أو السياسة أو العمران أو المنطق أو الفلسفة لإمتلك ناصيته وسما به من الثري إلى الثريا. لقد تجلت عظمته

و ظهر نبوغه في شرح الفكر الإسلامي، وله منهج فكري خاص في معالجة مشكلات العصر ومواجهة الغزو الفكري، وكان لكتاباته صدى عميق في الأوساط العلمية والأدبية على الصعيد الدولي . إنه حاول لتحليل آثار الحضارة الغربية وفلسفاتها، وبين زيفها وكشف عوارها داعيا إلى القيم الإسلامية متمسكا بالأدب الإسلامي ، يكون مصدره الأساسي القرآن والحديث. كان القرآن وعلومه هو المحور تدور حوله أفكار الفراهي وآرائه، هو الذي اتخذه وسيلة الإصلاح بين المسلمين أولا. كان المسلمون في انحطاط بكثرة اختلافاتهم وتفرق آرائهم. أوضح الإمام عن السبب الرئيسي لسوء أوضاع المسلمين ،فعلم أنه ابتعادهم عن تعاليم كتاب الله العزيز. لا يخفي على أحد أن هدى القرآن هو الوسيلة الفعالة لحصول على العزة المفقودة في حياة المسلمين. إذن لا بد لكل واحد أن يلتزم أشد الالتزام بالقيم الإسلامية والمثل العليا من المعين العذب والمنهل الثري والنبع المتدفق ليستقى منه مقومات الشخصية السوية، وطرائق النهوض بنور المنهج الرباني. أضاف الإمام قائلا في هذا الشأن"فإن الإنسان يكون صالحا وسعيدا قدر ما تزداد علاقته بالمصحف الشريف. "

تعتبر شخصية الفراهي متميزة بالتحقيقات النادرة والدراسات العميقة في القرآن الكريم. ترك وراءه من تراث علمي وتحقيقي يندر نظيره، فإن أعماله التي أنجزها وحده لا يمكن للجامع والأكاديميات أن تقوم بها، لأن طموحاته شديدة في هذا الفن. لذا لا يزال يسعى منذ زمن طويل لإبراز العلوم منارة وقدوة للآخرين. قد أتيحت له فرص ليتولى مناصب عالية عديدة ممتازة بعد نهاية دراساته العليا في عليكره وغيرها من المدن ونال رواتب ضخمة ولكنه لم يغفله هذا كله عن إشتغاله بالقرآن الكريم وعلومه. بدت في فطرته الرغبة الموهوبة فحاول الفراهي كل المحاولة للتعبير عنها في كتابته طوال حياته. أولا خطى خطوة لتحقيق هذا الهدف النبيل بإدخال القرآن وعلومه في المنهج الدراسي ليجعله مصدرا لكافة العلوم ومنبعا لكل الفنون.

إن لكل أمة من الأمم مبادئ وقيم ومفاهيم تمثل شخصيتها الظاهرة،وتعبر عن نظرتها للحياة. لا بد لنا أن نبذل في سبيل رسوخها وثباتها كل ما تملك من نفس ونفيس وجهد وجهيد . يرى الفراهي أن العمل على إبراز هذه القيم والمبادئ أمر ضروري لإصلاح الفرد والمجتمع. لا يتم هذا الإصلاح إلا بالرجوع إلى دستورية الحياة البشرية جمعاء، وهى القرآن الكريم. فإن الكتاب الذي فيه الحديث عن كل دور من أدوار الحياة، ولكل جيل من أجيال البشرية، وفيه التوجيه والإرشاد والقيادة لهذه الأجيال، وإنه مجموع سور ناطقة حية دائمة. ولذا قدم الفراهي حلا مناسبا لكل مشاكل اجتماعية وثقافية، وهي من التغيير الجذري في المنهاج الدراسي للمدارس الإسلامية. أسس الإمام لأجل تحقيق هذا الغرض السامي مدرسة باسم "الإصلاح".إن من أشرف الغايات لتأسيس هذه المدرسة هي تقوية الشخصية المسلمة بالتربية القرآنية. ولذا أدخل في كافة مراحل تعلمها القرآن وعلومه وما يفيد به في فهم هذا الكتاب، لا شك وبه ينظم حياته ، ويزن به أموره،

ويستجلب به خيرالدنيا والآخرة، ويرتقي به إلى أعلى الدرجات. إن نهضة الأمة مرهونة بمن لها من علم وحكم وحسن تربية. فإذا لا بد أن يسير على منهج مستمد من وحي إلهي. ولذا تنبه علماء الإسلام عامة إلى دراسة القرآن والبحث فيه. لا يمكن أن ينسى مكانة مدرسة الإصلاح التي أسست لأجل تربية الأجيال وتثقيفهم بتعاليم القرآن. قامت هذه المدرسة بدورها البارزة حتى تخرج فيها العديد من المفسرين والباحثين والمفكرين ومنهم الشيخ أمين أحسن الإصلاحي والشيخ صدر الدين الإصلاحي والأستاذ ألطاف أحمد الأعظمي وغيرهم.

جهود الإمام الفراهي في الدراسات القرآنية –نظرة موجزة

إن القرآن محور فكرته وموضوع بحثه. وله آراء مبتكرة ونظرات جديدة، تفرد بها في الدراسات القرآنية. كانت محاولاته لإبراز من كنوز العلوم ورموز الفنون في القرآن ناجحة لأنها تهدي الدارسين والباحثين إلى السعي للتحقيق في علوم القرآن. انتهج في دراساته مستدلا بالأصول الأولية والمبادئ الرئيسية التي تستنبط من المصادر الأساسية،القرآن وحديث رسول الله ﷺ. لا توجد نظرياته وآراؤه إلا بالاستدلال والنظر. هنا أريد التعريف على بعض مؤلفات الفراهي في الدراسات القرآنية.

مفردات القرآن : يعرض الفراهي في هذا الكتاب نظرات جديدة قل من تنبه لها من العلماء السابقين الذين كتبوا في مفردات القرآن الكريم. قد طبع هذا الكتاب أخيرا في دار الغرب الإسلامي ببيروت عام ٢٠٠٢م، بتحقيق الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي.

نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان: يشتمل هذا على تفسير سور القرآن الآتية: الفاتحة، الذاريات، التحريم، القيامة، المرسلات، عبس، الشمس، التين، العصر، الفيل، الكوثر، الكافرون، اللهب، الإخلاص. تم طبع تفسير هذه السور في أجزاء مستقلة في أوقات متقطعة. هذا التفسير خير دليل على اتجاهه التناسبي في فهم معاني الآيات والسور.

فاتحة نظام القرآن : هي عبارة عن مقدمة الفراهي لتفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان. طبعت في الدائرة الحميدية في أعظم كره في الهند، عام ١٣٥٧م.

دلائل النظام: بذل الفراهي جهوده الجادة في هذا الكتاب لشرح فكرة النظام في القرآن الكريم. قد أوضح فيه الفراهي أن القرآن كتاب منظم ومرتب من أوله إلى آخره على غاية من حسن النظام والترتيب. طبع هذا الكتاب مع كتاب " التكميل في أصول التأويل"، وكتاب " أساليب القرآن" في الهند عام ١٤١١هـ.

أساليب القرآن: ألف الفراهي هذا الكتاب ببيان وجوه الأساليب في القرآن ومفاهيمها ومواقع استعمالاتها. قام الفراهي بدور هام لتسليط الضوء على الطرق الموجهة لفهم دلالة التراكيب المختلفة. هذه الوجوه دالة على الأساليب المختلفة. يعتبر هذا الجهد العلمي للمؤلف قيما لأنه يقوم على أساس متين ودعامة وثيقة من معرفة سنن العرب في كلامها. قد طبع هذا الكتاب في الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح بأعظم كره الهند،طبعته الثانية سنة ١٤١١هـ.

التكميل في أصول التأويل: حاول الفراهي لإيضاح أصول تأويل القرآن بمعناه الصحيح. تدور مادة هذا الكتاب حول الكلمة والكلام من حيث دلالته على المعنى المراد. استطاع المؤلف بهذا العمل العلمي أن يسهل فهم الكلام وتأويله إلى المعنى المراد المخصوص.

الرأي الصحيح في من هو الذبيح: وهو من أنفس ما كتب في قصة ذبح إسماعيل عليه السلام . يورد المؤلف مناقشة علمية جدية في هذا الموضوع. قد طبع هذا الكتاب بدار القلم بدمشق ١٤٢٠هـ، بعناية الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي.

الإمعان في أقسام القرآن: بذل الفراهي جهوده المكثفة لتفصيل أقسام القرآن وأنواعه مع الاستشهاد بأبيات العرب الأولين الفصحاء . يعرض فيه نماذج في هذا الباب بلغاء اليونان القدماء. طبعت طبعة محققة بعناية الدكتور محمدأجمل أيوب الإصلاحي من دار القلم بدمشق عام ١٤١٥هـ.

حجج القرآن: هذا الكتاب محاولة محمودة للفراهي، لأن هذا الكتاب يشتمل على ثلاث مقالات. كل مقالات في ثلاثة أبواب. المقالة الأولى في نقد المنطق والفلسفة وعلم الكلام. والمقالة الثانية في تأسيس العلم وبيان طريق احتجاج القرآن، والمقالة الثالثة في ذكر حجج القرآن على الربوبية والمعاد والرسالة.

حكمة القرآن: يعتبر هذا الكتاب جهودا جليلة وخدمة عظيمة لأجل تعريف مصطلح "الحكمة" بالاستنباط والاستفادة من النصوص القرآنية وأحاديث الرسول ﷺ الصحيحة. ولذا هذا الكتاب له قيمة علمية في الدراسات القرآنية.

الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ: يعد هذا الكتاب من أهم مؤلفات الإمام الفراهي في مجال الدراسات القرآنية. يتناول المؤلف فيه موضوع الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم. هو يشتمل على مباحث هامة في موضوع النسخ، لكن لم يوفق له إكمال تأليف الكتاب بفراقه من الدنيا. تدل المباحث التي يحويها هذا

الكتاب على قيمته العلمية. يناقش المؤلف فيه عن النسخ والحكمة منها ومحل النسخ من الأمور. يثبت المؤلف في هذا الكتاب أن الناسخ لا يكون إلا بالشارع، وهو الله تعالى ورسوله بإذنه.

أغراض تأليفية للكتب الهامة في الدراسات القرآنية

كان عبد الحميد الفراهي ذا قدرة عجيبة على التأليف ،حتى إنه لم يدع علما معروفا من علوم القرآن الكريم إلا وله فيه كتابة الكتب أو الرسائل مطبوعة أو مخطوطة مع إلمام خاص في دقائقها ولطائفها. هذه المؤلفات كلها نالت من القبول لدى العلماء والباحثين وطلاب العلم ما لم ينله من سائر الكتب. وقد استقى منه عديد من العلماء معلومات جمة ومنقولات وافرة. قام الفراهي بتأليف الكتب العديدة في علوم القرآن ومنها مفردات القرآن، والرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، وأساليب القرآن،والتكميل في أصول التأويل،ودلائل النظام، وجمهرة البلاغة، وأعظمها وأجلها تفسيره القيم"نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان".يتضح مما ألف الإمام أنه اتبع منهجا يسهل الطلاب أن يفهموا القرآن خير فهم بوضع الأصول. قبل الولوج إلى فهم منهجه واتجاهه في الدراسات القرآنية، ينبغي معرفة أغراضه النبيلة في تأليف الكتب التي تتصل بالدراسات القرآنية. هنا أوضح ملخصا هذه الأغراض التأليفية مراجعة على أهم مؤلفاته في الدراسات القرآنية.

مفردات القرآن

إن معرفة المفردات ضرورية لفهم معنى الكلام. لا نعرف مفهوم كلام الله حق المعرفة بدون تحقيق معانى المفردات. فإن الخطأ في فهمها يؤدي إلى غير المراد الحقيقي. فيواجه مشكلة كبرى لتعيين معناها الأصلي. لذا يجب أن يعرف عن المفردات مع تحقيقها. قد فصل الفراهي في هذا الكتاب أهمية المفردات مستدلا بنماذج عديدة في ضوء الآيات القرآنية. ولذا وضع الفراهي الأصول الهامة لتحقيق المفردات مع بيان طرقها وإيضاح مناهجها. هذا الكتاب القيم، قد تم تأليفه تحقيقا لهذه الأغراض التي تمهد السبل لطلاب اللغة ومحبي القرآن للدراسة والبحث.

أساليب القرآن

تمتاز اللغة العربية بأسلوب جزل فخم ،فبه تنجذب قلوب القراء أو السامعين إلي طلاوة الأسلوب. تتصل ميزة كل لغة بأسلوبها الخاص. لا يمكن أحد أن يعرف روح الكلام في أي لغة إلا بواسطة معرفة الأسلوب. كلما نهمل معرفة الأسلوب في أي لغة، فيكون معنى الكلام فيه مجهولا. ولذا تركزت عناية الفراهي على

معرفة الأسلوب بكل أنواعها وكيفياتها في الدراسات القرآنية. كتابه الصغير"أساليب القرآن"خير مثال لتعبير عن وجهاته السديدة في هذا الموضوع. لا شك أن هذا محاولة محمودة لتحليل كثير من أساليب القرآن في ضوء أصالة اللغة العربية. اهتم المؤلف بتأليف هذا الكتاب لإيضاح القراء منهجه العلمي في الدراسات القرآنية. قد رتب الفراهي الموضوعات فيها بأغراض الاستفادة وتيسير طرقها في الدراسات القرآنية.

التكميل في أصول التأويل

التدبر هو الغرض الأساسي لنزول القرآن الكريم. إن التدبر في معاني القرآن يمهد لكل من يسلك مسلك طلب العلم عدة أبواب نور الهداية. لا يتم أحد عملية التدبر بنجاح إلا عن طريق التمسك بالأصول في القرآن الكريم. ولذا تناول الإمام أصول تدبر القرآن وما يحتاج إليه في كتاب خاص باسم "التكميل في أصول التأويل". ينبغى كل من يرجو أن يخوض في عمق معاني القرآن الكريم التمسك بالأصول ليخرج من درر علمه ولآلئ قيمه. لا شك أن هذا الكتاب يرشد القراء المتدبرين إلى فهم أصول الدين التي تقوم عليها العلوم الإسلامية. لذا أوجب الإمام أولا تدوين أصول التأويل. إذا كانت أصول التأويل غير مرتبة فيخفي علينا المعنى الأصلي،فلا يتضح المفهوم الحقيقي من النص مباشرا. يشير الفراهي في هذا الكتاب إلى أهمية مراعاة الأصول في التفسير والتأويل لئلا يقود الفهم بدون أي أصول ومبادئ إلى نشوء الخلاف بين المسلمين وتفرقهم في الفرق والأحزاب. نجد السبب الجذري لعدم اتحاد الأمة الإسلامية وانحطاطهم ترجع إلى الابتعاد عن فهم الصحيح معنى القرآن. قد رسم الإمام منهجا خاصا بوضع الأصول الأولية لفهم المعنى الأصلي من الآية وبناء على هذا قام الفراهي بتأليف هذا الكتاب الجليل.

دلائل النظام

إن القرآن الكريم منظم بيانه ومنسق كلامه. توجد في كل سورة موضوع مركزي. يرى الإمام أن كل سورة مرتبطة بين الآيات، كما ترتبط كل سورة بالسور السابقة واللاحقة. هذا التنسيق والتنظيم يزيد الجمال الأدبي للقرآن الكريم. إن عبد الحميد الفراهي قام بدور قيادي في تطوير النظرية عن نظم القرآن وأكد عليها العلماء الكبار. قدم الفراهي كتابا قيما باسم "دلائل النظام"لإثبات هذه النظرية البديعة. قد أورد الفراهي في هذا الكتاب الأصول المعتمدة في إثبات الدلائل. كما أوضح المؤلف في مقدمة هذا الكتاب، هو تسليط الضياء على منهج دراسة القرآن الكريم وتفسيره وتيسير فهم النصوص القرآنية وطرق استنباطاتها على أحسن وجه وأقوم شكل.

الإمعان في أقسام القرآن

إن الأقسام هو أهم الأساليب في اللغة العربية. كان العلماء يعتبرون المقسم به مع عظيم الشأن عامة. لكن بين الفراهي أن يقسم الله بشيء صغير أو كبير للاستشهاد به على ما يود إثباته في تلك السورة. يبحث الإمام عن اهتمام الأقسام بدلائل من كلام العرب الجاهلي ومن عهود الاستشهاد. يناقش الإمام عن جميع جوانب هذا الموضوع في كتاب خاص يسمى "الالإمعان في أقسام القرآن". هذا النوع من الأساليب يسلط الضوء على معاني جديدة في الآيات القرآنية. يبرز المؤلف الجليل بهذا التأليف القيم من المعاني المكنونة ومدى مفاهيمها تحقيقا في المفردات القرآنية. قد نجح المؤلف في تحقيق الغايات السامية في الدراسات القرآنية بهذا التأليف القيم.

جمهرة البلاغة

النطق أول ميزة بشرية فطرية. كل مولود يولد على فطرة النطق،كما أشار الله إليه في كلامه عز وجل "﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان﴾ ﴿علمه البيان﴾[٢٤٤]. قد اعتبر الإمام النطق بناء البلاغة ولذا يفصل موضوع البلاغة القرآنية من صميم اللغة العربية وميزة البشر الفطرية. ألف الفراهي كتابا قيما يبحث فيه عن هذا الجانب المهم للتذوق البلاغي في الآيات القرآنية. يضيف المؤلف في هذا الكتاب الآراء الانتقادية لنظرية أرسطو. كانت نظريته مركزة على المحاكاة، وهي مضادة لفطرة البشر ومناقضة لأصالة اللغة العربية. هذا كتاب غير مثيل في العالم العربي. وقد تم صدوره بعد تحقيق الأستاذ أحمد فرحات ونجله الدكتور إقبال. قد اعترف العلماء الهنود الكبار بهذا العمل العلمي الجليل للفراهي كما أثنى عليه علماء العرب وأشاد به لقيمته العلمية. قصد المؤلف العبقري الإمام الفراهي بهذا الكتاب إبراز الاتجاه الجديد نحو مطالعة كتاب الله المعجز الخالد من وجهة الإعجاز البلاغي والبياني واللغوي. قد تمكن الفراهي إثبات الأصول ووضع الضوابط والشروط للتذوق هذا الإعجاز متمسكا بروح اللغة العربية قلبا وقالبا. جمهرة البلاغة هو خير نموذج لتحقيق هذا الهدف العلمي بتأليف هذا الكتاب الجليل.

نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان

القرآن حبل الله المتين، والعروة الوثقى منظمة ربانية وفيه نور وتبصرة وذكرى للعالمين. لا يزال يفتح القرآن آفاق التدبر بشرح مفرداته وتأويل آياته وتنظيم سوره. لذا بذل الإمام جهودا كبيرة في تفسير يسمى"نظام

[٢٤٤] الرحمن -١-٤

القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"لإيضاح مجمل القرآن والإشارة إلى وجوه بلاغته وبيان أسرار النظم والترتيب بين الآيات والسور. لقد تناوله العرب والعجم هذا التفسير بكل احترام وتقدير. قد صدر بعض أجزاءه أصلا وترجمة من الهند ثم من دار الغرب الإسلامي ببيروت. يتجلى في تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان مظاهر الترابط المعنوي بميزة منهج التفسير،أي تفسير القرآن بالقرآن. تحتل مكانة هذا التفسير عالية ذات قيمة علمية عظمى لأن هذه محاولة الإمام لإيضاح مراد النظام في الدراسات القرآنية. إنه أثبت بقوله أن تكون السورة وحدة متكاملة، ثم تكون ذاتها مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، أو بالتي قبلها أو بعدها على بعد ما. إن الآيات ربما تكون كالجمل المعترضة،كما تكون السور كالجمل المعترضة. أما يوجد في نظم الآيات ترابط معنوي لبعضها مع بعض. لا شك أن الفراهي ، هو الذي قام بمساهمة جليلة بكتابة هذا التفسير جزئيا، وقدم للدارسين والباحثين في هذا المجال أساس النظام في القرآن وعرض أمام القرآء بقول أن القرآن كله كلام واحد ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر.

القائد إلى عيون العقائد

إن العقيدة أعظم القضايا وأخطرها في نظر الإسلام والذي لأجل نشره بعث الله الأنبياء والرسل وأنزل الكتب وخلق للقيام به الثقلين. اهتم الإمام بشرح العقيدة المستقيمة في مؤلفاته القيمة. إنه قام بتأليف كتاب "القائد إلى عيون العقائد" للإيضاح عن فلسفة القرآن العقدية. هو الذي ينطق في هذا الكتاب الصغير عن الإيمان وواجباته مع بيانات حقيقة الإيمان والإسلام والخير والشر والصفات الربانية وأهمية الرسالة وما إليها. صدر هذا الكتاب مرة ثانية من الدائرة الحميدية سراي مير (أعظم كره). هذه الرسالة القيمة التي تتعلق بالعقيدة ومسائلها،تضيء اتجاهه الاعتقادي في الدراسة القرآنية في الشخصية المسلمة. لا مراء أن هذه الرسالة تفيد بفائدة علمية عظمى،تم تأليفها لهذه الغاية السامية.

ملكوت الله

هذا الكتاب رؤية شرعية لمصطلحات الخلافة والسياسة الإسلامية. يشير في كتابه إلى مصائب الدنيا ونهوض الأقوام وسقوطها. يتميز هذا الكتاب عن غيره بشرح بسيط و تحليل مفهوم أهم جوانب العقيدة الإسلامية. يهدف المؤلف الفذ الفراهي بتأليف هذا الكتاب تبيان المحور الأساسي في حياة المسلم، هو الإيمان بالله تعالى بكل فروعه ذات قيمة عالية، كما يدل المحتوى لهذا الكتاب قصد المؤلف، ذلك ذكر السنن الإلهية في رقي الأمم وانحطاطها وعلو الحق وهزيمة الباطل.

الرائع في أصول الشرائع

الشريعة الإسلامية مصطلح يطلق على كل ما شرعه الله سبحانه وتعالى من أحكام وقواعد و أنظمة وقوانين بهدف تحقيق مصالح الناس وسعادتهم في أمور العبادات والأخلاق والتعاملات مع الآخرين في كافة مجالات حياة الإنسان. وهي صالحة لكل زمان ومكان ومصدرها إلهية، ولذا محفوظة من التغييرات والتبديلات. يتناول الإمام في هذا الكتاب أحكام الشريعة وأهدافها مع بيان حكمها البالغة.

الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح

إن المؤلف أتم تأليف كتاب "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح" للرد على دعوى أهل الكتاب بأن الذبيح ليس إسماعيل عليه السلام بل هو إسحاق عليه السلام. قام الفراهي بالتدقيق والاستدلال اللطيف عن طريق التفكير في الصحف السماوية والقرآن المجيد لتحليل المسائل مراعيا من الأصول في رد الرواية أو قبولها في تفسير القرآن الكريم.

حجج القرآن

القرآن الكريم كلام الله الأزلي الذي خاطب به الأمة الإنسانية قاطبة. أنزله تعالى لإخراج الناس من الظلمات إلى النور. إن للقرآن دور فعال في إيقاظ الفكر البشري والوعي الإنساني وفي إنقاذ الأمة من ظلمة الضلالة إلى نور الهداية. ولذاحاول الإمام لإقامة الحجج والدلائل على التوحيد،وهي تقنع نفوس القراء. يشرح المؤلف هذه الدلائل في ثلاث مقالات،وهي مقالة في نقد المنطق والفلسفة وعلم الكلام، ومقالة عن تأسيس العلم وبيان طريق احتجاج القرآن، ومقالة في ذكر حجج القرآن على الربوبية والمعاد والرسالة.

أحكام الأصول بأحكام الرسول

يكشف المؤلف القناع عن حجية السنة النبوية وأنها مأخودة من القرآن الكريم. لأن الرسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. قد أتم المؤلف هذا التأليف بغرض إبراز المعاني الأساسية في علم أصول الفقه.

حكمة القرآن

يناقش الإمام في هذا الكتاب الهام عن المراد الحقيقي للسنة النبوية وما هو مفهومها وحدودها وطريقة الوصول إليها. قد بذل المؤلف جهوده المتضافرة للتعريف مصطلح "الحكمة" بالاستنباط والاستفادة من النصوص القرآنية وأحاديث الرسول ﷺ الصحيحة.

خلاصة القول أن الإمام الفراهي من نوابغ عصره، له باع طويل في فهم معاني القرآن. قد امتازت حياته بتضحية كاملة لهذا الأمر المبارك. ألف عدة رسائل قيمة لتفهيم معاني القرآن الكريم ولتبليغ حكمه. بناء على هذا فقد أشاد بها العلماء في عصره وبعد وفاته حتى يتقبلها العرب بقبول حسن فيها. ثم قام به الآخرون من اللاحقين للتحقيق والتدوين من جديد.

الأولويات في الدراسات القرآنية للإمام الفراهي

تتجلى فكرة الإمام الفراهي في مجال العمل الأصلي هو جهوده المخلصة في فهم القرآن الكريم. توجد في دراساته القرآنية بعض الأولويات والدوافع تتم بها تيسير سبل التدبر في معاني القرآنية. إن مجموعة الآيات في القرآن ذات الموضوعات المختلفة توجد بينها الارتباط والنظم ميزة لازمة تزيد جماله وحسنه. أقبل المؤلف على فهم تلك الميزة في الدراسات القرآنية. لو يهمل فهم الارتباط ليحرم عن جزء معاني الكلام، لأن النظم يدل على حقيقة زائدة مستترة، تختفي في الأجزاء المتفرقة. كذلك يثبت الإمام الفراهي في ضوء هذه الفكرة أن قلة التدبر أو عدم معرفة أساليب الكلام يسبب لتصور عدم المناسبة والنظم في القرآن الكريم . ولذا جعل الفراهي جل إهتمامه وهدفه التدبر في كتاب الله تعالى طوال حياته. نتيجة لمداومة محاولاته في هذا المجال فتح الله له السبل الميسرة لفهم المعارف القرآنية، وهداه الله إلى الأصول والمبادئ التي تحل بها المعضلات لفهم القرآن الكريم. ومن أهم هذه الأصول التي اعتمد عليها الفراهي في الدراسات القرآنية ،ألخصها كما يلي:

تحقيق المفردات ومعرفة أبعادها

قد أنزل الله تعالى هذا القرآن بلسان عربي مبين،لا يوجد في مفاهيمه الالتباس بأي وجه من الوجوه. إنما الألفاظ ما وردت في القرآن دالة على وضوح البيان، لا يقبل تفسيرها بالمعاني الشاذة والمنكرة والغريبة. ولذا يجب أولا أن يعين المخاطب فيه إشارة داخلية للسورة وبيانها. لو يصرف النظر عن معرفة أصل المخاطب في الآية ،لا نصل إلى الفكر الذي تم إصلاحه، فيسبب للتأويل الخاطئ.

أقبل الإمام على كتابة تفسير لبعض السور الصعبة موضحا جوانب أصوله. ولذا اعتمد الفراهي على تحقيق المفردات ومعرفة أساليب اللسان والنحو والبلاغة والنظم والسياق ونظائر القرآن الكريم. إنه أرشد كل من يشتغل بالدراسات القرآنية إلى ضرورة التدبر في معاني الآيات باعتبار الأصول الصحيحة وحاول للتأليف عدة كتب للحصول على المفتاح لفهم عشرات الأماكن المشكلة من القرآن، كما أنه أوضح في كتاب "الإمعان في أقسام القرآن"حقيقة القسم وضرورته وألفاظه. قد استطاع المؤلف في هذا الكتاب الجليل أن يسلط الضوء على طرق القسم مع الإثبات بالشواهد من كلام العرب والعجم. إنه يثبت بأن المقصود من القسم هو الاستدلال والاستشهاد، مع ذلك يستعمل القسم في القرآن لتوفير الشواهد على ما في السور، وليس تكريم المقسم به أو تعظيمه.

قطعي الدلالة في فهم الآيات

كانت شخصية الفراهي متميزة بعلاقته الوطيدة بالقرآن الكريم، قضى كل مراحل آياته في تعلم علوم القرآن وأسرارها ورموزها حتى تكون خدماته ثروة عظيمة للأجيال اللاحقة. إنه تعمق في علوم القرآن متمسكا بالمبدأ الرئيسي هو أن القرآن كله قطعي الدلالة. قد استدل بقول الله عز وجل ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[٢٤٥]. كما قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ﴾[٢٤٦]. يبين الله تعالى أن مراد كلامه أوضح معانيه لامجال فيه للالتباس والغموض. ولذا صرح الفراهي بأن احتمال المعاني الكثيرة للآية ترجع إلى قلة العلم والدقة فيه. إذا أمعنا النظر في الآية لا يجوز لنا أن يبينها مع تأويلات كثيرة. فلا تصح لكلمة معاني عديدة من غير ترجيح،كما فعل الإمام الرازي في بيان كلمة "فتنة".قد ذكر لها خمسة معاني. يرى الفراهي أن هذه المعاني كلها ليست صحيحة. لأن الآية قطعي الدلالة، فلا تدل الكلمة من كلماته إلا على مفهوم واحد. فلا يمكن أن يدركها إلا على مفهوم واحد. توجد في التفاسير الاحتمالات المتضاربة والتأويلات المتباينة للآية عامة . لكن الفراهي انتهج إلى التفسير المعتمد على قطعي الدلالة. إنه اعتبر تقسيم القرآن إلى المحكم والمتشابه وإيراد معاني كثيرة في تفسير آية تفتح باب الاختلافات والتفريقات في الأمة الإسلامية. فلا بد من التحذير من هذا الداء العضال الذي تسبب للغواية عن سواء السبيل. يقول الفراهي في كتاب "التكميل في أصول التأويل": "وما عملت دواء لهذا الداء العضال إلا التمسك بالقرآن و رد الروايات والآراء إلى كتاب الله وهذا لا يكون إلا أن نؤمن بأن القرآن لا يحتمل إلا تأويلا واحدا، وقد قدمت القول في أن القرآن قطعي الدلالة وليس لعبارته

[٢٤٥] النساء :١٧٤

[٢٤٦] المائدة: ١٥

إلا مدلول فيه[٢٤٧]. يثبت الفراهي أن التأويلات الكثيرة التي اهملت قطعية الدلالة تمهد طريقا تفقد قداسة القرآن الكريم ونشر الكفر والزندقة،يقول الإمام:"إنها شر فتنة وقعت فيها الأمة الإسلامية،فتشبث كل فرقة بآيات،وأولوا القرآن إلى آراء مختلفة حتى الكفر والزندقة، فالمحيص عن هذه الورطة أن يجعل ما في القرآن مرتفعا مما ألحقوا به الروايات والآيات وتجعله قطعيا وما دونه ظنيا متحملا للاختلاف"[٢٤٨].

اعتبار المصادر الأخبارية

يعتبر الفراهي القرآن مصدرا أساسيا لكافة العلوم والفنون. إن القرآن يحتوي على الحكمة البالغة والمعارف السامية ما لا يحيط به حق الإحاطة إلا الله عزوجل. ولكن حث القرآن نفسه على التدبر فيه ليطلع أصحاب العقول على المعارف الغامضة لينشرح به الصدور انشراحا وليثبت به القلوب تثبيتا. مع ذلك تضيف الأحاديث النبوية وقصص التاريخ الإسلامية والتعاليم في الكتب السماوية الأخرى بيانات ثابتة إلى العلوم الأساسية من القرآن الكريم. ولذا يعد الفراهي هذه المصادر الأخبارية فرعية وتبعية. وقد سمي بالمصادر الثانوية التي يعتمد عليها لتأييد ما ثبت بالقرآن وهي ما يلي : الأحاديث النبوية ٢)الأحوال الموثوق بها والمتفق عليها للأمم الماضي ٣)الكتب السماوية الأخرى.

علاوة على هذه المصادر الإخبارية يتناول الإمام الفراهي مجموعة من المصادر اللغوية،منها كتب اللغة وأشعار العرب وعلوم البلاغة وعلم الأصول،والمنطق والقافية وغيرها. ينبغي للمفسر أن يرجع إلى هذه المصادر اللغوية. لأن هذه المصادر تسلط الضوء على دقة معاني الكلمات وصحتها مع بيان مراتبها من حيث القوة والضعف وكيفية استعمالها ومحلها والشروط الواجبة التي تتوافر للاستعمال في تفسير كتاب الله عز وجل.

الاهتمام بالأساليب اللغوية

أسلوب القرآن سيد أساليب الكلام شامل لمحاسنها. قد أعجز هذا القرآن فصحاء العرب و بلغاءهم، فلم يأتوا بمثله، وهم أهل البلاغة والفصاحة ، وأرباب البيان والكلام. أعجزهم القرآن ليس بما تضمنه من إعجاز علمي وكوني وأخبار وقصص وتاريخ الماضين فحسب، لكن بما تضمنه من أساليب عربية أيضا. فإن طلاوتها وحلاوتها موضوع جدير بالبحث ،خصوصا لها أهمية كبرى في تفسير كلام الله عزوجل، لأن القرآن لا يزال يتحدى بلغاء الأمة العربية وفصحاء الناطقين في كل عصر أن يأتوا بمثله. فلن يأتوا بمثله إلى يوم

[٢٤٧] فراهي ، عبد الحميد، التكميل في اصول التأويل,الدائرة الحميدية، ١٣٨٨ هـ الهند، ص:٦٦

[٢٤٨] الفراهي، عبد الحميد، ، فاتحة نظام القرآن، الدائرة الحميدية، الهند، ١٣٥٧هـ ، ص: ٣٠

القيامة. قد ركز الفراهي عنايته البالغة على أهمية دراسة الأسلوب العربي من مصادرها الأساسية. إنه ألف في هذا الموضوع رسالة سماها "أساليب القرآن". يمتاز منهجه في التفسير بوضع الأصول والقواعد في ضوء الأساليب القرآنية. هذه القواعد والأصول أكثر نفعا لفهم الآيات من قواعد علم المعاني التي يشتمل على كثير من الجوانب الشاذة من الأساليب العربية.

إن تعيين الخطاب ومعرفة المخاطب أمر ضروري لجودة الكلام وإفادة للسامع. وبهذا السبب يعتبره الفراهي من مهمات الأمور في علم التفسير. إنه اهتم بيان الخطاب بكل أنواعها وأغراضها وفوائدها مع الأمثلة. قد وردت في دراساته القرآنية بحثا جديا عن سائر وسائل لفهم القرآن مثل القران، الوصل، والحذف، ومواقعه والعود على البدء، والتفصيل بعد الإجمال، والاقتصار على بعض الشيئ، ووجوه الوصل والفصل،واختلاف الأساليب في العطف والاعتراض،واستعمال أسلوب عوض أسلوب، والزيادة، والاستفهام والشرط،والفصل بين المتصلين واستعمال الحال والإثبات والنفي والتكرار والبدل والعوض والتنكير والتعريف والعطف بالواو والترديد والتقديم والتأخير والتخليص والتعميم والتخصيص واختلاف الصلة والفعل والمقابلة والتفصيل واختلاف الوضاحة على التقابل والإبهام ثم الإيضاح وتضمن القول دليله وغيرها. يثبت الإمام الفراهي أن في القرآن أصول الاستدلال والنظر أقرب إلى العقل وأرسخ في القلب، لأن القرآن يخاطب كافة البشر بأسلوب يحض على التبصر بالقلب والتدبر بالعقل. إنما الطريقة البسيطة لإدراك أسالبب اللغة بكل أصالتها ورصانتها أن يرجع إلى كلامهم وخطبهم وأشعارهم. ولذا يستدل الفراهي بكلام العرب الأقحاح وأشعارهم وخطبهم أن يتذوق القرآن مع تحقيق مفرداته ومعرفة أساليبه الرائعة.

يؤكد الفراهي على اعتناء باللغة العربية في تفسيره، نزل القرآن الكريم باللغة العربية الفصحى التي شاع استعمالها عند العرب. ولذا إنه أوضح أن معرفة اللغة العربية وآدابها وأساليبها والاستفادة منها ضرورية لفهم القرآن الكريم. الصحابة استشهدوا بكلام العرب، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه "الشعر ديوان العرب". وبهذا السبب اهتم الفراهي بكلام العرب أكثر اهتماما من غيره. اللغة العربية هي وعاء تعبير كلام الله عز وجل. وهي مصدر موثوق لمعرفة المعروف والمنكر عند العرب. لا يتم فهم القرآن إلا بفهم أساليبه وإشاراته وتلميهاته وكناياته من اللغة العربية.

الفصل الثاني: أقسام القرآن وأساليبه عند الإمام الفراهي

الإمعان في أقسام القرآن: مادته ومكانته في الدراسات القرآنية

القسم والحلف يستعمل لتوكيد الحق وإثبات ما يدعى المتكلم من الأمور. هو استشهاد المقسم به تعظيما له. حينما يتبادر إلى الذهن من الأقسام تستقر في نفوسنا ما تحتاج إلى التأكيد والتثبيت. الأصل في القسم أو الحلف،أن يكون بالله تعالى، لأنه عبادة. إن العبادة لله وحده،الله هو وحده معبود، ولذا وهو أحق أن يقسم به. لا يجوز القسم أو الحلف بغيره سبحانه وتعالى،كما ثبت في الصحيحين: يروى عن عبد الله بن عمر قال رسول لله ﷺ "من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت"[٢٤٩]. وفي لفظ آخر: يروى عن عبد الله بن عمر"من حلف بغير الله فقد أشرك"[٢٥٠]. الله هو أجل وأعلى وأغنى عن أن يقسم بشيء من خلقه وصنعه. لا شك أن خير الكلام هو كلام الله عز وجل وهو أصدق الأقوال وفيه يقسم الله بمخلوق ما يشاء. نرى مبدأ السورة بالقسم على سبيل الاستشهاد ويراد به الاستشهاد على ما أقسم عليه. الأقسام موجودة في الآيات الكثيرة وهي لتعظيم المقسم به والشهادات والاستدلال. إن العلماء والمتدبرين اشتغلوا بالبحث والتحقيق عن أقسام القرآن للكشف عن معانيه وحقائقه ولطائفه ودقائقه . العالم الهندي الجليل عبد الحميد الفراهي هو الذي ترك بصمته في المجال العلمي والفكري والإبداعي بالنظر الخاص إلى علم القرآن. قد أنتج الفراهي من أعمال جليلة على المستوى العلمي والفكري ومنها كتابه القيم "الالإمعان في أقسام القرآن".

قد تناول الفراهي موضوع "أقسام القرآن" الذي أفرد فيه كتاب "الإمعان" الموضوع ردا للشبهات الرئيسية، وهي ثلاثة: القسم الأول: القسم نفسه لا يليق بجلالة الله تعالى، قد جاء في القرآن الكريم﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾[٢٥١] هذا حلف مذموم.

القسم الثاني: القسم الذي جاء في القرآن الكريم، الله يثبت المعاد والتوحيد والرسالة بالقسم ما يشاء من خلقه، فإنه يطلب الدليل والبرهان، كما قال الله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾[٢٥٢] ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾[٢٥٣]

[٢٤٩] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح البخاري، دار طرق النجاة، ٤٢٢ ، رقم الحديث ٢٦٧٩

[٢٥٠] ا السيوطي، جلال الدين أبو بكر، الجامع الصغير في أحاديث البشير والنذير، دار الكتب العلمية، بيروت، رقم: ٨٦٢٣

[٢٥١] القلم:١٠

[٢٥٢] القيامة١-٢

[٢٥٣] الشمس:١-٢

القسم الثالث : القسم يكون بالذي عظم وجل، فنهى الرسول الله ﷺ عن القسم بغير الله، وهو لا يليق بجلالة الله. قال رسول الله ﷺ "من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت"[٢٥٤]

إن هذه الشبهات رد عليها الأقدمون مثل فخر الدين الرازي وابن القيم ولكن لم يقف الفراهي عند هذا الحد، فأقبل ردا بقول نفسه. كان هذا الكتاب على نسق واحد. يتجلى فيه ردوده من خلال العناصر المرتبة . يبحث فيه عن دلالات القسم وأسباب خفاء مقاصدها لدى العلماء.قد رتب الفراهي بابا مستقلا للبحث والمناقشة بعنوان"طريق هذا الكتاب في الجواب على سبيل الإجمال". يصرح فيه بأن الأقسام دلالات. وبهذا الاطلاع الواسع استطاع أن ينوه بعض الأخطاء الواردة في الترجمات للصحف القديمة. القسم ألصق شيئ في كلام البشر،هو من أبرز مظاهر للتأكيد. يتضح من دراسات الفراهي أن القسم لا يستعمل في كلام الله عز وجل إلا للتأكيد،ولا يحتاج إلى تقدير المقسم به في كل موضع. لكن إذا ضم إليه المقسم به فإنما هو للإشهاد،ولا يراد منه التعظيم إلا إذا كان بالله تعالى وشعائره.

يناقش الفراهي في هذا الكتاب عن أنواع القسم. لكل نوع خصوصية دلالية. منها القسم على وجه الإكرام للمقسم به والمتكلم والمخاطب، والقسم على وجه التقديس للمقسم به. يشرح المؤلف هذه الأنواع باستشهاد الأبيات للشعراء الجاهليين. يعتبر الفراهي الأشعار الجاهلية مصادرأساليب العرب و سنن كلامهم. ولذا اطلع المؤلف عليها أكثر اطلاعا. ثم يوضح الإمام نوعا آخر من القسم بكل اهتمام. نجد هذا البحث غرض تأليف هذا الكتاب، وهو أقرب نوع إلى الأقسام القرآنية . يسمى هذا النوع الأقسام الاستدلالية. قد استعمل هذا النوع في كثير من الآيات لتأكيد الدليل وترسيخ الحق في النفوس، فيزيل بها كل الشبهات والتساؤلات لأجل تحقيق هذا القسم يرجع المؤلف إلى نماذج من كلام العرب وكلام الأولين من بلغاء اليونان. إن القسم الاستدلالي مبحث هام في هذا الكتاب، وهو المحور الذي يدور حوله وهي الغاية من تأليف هذا الكتاب. يوسع المؤلف في ذكر الأمثلة من القرآن وتطبيقها على غايته ثم ذكر بعض أسباب خفاء الوجه الصحيح في تأويل أقسام القرآن مع ذكر بعض ما في القسم من أبواب البلاغة ولطائفها.

قيمة هذا الكتاب

قدم الإمام الفراهي كتابا صغير الحجم ،ولكن مضمونه قيم ومفيد لكل عشاق القرآن ومحبي اللغة. هذا هو الكتاب المسمى" الالإمعان في أقسام القرآن".يتجه المؤلف إلى الدراسات القرآنية بالتدبر العميق

[٢٥٤] ابن باز ، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، بالمملكة العربية السعودية مجموع فتاوى، الجزء ٥، رقم: ٣٠٧

والاستيعاب بروحه مع إطلاع واسع على أساليب البيان والبلاغة. قد حاول في هذا التأليف لإبراز عن مكنونات الضمير والتعبير عنها في لغات مختلفة. إنه اعتمد على قراءة تعبيرات الصحف السماوية والأساليب الدينية والبيانية مع عناية الدراسة المقارنة للديانات. لا شك أن الإمام الفراهي حقق في تأليفه أن يخوض في عمق إعجاز القرآن مع اطلاع واسع على مصادر الكلام العربية والأشعار الجاهلية . يتجلى من دراسته عن الأقسام هو مادة ثرية من الأصول الأدبية ونكتة متعلقة من فن البلاغة وأساليب البيان العربية. فواجب على كل من يحاول أن يعرف الأقسام في القرآن و قيمتها الأدبية، التذوق الصحيح لفن البلاغة من علم المعاني والبيان بالتفات إلى دراسة بعض اللغات الأجنبية والصحف السماوية القديمة مع سلامة الفكر ورجاحة العقل.

المباحث الهامة في كتاب "الإمعان في أقسام القرآن"

لقد اعتنى الفراهي بأقسام القرآن عناية بالغة. قد أفرد الفراهي موضوع أقسام القرآن في مؤلفين جليلين هما "أقسام القرآن"،والإمعان في أقسام القرآن . إحداهما أقسام القرآن هي رسالة صغيرة. والثانية"الإمعان في أقسام القرآن"يناقش فيه المؤلف تأويلاته لدلالات الأقسام في القرآن الكريم، ويعالج هذا الموضوع ردا للشبهات من خلال المباحث الآتية.

١-المبحث الأول: ماهية أقسام القرآن وقيمته العلمية

٢-المبحث الثاني : الإمعان في أقسام القرآن ورد الشبهات

٣-المبحث الثالث: الأقسام دلالات وليست لتعظيم المقسم به

٤-المبحث الرابع: لماذا خفيت مقاصد الأقسام في القرآن

٥-المبحث الخامس: ما في الأقسام من بلاغة ولطائف

٦-المبحث السادس: موازنة بين الإتقان والإمعان

يبحث الإمام الفراهي عن ماهية أقسام القرآن وقيمته العلمية أولا، توجد العناوين الآتية في المبحث الأول من كتابه "أقسام القرآن".

١-أصل القسم هو الإشهاد

٢-القسم بغير الله هو الإشهاد بلسان الحال

٣-القرآن دال على هذا الأمر

٤-القسم في القرآن تعبير عن الآية الدالة

٥-هذا الرأي ملمح للمفسرين من قبل

٦-الفرق بين القسم وما يشبه به مما لا يليق بالله

٧-لا حرج في غموض جهة الإشهاد

يناقش الفراهي في المبحث الثاني تحت عنوان "الإمعان في أقسام القرآن ورد الشبهات". قد إختزلت الشبهات حول أقسام القرآن ،لذا المؤلف يرد على هذه الشبهات مع بيان دلالات القسم وأسباب خفاء مقاصدها لدى العلماء ويذكر أهمية القسم وحاجة الناس إليه.

يرى الإمام الفراهي أن الأقسام دلالات يناقش عنها في المبحث الثالث. إنه أبطل الظن أولا حتى يتبين أصل القسم ليس في شيئ من التعظيم،هو الذي يحجب على فهم أقسام القرآن وينشأ للشبهات. إن أقسام القرآن بالمخلوقات وردت آيات دالة،وأنها نوع من القسم مباين للأقسام التعظيمية، وليس من القسم بصفات الله كما ذهب إليه ابن القيم رحمه الله.قد بين الإمام الفراهي أن الأقسام وضعت للاستشهاد والاستدلال كما في كلام العرب والعجم. إنه أشار إلى هذه الحقيقة بقوله:"بعد ما تبين لك أن القسم أصله الاستشهاد، وأنه لا يراد من التعظيم، إلا إذا كان بالله تعالى وبشعائره،وعلمت أنه ربما يكون لمحض الاستدلال، لا يخفي عليك أن أقسام القرآن التي بني عليها المعترض الشبهتين الأخيرتين ليست إلا للاستدلال والاشهاد بالآيات الدالة"[٢٥٥]

قد حلل الإمام الفراهي أسباب خفاء مقاصد الأقسام في القرآن. كانت أسرار القسم في القرآن ومقاصده لم يوضحها علماء القرآن والمفسرون. لذا الإمام أوجزها في المبحث الرابع. فكر المؤلف عن مقاصد الأقسام في القرآن وعبر عن آرائه خلاف المألوف عند المفسرين. ثم إنه حاول باستكشاف بعض النكات البلاغية واللطائف العزيزة التي تتضمن الأقسام في القرآن الكريم. يناقش الفراهي عن بلاغة ولطائف في الأقسام في المبحث الخامس.

ألف الإمام جلال الدين السيوطي،صاحب المؤلفات المشهورة التي تجاوزت خمس مائة كتاب، ومنها ما يتعلق بالقرآن وعلومه، الدر المنثور في التفسير المأثور، و الإتقان في علوم القرآن و طبقات المفسرين....الخ. فالإتقان في علوم القرآن كتاب جمع فيه علوم القرآن وجعلها منظمة وبدت فيه قدرة المؤلف للجمع والترتيب وحسن الصناعة. ولذا المقارنة بينه وبين كتاب الإمام الفراهي" الإمعان في أقسام القرآن" مناقشة علمية في المبحث السادس في هذا الكتاب.

[٢٥٥] الفراهي، عبد الحميد، الإمعان في أقسام القرآن، المطبعة الأحمدية،عليكره، ص ٤٥

يلاحظ من المباحث السابقة أن القسم هوحاجة ملحة للمجتمع الإنساني. يستعمل القسم لتأييد وتوثيق العهود على الأمور القومية والاجتماعية ذات الأهمية البالغة ونحوها من القضايا الأخرى. حينما يخاطب شخصا،نجعل أكثر تأثيرا ونفوذا في قلوب السامع بواسطة القسم. يقول الفراهي عن أقسام القرآن"نجد كثرة استعمال القسم عند أمور هامة في كل لغات العالم. أما إمساك القسم وذمه في القرآن والسنة فلها خلفية خاصة ويتعلق هذا الذم بأشياء قليلة للغاية"[٢٥٦] مراد الأقسام الواردة في القرآن الكريم مبحث هام عند العلماء. قد أجاب الفراهي بقوله في هذا الصدد"أما الأقسام التي وردت في القرآن الكريم مرتبطة بالمخلوقات فليست إلا للاستدلال والاستشهاد. ولا علاقة لها بالصفات الإلهية ولا بالتعظيم والقداسة"[٢٥٧]. أضاف الفراهي إليها أن الجوانب العديدة توجد لمحاسن البلاغة في أساليب الأقسام تقصد بها رصانة القول وتأكيدها. يختارأسلوب القسم وفقا لطبيعة الكلام. عندما تكون الألفاظ قليلة، فأسلوبه إيجاز كما يكون أسلوب القسم في جوامع الكلم جملة واحدة،فيأتى المفهوم واضحا جليا خاليا من الإبهام. ولكن تحتوي على معاني كثيرة، ولذلك توجد في القرآن الأقسام مخاطبة للموافقين والمخالفين والمؤمنين والكافرين على السواء. أتم الفراهي تأليف الكتاب المنفرد بأهمية الأقسام، يعرض فيه تاريخ الأقسام وأنواعها وبلاغة أساليبها.

أساليب القرآن عند الإمام الفراهي

كان الإمام الفراهي مؤلف عدة كتب علمية، قام بها لأجل تمهيد السبيل في فهم القرآن الكريم وتدبره واستخراج أسراره ومعانيه العميقة. قد أوضح الإمام الفراهي أن المقصود من تأليف كتاب "أساليب القرآن" هو إحاطة العلم حتى الوسع بدلالة الصور والأساليب ومواقع استعمالها. إن محض العلم بأسلوب خاص من دون تخصيص مواقعه يفتح بابا عظيما لسوء التأويل. قد حاول الفراهي أن يجمع المادة في هذا الكتاب بإثبات قاعدة لأساليب كلام العرب. يقول الفراهي في مقدمة الكتاب"هذا الكتاب ليس ككتاب المفردات مختصا بالقرآن، ولكنه متضمن لفن برأسه، يجرى حكمه في عموم أساليب كلام العرب،غير ما اختص بالقرآن لكونه منزلا على رسول"[٢٥٨].

---

[٢٥٦] الفراهي، عبد الحميد، أقسام القرآن، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح, سراي مير ص١١٧

[٢٥٧] المصدر السابق-ص٢

[٢٥٨] الفراهي، عبد الحميد، أساليب القرآن، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم كره، ١٣٨٩هـ، ط: ١، ص٦

موازنة بين الإمام الزركشي و الإمام الفراهي

كان الإمام الزركشي من أبرز علماء الذين قاموا بخدمات جليلة في موضوع علوم القرآن، يبحث في كتابه النفيس "البرهان في علوم القرآن"عن أساليب القرآن الكريم والنواحي البلاغية. هنا يمكن المقارنة بينه وبين الفراهي في أساليب القرآن وفق العناصر الآتية.

١- الإمام الفراهي بذل جهده الجاد في هذا الكتاب مقتصرا على مبحث قرآني محدود، وتناول فيه ناحية مخصوصة من الكلام الإلهي. يتضمن كتابه رسالة وجيزة عن عموم أساليب العرب، ويقصد احاطة العلم بدلالات الصور والأساليب، ومواقع استعمالها. أما كتاب الإمام الزركشي في أربع مجلدات ضخمة يعد هذا الكتاب إحدى أمهات الكتب المؤلفة في الدراسات القرآنية. إن الإمام الزركشي قد حاول لجمع المعلومات ما قاله الأئمة الأعلام من المفسرين والمحدثين والأصوليين واللغويين والبلاغيين مع أجود الترتيب والتبويب. يمتاز هذا الكتاب بالاستيعاب والشمول،فيبدو فيه التعرض بعقلية موسوعية.

٢- هذان الكتابان يتشابهان في المباحث القرآنية والأساليب البيانية من أسلوب الخطاب والالتفات، ومواقع الحذف والعود على البدأ، والوصل والفصل والتذييل. ولكن كتاب الفراهي يعلو مستواه بتفسير مكنونات صدره وإثبات رأيه بكثير. وهو يمتاز عن الزركشي في الإتيان بنكت شريفة ولطائف دقيقة.

٣- توجد في الكتابين مباحث الالتفات بتقديم الأمثلة والأدلة من كلام العرب الأولين، وأساليب بيانهم. لكن الفراهي يذكر فوائد الالتفات والحكم الخفية، وهي التي تمتاز عن كتاب الإمام الزركشي. يقول الفراهي عن فوائد الالتفات،"إعلم أن الالتفات في القرآن الكريم كثير جدا في كلام العرب، ومن فوائده العامة:

١- انتباه السامع تصغيرا له وإعراضا عنه
٢- ومنها صرف الخطاب الشديد إلى أكبرهم
٣-التعريض بمن يتوقع منه الإنكار أو الكراهية
٤-والالتفات من مخاطب إلى مخاطب
٥-الالتفات لتنويع المعنى
٦-والالتفات لإرادة التوبيخ"[٢٥٩]

يتضح مما سبق أن للغة العربية أساليب خاصة كلغة أخرى. فيكون معنى القرآن مجهولا بدون معرفة أساليبها أيضا. فيجب على كل من يتعمق في علوم القرآن أن يعرف أساليب اللغة العربية وخصائص

[٢٥٩] الفراهي، عبد الحميد، أساليب القرآن" الدائرة الحميدية: مدرسة الإصلاح، سرائمير، أعظم كره، ط: ١، ١٣٨٩هـ، ص:١٥

كلام العرب بوضوحها وشموليتها . هنا محاولة الفراهي محمودة بتأليف كتابه الصغير "أساليب القرآن" هو الذي يساعد على فهم العديد من أساليب القرآن باستيعاب أصالة اللغة العربية ورصانتها ومكانتها بين سائر اللغات.

الفصل الثالث: حجج القرآن وحكمته عند الإمام الفراهي

مباحث كتاب حجج القرآن: الحكمة البازغة والحجة البالغة

كتاب حجج القرآن : الحكمة البازغة والحجة البالغة هو من أجل مؤلفات الإمام الفراهي. هذا الكتاب حافل بالأبحاث العلمية ذات صلة بالقرآن الكريم وعلومه. يتناول فيه المؤلف الموضوعات المنطقية والفلسفية مع الحجج والاستدلال. العقيدة المستقيمة هي أهم الركائز من الموضوعات في تعاليم القرآن. قد أثبت الله سبحانه وتعالى في كلامه المعجز ما تقتضى فطرته السليمة من أركان الإيمان تنشرح به الصدور وترضى به العقول مع الأدلة الدامغة والبراهين القاطعة. يناقش الإمام في هذا الكتاب الجليل حجج القرآن في تحليل عقدة المسائل التي تتصل بالعقيدة الصحيحة. يظهر هذا الكتاب محاولة المؤلف محمودة لتيسير فهم القرآن. قد نجح المؤلف في تحقيق هذا الغرض الجليل ليحق الحق ويبطل الباطل على أحسن وجه وأقوم قول في صفحات هذا الكتاب القيم. أحاول هنا أن أوضح خلاصة المباحث العلمية في هذا الكتاب .

المباحث العلمية في كتاب "حجج القرآن"

يبدأ المؤلف كلامه في هذا الكتاب بمقدمة مضيئة إلى خلق الله سبحانه وتعالى بتخصيص البشر على غير خلائقه في الأرض. وهو ميزة الفكر والنظر يتطور به منذ الولادة حسب مراحل الأعمار في الحياة. قد أسبغ الله نعمه ظاهرة وباطنة على البشر ليهديه إلى صراط مستقيم، فبعث الله النبيين ليخرجهم من ظلمات الجهل وغمته إلى نور الهدى وعصمة العلم. تنتهى سلسلة الرسل ببعثة خاتم الأنبياء محمد رسول الله ﷺ إلى كافة البشر مبلغا لآياته ومزكيا لمن دخل في أمته، وهو الذي يعلم ما نزل إليهم من شرائعه المطهرة وحكمته البالغة. قال الله تعالى ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٢٦٠]

يصرح المؤلف أن هذا كتاب من مقدمة نظام القرآن أفردته لذكر أعظم ركن من كتاب الله عزو جل. يتضح من الآية المذكورة في سورة آل عمران ١٦٤ صفات الرسول الكريم ومهماته في تبليغ رسالة الله تعالى وتثقيف

[٢٦٠] آل عمران: ١٦٤

الأمة إلى سبيل الرشاد. قد ذكر الله سبحانه وتعالى أربعة أشياء من نعت الرسول ﷺ: تلاوة الآيات، وتزكية،وتعليم الكتاب والحكمة. فقدم تلاوة الآيات، وختمها بالحكمة. يثبت الإمام في كلامه أن تلاوة الآية وتعليم الحكمة بينهما علاقة كالبذر والثمر،كما تكون تزكية القلوب وتعليم الكتاب طريقة الوصول إلى الغاية. فالأولى مقرونة بالأخرى.أما إذا زاغت الأبصار عن الطريق القويم فيضل عن الغاية وسواء السبيل.

يحتوى كتاب "حجج القرآن : الحكمة البازغة والحجة البالغة" على مقدمة وثلاث مقالات. يذكر المؤلف في المقدمة عن أهمية الموضوع والحاجة إلى دراسة هذا العلم. ثم ينتقد المنطق والفلسفة والكلام في المقالة الأولى بحيث رتبها في ثلاثة أبواب. يشرح المؤلف في المقالة الثانية عن تأسيس العلم وهي أيضا منقسمة إلى ثلاثة أبواب:

١-الميزان وقد سماه المنطق الأعلى

٢-الحكمة البازغة

٣-طريق احتجاج القرآن

تحتوى المقالة الثالثة على النصوص التي تتعلق بحجج القرآن، وهي تنقسم إلى ثلاثة أبواب : باب في أدلة الربوبية، وباب في أدلة المعاد، وباب في أدلة الرسالة. توجد هذه الموضوعات كلها في المبحث الثاني.

تمتاز فطرة الإنسان بما وهب الله له القدرة على التفكر و تقتضى الأدلة فيما يعلمه من الأشياء. ولذا يبين المؤلف الحاجة إلى هذا العلم . لا توجد في كلام الله عز وجل تعقيد في دلائله ولا خفاء في مضمونه،فإنها أقرب إلى الفطرة. كما صرح الله به عز وجل﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[٢٦١]. قد سمي الله هذا الكتاب بعدة أسماء، ومنها الهدى والفرقان والحكمة والبرهان والحق والتبيان والروح والنور والشفاء لما في الصدور وأمثالها. هذه كلها تدل على الجانب البياني من الوحي الرباني. مع ذلك بعض الأسباب التي تمنع عن إدراك ما جاء به القرآن من الدلائل الواضحة. يناقش المؤلف عن هذه الأسباب في المبحث الثالث.

يتبع القرآن الكريم طريقا خاصا في الاستدلال، وذلك من الظاهر على الباطن، ومن البادي على الخافي ومن الفرع على الأصل. فإن كان الباطل أصلا وأساسا لقد كان الظاهر سببا للعلم ووسيلة إلى معرفة وذريعة إلى اليقين. كثير من الآيات تدل على حقائق خفية بينات يدركها ذوو العلم والنظر ويستدل بالمشهود على الغيب، وذلك بفهمهم على بصيرة تهدي إلى صراط مستقيم. فإن الظاهر متصل بالباطن بطرف منه. النظر

[٢٦١] العنكبوت: ٤٩

في جوانبه وأطرافه يمهد طريقا إلى أصله ومبدئه. أما الملحدون لايرون ما وراء الظاهر وينصرفون عن النظر والتأمل تهدي إلى صراط مستقيم وهم يقفون كالأعمى،القالفون بالقشر من اللب وبالصدف من الجوهر.يدعو المؤلف إلى أهمية طريق استدلال القرآن في المبحث الرابع من هذا الكتاب. كما أنه يشرح عن ثلاثة أصول هامة يجب مراعاتها في المبحث الخامس. من هذه الأصول، الأول : الحق لا يبطل بباطل ولا العلم بجهل، والثاني: لا يبطل الفرع الأصل، والثالث: -لا يبطل الحق من الباطل إلا بقدر ما هو باطل فلا عدوان.

قد وهب الله تعالى العقل السليم والعلم اليقين ليهدي الناس إلى الرشد والخير. إن الإنسان خاضع للإرادة. إذا صلحت الإرادة متمشيا مع العقل السليم والعلم اليقين، فذلك هو طريق الفطرة السليمة. هذه الفطرة والإطاعة هي الرشد والدين. قال الله تعالى ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُون﴾[٢٦٢]. قد أوضح الفراهي أن فطرة النلس هي حرية العقل والعمل في المبحث السادس.

إن دين الفطرة موافق بالعقل السليم. ولكن نرى العقول متفاوتة ومظنة للفساد والزيغ. ولذا تختلف الآراء وتتباين الوجهات في أمور. ومن الواضح أن الإنسان بفطرته تابع لعقله سواء أخطأ أم أصاب. إذن إطاعة العقل من فطرة الإنسان. فيجب على الناس النظر في النهج السوي ليهدينا إلى سلامة الفطرة عند الاختلاف في آرائهم وأهوائهم. فالعقل هو الميزان الفاروق بين الحق والباطل. ولكن لايقوم العقل بمهمته إلا عن طريق الأصول. قد رتب المؤلف المبحث السابع من الكتاب لبيان الفرق بين العقل الكلي والعقول الجزئية.

إن الإنسان مخلوق ذو وعي تام في النفوس ليتقبل محض العقل. وهو يعيش منشرحا صدره بالهدى الفطرى. ولذا جاء الوحي والرسل موافقا لطبيعته كالنور للبصر. وصرحت به الكتب المقدسة كثيرا والقرآن أكثرها تصريحا. هذا هو الأصل والمصدر الأساسي ليتبع المؤمن العقل في جميع أحكامه. أما الكافر يتبعه فيما يوافق هواه وظنه كما قال الله تعالى ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[٢٦٣]. يؤكد الفراهي على أهمية هذه الحقيقة مع الأدلة في المبحث الثامن.

يختص المبحث التاسع بعنوان "حجة عامة وخاصة في القرآن". حينما يجمع الله تعالى في الآية حجة عامة وخاصة، تبدوا خلالها معنى الهداية والتربية والحكمة. كما قال الله تعالى في إثبات الرسالة وهذا القرآن معا.

[٢٦٢] الروم: ٣٠

[٢٦٣] النجم:٢٣

﴿ وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[٢٦٤]

قد جعل القرآن بناء الحجة على اليقين الضروري الفطري. لايزال يطيع عقل البشر ما تقتضي فطرته، وهو ينبوع جميع علومه وأعماله ونظره واستدلاله. إن عقله مودع ومكنون في غور الفطرة كلب وراء القشور والروح وراء الستور . هو المصدر ينبع منه الجداول. إن لليقين الفطري مجاري إلى المدركات، وذلك إلهامات. تتضمن حقيقة هذا اليقين من الأصول . يشرح المؤلف هذه الأصول في النقاط السبعة في المبحث العاشر.

يرى الإمام الفراهي الأمثال نوعا من التشبيه. يستعمل الأمثال لغرض التعليم. ولذلك هو ضرب من الحكمة . يضرب المثل في الكلام للتوضيح والبيان بإحضار الشيئ عند الذهن في صورة شيئ آخر يماثله ويشركه في حكم هو أظهر في ذلك الشيئ الآخر. لابد أن يكون المثل لتصوير الشيئ دالا على حقيقة الشيئ. فيقرب استعمال المثل مفهومه إلى الأذهان حقيقة المعنى الذي يهدي إلى الحق. أما المغالطون يخطئون تصوير الشيئ مخالفا لحقيقة المعنى. ولذلك لابد أن يكون المثل واضحا في التصوير،كما أن يكون الحكم واضحا في المشبه به. إظهار الحكم غاية المثل. فإذا لا بد أن يكون الحكم في نفسه ثابتا للمشبه. إذا ضرب المثل لغير غاية لغو في الكلام، وكذلك لغاية فاسدة يضل ويغوي السامع في الكلام. أما تفصيل المشبه به حاجة لكي يتمكن التصويرفي ذهن السامع. حينما يطول التصوير، يتبادر الذهن إلى الحكم، إما بمحض كون المشبه متصفا بوصف المشبه أو بشدة ذلك. لذا أورد المؤلف كيفية فهم الأمثال بحثا هاما في هذا الكتاب.

لقد أنزل الله تعالى القرآن كتابا مقدسا محتويا على كثير من الوجوه للحكمة. إن الله يحث على التدبر لتعليم هذه الحكمة على قدر مستوى العقول للبشر.حينما يتدبر، فيزداد فهما وعلما.أما إذا أخطأ في طريق الفكر والفهم، فينقص انتفاع العقل بحيث يضل به. ولذا نبه الله تعالى بوجوب تصحيح النظر في الأمثال مشيرا إلى قول الكفار: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾[٢٦٥]

[٢٦٤] الأنعام: ٩١

[٢٦٥] البقرة :٢٦

هناك قاعدة كلية مشهورة في بيان طريق النظر في أمثال القرآن، وهي تأويل القرآن بنفس القرآن. إن هذا الطريق سبيل قويم إلى حق محض لا يخالط فيه من الباطل. يناقش الفراهي عن هذه القاعدة في المبحث الثاني عشر. كما يناقش المؤلف في المباحث الآتية نماذج الأمثال في القرآن الكريم ودقة معانيها. يحلل الفراهي أسباب إنكار المنكرين في المبحث الثامن عشر. قد ذكر القرآن أسباب إنكار المنكرين إجمالا وتفصيلا. إن الحجة لا تلجأ إلى اليقين ولو كانت واضحة بالغة لذي قلب سليم. إذا عرف صحة الحجة حق المعرفة، وأيقن بالحق، ولكن لم يقبله لأسباب هامة،منها أ)-الكبر والأنفة، ب-) الحسد والشحناء .ج-) حب الشهوات والدنيا.

قد أوضح الله تعالى آياته وأرسل الرسل بالبينات من الهدى والفرقان وأودع تلك الآيات التي لا تحصى في الآفاق وفي أنفس البشر. فمن تدبر ونظر فيما حوله وفوقه وتحته من الآيات وسمع ما نبه الرسل عليه وتحرى الرشد،أعطاه الله نور الهداية وضياء الإيمان. ومن كان غافلا عن تدبر الآيات، لاتنفعه الآيات المشهودة ولا إنذار من الرسل ،فيختم على قلبه، ولا يقبل الحق ويجحد جحدا عتوا ويجلب عليه مقت الرب وينزل عليه الرجس. يقول الله تعالى ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[٢٦٦] يثبت المؤلف أن الإيمان يعطيه الرب لمن يعقل ويفهم عن الآيات الأنفسية والكونية. تلك أدلة واضحة على صحة النبوة . هذا هو موضوع المناقشة في المبحث التاسع عشر والعشرون من هذا الكتاب.

يصرح الإمام الفراهي بحقيقة أن ما يشاهد الإنسان في الخارج من الأمور التي لا يشك فيها، وتضطر فطرة العقل أن تنسب هذه الأمور إلى ذات تكون مصدرا لها. إن هذه الحجج الآفاقية أدلة واضحة وبراهين دامغة، يستدل بها على الإله الحق وصفاته الكاملة. توجد في هذه كلها وجوه الكمال ومزايا الجمال. يلخصها المؤلف في سبعة وجوه. توجد هذه المباحث بعنوان" الحجج الآفاقية". لقد استنبط الإمام الفراهي من القرآن الكريم ثلاثة أصول في مجال إقامة الحجة. هذه الأصول الثلاثة يجب مراعتها. المبحث الثاني والعشرون مختص ببيان هذه الأصول الرئيسية.

يذكر الفراهي عن العقل والعلم والعمل الصالح شروط الحجة في المبحث الثالث والعشرين. إن الإنسان مخلوق مطيع لما تقتضى فطرة العقل طبيعيا. ولا ينكرالإنسان دور ما قام به العقل في الحياة. قد اعترف الإمام الفراهي بمكانة العقل ودوره الملحوظ في اتباع الحق والتمسك به طوال الحياة. لا يزال الإنسان

[٢٦٦] يونس:١٠١

يقتضى الحجة على اليقين الضروري الفطري الذي لا يسع العقل أن يعصيه،وهو ينبوع العلوم والفنون والأعمال و يعتبره أصلا راسخا للاحتجاج، ولكن لا يهدي إلى صراط مستقيم إلا بالعلم الحق والعمل الصالح. يشترط الإمام الفراهي ثلاثة شروط لما يتبع العقل في اهتداء البشر. قد عد الإمام في كتابه الجليل هذه الشروط طريق الفطرة للاحتجاج. ومن هذه الشروط كما يلي:

١-العقل الذي هو نور إلهي رفع الله بها الإنسان وميزه عن البهائم.

٢-العلم الحق الذي أنزله الله تعالى

٣-العمل الصالح

القرآن حافل بالحجج والأدلة والبراهين في مسائل العقيدة المستقيمة ،وهي التوحيد وإثبات الخالق والمعاد وإرسال الرسل. قد صرح العلماء المتقدمون والمتأخرون بوجود الحجاج في القرآن الكريم كما صنفوا بعضهم في ذلك مصنفات قيمة. الحجة البرهانية قائمة على الاستدلال المباشر والقياس الصحيح ،وهي تفيد اليقين الجازم. إن المؤلف يعرض أمامنا بعض الآراء الحججية بالتلخيص في المبحث الأخير من كتاب حجج القرآن".

خلاصة القول أن الإمام الفراهي يوضح بتأليفه الجليل أن القرآن كتاب توجيه وتربية. وهو توجيه النفوس وإرشادها إلى الشريعة الإلهية وإلى الصراط المستقيم. وهو يدعوا إلى تربية العقول على الفكر والتدبر لتنال الحكمة ولترتقي إلى المدارج العلى. يمكن أن يستفاد من كتابه الجليل منهج القرآن الكريم في تربية العقول.

ملامح من مباحث كتاب "حكمة القرآن" للإمام الفراهي

كتاب "حكمة القرآن" هو في الأصل شرح معنى الحكمة ومواردها في القرآن الكريم. قد فسر الإمام الفراهي رحمه الله كلمة الحكمة بمعناها المعروف. هدف المؤلف وراء تأليفه تحقيق الحكمة في ضوء الآيات القرآنية، وبيان منزلتها وخصائصها وآثارها وأسبابها.

قد تناول الإمام الفراهي ما يحتاج أساسيا لفهم ظاهر القرآن الكريم في خمسة كتب وهي،مفردات القرآن،وأساليب القرآن ،والتكميل في أصول التأويل،وتاريخ القرآن،ودلائل النظام، وتليها سبعة كتب في علوم القرآن وهي كما يلى:

١-حكمة القرآن

٢-حجج القرآن

٣-القائد إلى عيون العقائد
٤-الرسوخ في الناسخ والمنسوخ
٥-الرائع في أصول الشرائع
٦-إحكام الأصول بأحكام الرسول
٧-أسباب النزول

كانت الطبعة الأولى من نسخة "حكمة القرآن" عام ٢٠٠٧م أصدرتها الدار الحميدية. ظهرت هذه النسخة في ١٢٠ صفحة. أضافت إليها الدائرة الحميدية كلمة الناشرة في خمس صفحات، وقد تضمنت تعريفا موجزا عن الكتاب. كتب المؤلف في هذه النشرة الأولى فصولا كثيرة، ولكن لم يوفق له إكماله على غرار مشاريعه الكثيرة التي باتت مفتوحة وقد انتقل إلى رحمة الله تعالى وهي غير تام. يمكن أن يقرأ المقدمات حول الكتاب في المبحث الأول والثاني.

المبحث الثالث هو بيان أصل الكتاب. يذكر المؤلف في بداية المسودة الأولى لكتاب الحكمة مطالب هذا الكتاب وموضوع رسالة نظام الديانة الإسلامية. يستطيع القارئ من هذه المقدمة قيمة هذا الكتاب وعظم شأنه ولكن وهو غير تام. فإنما هي مجموعة فصول متفرقة، كثير منها ناقصة غير محررة. وبالرغم من ذلك لا يمكن أحد أن ينكر حظه الوافر من كتاب الله العزيز ونور قلبه بالحكمة ، ولذا يعد من العلماء العاملين الربانيين. كانت الفصول متفرقة ولكن وهي تحتوى على قواعد نفيسة التي تعم الإفادة للجميع بحسن تقديمه،خصوصا ينتفع به أهل العلم وأولو الألباب.

تدور المناقشة العلمية في المبحث الرابع حول موضوع "الحكمة" التي بعث الله تعالى نبيه محمدا رسول الله ﷺ لتعليمها للناس تماما كما قال الله تعالى ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٢٦٧]

قد شرح الإمام الفراهي معنى هذه الآية بإيضاح معنى المفردات التي وردت في الآية كلفظ الكتاب معناه "الشرائع والأحكام"،ومعنى الحكمة أي "الحكم"وليس معناها "السنة" كما ذهب الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه" الرسالة. "

قد رتب الإمام الفراهي جزءا هاما من كتاب حكمة القرآن لشرح المعنى الأصلي لكلمة "الحكمة" .قد كتبت بعض الفصول التي لم يعثر عليها العلماء لبيان الأمور الضرورية التي تكون تابعة لحكمة القرآن. كانت

[٢٦٧] البقرة :١٢٩

الفلسفة اليونانية التي أولع بها العلماء تسدهم عن الفهم الحقيقي مقصود الحكمة القرآنية وتمنعهم عن البحث والاستنباط. ولذا أوجب المؤلف على ترك تقليد الطريقة اليونانية لما تحجب دون البحث عن الحكمة القرآنية.تجرى المناقشة العلمية حول هذا الموضوع في المبحث الخامس.

يمكن أن يلخص محتوى هذا الكتاب في النقاط الهامة ،كما يلي:

١- أشار رحمه الله إلى مكتبة حافلة التي تضم إليها كتبه في علوم القرآن

٢- مقدمة إلى الحكمة(مدخل إلى الموضوع المبحوث)

٣- شرح كلمات "سبحان الله، والحمد لله،ولا اله إلا الله،والله أكبر،ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"

٤-تعريف الحكمة عند السلف

٥- شرح أسماء الحكمة بوجهة قرآنية ومنها: الإيمان، والحق والعلم،والسكينة،والروح،والهدى،والبصيرة،والنور،والأمانة،والحظ العظيم،والخير الكثير.

٦- كلمة الحكمة والظنون وسوء الفهم حولها على غير أهلها

٧- ماهية الحكمة وتعريفها الصحيح في ضوء الآيات القرآنية

٨-الحكمة أوضح المعارف

٩-الحكمة ضالة المؤمن وقل من وجدها

١٠-التحليل المعنوي لكلمة الحكمة في ضوء ما وردت في الآية (**ربنا و ابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم ءاياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم**-)[٢٦٨]

١١-شرح نظرة الحكيم

١٢-تعليم الحكمة و بيان أهدافها،لا يكون تعليمها إلا بإثارة وإشارة

١٣-الحكمة علم وعمل

١٤-خصائص الحكمة وآثارها ومظانها وأسبابها

١٥-بيان طريق تعليم الحكمة لا يتحقق إلا بطول الصحبة تدريجيا.

١٦-دلالة الحكمة، وهي التي وردت في القرآن،نستنبط منها المعنى الأصلي.

١٧-إزالة الشبهة، موضع التمثيل في الحكمة

١٨-الحكمة تمهيد الطريق إلى رقي الأمم (الجانب الأخلاقي)

١٩-الحكمة وعوالى العلو

[٢٦٨] البقرة :١٢٩

النظام في الديانة الإسلامية من الحكمة. هذا هو عنوان المبحث السابع . قدم الفراهي في حوالى ٣٤ صفحة مشروع النظام في الديانة الإسلامية،فصولا مستقلة. تم بيانها في تقديم الكتاب، محتويات موضوعاتها كما يلى:

١-غاية الحياة ونهاية السعادة
٢-في أركان الديانات
٣-مواقف الديانات
٤-نظرة الحقائق في الديانات من ثلاثة مراصد
٥-في بيان نظام هذا الدين
٦-ترتيب العقائد والأحكام في أولية الشكر والصبر
٧-أصل الدين وفروعه
٨-التوفيق بين القرآن الحكيم والصراط المستقيم .

خلاصة القول أن هذا الكتاب " حكمة القرآن" مؤلف علمي يحتضن بطيه معارف ومعلومات علمية وفكرية عن كلمة "الحكمة" التي وردت في القرآن الكريم من مختلف النواحي. كذلك ينطق هذا الكتاب بشتى المعاني والمفاهيم التي تنبع من هذه الكلمة. قد حاول المؤلف أن يجمع المباحث عن الحكمة القرآنية في شكل كتاب. يمكن لكل باحث أن يستفيد من هذا الكتاب علما وفكرا فيما يخص فهم القرآن الكريم . لا شك أن هذا التأليف الجليل أيضا يدل على تضلع الفراهي وتبحره في علوم القرآن الكريم.

الفصل الرابع: مفردات القرآن: دراسة تحليلية

نظرية الإمام الفراهي عن أهمية تحقيق المفردات

ومن المعلوم لدى الجميع أننا لا نعرف شيئا من اللغة إلا بمعرفة من المفردات والألفاظ. ينبغى لدارسى اللغة أن يلتجئ أولا إلى وسيلة معرفة المفردات مع دقة معانيها في فهم الكلام وتعبيره. إن معرفة المفردات والألفاظ هي الخطوة الأولى في تدريب اللغة وتطبيقها في كلام البشر. إذا كانت معاني المفردات مجهولة أو غير واضحة لا تتبين مقاصد الجمل. ولذا توسع نطاق الدراسات المختصة بالمفردات وتكثفت الاهتمامات الكبيرة بتحقيقها في مجال الدراسات القرآنية. إنما يتجلى معاني الكلمات الواردة في القرآن عن طريق تحقيق المفردات مع الشمولية والتناسق والتجانس بعضه بعضا. لا يمكن أحد أن ينكر أن الإبهام والغموض عن المفردات، يؤدى إلى خفاء عن الترابط المعنوي،فلا يصح نظم القرآن والتدبر الصحيح بدون معرفة عن دقائق المفردات. إذا أهمل الترابط المعنوي ونظم القرآن بين الآيات والسور، فيتوهم من اللفظ ضد المراد

حيث يذهب إلى جهة غير جهة القرآن. يشير الإمام الفراهي إلى خطر هذا الإهمال في قوله:"سوء فهم الكلمة ليس أمر هين،فإنه يتجاوز إلى إساءة فهم الكلام وكلما يدل عليه من العلوم والحكم فإن أجزاء الكلام يبين بعضه بعضا للزوم والتوافق. وهكذا نرى الخطأ في حد كلمة واحدة أنشأ مذهبا باطلا وأضل به قوما عظيما وجعل الملة بددا[٢٦٩].

إن المكاتب الإسلامية في جميع أقطار العالم غنية بمؤلفات قيمة ضخمة في موضوع مفردات القرآن. نرى فيها جهود العلماء المتضافرة في تحقيق المدلولات القرآنية مع الضبط والدقة. وفي طليعة هؤلاء العلماء العباقرة نرى الإمام الفراهي الذي كان يهتم بتحقيق وتفسير مفردات القرآن اهتماما بالغا. تتميز دراساته القرآنية عن سواه بالتركيز على نظم القرآن بحيث يحتاج إلى معرفة مفردات القرآن، وجعل تحقيقها جزءا أساسيا في خطة دراسة القرآن الكريم. إن اللغة العربية الفصحى لتستمد رونقها وبهاءها من نبغ القرآن وتزداد جمالها وجلالها من جزالة الألفاظ وسلاسة الكلمات. قد جمع المفسرون في تأويل الآيات عبرا مستنبطة ودررا مستخرجة ونكتا مستلطفة ورتبها في طيات تفاسيرهم. وكذلك نجد عدة كتب يناقش فيها عن الدعائم التي تؤدي إلى فهم مدلولات كلمات في القرآن. وبالرغم من تلك الكتب المتداولة لاتعتبر الألفاظ ولا تعرفها بحدودها المضبوطة. يتجه الفراهي إلى رؤية رئيسية وهي أن لكل لفظ حد صحيح تام. إن مؤلفي الكتب في مفردات القرآن لم يحاولوا حق المحاولة لإبراز قيود الألفاظ وصورها الحقيقية. ولذا لا يستفيد من هذه الدراسات معرفة تامة عن حقائق الألفاظ التي تساعد على فهم القرآن على الطريقة المثلى. تتجلى الآيات والسور أسرار الترابط ورموز النظم وعجائب التماسك بحيث يطمئن قلوب القارئ المتدبر بتلاوتها أول مرة. لكن اذا أهملت هذا الجانب المهم أي أن القرآن من الأول إلى الآخر لمنظمة بنظام باهر جامع. يقول أمين أحسن الإصلاحي في مقدمة "تفسير نظام القرآن" عن ذكر المآخذ اللسانية في التفسير."فأما في سائر الألفاظ وأساليب حقيقتها ومجازها،والمآخذ فيه كلام العرب القديم والقرآن في نفسه. وأما كتب اللغة فمقصرة فإنها كثيرا ما لا تأتي بحد تام ولا تميز بين العربي القح والمولد،ولا تهديك إلى جرثومة المعنى. فلا يدرى ما الأصل وما الفرع؟ وما الحقيقة وما المجاز؟ فمن لم يمارس كلام العرب واقتصر على كتب اللغة ربما لم يهتد لفهم بعض المعاني من كتاب الله[٢٧٠].

إن القرآن الكريم قد أضاف الكثير من التعابير والمفردات لم تكن العربية موجودة من قبل،كانت إنتاجات اللغة العربية قبل نزول القرآن الكريم موجودة في نوعين هامين وهما النثر والشعر. ثم صارت نماذج التعبير

[٢٦٩] الفراهي، عبد الحميد، مفردات القرآن، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سراي مير، المطبعة الحميدية، سرائمير، ١٣٥٨هـ ، ط:١ص:٥-٤

[٢٧٠] الالإصلاحي، أمين أحسن، مقدمة نظام القرآن، الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سراي مير، ط: ١، :ص ٤٢

اللغوى في العربية إلى ثلاثة أصناف: القرآن،النثر، الشعر. إن القرآن ليس شعرا ولا سجعا،وهو كلام إلهي مع كونه كلاما طويلا جدا لا ينقصه في أي موضع منه الفصاحة والبلاغة والتصرف البديع والمعاني اللطيفة والفوائد الغزيرة والحكم الكثيرة والتناسب في التعبير والتشابه في البراعة. جدير بالذكر أن القرآن الكريم استحدث كثيرا من الأسماء الجديدة،مثل الإيمان،والكفر،والصلاة، والزكاة، والحج، والمغفرة، وكذلك الألفاظ الإصلاحية التي نشأت في رحاب العلوم الشرعية، المرتبطة بالقرآن الكريم مثل التوحيد و الفقه،أصول الفقه،التفسير، النحو،الصرف.....وغير ذلك من العلوم. من الثابت أن القرآن الكريم كان له أعظم الأثر وأبلغه في إثراء هذه اللغة المباركة، وتقوية سلطانها على الألسنة بثروة المفردات وروعة البيان. ولذا الإمام الفراهي يضع حدا لمعرفة المفردات وتحقيقها في الدراسات القرآنية. يقول في كتابه المفردات."وكتب اللغة والغريب لا تعطيك حدودا للكلمات حدا تاما. وكتب السير والتفسيرلا تبين لك بالتمام والصحة أمورا جاء ذكرها في القرآن الكريم وكتب العلوم الأخر من العقليات والأخلاق لا تعطيك ما تضمن عليه القرآن من الحكم والأسرار فاحتجنا إلى ثلاثة علوم، اللغة، والتاريخ،والحكمة. [٢٧١]

يقدم الفراهي نظرية توجيهية لمعرفة حقيقية من كلام الله تعالى وهو أن التدبر الصحيح والتأمل التام واجب على فهم دقة معاني المفردات. إن الحاجة إلى فهم معاني المفردات في الحقيقة ضروري لكل من يطلع على حكمة القرآن. لا شك أن معرفة تحقيق المفردات،لا تتم استفادتها إلا من المآخد اللسانية والمصادرالأساسية. إذا كان المعتمد على مصادر غير أصلية، ومراجع غير صحيحة يجلب الضرر بسوء الفهم.

أسباب تأليف مفردات القرآن ومقاصده

كتاب المفردات هو من أجل أعمال العلامة الإمام عبد الحميد الفراهي الذي كان من جهابذة علماء الهند في الدراسات القرآنية. إن هذا التأليف الجليل يتعلق بمفردات القرآن ويشرح مصطلحاته. هو الذي قدم نظرات جديدة في هذا الموضوع وجعل البحث عن تحقيق المفردات باعتباره جزءا من مشروعه القرآني العظيم المشتمل على اثني عشر كتابا. كان كتاب المفردات أول الكتب الثلاثة منها لتمهيد الطريق إلى فهم القرآن على الوجه الصحيح. وهى كتاب المفردات،وكتاب أساليب القرآن،وكتاب التكميل في أصول التأويل. أقبل الإمام على تأليف هذا الكتاب الجليل هادفا لتحقيق المقاصد الرئيسية. يبين المؤلف نفسه أسباب تأليفه في نقاط هامة. ألخصها كما يلي:

[٢٧١] الفراهي، عبد الحميد، مفردات القرآن، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سراي مير،١٣٥٨هـ، ص:٥

١- المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام. إذا كان معنى الألفاظ المفردة من القرآن غير واضحا،فيكون باب التدبر مغلقا أمام القارئ،كما يكون مشكلا في فهم الجملة وخفاءا في نظم الآيات والسورة.

٢- لكل آية وسورة في القرآن الكريم مفهوم المعنى الواضح. قلما يقف على جهل الفهم، بل يتجاوز موقفه،فيتوهم من اللفظ ضد ما أريد،فيتجه القارئ إلى خلاف جهة المقصودة. إذن لا بد أن يفهم معنى المفردات مع الدقة والصحة.

٣-تشتمل الآيات على العلوم والحكم، فإن أجزاء الكلام يبين بعضها بعضا للزوم التوافق بينها. إن سوء فهم الكلمة يتجاوز إلى إساءة فهم الكلام، فيخفي على القارئ الدلالة الواضحة من العلوم والحكم في الآية.

٤-إن الخطأ في معنى كلمة واحدة يصرف عن تأويل السورة بأسرها. فيتوجه القارئ إلى غير جهة المعنى الصحيح. ولذا يمكن أن يقول بكل صراحة أن سوء فهم الكلمة أمر جاد أحق أن يعتبره حق الاعتبار،ليس بأمر هين.

٥-الخطأ في حد كلمة واحدة يسبب لظهور مذهب باطل يضل به قوما عظيما. إن استعمال اللفظ على وجوه كثيرة، فيكون الخلاف في العقائد. ولذا لا سبيل النجاة من هذه الفتنة إلا بمعرفة معاني المفردات وأنحائها المختلفة.

٦-معظم القرآن الحكمة وهي الأصل، ولا سبيل إلى فهمها من القرآن دون الإطلاع على معاني كلماتها المفردة ودون العلم بصحيح علوم اللسان من البيان.

إن كتب اللغة والغريب لا تفيد فائدة حدود الكلمات حدا تاما. إذن يجب علي الدارس أن يرجع إلى المصادر اللسانية. نستفيد المعاني الشرعية كالصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها من السنة المتواترة المتوارثة التي جاءت من سلف إلى خلف. يجدر بالذكر قول الإمام عبد الحميد الفراهي الذي كان من أئمة اللغة قضى أكثر حياته عاكفا على تدبر القرآن وتمرس بكلام العرب وتذوق بيانهم."فأما في سائر الألفاظ وأساليب حقيقتها ومجازها فالمأخذ فيه كلام العرب القديم والقرآن نفسه. وأما كتب اللغة فمقصرة فإنها كثيرا ما لا تأتى بحد تام، ولا تميز بين العربي القح والمولد، ولا تهديك إلى جرثومة المعنى،فلا يدري ما الأصل وما الفرع،وما الحقيقة وما المجاز. فمن لم يمارس كلام العرب،واقتصر على كتب اللغة ربما لم يهتد لفهم بعض

المعانى من كتاب الله."[٢٧٢]. لما تبين للفراهي أهمية المعرفة الدقيقة لمعاني الكلمات في فهم الكلام وقصور كتب اللغة والغريب في إفادة هذه المعرفة في تفسير بعض الكلمات وشرح المفردات، أيقن الفراهي أن تأليف كتاب خاص بتحقيق المفردات أولى للبحث والمناقشة في هذا الموضوع.

قد اتبع الفراهي في تفسيره باسم "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" طريقة خاصة بتقسيم آيات السورة إلى مجموعات، ويفسر أولا مفردات ألفاظها. يتناول في تتفسيره الألفاظ المشكلة التي تقتضي مزيدا من البيان والتفصيل والاستقصاء والاحتجاج وتكثيرمن الشواهد. ولذا رأى الفراهي أن الحاجة ماسة أن يجمع هذه المباحث كلها في كتاب مفرد حيث يقنع القارئ الذي يريد الدراسة التفصيلية في تحقيق المفردات. قد أوضح المؤلف موضوع كتاب المفردات والجوانب التي كان يريد تناولها في تفسير ألفاظ القرآن في فصل كتبه في الورقة الأولى من المسودة. إنه يحاول أن يبرز في هذا الكتاب الحدود واللوازم مع دقة معاني الألفاظ المفردة باحثا عما يتصل بها، وما يفترق عنها وما يشابهها، وما يضادها حيث يستفيد منه دلالة الألفاظ المفردة واضحة.

إنما يقصد الإمام الفراهي بتأليف هذا الكتاب أن يورد فيه أهم ما يقتضى بيانا وإيضاحا بشرح المفردات لبناء فهم الكلام أو نظمه عليه. لم يرد بهذا التأليف كتابا شاملا لألفاظ القرآن الكريم. يرى الإمام أن معرفة النظم تفتح باب التدبر. فالمعرفة الدقيقة لمعاني الكلمات تمهد طريقا بسيطا إلى الكشف عن النظم. إذا وقع الخطأ في فهم معنى الكلمة فيبعد عن التأويل الصحيح . ولذا إهتم الفراهي بالبحث عن حدود الألفاظ ولوازمه بتحقيق المفردات في هذا الكتاب القيم. ومن مقاصد تأليف مفردات القرآن إيضاح الفرق بين معاني الألفاظ عند نزول القرآن وبين ما صارت بعد ذلك. إضافة إلى مقاصد تأليف هذا الكتاب، الرد على المنصرين والمستشرقين الذين يزعمون أن عددا كبيرا من ألفاظ القرآن أخذها النبي ﷺ من اليهود والنصارى، وأن بعضها لم يفهمه النبي ﷺ ، فأخطأ في استعماله في القرآن ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ - **سورة الكهف** ٥) لما وجد المؤلف خطر هذا الزعم الباطل من مطالعة كتاباتهم، فرد على مطاعنهم في هذا الكتاب. إنه أراد إزالة الشبهات التي أثاروها حول الألفاظ مثل كلمة الدرس،واليهود، والنصارى. قد صرح المؤلف فيها بمزاعمهم مع اعتناء بتأصيل الألفاظ دون إشارة إليهم أو تعرض لكلامهم.

[٢٧٢] الفراهي، عبد الحميد، فاتحة تفسير نظام القرآن، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سراي مير: ١٣٥٧هـ: ط: ١ص:١٢

القيمة العلمية لكتاب مفردات القرآن

إن كتاب مفردات القرآن هو تأليف جليل. له قيمة علمية و مكانة سامية بين كتب غريب القرآن. كل من يطلع عليه، يشعر بأنه ليس من نوع التأليف المكرر الذي قصد به التهذيب والتيسير. يجد القارئ فيه نظرات جديدة وتحقيقات بارعة وفوائد نفيسة، تخلو منها الكتب الأخرى. ولذا يعد كتابا أصيلا في موضوع علم غريب القرآن وأفضل مصنفا في هذا الباب. هذا كتاب صغير الحجم وقليل المادة ولكن تبرز قيمته العلمية وميزته اللغوية في عدة جوانب، منها ما يلى:

١-مقدماته التي تناول فيها مسائل مهمة تتعلق بلغة القرآن
٢-منهجه المتميز في تفسير الألفاظ
٣-تفسيرات جديدة لبعض الألفاظ
٤-الكشف عن أصول جديدة ترجع إليها مشتقات المواد اللغوية
٥-بيان التطور اللغوي لبعض الألفاظ
٦-العلاقات المعنوية بين الألفاظ المقترنة بعضها ببعض في كتاب الله
٧-تأصيل الكلمات التي زعم الطاعنون أن القرآن أخذها من اليهود والنصارى
٨-الآراء اللغوية المنثورة في الإبدال وغيره
٩-الشواهد الشعرية الجديدة
١٠-تفسير لبعض الشعر القديم خلافا للشراح جميعا

يمتاز هذا الكتاب بمنهج تأليفه الذي يتيح فرصة للقارئ أن يدرس عن الألفاظ دراسة دقيقة، وهو يفيد فائدة تامة عن أصول المفردات ويساعد على تحقيقها ويهدي إلى النتائج التي ينشرح لها الصدر، وينجلى بها الغموض،فيتعين معنى النص، ويضيئ السياق. تتجلى القيمة العلمية لهذا الكتاب في تحقيق المفردات و تحث على الإضافات إلى الدراسات القرآنية والمعجم العربي من نظرات جديدة في تأصيل الكلمات وتحقيق الألفاظ.

محتوى كتاب مفردات القرآن

قام الفراهي بتأليف هذا الكتاب القيم على أحسن وجه، لكن لم يوفق له أن يتم هذا التأليف. إنه إنتقل إلى رحمة الله تعالى وهو كتب مجموعة فصول سودت في أزمنة مختلفة، و لم يتمكن له إعادة النظر أو تبييضه. قد استطاع له أن يتم هذا التأليف من حيث مقدماته، وعدد ألفاظه، واستيعاب الكلام في تفسير الألفاظ. لا يزال يبقى هذا الكتاب ثروة علمية عظيمة، وهو في صورة مذكرات ليستفيد جميع القراء منه عند إكمال هذا التأليف.

هناك ثلاث مقدمات شبه كاملة وثلاثة نصوص ناقصة بعد خطبة الكتاب. إنما يريد المؤلف تفصيلها في صورة مقدمات مستقلة،أو حينا آخر يدمجها في بعض المقدمات. ومنها نص في "الحروف المقطعات". وجد كلامه على الحروف المقطعة غير تام. إنه أراد أن يخص الكلام بمقدمة مستقلة. فيمكن المطلعون على نظريات الفراهي أن يميز أفكاره وآراءه في تفسير المفردات.

قد صرح الإمام الفراهي في خطبة هذا الكتاب بأنه لا يورد فيه إلا الألفاظ التي تقتضي البيان والإيضاح لبناء فهم الكلام أو نظامه عليه. ولذا هذا الكتاب يحتوى على جل ما يقتضى الشرح من ألفاظ القرآن. أما مسودة الكتاب فلا تحتوي إلا على ٤٤ كلمة. إن العدد المطلوب كان أكثر من ضعف العدد المذكور، والدليل على ذلك أن ظهر الورقة الأولى من المسودة يحمل فهرسا غير مرتبا لألفاظ قرآنية عددها أيضا ٤٤ كلمة،وهي كما يلى:

الآلاء، الأمة، الحبك، التقوى، الصوم، الصلاة، الدين، الكتاب، الحكمة، الذكر، الزكاة، الرسول، النبي، الوحي، العرش، الكرسي، الإستواء، الجهاد، ليلة القدر، الغيب، الفزع، لضلال، جهنم، الزقوم، الكلمة، الأمر،الروح، التوراة، الإنجيل، الزبور، الصحف، النور، بين يدي، بأعين، السكينة، الإفساد، الرجم، العهد، الولد، والإبن ، المحكم، المتشابه، المثل، التأويل، الطوفان.

الواضح أن المؤلف قيد تلك الكلمات لتفسيرها في هذا الكتاب،ولكن مسودته لم تتضمن منها إلا سبع كلمات، وهي: الآلاء، والحبك، والحكمة، والذكر، والزكاة، والعرش والطوفان.

هناك عدد ملحوظ من المفردات فسرها المؤلف في أجزاء تفسيره. قد بين أئمة اللغة هذه المفردات بتأصيلها أو تفصيل وجوهها،أو بيان تطور معانيها. ومنها: الأب، والأبتر، والتين، وسفرة، وصرة، والمن والسلوى والنصارى، وهادوا، والتكذيب، وغيرها. وقد فسر المؤلف ثماني كلمات من الفهرس الوارد في أول المسودة في مؤلفاته الأخرى.

وهي: الإنجيل، والتقوى، والصحف، والصلاة، والصوم، والغيب، والمحكم والمتشابه والتأويل.

اعتنى الفراهي بتقديم الكلمات التي اختلف المفسرون في معانيها أو تحديد مدلولها في كتابه القيم "مفردات القرآن". وهو الذي رعاها رعاية شاملة بتحديد المعاني نظرا إلى النظام القرآني، وحاول لفهم معنى مفردات القرآن الصعبة التي لا نصل إلى مفهومها الحقيقي إلا بالشرح والتفسير. ولذا أوضح المؤلف حاجة المراجعة

إلى هذا الكتاب في قوله"إن الخطأ ربما يقع في نفس معنى الكلمة فيبعد عن التأويل الصحيح للآية أو في بعض وجوهه فيغلق باب معرفة النظم"[٢٧٣]

محتوى كتاب "مفردات القرآن"منحصر في ثلاث مقدمات. شرع المؤلف المقدمة الأولى بشرح غاية تأليف هذا الكتاب وحاجتنا إليه. قد بين الإمام فيها أن المعرفة بالألفاظ المفردة ضرورية لفهم الكلام. وهي الخطوة الأولى لولوج إلى التدبر في عمق معاني القرآن الكريم. إذا كانت معاني المفردات غير واضحة،فأغلق عليه باب التدبر وأشكل عليه فهم النص، وخفي عنه نظم الآيات والسور. ومن هنا يتوسع لنا الطريق نحو التفكير فيما قاله الفراهي في المقدمة:"لو كان الضرر عدم الفهم لكان يسيرا،لكن المرء قلما يقف على جهله فيذهب إلى الجهة المقصودة. ثم سوء فهم الكلام ألجأه إلى أن يكثر الإساءة. ثم الخطأ في معنى الكلمة وتحديد مدلولها ربما يصرفه عن تأويل السورة بأسرها،مثل لفظ القسم وأدواته لم يتبين له معناه فاختلط تأويل السورة كلها،ولو تبينت معاني أكثر كلمات القسم وتحدد مدلولها لتبين تأويل أكثر السور التي فيها القسم.[٢٧٤]

يناقش الفراهي في المقدمة الثانية عن المشاكل التي نواجهها في فهم الكلمة والكلام. إن هذه المشاكل مشتركة بين العرب، وغير العرب. تأتى هذه المشاكل من جهتين، الأولى: إذا كان معنى الكلمة أو الكلام غير واضحا، والثانية: إذا لم تتبين الأمور المتعلقة به من الأحوال الصحيحة. ولذا ركز الفراهي عنايته على فهم الأصول اللسانية كما صرح بذلك في المقدمة الثانية.

يسلط المؤلف الضوء على نزول القرآن بلسان عربي مبين. فقد دل القرآن بنفسه على ذلك بقوله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[٢٧٥] .فقد جعل الله كلامه ربيع قلوب البشر وجلاء بصائرهم ونور حياتهم. لا شك وهو في قمة البلاغة وذروة الفصاحة يتحدى بفصاحته وبلاغته كافة البشر في كل زمان ومكان. إن التضلع في اللغة العربية وكلام العرب وخطبهم ومحاوراتهم يفتح بابا إلى تذوق سهولة كلام الله وجمال نظمه وقوة حجته ووضوح دلالته وسلاسة كلامه ومتانة أسلوبه. ولذا أوضح الفراهي في المقدمة الثالثة أن معرفة كلام العرب الفصيح تمهد طريقا لفهم الكلام الإلهي بدون إبهام وتعقيد. قد نزل القرآن هداية البشر وفيه ترغيب وترهيب ووعد ووعيد، وهذا يقتضى وضوح الكلام، ولكن ربما يوجد فيه خلاف في الكلمات العديدة. يرى الفراهي أن لهذا الخلاف أربعة

[٢٧٣] الفراهي ، عبد الحميد، مفردات القرآن, الدائرة الحميدية ،،مدرسة الإصلاح، ١٣٥٨هـ، ص٣

[٢٧٤] المصدر نفسه,ص ٤

[٢٧٥] الشعراء:١٩٢ -١٩٥

أسباب وهي قلة العلم بالعربية، والاختلاف في التأويل لعدم كفاية العلم بمواقع النزول والأحوال. أخيرا أضاف إليه وجود بعض الكلمات المجلوبة من غير لغة قريش مثل السجيل والقرطاس والقنطار وما إلى ذلك.

يناقش المؤلف في هذا الكتاب عن ٧٣ كلمة و٤ حروف وردت في القرآن الكريم. يتبين من خلال هذه المناقشة تفسيرات وجوه الكلمات وأحوالها مع معانيها في ضوء نظام الكلام. والكلمات التي شرحها المؤلف في كتابه هي:الآلاء، الآل، الأبابيل، الآية، الأب، الأبتر، ابن الله والرب، الإتقاء، أتى يأتى، أحوى، الإسلام، إن الله معنا، أهل البيت، الإيمان، البر، التكذيب، تنازع، التين، الجنة، الحبك، حرد، الحق، الحكم، والحكمة، لصالح، خاتم النبيين، درس، الذكر، الرحمن،الزكاة. .سوف، سارب، الساق، سبحانك، السعي، سفرة، السنة، الشهيد، الشوى، الشيطان، الصبر، الصبر والشكر، الصحف، الصدقة، صرة الصفو، الصفح، الصلاة،

الضريع، الطوفان، الظن، العرش، العشي، العصر، الغثاء،الغيب، الفتنة، الفكر

والذكر، الآية،قاتل واقتل، القربان، كفر، الكوثر، اللعنة، متاع، مصدقا لما بين

يديه، مكة، المن، النصارى، هادوا، هدى، وريد ويثرب

نماذج بعض المفردات وتحقيقاتها في ضوء الآيات القرآنية

اهتم الفراهي بتفسير الحروف مثل أن، لا، لعل ومن في هذا الكتاب. قد ضبط الإمام مبادئ جديدة لفهم القرآن بتحقيق الألفاظ والحروف وتحديد معانيها ومدلولاتها مع تقديم الأدلة والبراهين من الآيات والآحاديث وآثار الصحابة ومن الصحف السماوية واللغة العبرانية ومن الشواهد من كلام العرب. إنه رسم منهجا متميزا لإيضاح معنى المفردات بعد أن يستدل عليها من الأشعار. هنا نماذج بعض من المفردات مع بيان موجز.

١-**الإسلام:** قال الفراهي أن الإسلام معناه الطاعة والخضوع. ولكن القرآن خصه لطاعة الله وقد استعمله العرب لهذا المعنى.[٢٧٦]

قد وردت الكلمة في القرآن لوجوه. فالأول أن الإسلام هو العبودية كما في قول الله تعالى لخليل الله ابراهيم عليه السلام. ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[٢٧٧]-: هذا هو معنى الإسلام الحقيقي لله

[٢٧٦] الفراهي ، عبد الحميد، مفردات القرآن, الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح ١٣٥٨هـ، ، ص١٩-٢٠

[٢٧٧] البقرة:١٣١

ويسميه بلفظ آخر القربان والنذر.كذلك جاء اسم ابراهيم عليه السلام على كمال معنى الإسلام المسمى ب"الإحسان" قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٢٧٨]-

قد وردت الكلمة في دعاء ابراهيم عليه السلام،كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٢٧٩] هنا يدعو إبرهيم عليه السلام أن يبعث أمة مسلمة من ذريته وارثة لملته.

قد أوضح الفراهي أن الإسلام يراد به كل ما أمر في حياتنا أن يفعل مرضاة لله وهو معنى الحج. قال تعالى﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[٢٨٠]. إن هذه الآية تدل على أربعة أمور: الأول أن كل شيئ أسلم لله، والثاني أن جميعهم يرجعون إليه، والثالث أن إطاعة الرسل لازمة، والرابع أن الإسلام لا اختلاف فيه. قال تعالى (إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[٢٨١]- تدل الآية على أن الإسلام شريعة مقبولة عند الله، لا اختلاف فيه. نستفيد من الآيات سعة معنى الإسلام. وفي القرآن ورد بمعنى الآخر وهو "السلم". يقول تعالى﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾[٢٨٢]- محمد ٣٥)

إن الإسلام هو شريعة،أمر الله عباده بعبادة الله وحده. معنى الإسلام ينافي الشرك كما أشار في قوله تعالى﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[٢٨٣]

[٢٧٨] الصافات:١٠٥-103

[٢٧٩] البقرة: ١٢٨

[٢٨٠] آل عمران:٨٣

[٢٨١] أل عمران:١٩

[٢٨٢] محمد:٣٥

[٢٨٣] آل عمران: ٦٤

٢-الحكم والحكمة

يحلل الفراهي كلمة الحكم والحكمة بمرادهما في ضوء الآيات وأقوال الرسول ﷺ. يستدل الفراهي بكلام العرب لتعيين معنى الكلمة. الحكم يراد به القضاء في الحق والباطل كليهما،كما ورد في القرآن الكريم:(**مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**)[٢٨٤].

أما الحكمة وردت في الآية صفة داود عليه السلام ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[٢٨٥] مراد هنا بالحكمة هي ملكة راسخة يحكم بها حكم صحيح.

كان العرب يسمون بالحكيم والمثقف والعاقل هو الذي يتحلى بالصفات الحميدة ويكرم بالأخلاق الفاضلة في المجتمع. إنهم وجدوا في كلامهم آيات الحكمة فهي الأخلاق الحسنة والطهارة. تستعمل كلمة الحكمة ليدل على القضاء الحق والحكم الصريح المقبول لدى الجميع. توجد معاني الحكمة في كلام العرب. قال الرسول ﷺ "إن من الشعر لحكمة" لأن الأشعار كلها لا تدل على الضلال. قد سمي القرآن الوحي بالحكمة كما سماه بالنور والبرهان والرحمة. ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[٢٨٦] وصف القرآن نفسه بالحكيم لما يحتوى على الحكم. ولتسمية القرآن بالكتاب الموجب أوالحكمة، مفهومان وهما أنه مشتمل على الأحكام المكتوبة والثاني أنه يحتوى على العقائد الصحيحة والأخلاق العليا التي تضمر فيها الحكمة.

أن هناك عدة آيات التي وردت فيها كلمة "الكتاب" مع الحكمة. فأوضح الفراهي أن كلمة الكتاب وردت لمعنى الأحكام، والحكمة ذكرت فيه لأصول الأحكام. قال الله تعالى﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[٢٨٧] ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[٢٨٨] . قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام : ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾[٢٨٩] سمي التوراة في هذه الآية "كتابا"،لأن معظمها الأحكام،والإنجيل قد سمي "حكمة" لما كثر فيه البراهين والمواعظ.

يطلق "الحكم" على القول المشتمل على القضاء الحق الواضح. يستعمل الحكيم بمعنى ذوالحكم، فيليق تسمية الحكيم لمن له علم وملكة القضاء على الحق. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ

[٢٨٤] القلم: ٣٦

[٢٨٥] ص:٢٠

[٢٨٦] النحل:١٢٥

[٢٨٧]:النساء:١١٣

[٢٨٨] الأحزاب: ٣٤

[٢٨٩] المائدة:١١٠

أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾[٢٩٠]. توجد في الآية كلمة "الحكم" إضافة إلى يحي عليه السلام ويراد هنا قوة تمكن به أن يصل إلى نتيجة صحيحة. قال تعالى ﴿ يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[٢٩١] أي كان يحي عليه السلام موصوف بصفات العليا من الفهم والمحبة ،ومكرم بالأخلاق الفاضلة. قد ذكر العلم بعد الحكم في آيتين،حين ذكر عن لوط عليه السلام: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ﴾[٢٩٢] وكذلك في سورة يوسف: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢٩٣] نفهم من الآيتين أن الحكم المطلق لا يكون صحيحا إلا بالعلم.

وأضاف العلامة الفراهي إلى هذا البحث العلمي وصنف كتابا حول هذا الموضوع بعنوان "حكمة القرآن" وناقش فيه عدة جهات الحكمة. وقام خالد مسعود بترجمة بعض أجزائه بالأردوية ونشرها في مجلة "تدبر

٣-**الشوى**: قد وردت الكلمة في القرآن صفة جهنم. ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾[٢٩٤]-**المعارج**:١٦)اختلف المفسرون في معناه لكن العرب استعملوا في كلامهم لمعنى لحم الساق. قد أورد الفراهي الشواهد الشعرية من أشعار ابن حزبة الطماسي، وامرئ القيس،وجرير،والأفوه الأودي،والخرنق أخت طرفة،وأعشى والمثقب العبدي وعنترة العبسي. أذكر الإثنين نماذج منها:

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا له حجبات مشرفات على الفال[٢٩٥]

فإذا ذكرت من الهذيل وقد شتا فينا الهذيل وفي شواه كبول[٢٩٦]

٤- **الصلاة**: الصلاة عبادة، لهذه الكلمة عدة جهات،أصلها الإقبال على شيئ ومنه الركوع والتعظيم والتضرع والدعاء. يحلل الفراهي في كتابه معنى هذه الكلمة لغويا وشرعيا. الكلمة موجودة في اللغة الكلدانية بمعنى الدعاء والتضرع وفي العبرية بمعنى الصلاة والركوع. يبحث الفراهي عن عدة معاني هذه الكلمة في ضوء ما وردت في الآيات القرآنية. قال تعالى:"**سيصلى النار**" ومنه التصلية". ومن هذا الأصل صلى النار ثم بمعنى دخل النار.

---

[٢٩٠] الرعد: ٣٧

[٢٩١] مريم: ١٢

[٢٩٢] الأنبياء: ٧٤

[٢٩٣] يوسف: ٢٢

[٢٩٤] المعارج: ١٦

[٢٩٥] ديوان امرئ القيس(تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم, دار المعارف, مصرو ١٩٥٨م, ص ٣٦

[٢٩٦] شرح ديوان جرير(محمد إسماعيل عبد الله الأنصارى, دار الإنس,بيروت,٤٧٥/١

يفصل الفراهي في هذا الكتاب جهات المعاني من أصول الشرائع كما يلى، وهي : إقرار التوحيد وذكر لعهدنا بعبوديته الخالصة،الصلاة عهد العباد بالله الدعاء الخالص،الشكر للرب،الرجوع إلى الرب، تقرب وحضور وقربان وقضاء على بهيمة النفس عقلا، الصلاة حياة،صنو للصبر وتحقيق له، الصلاة استعانة بالله تعالى. قد أورد الفراهي الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة الصلاة لتحقيق هذه المعاني في كتابه المشهور"مفردات القرآن"، وأطال البحث حوله في الكتاب"الرائع في أصول الشرائع".

٥-: **الكتاب**: قدم الفراهي خمسة معاني لهذه الكلمة مع الآيات القرآنية أدلة لتحقيق هذا المعنى. الأول هو كتاب الله المنزل على الرسل بالوحي، والثاني قضاء الله الذي قضى به لينفذه نفسه كما تدل الآية (الحجر:٤)،والثالث ما كتب علينا من الشرائع كما تدل الآية(البقرة:١٢٩)،والرابع هو كتاب مشتمل على قضاء الرب كما تدل الآية(الأنعام:٥٩)،والخامس هو الرسالة وما يكتبون كما تدل الآية(النمل:٢٩).

٦-**الكوثر**: له معاني يحلل الفراهي أصل هذه الكلمة من معنى ذو كثرة عظيمة، الكثر معناه الثروة والبركة. وفي قول لبيد بن ربيعة:

وصاحب ملحوب فجعنا بموته وعند الرداع بيت آخر كوثر[٢٩٧]

يقول الفراهيي أن الكوثر: مبالغة الكثير،وهو من جهة اللسان محتمل لثلاثة وجوه من التأويل. الأول أنه منقول إلى الإسمية، فصار مختصا بشيئ وسماه الله تعالى بالكوثر،والثاني أنه صفة قدر موصوفها، فصار له بعض التخصيص،كقولهم:"مرد على جرد أي رجال مرد على خيل جرد". وقوله تعالى،(**والذاريات**:)[٢٩٨] أي الرياح الذاريات. وهذا كثير في القرآن الكريم. والثالث أنه وصف باق على عموم معناه كأسماء الصنف تقع على القليل والكثير. فيكون من جوامع الكلم ويراد به خير كثير. قال الفراهي في تفسير سورة الكوثر أن مراد الكوثر الكعبة استنباطا من الآيات والآحاديث وأقوال السلف. قد ذكر صاحب "تدبر القرآن هذا المعنى.[٢٩٩]

٧- **مصدق لما بين يديه**: يشرح الفراهي كلمتي "التصديق" و"بين يديه". والتصديق له معنيان :الأول شهد بصدق رجل أو كلام ، والثاني أن جعله صادقا فيما توقع[٣٠٠]. ولذا يثبت الفراهي المعنى الثاني جاء النبي تصديقا بما ورد في التوراة. إذا كذب اليهود القرآن والنبي،فإنما يكذب كتبهم أصليا. قال تعالى:(**ولما جاءهم**

[٢٩٧] لبيد بن ربيعة، ديوان لبيد بن ربيعة ، دار المعرفة، ط: ١، ١٤٢٥هـ، ص:٥٠

[٢٩٨] الذاريات:١

[٢٩٩] الاإصلاحي، أمين أحسن، تدبر القرآن فاران فاؤنديشن، لاهور، ١٩٨٣م ,٨/٥٨٩-

[٣٠٠] الفراهي، عبد الحميد، مفردات القرآن، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، ١٣٥٨،هـ, ص ٦٤

رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتو الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون)[٣٠١]

اتجاه الإمام الفراهي في تحقيق معنى المفردات

قام الفراهي بمحاولات جبارة وجهود مخلصة لتحقيق معنى المفردات القرآنية. وضع الفراهي خطوة رئيسية في فهم القرآن وإتقانه، وهي معرفة بالمفردات القرآنية. له نظرية خاصة في تحديد معاني الكلمات، وهي التي تميز كتابه مفردات القرآن عن الكتب الأخرى في هذا الموضوع. قد لاحظ الإمام الفراهي أصلا لتحديد معاني الكلمات وتفسيرها في ضوء نظام القرآن. تختص نظرية الفراهي لإدراك معاني مفردات القرآن وضبط مدلولاتها لملكته الراسخة للاستدلال بأشعار العرب. إنه طبق نظريتها في تحقيق معاني الكلمات بتضلعه من اللغة العبرية وإحاطة بمعاني التوراة والإنجيل والزبور. لاشك أن هذا العالم العبقري الباحث المدقق تناول هذا الموضوع بطريقة تظهر مواضع دقته وأصالته وبلاغته بأسلوب شائق جذاب في الكتاب الجليل مفردات القرآن.

إن اللغة العربية تمتاز بميزات عديدة تميزها عن كل لغات العالم. ولها فضل عظيم ومكانة سامية،لا تزال تبقى مع كل عزتها وقوتها على وجه الأرض إلى نهاية تاريخ البشرية. قضى الله تعالى خلود هذه اللغة المباركة باختيار نزول كلامه المعجز، وهي جدارتها الفريدة، وأقام شرفها،وهو لا يزال يقوم بخصائصها دون اللغات الأخرى تصديقا لوعده عز وجل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[٣٠٢]. لا شك أن القرآن الكريم له أثر بالغ من وراء خلود اللغة المباركة والحفاظ عليها من الاندثار. هذه اللغة تمتاز بالتوسع والانتشار،ولها من المفردات والاشتقاق والمترادفات ما لا تضاهيه أي لغة أخرى. إزدهرت اللغة العربية بتأثير القرآن الكريم لما وهب الله تعالى من المعاني البديعة والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة والأساليب العالية في كلامه المعجز. وبهذا السبب كانت المفردات وتحقيقها في ضوء الدراسات القرآنية موضوع بحث علماء اللغويين والأدباء. ارتكزت عناية العالم الهندي الجليل عبد الحميد الفراهي على تحقيق المفردات في ضوء هذه الدراسات القرآنية. قد حاول لوقوف على دقائقها ولطائفها مع عناية بالغة. أحاول هنا أن أطلع على أصول منهجه المتميز في تحقيق المفردات ليستخرج منها اتجاهه اللغوي في فهم معاني المفردات.

[٣٠١] البقرة: ١٠١

[٣٠٢] الحجر:٩

أصول المنهج في تحقيق المفردات

كلمة "المنهج" في اللغة تعنى: الطريق الواضح، قال إبن دريد(ر)":النهج: الطريق الواضح،والجمع نهوج،مناهج."[٣٠٣] هذه الكلمة تستعمل عند أهل التفسير وعلوم القرآن،هو الطريقة المستقيمة الميسرة لفهم معاني الألفاظ القرآنية وتفسيرها على أحسن وجه. هذه الطريقة تمنع كل أبواب سوء الفهم وتسد ذرائع الشكوك وتصح دلآلات الألفاظ راجعا إلى المنهج الصحيح واعتمادا على الأصول الحقيقية. أفرد الإمام الفراهي بتأليف كتاب جليل "مفردات القرآن"لإبراز النماذج الخاصة من مفردات مهمة وحاول لتحليلها وتفسيرها في ضوء كلام العرب القح و آيات القرآن الكريم. كل من يطلع على هذا الكتاب القيم،يدرك أن المؤلف بذل أقصى جهد للكشف عن دقائق المفردات وسرها باحثا عن الأصول. أما علماء اللغة وأصحاب المعاجم عامة يكتفون في الدراسات بذكر معاني كثيرة لكلمة واحدة،لا يتجاوزون بحثهم عن أصول الألفاظ ومصادرها اللغوية. ولكن لم يقف الفراهي عند هذا الحد، إنه تعمق بالتركيز على الأمور الأصولية التي تتعلق بالألفاظ. لأن الألفاظ تجعل اللغة ثرية، وهى تدل بالغ الدلالات المختلفة. أشار الفراهي في مقدمة كتابه إلى هذه الحقيقة."ولا نورد في هذا الكتاب من الألفاظ إلا ما يقتضى بيانا وايضاحا إما لبناء فهم الكلام أو نظمه عليه. وأما عامة الكلمات فلم يتعرض لها وكتب اللغة والأدب كافلة به. "[٣٠٤] . إن الإمام لم يوفق له أن يتم تأليف هذا الكتاب. تتجلى في كتبه ورسائله الأصول الراسخة التي اعتمد عليها في تحقيق المفردات وبيان مدلولها. يمكن أن يلخص هذه الأصول في نقاط رئيسية تالية.

أ) الانتقاد على مدلول الكلمات في ضوء القرآن الكريم

لكل كلمة مدلولها الحقيقي الخاص. توجد خلفية تاريخية التي ترتبط بأصالة اللغة وراء دلالة الألفاظ. وهي تسلط الضوء على صحة المعنى ودقتها مع التوسع. من الحقائق المعترفة لدى الجميع أن القرآن الكريم أعجز فصحاء العرب وبلغاءهم، فلم يأتوا بمثله، وهم أهل البلاغة والفصاحة وأرباب البيان والكلام بما تضمنه من إعجاز علمي ولغوي وأدبي. العرب الأوائل والشعراء الجاهلية وأعلام اللغة القدماء لما سمعوا كلام الله عز وجل، اعترفوا بعجزهم أن يأتوا بمثله حتى رأوا فيه أسرار البيان وعجائب اللغة وحلاوة الأسلوب. كل الأغراض والأدوات التي استعملها العرب موجودة في القرآن الكريم كالاستعارة والكناية والمجاز والتقديم والتأخير والحذف والتقدير والتوكيد والاستفهام والتشابه والإطناب والإيجاز وغيرها. كان العرب ذوى إلمام وإدراك مما سواهم عن جمال لغة القرآن وجلال معانيها. رأوا أنما وضع كل حرف وكل كلمة في

[٣٠٣] إبن دريد،جمهرة اللغة،دار العلم الملايين،طبعة :١،الجزء :١،صفحة:٤٩٨

[٣٠٤] ا الفراهي، عبد الحميد، مفردات القرآن،الدائرة الحميدية،مدرسة الإصلاح ١٣٥٨هـ، ،ط:١،ج:١،ص:٦

المكان المناسب والمعنى الذي يخصه. ولذا اعتبر الفراهي كلام العرب ميزان أصالة اللغة ،لأن العرب يعرفون حق المعرفة كيفية تصحيح استعمال الكلمة ومفهومها الواضح المعروف عند نزول القرآن الكريم. معرفة علم اللغة لفهم معانيها اللغوية ضرورية. لكن لا يقتنع الفراهي بالنقل من كتب اللغة وتفسيرالكلمات وتلخيص المعانى التي ذكرت فيها أو تفيصيلها بدون اعتماد على كلام العرب القح. هو الذي أقبل على انتقاد مدلول الألفاظ في ضوء القرآن الكريم، لأنه تمكن من تمييز المفردات معتمدا على الأصول الحقيقية.

ب) الاعتماد على أساس معرفة اللغة العبر انية والسريانية

إن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين. فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب. أما بعض الألفاظ تبقى شيئا من الشبهات عن أصلها ويقول عنها بعض من النحاة: إنها أعجمية من حيث أصلها،ثم استعارها العرب وطبعوها وأخضعوها لمقايسهم البيانية وقوانينهم اللغوية قبل نزول القرآن الكريم بفترة طويلة. لما نزل القرآن أستعملت تلك الألفاظ عربية الأصل حيث يعتبرها جزءا لا يتجزأ منها. أما الإمام الفراهي أوضح نظريته في هذا الصدد مشيرا إلى حقيقة صريحة. إن الكلمات والمفردات في القرآن تدل على دلالات صريحة بينة. لكن في بعض الأحيان يصعب على القارئ أن يدرك أصول بعض المفردات بالدقة. وبذلك يواجه مشكلة لتعيين المراد الصحيح ومعناها الأصلي. فيعبر الفراهي عن السبيل المستقيم لفهم المعنى الصحيح وتمييز أصل الكلمات بنظرة فاحصة إلى إستعمالات تلك الكلمات في اللغتين العبرانية والسريانية ذواتى التشابه والتماثل باللغة العربية. يقول الإمام الفراهي في مقدمة"نظام القرآن" مشيرا إلى ما بين اللغتين العربية والعبرانية من التشابه:"فاعلم أن كلام المسيح المروى باللغة اليونانية أصله عبراني. فلغة الإنجيل وكتب العهد العتيق واحدة. ولا شك أن العربي والعبراني وهما لغتا الكتب المنزلة صنوان. إذا كان الأمر هكذا لابد أن تشبه بعضها بعضا وتهدى إحداهما إلى معنى الأخرى. ثم لما كانت مطالب هذه الكتب متقاربة وتبعث كلها من ضئضئ الوحي فجدير بها أن تتساوق[٣٠٥]

وبالجملة أن البحث والتحقيق لكثير من المفردات ذواتي الأصل العبراني والسرياني كمثل الكلمة "العصر" و"آلآء" و"الأب" و"السفرة" وغيرها من مفردات القرآن توجد التشابه والتماثل لكن تهدى إلى أصولها بالاعتماد على أساس معرفة بهاتين اللغتين. لا شك أن هذا المنهج تمهد طريقا لوضوح المعنى الأصلي في ضوء التشابه بين هاتين اللغتين بدون إبهام عن دلالات الألفاظ.

[٣٠٥] الفراهي، عبد الحميد، تفسير نظام القرآن، الدائرة الحميدية،ط:،١ ه١٤٠٣،،ص: ٤٥,٤٦

ج) عدم الالتفات إلى المعنى الشاذ

اعتبر الإمام الفراهي أخذ المعنى الثابت المرجح أصلا من الأصول الأولية في منهج تحقيق المفردات. فلا سبيل إلا أن يترك المعنى الشاذ لأنها يجعل الغموض والشكوك. توجد في اللغة كلمات لا تكون فرادى،منعزلة. بل مجتمعة مشتركة،ولكل كلمة جسم وروح ولها نسب تلتقى مع مثيلاتها في مادتها ومعناها. هذه الخصائص الاشتقاقية تحتاج إلى معرفة دقة المعنى مع أصول الكلمات بدون إهمال الرأي المرجح. ولذا قال الإمام الفراهي في كتابه "التكميل في أصول التفسير والتأويل" عند ذكر المبادئ والأصول الأولية في التفسير والتأويل."إنما لا يجعله من المرجحات،فان اللفظ الحسن المصون ربما عوض الظاهر العامى ولكن اللفظ اذا استعمل لا بد أن يدل على مفهومه المعلوم الثابت، فإن أريد به مفهوم ينكره الناس ويدعيه مدع ولا سبيل إلى إثباته،فهذا تعمية. والقرآن الكريم أنزله الله تعالى عربيا مبينا،فلا شيئ نترك الإفصاح"[٣٠٦]

د) العناية بالموقع والمحل وعمود الكلام

ينبغى في تحقيق المفردات البحث عن مادة كل لفظ والمعنى الذي أريد منه في النص حاليا، ووزنه وخواصه. لكل كلمة مدلولات خاصة، مع ذلك تستعمل الكلمات في جهات معينة وأطراف مختصة. عندما تختلف الجهات وتتعدد المعاني، تقتضى إلى وضوح المعنى مع ضبط الأصل. فلا سبيل لها كما أوجب الفراهي في قوله أن يرجح المعنى المناسب الذي يطابق لسياق الكلام وسباقه. ولذا أكد الإمام على رأي اعتناء بالموقع والمحل وعمود الكلام أصلا هاما في تحقيق المفردات.

يقول الإمام في كتابه "التكميل في أصول التفسير"موضحا ذلك الأصل:"اعلم أن ما من كلمة إلا ولها أطراف وجهات فهي كالمعاني لها وكذلك كل أمر قصة واعتبارات شتى، وكما أن اللفظ المشترك يؤول حسب محلها،مثلا صفة الأحدية الكاملة مختصة بالله تعالى ومع ذلك نرى في ذكره تعالى بأسماء مختلفة وعلى ترتيب شعائر مثل (رب الناس،ملك الناس،إلاه الناس) مثل (رب العالمين،الرحمن الرحيم،ملك يوم الدين) مثل(ملك القدوس،العزيز الحكيم) مثل (العزيز،الغفور) مثل (الملك القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار،المتكبر)فمن لا يتدبر القرآن لا يلتفت إلى محل الكلمات ولا يهتدى لفهم جهة الكلمة"[٣٠٧]. معرفة علم اللغة، خصوصا علم بالمفردات وتحقيقها مع العناية البالغة بالموقع والمحل وعمود الكلام تسلط الضوء على دلالات الألفاظ الأصلية.

---

[٣٠٦] الفراهي، عبد الحميد، ،رسائل الإمام الفراهي،المجموعة الأولى،ط:٤،ص:٢٦٤،٢٦٣

[٣٠٧] الفراهي، عبد الحميد ، رسائل في علوم القرآن،المجموعة الأولى،ط":٤، ١٩٩١م، ص:٢٦٨،٢٦٧

هـ) الأخذ بأثبت الوجوه اللغوية

إن الأيات القرآنية و معانيها واضحة ميسرة. فلو قرأها من هو الذي يعرف اللغة مع أصولها وقواعدها، يدركها بدون التباس وشكوك. ولكن في تفسير بعض من الآيات التي فيه مفردات تحتاج إلى مزيد من الإيضاح بالوجوه المتساوية،فلا بد أن يرجع إلى القول الشائع والرأي الثابت لغويا وصرفيا. يرى الفراهي في هذا السياق التمسك بأثبت الوجوه اللغوية وأرجح الآراء الشائعة أصلا رئيسيا من أصول منهج التأويل في تحقيق المفردات. مثاله معنى "الشوى"فإنه لحم الساق عموما في كلام العرب. وأوضح الإمام الفراهي أن العلامة عبد القادرالدهلوي رحمه الله أخطأ في ترجمة قوله تعالى "نزاعة للشوى" بذكر معنى أنه كبد. كذلك بعض من أهل اللغة أنه جلد الرأس. ولكن هذا المعنى للشوى قد ورد في قليل من الكلام مع احتمال معنى آخر.أثبت الإمام أن معنى الشوى هو لحم الساق عند الجمهور، وذلك علم شائع ثابت في اللغة. ولذا وهو يأخذ بما هو أوفق بالنظم . يستفيد من رأيه أن أصول منهج في تحقيق المفردات إذا كان المعنيان لو تساوى فلا مجال أمامنا إلا الأخذ بأثبت الوجوه اللغوية والالتجاء إلى أصح الآراء توافق لنظم القرآن. يعتمد الفراهي على الشواهد الشعرية لأخذ بأثبت الوجوه اللغوية،خصوصا الأشعار الجاهلية من فحول الشعراء إمرئ القيس، وعنترة العبسي، والأعشى وغيرهم. ذكر الإمام قول جرير بن عطية في بيان كلمة "شوي"

ماذا ذكرت من الهذيل وقد شتا فينا الهذيل وفي شواه كبول[٣٠٨]

يتضح من الأصول التي إعتمد عليها الإمام الفراهي في دراسة الألفاظ وتحقيق المفردات أنه سلك على منهج قويم، هو الذي هداه في تفسير بعض المفردات القرآنية إلى النتائج التي ينشرح لها الصدر، وينجلي بها الغموض. فيمكن به أن يتعين معنى النص ويضيئ السياق بدون إشكال.لا شك أن هذه الأصول وإبراز منهجه المتميز في ضوء الآيات القرآنية،ترفع قيمة علمية لكتابه الجليل"مفردات القرآن".

إن فهم المفردات أول مدخل إلى إكتساب اللغة وتطبيق تعبيرها. يجد في كل الدراسات اللغوية أولى الاهتمام لتحقيق المفردات ومناهجها وأصولها. ولذا اعتنى بها الفراهي عناية كبيرة و وضع لها أصولا رئيسية. يمتاز منهج الفراهي في تحقيق المفردات بالتعمق في الفكر وتوقد في الذهن ودقة في الاستدلال والاستنباط. انتهج الفراهي لتحقيق المفردات وتعيين حق مرادها ميالا إلى إعجاز القرآن ومتمسكا بأصالة اللغة. ولذا لم يقتنع بمجرد ما اعتمد أهل اللغة عامة على النقل والحكاية من كتب اللغة والتفسير والشرح وتلخيص آرائهم. هو الذي انتقد مصادرها في ضوء القرآن الكريم وكلام العرب القح،ونظم أصولها على الطريقة المثلى.

[٣٠٨] جرير بن عطية،ديوان جرير ج:٢,رقم البيت:٩٦،، النقائض بينه وبين الأخطل:١٨٤،منقول من مفردات القرآن لإمام الفراهي: ص:٢٠٢

الفصل الخامس : تفسير القرآن وتأويله عند الإمام الفراهي

مكانة الإمام الفراهي بين المفسرين

قد حصل تفسير "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"على مكانة رفيعة بين التفاسير الموجودة، ويعتبر في مقدم التفاسير المستحسنة. لأن المفسر عبد الحميد الفراهي جمع فيه ميزات حسنة تستحق أن يحتل مكانا رفيعا لا توجد في غيره من التفاسير من المحدثين ومن غير العرب. وهو الذي قدم اتجاها جديدا في التفسير وذلك بمعالجة النظم المعنوي على أساس النظرية العلمية الفنية. قد كشف لنا الأصول ليعتمد على فهم النظم المعنوي في القرآن الكريم. كما أنه أثبت هذه الأصول بالدلائل النقلية والعقلية الدامغة الوافرة بحيث يعتبرها حقيقة واقعية في القرآن الكريم. إنما يقصد بكلمة النظم الجانب البلاغي في القرآن الكريم، فلا يقصد به اتساق معاني الآيات وأفكارها فحسب بل يعتبرها معرفة وحدة المعنى أيضا. ولذا اكتشاف جميع جوانب النظم أمر شاق. وبهذا السبب قد فشل المفسرون القدماء في إثباته كأنه علما مستقلا. أما الفراهي فاق على سائر المفسرين باعتباره علما واضح المعالم يمكن معرفة النظم من هذه الأصول. لا بد أن يتجه إلى معرفة آراء المفسرين حول النظم المعنوي في القرآن ليتميز مكانة الفراهي بينهم.

النظم المعنوي في القرآن عند المفسرين

قد اهتم عدد كبير من المفسرين بفكرة النظم المعنوي في شتى مراحل تاريخ التفسير. ومنهم الإمام الطبري والزمخشري والرازي وأبوالسعود والإمام البقاعي وأبو جعفر بن الزبير والمهائمي الهندي والزركشي والسيوطي والشيخ محمد عبده والشيخ التهانوي. هنا جدير بالذكر اسم أول من دعا إلى هذه الفكرة، فيقول الإمام الزركشي: أول من أظهر علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام النيسابوري وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول إذا قرئت عليه الآية "لم جعلت هذه السورة في جنب هذه وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة" وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة"[٣٠٩]

إن الصحابة كانوا يراعون النظم برعاية السياق القرآني، واعتمدوا على السياق عند فهم القرآن وجمعه وتأويله. كان الطبري معاصرا للنيسابوري وإن لم يكن ببغداد اهتم بالسياق القرآني ، ولكن لا توجد فيه

[٣٠٩] الإمام الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن ، دار الكتب، عمان، ج:١، ص:٣٦

إيضاح النظم الكامل في السورة وبيان صلة السورة بالسورة المتجاورة. هنا أوجز وجهات بعض من المفسرين حول النظم المعنوي.

كان الزمخشري (١٠٧٥-١١٤٤م) مؤمنا بالنظم المعنوي، إنه حاول لإظهار النظم ورعايته في التأويل بكل حرص. يقول محمود شاكر عن منهجه:"النظم هو أهم إعجاز القرآن والقانون الذي وقع التحدي به ومراعاته أهم ما يجب على المفسر"[٣١٠]. إنه بذل جهودا كثيرة لإبراز النظم أكثر مما حاول الطبري ولكنه لم يقبل على وضع الأصول لمعرفة التناسق المعنوي.

أما الإمام فخر الدين الرازي (١١٤٩-١٢١٠م) اعتنى بالنظم المعنوي في التفسير ويحرص على كشف أسراره وغوامضه، فيقول إن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[٣١١].

أما المفسر أبو السعود فهو في تفسيره"إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم"يحاول إبراز النظم المعنوي ولكنه لم ينجح في كشف نظم طبيعي في السورة ولم يبين الأصول لمعرفته.

المفسر المهائمي الهندي (٧٧٦-٨٣٥هـ) فهو في تفسيره "تبصير الرحمن وتيسير المنان" قد أطنب في فوائده ولكنه نهج منهج بيان كلام الله بدون محاولة العثور على ظهور النظم المعنوي في القرآن الكريم.

الإمام أبو جعفر بن الزبير ألف كتابا "البرهان في مناسبة سور القرآن"يبين فيه المناسبة بين السور موجزا. لم يتجه إلى إبراز النظم المعنوي بين الآيات إلا قليلا، ولم يبذل جهده لبيان الأصول لمعرفته. وكذلك لا يوجد فيه كشف الربط بين أفكار السورة .

أما الإمام البقاعي (١٤٠٦- ١٤٨٠م) في تفسيره " نظم الدرر في تناسب الآي والسور"إنه التزم بالنظم المعنوي أشد التزام كما يشير عنوان كتابه. ولكنه نقل ما وجده لدى السابقين ولم يأت بنظم طبيعي كما لم يبين الأصول فضلا عن ذلك هناك فرق كبير وهام بين التناسب أو المناسبة والنظم.[٣١٢]

[٣١٠] محمود شاكر، منهج الزمخشري في تفسير القرآن دار الكتاب العربي، بيروت، ، ص ٣١٨

[٣١١] الرازي،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، الملقب بفخر الدين، ، الإتقان في علوم القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، م:٢، ص:١١١

[٣١٢] الفراهي، عبد الحميد، تفسير نظم الدرر في تناسب الآي والسور ط:١، ١٤٣٢هـ ،ص ٧٠ ودلائل النظام، ص ١٢

أما الزركشي قد خصص لهذا الموضوع مقدمة وبحث عن نوعية النظم.[٣١٣] ولكنه لم يبين في ضوءها الآيات والسور القرآنية. كذلك الإمام السيوطي (٩١١م) خصص له مقدمة وبحث عن نوعية النظم.[٣١٤] ولكنه نقل عن الزركشي جزءا كبيرا.

أما الشيخ محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥م) هو من معاصري الفراهي. إنه أيضا كغيره من السابقين في إظهار معاني السور كلها في وحدة. إنه بالغ في اعتناء هذا العلم ولكنه لم يكشف موضوع السور ولم يضع الأصول لمعرفة النظم .

أما الأستاذ أشرف علي التهانوي (١٨٦٣- ١٩٤٣م) هو أيضا من معاصري الفراهي، إنه بذل جهودا جادة في تفسيره"بيان القرآن" لإظهار النظم المعنوي في كثير من الأماكن ولكنه لم يسلك على الأصول كغيره من السابقين.

يمكن أن يدرك في ضوء الجهود التي بذلتها طائفة من العلماء قبل الفراهي في إثبات النظم أن محاولاتهم الجادة لم تأت بالثمار المرجوة في تطبيق الفكرة. لم يتمكنوا لهم إلا إظهار مناسبة ضعيفة ركيكة فضلا عن نظم متين رائع. عند ما حاول الفراهي لتأليف تفسير نظام القرآن، فقدم مشروعا إلى معاصريه من العلماء وعرض على الأستاذ شبلي تفسيره أول مرة فقال: أنا قرأت كتابك "نظام القرآن" إلى النهاية وأنه لا شك في حسن التعبير وسلاسته ولكن لا أستطيع أن أقول الآن قولا فصلا نهائيا عن أصل الكتاب ولب الموضوع ، ابعث إليَّ كل الأجزاء الأخرى. ولقد أرى العمل شاقا وعسيرا وإلى أي قدر يصادفك النجاح فهو حسن. ولو بذلت مثل هذه المحاولة الشاقة في شيء سهل المنال، والله أعلم ماذا صنعت وأحرزت من النجاح ".[٣١٥] يقول سيد سليمان الندوي: إن العمل المهم الذي يعمله هو أن يفسر القرآن تفسيرا جديدا منذ ٢٥ عاما.[٣١٦]

إن فكرة النظم أصبحت مهجورة لا تجد من يناصرها أو يعدها فكرة صائبة في مستهل القرن العشرين مع ما قام العلماء بمحاولات خالصة. قد مهدت جهود هؤلاء العلماء الطريق للآخرين. يستحق أن يذكر خاصة ما قام به الإمام الفراهي دورا ملحوظا لتحويل فكرة النظم إلى علم واضح مميز المعالم. إنه قد استفاد كثيرا من العلماء السابقين سواء كانوا في الهند أو في خارجها وأوجد في فكرة النظم روحا جديدا وجعلها سهلة

[٣١٣] الإمام الزركشي،البرهان في علوم القرآن، دار إحياء اللغة العربية، القاهرة، ط: ١، ١٤١٤هـ، م:٣، ص:٣١

[٣١٤] السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، الناشر: الياقوتة الحمراء للبرمجيات، ١١١/٢

[٣١٥] شبلي النعماني، رساائل شبلي ، الدائرة الحميدية، دار المصنفين، أعظم كره، رقم الرسالة ١٩

[٣١٦] شبلي النعماني، رسائل شبلي، الدائرة الحميدية،دار المصنفين، أعظم كره، ١/٢

المنال صالحة للقبول بإضافة ما تحتاج إليها وإزالة العقبات التي كانت تعرقل في سبيلها. ولذا يعتبر تفسيره "نظام القرآن"نقطة التحول في الدراسات التفسيرية لأنه بذل جهودا فيه ليجعل هذا العلم فنا مستقلا بوضع الأصول الواضحة والمعالم الملموسة. لا شك أن هذه المحاولة أول بحث علمي منظم بحيث يكون ذا صلة بالنظم المعنوي ما لأرسطو بالمنطق والجرجاني بالبلاغة.

خلاصة القول أن الإمام الفراهي عالج تفسير القرآن بالقرآن معالجة كليا، اختصت دراسته بصورة متكاملة. فيرجع إليه الفضل لتطوير فكرة تفسير القرآن بالقرآن . قد سلك المفسرون هذا المنهج جزئيا. كذلك لا يجد أحدا يقاربه من المفسرين المتقدمين والمتأخرين في كشف النظم وبيان الأصول، لأنه يعبر عن الترابط الفكري في القرآن ويتناول "علم النظام" كموضوع رئيسي مستقل في الدراسات القرآنية.

دورالإمام الفراهي في وضع أصول التفسير

قد عالج المفسرون المتقدمون والمتأخرون المشاكل المتنوعة في التفسير بدون اعتبار أصول واضحة كاملة قبل الفراهي. وبهذا السبب وقع اختلاف شديد في تأويل النص القرآني وخاصة منها العقدية. قد اختلفت آراءهم وتفرقت مذاهبهم لعدم كون أصول ملموسة للتفسير. إنهم اتخذوا أصولا متعددة ومناهجا متفرقة حسب ثقافتهم ونزعتهم. قد لوحظت الفروق الشاسعة بين مناهجهم وطرق تفكيرهم وتعيين معنى الآيات وتأويلها مع أن القرآن في آن واحد ليس له إلا معنى قطعيا واحدا.

يقول الإمام ابن كثير "كان الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى (١٢٦٣-١٣٢٨م) واضع أصول التفسير، وهي مقصورة على أربع دعائم، وقد اتخذها تلميذه ابن كثير في تفسيره [٣١٧] وهذه الأصول ذكرها كل من الزركشي والسيوطي.أما الشيخ ولي الله الدهلوي (١٦٩٩-١٧٦٢م) وضع أصولا للتفسير ولكنها لا تكفي لحاجة المفسر.أما الآخرون من المفسرين نسجوا على منوال المتقدمين بدون جهد لبيان الأصول. أما المفسرون المحدثون مثل الأستاذ التهانوي و الشيخ محمد عبده وسيد قطب وأمين الخولي وعبد المتعال الصعيدي ومحمد عبد العظيم والزرقاني والدكتور صبحي الصالح لم يبينوا كثيرا عن هذه الأصول.

أما الفراهي هو الذي أحق أن يوصف بواضع الأصول، وأول مفسر الذي ملأ هذا الفراغ بوصل كل واحد إلى المعنى القطعي المراد. ولذا يوجد تفسيره محتويا على القول الراجح الثابت بصحة الأقوال عنده. وهو الذي يغربل الآراء الراجحة الصحيحة المفضلة من الضعيفة التي ملؤوا بها كتاب التفسير في تفاسيرهم.

[٣١٧] ابن كثير، اسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ٤١/١

كان الفراهي عالما ذا موهبة فذة وشخصية قوية. ولذا إنه حرص كل الحرص على أن يكون تفسيره تبدو فيه أصالة جهده وثمرة تفكيره باختيار منهج متميز لم يسلكه غيره من المفسرين سوى السيوطي. لا يكون منهج تأليفه مثل ما سلك جملة المفسرين، ولا يجد مثيلا في المحدثين. إن معظم المؤلفين يقدمون آراء غيرهم بشيئ من التبديل ويحافظون على ما أثر من السلف. لكن الفراهي خالف هذا الاتجاه، ولم يبذل جهدا مثل عامة المفسرين في جمع المعلومات في التفسير من غير تمحيص وتحقيق وتدقيق. إنه أقبل على تقديم شيئا جديدا بإرشاد إلى طريق قابل للاحتذاء والتقليد.

قد تمكن الفراهي أن يخوض في عمق موضوع التفسير واسع الأطراف وأورد في كل باب شيئا جديدا ما لا يوجد لدي غيره من المتقدمين والمحدثين. إنه قد امتلك روحا علمية جديرة بالاعتبار والتقدير ، ولذا نال بالتخصص مكانة العلماء المفكرين والباحثين المجتهدين الذين لا يرضون لأنفسهم إلا التميز والانفرادية، ولا يستعدون أن يغمضوا في غمار النقلة والرواة. يمكن أن يقول عنه بصفة المفسر المبدع والشاعر المنفرد. كان تفسيره متميزا ومنفردا من ناحية المنهج والمادة.

منهج الإمام الفراهي في التفسير

إن أهم ما يتميز به منهج الإمام الفراهي في الدراسات القرآنية والتفسير هو التركيز الشديد على الترابط الفكري ونظم القرآن. هو يحض على التدبر في القرآن مباشرة في ضوء سياق الآيات وسباقها والآيات المماثلة لها. مع ذلك يؤكد على إهتمام ملاحظة أساليب العرب بالرجوع إلى كلامهم واستعمالاتهم. إن مراعاة الترابط الفكري هي الطريقة الوحيدة للوصول إلى معنى الآية ومقصودها عند الفراهي. ثم يعتبر الآحاديث الصحيحة والروايات الموثوقة مرجعا لمعرفة معنى الآية. يتجلى هذا المنهج العدل في الدراسات القرآنية للإمام الفراهي من كتبه المطبوعة والمخطوطة مثل "التكميل في أصول التأويل"،"ودلائل النظام"، و"أساليب القرآن"، و"مقدمة نظام القرآن" وغيرها.

تفسير القرآن بالقرآن

القرآن الكريم كتاب هداية ورشد،فإنه هدى للناس إلى الصراط المستقيم. وله من روعة التنزيل وجلال الأحكام والمواعظ ما تتصدع منه الجبال الرواسي،ولكن الله إمتن على عباده فجعل القرآن ربيع قلوبهم وجلاء بصائرهم ونور حياتهم. يمتاز كتاب الله المنزل بأسلوبه الفريد، ففيه إجمال وتفصيل، وإطناب و عموم وتخصيص، ونفي وإثبات. ولذلك قد رجح المفسرون القدامى والعلماء البارزون تفسير القرآن بالقرآن في كل زمان.

كانت رؤية الإمام الفراهي متبادرة في صدد تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالآحاديث بقوله هذا "أول شيئ يفسر القرآن هو القرآن نفسه، ثم بعد ذلك فهم النبي ﷺ والذين معه ولعمرى أحب التفسير عندي ما جاء من النبي ووأصحابه".[٣١٨] قسم الفراهي المصادر التفسيرية إلى نوعين. الأول، المآخذ الخبرية، والثاني المآخذ اللسانية. قد عبر الإمام عن المآخذ الخبرية أصلا وفرعا. من المآخذ ما هو أصل وإمام،ومنها ما هو كالفرع والتبع. قد بين الفراهي أن مراد الإمام والأصل هو القرآن نفسه. وأما المقصود من التبع والفرع ينقسم إلى ثلاثة أقسام. ١) ما تلقته علماء الأمة من الأحاديث النبوية 2) ما ثبت واجتمعت الأمة عليه من أحوال الأمم 3) وما استحفظ من الكتب المنزلة على الأنبياء. إذا لم تخالط الشبهات إلى الأحاديث والتاريخ والكتب المنزلة، فيعتبر الفرع أصلا ثابتا يعضد بعضه بعضا من غير مخالفة.

الرجوع إلى الأحاديث النبوية:

إن القرآن الكريم هو أول مصدر إسلامي يشتمل على جميع كليات الشريعة ومبادئها ومقاصدها. تفسير القرآن وتبيينه فيما بين الناس هو أهم أهداف بعثة الرسول ﷺ ، كما أوضح الله في قوله عز وجل ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٣١٩]. ولذا أقبل الفراهي على اتخاذ منهج موافق للشريعة بالرجوع إلى الأحاديث النبوية والآثار في تفسير القرآن بعد النظر والإمعان في القرآن نفسه في ضوء نظمه وأساليبه[٣٢٠]. إن نصوص القرآن كلها قطعية الثبوت لا ريب في صحتها لوصولها إلينا بطريقة التواتر ولقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[٣٢١] . كذلك قطعية الدلالة ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. أما الأحاديث الواردة من الرسولﷺ قولا وفعلا وتقريرا تبين ما نزل من الله عز وجل. هذه الأحاديث النبوية تعلم الهدى من القرآن الكريم، تأتي منزلتها بعد القرآن الكريم. ولذا يرى الفراهي الرجوع إلى الأحاديث النبوية لتفسير القرآن الكريم ضروريا.

يؤكد الفراهي على موقف قبول الآحاديث الصحيحة لتفسير الآيات القرآنية. ولكن بعض الروايات في الآحاديث تحتمل تأويلات مختلفة، فسميت الآحاديث بالظني. إن العلماء والبلغاء استحسن تفسيرالقرآن بالقرآن مرجحا،بعد ذلك يرجع إلى الآحاديث. إن كان يعارض الحديث لمعنى القرآن فلا بد أن يتأول موافقا للقرآن. ومن الممكن أن يلبس الحق بالباطل للاعتماد كليا على الحديث لأن في الآحاديث ما هو صحيح

[٣١٨] الفراهي، عبد الحميد، فاتحة نظام القرآن،، الدائرة الحميدية,مدرسة الإصلاح,سراي مير,الطلعة الأولى بدون التاريخ,ص ٢٠

[٣١٩] النحل:٤٤

[٣٢٠] الفراهي, عبد الحميد، التكميل في أصول التأويل،، الدائرة الحميدية،، مدرسة الإصلاح،، سراي مير, أعظم كره,١٣٨٨هـ, ص ٦٨,٦٩

[٣٢١] الحجر:٩

وسقيم، ولا يمكن أن يميز بينهن إلا بأصول الآحاديث. يقول الفراهي في كتابه "التكميل في أصول التأويل":"فالسبيل السوي أن تعلم الهدى من القرآن وتبنى عليه دينك ثم بعد ذلك تنظر في الآحاديث فإن وجدت ما كان شاردا عن القرآن حسب بادئ النظر أولته إلى كلام الله فإن أعياك فتوقف في الحديث واعمل بالقرآن[٣٢٢] .

العناية بنظم الكلام

إن القرآن الكريم يأتي بجملة من المعاني على نظام مختلف. حينما ظهر لنا النظام، فاستبان لنا عمود الكلام. يأتي القرآن بأمر واحد على أطوار مختلفة حتى أن العبارة عن أمور متحدة تتبدل والمعنى واحد. هذا المعنى يقصد به عمود الكلام. يرى الفراهي أن معرفة نظام القرآن هو أساس لفهم القرآن الكريم. لا يتبين حسن نظام القرآن إلا لمن مهر في فنه وتدبر في عمود الكلام. إذ بدونه يصبح تفسير القرآن وتأويله أمرا عسيرا. ولذلك اعتنى الفراهي في التفسير بالنظم أكثر من غيره. قد أكد الفراهي على وقوع جل إختلاف الآراء في التأويل بسبب عدم التزامهم برباط الآيات.

قد اعتبر الفراهي القرآن كلاما منظما و مربوطا في جميع الجوانب من حيث هيئته وترتيبه، ومن حيث معناه وموضوعه. توجد في كل سورة موضوع مركزي، يكون هذا الموضوع وحدة السورة. قد سمي الموضوع المركزي "عمود السورة". إن المباحث التي تتعلق بالعمود مباشرة أو غير مباشرة تدل على اهتمام معرفة نظم القرآن بالتدبر عن الارتباط بين السور والآيات.

الاستفادة من أهل الكتاب

يقول الإمام ابن تيمية ﵀ "قد ذكرت في القرآن للكريم قصص أحوال الأنبياء إشارة بدون التفصيل. في مثل هذه المواضع لا بد فيها من الاستفادة بالصحف السماوية السابقة. ولذلك بدأت الاستفادة من أهل الكتاب في زمن النبي ﷺ ثم استمر هذا العمل في زمن الصحابة والتابعين."[٣٢٣]

اختلف المفسرون في أمر الاستفادة من أهل الكتاب في تفسير القرآن الكريم. لما ازداد شغف الناس بالروايات الإسرائلية، تسربت الخرافات إلى كتب التفاسير دون تمييز الصحيح من السقيم. فرأوا أن في هذه الروايات ليس فيها فائدة. ولذا أقبل الفراهي وابن تيمية على الثبات في نظرية الإنصاف والموضوعية في صدد

[٣٢٢] الفراهي، عبد الحميد ،التكميل في أصول التاويل ، المطبعة الحميدية، سرائمير، ١٤١١هـ ص:٣٢

[٣٢٣] ابن تيمية، مجوع فتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة، ١٩٩٥، ,٣٦٦/١٣,فاتحة نظام القرآن,ص٢٧-٣٢

الاستفادة من أهل الكتاب. كلاهما يوضحان آراءهما عن أخذ هذه الروايات. أولا يجب الاستقصاء جميع هذه الروايات الإسرائلية مع دقة وإمعان، فإن كان مطابقا لنص القرآن والسنة،فلا بأس للأخذ بها لأنها مصدقة لما بين يديه. أما إذا كانت مخالفة لما ورد في القرآن والحديث،فيجب الإعراض عنها. قال رسول الله ﷺ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا"[٣٢٤]

إن القرآن الكريم كتاب مهيمن على الكتب السابقة، وهو الحق الواضح الذي يرد الخصام فيقضي بين المتخاصمين. إن الأشياء التي حرفها أو بدلها أهل الكتاب من كتبهم، يوضحها القرآن ويهدي إلى سواء السبيل بالإشارة إلى مواضع الانحراف والضلال. ولذا أوجب الفراهي الاهتمام بدراسة الكتب السابقة مباشرة إزاء الروايات المتعلقة بموضوعات في القرآن. قد اعتمد الإمام الفراهي على الصحف السماوية في مآخذ التفسير الظنية، تلك التي مهدت طريقا أن تقام حجة للذين يؤمنون بتلك الصحف، فيمكن أن تتضح عظمة القرآن وكرامته. ولذا الشيخ ضياء الدين الإصلاحي نهج منهج الفراهي بالاستفادة من الإنجيل.

تأويل الآيات المحكمات والمتشابهات عند الإمام الفراهي

لقد اختلف المفسرون اختلافا كبيرا في بيان وتفسير كل من المحكم والمتشابه."يتضح من أقوال أهل التفسير السابقة سيطرة فكرة "الغموض"باعتبارها معنى"للمتشابه" و"البيان" باعتبارها معنى"للمحكم"[٣٢٥]

إن المحكمات تعنى الآيات التي يعرف معناها واضحا ظاهرا. أما المتشابه فهو شيئ إضافي، ما يحتاج في معرفته إلى التدبر والتأمل. المحكم ما أحكم الله فيه بيان حلاله وحرامه، والمتشابه ما أشبه بعضه بعضا في المعاني. تدخل جملة الآيات القرآنية في المحكمات باعتبار ألفاظها ومعانيها. قول الله عزو جل أوثق دليل على هذا ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[٣٢٦]

قد صرح الفراهي آراءه وبين نظريته حول هذا الموضوع في كتابه القيم "التكميل في أصول التأويل". قد استفاد الفراهي من ابن تيمية كثيرا في هذه المسألة. ولذا يوجد التوافق في الأفكار والآراء حول هذا الموضوع. يقول الفراهي:"المقصود من الآيات المحكمات الآيات التي تشمل بديهيات الآفاق والأنفس ومسلمات الخير والشر وقطعيات المعروف والمنكر التي يؤمن بها القلب وليس بقبولها شرط إلا أن يكون للرجل قلب سليم.

[٣٢٤] ابن تيمية، مجموع فتاوى ,٣٤٥/١٣

[٣٢٥] د. طه جابر العلوانى,"نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه, دار السلام للطباعة والنشر,ص ١٨

[٣٢٦] هود:1

وأما المتشابهات فالمراد منها الآيات التي يفيدنا القرآن في صورة تمثيلية وتشبيهية وهي خارج عن مشاهداتنا وفوق عقولنا و معلوماتنا. ولكن الحقيقة الثابتة التي تتعلق بها هذه الأشياء هو في نفسها تكون واضحة وثابتة ويفهم العقل من أجزائها ما لا بد له من الفهم." [٣٢٧]

لقد أطال الفراهي كلامه في كتابه عن المحكم والمتشابه مع بيان أقسامها ونوعية اختلاف القدماء وأسبابها. وفي هذا الطرح مجال استعمال العقل ولذا يرسم الإمام اطارها لكي يتعرض لكل جانب من هذا الموضوع ويؤدى حقها.

منهج تفسير الإمام الفراهي في ضوء كتابات ضياء الدين الإصلاحي

قد عرف الشيخ ضياء الدين الإصلاحي في كتاباته بمذكرات الإمام الفراهي وخدماته الجليلة في علوم القرآن. إنه قام بتحليل مصنفاته مع التعليق عليها وأوضح منهج تفسيره. إن كتابات ضياء الدين تسلط الضوء على مزايا طريقة تفسير الفراهي وخصائص منهجه مع الإشارة إلى عدم كفاءة المفسرين الآخرين. كذلك يوضح أصول تفسيره بتحليل المشكلات والغوامض للقرآن الكريم.يقول الشيخ ضياء الدين:

طريقة الإمام في التفسير هي أنه أولا يبين عمود السور والموضوع الأساسي لها و كذلك صلتها بالسور والعلاقة بها مما كان قبلها وما بعدها، ثم يشرح كلمات الأجزاء الطويلة للسور المختلفة وتوضيح الجمل والفقرات الصعبة وعلاقة الأجزاء المختلفة للسور فيما بينها. فضلا عن هذا، يبحث عن الآيات المسلسلة والحقائق المهمة ومطالبها والاستدلالات والشواهد التي يتم بيانها ويناقشها بتمام التفقه والعمق وذلك بدقة النظر فيها،وبالجملة فلا يوجد تفسير لأية سورة إلا أن الإمام أشار إلى أهم حقائقها ورموزها"[٣٢٨].

قد عرف الشيخ ضياء الدين منهج الإمام الفراهي مفصلا، فقال:

"كان يركز على نظم القرآن وتفسيره بالقرآن وكان يبنى مبحثه هذا على اللغة العربية وآدابها،فيرى أن القرآن كتاب منظم ومربوط فيلزم أن يتم تقرير معانيه من السياق ونظائر القرآن وأقوال العرب. رسائله التفسيرية التي تم نشرها تخلو عن القصص والحكايات والروايات التفسيرية التي تمتلئ منها كتب التفاسير الأخرى، ولكن الإمام أولا يعين عمود السورة ثم يبين كيف تتجلى السورة الكاملة بذلك الموضوع المحوري ثم من السور ما تقدم وما تأخر يربط علاقتها بالسور ثم يشرح الكلمات الصعبة فيها، وبغية توضيح أسلوب اللغة واستعمالها يستشهد بأقوال الشعراء الجاهليين العرب وخطبائهم، ويشرح الأجزاء المختلفة للسور

[٣٢٧] الفراهي، عبد الحميد، التكميل في أصول التأويل، المطبعة الحميدية، سرائمير، ١٤١١هـ ص ٢٣-٣١

[٣٢٨] مجلة "معارف، يناير ١٩٧١م،ص ٧٨

الطويلة بصورة متفردة ثم يوضح الربط والصلة فيما بينها بأسلوب رصين، ويظهر علاقة الآيات فيما بينها والحقائق والنكات التي ذكرت في السورة كلها، يقدمها بكامل الشرح والبسط، ويقوم بلفت الانتباه إلى براهين السورة وحسن طريقة الاستدلال وخلابته ويرد ردا بتا على أي معنى غير صحيح أو التأويل الذي لا ينطبق عليها ويذكر محاسن التأويل المرجح لديه ويعين على عهد النزول للسورة وأسباب نزولها ويناقش ويتحدث فيها من حيث الطريقة التي هو يتفرد فيها"[٣٢٩]

تعليقات في تفسير القرآن الكريم للإمام الفراهي

لما ابتعد المسلمون عن القرآن الكريم، فشت فيهم المساوئ والفواحش. في هذه الظروف تأليف تفسير القرآن الكريم في ضوء الأصول والمبادىء ضرورية مست الحاجة إلى أهميته. ولذا قام الفراهي بهذه المهمة الدينية بتأليف تفسير على منهجه الخاص. بل لم يوفق له أن يتم هذا إلا بعض سوره. علاوة على ذلك أقبل الفراهي على تأليف كتابات الأخرى وتعليقات لتفسير القرآن الكريم. وهي كلها تسلط الضوء على حقيقة منهجه وأهمية اتجاهه في فهم معنى القرآن الكريم.

كانت تعليقات في تفسير القرآن الكريم لإمام الفراهي مجلدين مشتملين على تسعمائة صفحة. وهي تحتوي على المعلومات الأساسية عن نظم السور مع بيان سبب نزول السور وزمنها وعمودها وتفسيرها. ما بقيت هذه التعليقات في صورة المخطوطات منذ مدة طويلة. توجد نسخ من مبيضات قلمية لها عند بعض الناس. قد أشار سلطان أحمد الإصلاحي رحمه الله إلى أهمية هذه التعليقات وقيمتها في مقالته التي نشرت في مجلة علوم القرآن الأردية الصادرة من مؤسسة علوم القرآن في العقد الأخير من القرن العشرين قائلا:"ومن أهم أعمال الفراهي التي لا تزال تبقى في صورة المخطوط ولا نجد أي سبيل لنشرها بل نفقد إحساس قيمتها هي تعليقاته في القرآن الكريم من البداية إلى النهاية، وهي نتيجة لتفكره وتدبره في القرآن الكريم الذي يمتد إلى أكثر من أربعين سنة"[٣٣٠]. وأضاف فيه مؤكدا على إصدارها:" لو أن مؤسسة أو لجنة في الهند تقوم بإصدارها لتكون خدمة عظيمة للقرآن الكريم لا تفوقها أية سعادة، وترفع بها سمعة الهند في العالم العربي وتعتز مكانتها خارج الهند أيضا"[٣٣١].

البرفيسور عبيد الله الفراهي حفيد صاحب هذه التعليقات، إليه يرجع الفضل في جمع المخطوطات وترتيبها بجهوده المضنية. هو الذي قام بإصدار بعض أهم مؤلفات الفراهي. قد ساهم في جمع المخطوطات وترتيبها

[٣٢٩] مجلة علوم القرآن, يوليو- دسمبر ١٩٨٩م،ص ٢٦-٢٧

[٣٣٠] الاإصلاحي , سلطان أحمد، تعليقات غير مطبوعة لإمام الفراهي، مجلة علوم القرآن, يناير- يونيو, ١٩٩٠م, ص ٥١-٦٧

[٣٣١] المصدر نفسه

الشيخ أمانة الله الإصلاحي وآخرون غيره. تم نشر هذه التعليقات بعنوان "تعليقات في تفسير القرآن الكريم" في جزأين، ونشرته الدائرة الحميدية في سنة ٢٠١٠م. لا مراء أن هذه المحاولة تستحق الإشادة والتقدير بكل من يشغف بالقرآن عامة، ومن يقبل الفكر الفراهي خاصة.

هذه التعليقات عبارة عن خواطر وأفكار ظهرت له أثناء تدبر القرآن. كان من عادة الفراهي أن يدون تأملاته في الورقة البيضاء أو أكثر بقلم الرصاص، قيدها تذكرة لنفسه لا للنشر. قد ذكرت بعض أقوال المفسرين فيها لا لموافقة لهم فيها بل لنقدها، أو حاجة أخرى في نفسه. كانت التعليقات لم يستفيد منها الجميع لكونها مخطوطة،لكن تلميذه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي قد حاول أن يكمل التفسير بكتابة تفسيره"تدبر القرآن" في تسعة مجلدات، والتزم فيه منهجه العلمي لا سيما في بيان نظم القرآن الكريم.

إن تعليقات في تفسير القرآن الكريم للفراهي تقدم معلومات كافية ليدرك عن منهج الإمام وفلسفته في النظم. يحدد المؤلف في صفحاته عمود السور ويعرض تحقيق المفردات في ضوء كلام العرب بالإشارة إلى التراكيب النحوية والجوانب البلاغية واستعرض تسامحات أعلام الأدب والفن ونقدها لكي يستوعب القارئ أصالة اللغة ومتانة أسلوبها. رأى الفراهي أن سبب وقوع الإنسان في أخطاء فاحشة هو عدم معرفة أساليب كلام العرب. إن كلام العرب يقود إلى مفهوم صحيح الكلام، ولذا إهتم الفراهي بمعرفة أساليب كلام العرب أكثر اهتماما. قد ذكر الفراهي عديدا من نماذج أساليب العرب في مواضيع شتى. يفصل في تفسيره القول بجمع ما وردت موافقة المعنى في مواضع أخرى. كذلك ينقل الأحاديث النبوية وآثار الصحابة تأييدا للمفهوم المستنبط من الآيات الكريمة ويقوم بتشريحها بذكر أمهات الكتب التفسيرية أيضا. يعتمد الإمام على الصحف السماوية، لأجل هذا تعلم اللغة العبرانية بحيث يكون ماهرا فيها ليستفيد منها استفادة النسخة العبرانية مباشرة.

المباحث في التعليقات للإمام الفراهي

تحتوي التعليقات للفراهي على المباحث الهامة، منها تفسير القرآن بالقرآن، الاستفادة من الأحاديث النبوية وآثار الصحابة، الاستفادة من أمهات كتب التفسير مع الإشارة إل بعض التسامحات التي وردت في تفاسيرهم لعدم عنايتهم بكلام العرب وأساليب كلامهم ولعدم رعاية النظم. يتناول فيه تحقيق المفردات والاستشهاد بكلام العرب لتوضيح أساليب الكلام. يستفيد فيه من الصحف السماوية مع المقارنة بين القرآن والصحف السماوية في صدد القصص الواردة فيهما. يبحث فيه عن نماذج التراكيب النحوية والنقد على أصول أعلام النحويين.

عندما يدرس دراسة تحليلية لهذا الكتاب،فيقول بكل صراحة أن الفراهي تمسك بمنهج خاص في التفسير. وفق الله له أن يتم بعض السور القصار حسب منهجه وشرع في تفسير سور كثيرة منها البقرة وآل عمران ولكنه لم يكمل. إن هذه التعليقات تسلط الضوء على منهج تفسيره واضحا.

قد أوجز الفراهي كلامه في مباحث هذه التعليقات للتفسير بدون التفصيل. في بعض الأحوال إنه أشار إلى بعض تصانيفه وتصانيف القدماء كمعاني القرآن للفراء ولسان العرب لابن منظور والإتقان لإمام السيوطى والسيرة الحلبية والسيرة النبوية وغيرها. إنه راجع على هذه الكتب للتفصيل عن النظام في السور وربط الآيات لما بعدها وقبلها والاستدلال بالقراءات الأخرى وتعريف إجمال السور وغيرها. قد اعتبر الفراهي النظام أساس فهم القرآن الكريم. توجد في التعليقات ذكر المسائل الفقهية في بعض المناسبات وشرح في اللغة الفارسية في بعض المواقع.

خلاصة القول أن الفراهي قد قسم تفسيره إلى سبعة عناوين وهي المقدمة والكلام والنحو والبلاغة والتأويل والتدبر والنظم. لا شك أن هذه التعليقات تخدم خدمة جليلة لمن له شغف بمعرفة نظم القرآن وانتماء إلى أفكار الفراهي وآرائه التفسيرية.

أهمية علم أصول التأويل عند الإمام الفراهي

إن علم أصول التأويل علم هام جدا لفهم المعنى المراد في الآيات القرآنية. ولذا يعتبره علما قائما بذاته ومستقلا عن غيره من علوم القرآن. وبالرغم من ذلك لا يوجد كتاب مستقل حول هذا العلم عند العلماء المتقدمين من علماء التفسير. قد تناول العلماء هذا العلم جامعا من علم أصول الفقه كجزء منه لا يتجزأ أو متضمنا من علم التفسير كجزء منه لا ينفك في مؤلفاتهم العلمية. إن الله سبحانه وتعالى أنزل هذا الكتاب مبينا،لا يوجد في معانيها الإبهام والغموض. أما يجد العديد من مذاهب التفسير واختلاف آراء المفسرين بحيث يشق عامة الناس على دراسة القرآن ومحاولة فهمه وتحديد معانيه، ولا يتأهل لها سوى العلماء الأجلاء. لا يستفيدون عامة الناس من القرآن الكريم مباشرة، فيعتمدون على آراء المفسرين وفتاوى العلماء الأجلاء باعتبار ما روى ونقل عنهم كأنه المقصود من الوحي الإلهي. إن عامة الناس تكفي لهم التلاوة البسيطة ولا يجوز لهم توظيف العقل والتدبرفي آياته، وهم يظنون أن الدين بناء على النقل دون العقل. ولعل هذا ما دفع عامة الناس إلى اعتقاد أن هذا الكتاب معقد. إن الإمام الفراهي يصحح هذه الوجهة التي تمنع عن فهم المعنى المراد والوصول إلى الرشاد والتوجيه من الآيات القرآنية. ولذا وهو يرجع إلى وضع الأصول لتأويل الآيات القرآنية.

قد وضع الإمام الأصول لتأويل الآيات مقتبسة من قواعد اللغة العربية الثابتة ومستنبطة من أساليب القرآن المحكمة. إن هذه الأصول توفر مستوى ومقياسا لفهم القرآن الكريم، كما أنها تمنع عن مسلك الضلالات والاعوجاج باختيار التفسير بالرأي المحض. يرى الإمام أن لكل آية موقع وهذا الموقع يحدد مفهوم الآية. ولذا ينبغي أن يدرك معاني الآيات قطعية الدلالة،لا يكون أكثر من معنى واحد. إنه انتهج في تفسير القرآن في ضوء هذه الأصول. تفسيره المسمى "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان"خير نموذج لتأويل الآيات على هذا المنهج، بدأ كتابته ببعض السور القصار ثم كتب تفسير سورة البقرة. لكن لم يوفق له أن يتم هذا المشروع العملاق. قد انتقل إلى جوار رب الله تعالى قبل ذلك تاركا من الثروة التفسيرية تعم الفائدة بالاسترشاد للأجيال اللاحقة في هذا المجال.

إن كثيرا من الناس لا يهتمون بعلم البيان وعلم النظر وعلم الاستدلال حق الاهتمام. وهم لا يشتغلون بهذه العلوم بقول أنها بدعة ،لأن الصحابة ما كانوا يفهمون الدين مشتغلين بهذه العلوم. أما الإمام يرد على ذلك بقول أن الصحابة هم ذووا البصيرة الواعية والقدرة الفذة ولذا اطلعوا على علوم القرآن واكتسبوا من العلوم الزاخرة بالنظر البالغ والذوق السليم وانتهجوا إلى سبيل الهداية والاسترشاد بدون الانشغال بعلم البيان وتطويره. أما المتأخرون هم الذين لا يمتلكون ما كان لدى أصحاب النبي ﷺ من الميزة اللغوية الفطرية، ولذا يجب أن تكون لهم أصول التأويل لتفسير الآيات القرآنية على أحسن طريقة وأقوم قول. لاشك أن مراعاة هذه الأصول تمنع العقول عن تفسير الآيات القرآنية على هوى النفس.

قد عرف الإمام الفراهي أصول التأويل بأنها طرق تيسر وتساعد على فهم القرآن معتمدا على الأصول، وتسمى هذه الأصول بأصول التأويل. وهي تنقسم إلى قسمين،أولهما يحفظ من الضلال في باب التأويل وثانيهما يهدي إلى الحكم التي يحملها الكلام الآلهى في طيه. لا يمكن الوصول إلى هاتين الغايتين الهامتين إلا من خلال التدبر في نظم القرآن. ولذا اهتم الفراهي بمعرفة نظم القرآن اهتماما بالغا في الدراسات القرآنية. يقول الإمام الفراهي عن هذا النظم في رسائله، "وذلك أن النظم هو الحبل المتين الذي يحفظ من قبضها من التيه والضلال وهو السراج المنير الذي ينير دروب الحكمة ويضيئ جوانبها المختلفة. وقد لوحظت هذه الحكم في ترتيب الآيات"[٣٣٢]

[٣٣٢] الفراهي، عبد الحميد، رسائل الإمام ، الدائرة الحميدية، ١٩٩١م,: ط:٢، ص ٢٢٠-٢٢١

التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور

هناك طريقتان متداولتان للتفسير،تفسير بالرأي وتفسير بالمأثور. التفسير المشتمل على ما روي عن النبي ﷺ وأصحابه والتابعين وأتباعهم هو التفسير بالمأثور. ويعد تفسير ابن جرير في هذا النوع من التفسير.التفسير بالرأي هو الذي يعتمد على أساس التدبر والتفكر بدلا من اعتبار الروايات المنقولة عن السلف. ومن أهم التفاسير هذا النوع هو تفسير الإمام الرازي رحمه الله. اتفق العلماء على أن هذين النوعين من التفسير لا يخلوان من الغث والسمين،ولذا تناول الإمام الفراهي في كتابه"التكميل في أصول التأويل"ناقدا هذا النوع من التفسير. يقول العلامة "غاية هذا العلم هو المنع عن التفسير بالرأي"[٣٣٣]

التفسير بالرأي عند الفراهي

شرح الإمام الفراهي التفسير بالرأي قسمين.١-التفسير بالرأي المذموم،٢-التفسير بالرأي المحمود. التفسير بالرأي المذموم هو تفسير يخرج عن أصول التأويل ويجيئ نتيجته للفكر الحر.أما التفسير بالرأي المحمود بمراعاة قواعد اللغة ونظائر الآيات ودراية السنة والبصيرة الإلهية. قد اعتمد الصحابة على هذا النوع من التفسير،لذا اختلفت في التأويل،كما أشار الإمام إلى هذه الحقيقة في رسائله."فاعلم أن الَّصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين قد اختلفوا كثيرا في التأويل مع تقارب خطاهم فلو أخذوا تأويلاتهم عن النبى ﷺ لما اختلفوا،لكنهم أخذوها عن علمهم باللسان واقتصارهم على علمهم بنظائر الآيات وعلمهم بالسنة وعن بصيرة يعطيها الله عباده ولذلك ترى أنهم يتقاربون في المآل"[٣٣٤].

قال الإمام ابن تيمية في مسألة التفسير بالرأي"فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام.....ولهذا تحرج جماعة من السلف عن تفسير لا علم لهم به"[٣٣٥].

وجوب التدبر في ضوء الآيات القرآنية

ضمن الله ورسوله الهداية والسعادة، والنجاة من الضلالة والشقاوة، من تمسك بالقرآن والسنة. فلا سبيل إلى الهداية والسعادة بالقرآن الكريم إلا بفهمه،ولا سبيل إلى فهمه إلا بتلاوته وتدبره، يقول الله تعالى(أَفَلَا

[٣٣٣] الفراهي، عبد الحميد ,رسائل الإمام الفراهي، الدائرة الحميدية، ١٩٩١م، الباب الرابع ط/٢,١٤١١هـ ص ٢١٥

[٣٣٤] المصدر السابق,ص ٢١٥-٢١٦

[٣٣٥] الإمام ابن تيمية, مجموع فتاوى شيخ الإسلام,دار العربية,بيروت,١٩٨٨,هـ ١٣/ ٣٧٠-١٣٧١

يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ)[٣٣٦] . ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٣٣٧] .التدبر في القرآن واجب عند الفراهي. قد أورد الإمام أدلة كثيرة لثبوت ذلك وهي كالآتي.

١-أمرالله صراحة في مواضع عديدة من القرآن الكريم بالتدبر في آياته. تدبر القرآن الكريم غاية من غايات إنزاله التي قال الله تعالى عنها ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[٣٣٨]

٢-قد صرح الله عن فرض التدبر والاستدلال والتفكير لكنه لم يكشف عن نتائج التدبر والاستدلال،فيفهم منه واضحا أن لكل شخص جدارة أن يستنبط النتائج بعد التدبر والتفكير. مدح الله تعالى المتدبرين لكتابه ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [٣٣٩]

٣-بعث النبي ﷺ معلما للشرائع، كما بعث معلما للحكمة، ولا يمكن تعليم الحكمة بدون استخدام العقل والتدبر.

كان الرسول الله ﷺ يعلم الحكمة مشيرا إلى بعض نقاطها بدون إيضاحها،وذلك بقصد التحريض على التدبر والتفكر،كما أنه ينهى ﷺ أصحابه عن كثرة السؤال. قال الإمام الفراهي ربما كان يشير من النهي إلى الآية "﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ﴾ [٣٤٠]

تقسيم أصول التأويل عند الفراهي

قسم الإمام الفراهي أصول التأويل في ثلاثة أقسام رئيسية وهي:١-الأصول الأساسية، أي الأصول الأولية ٢-الأصول المرجحة- ٣-الأصول الباطلة.

الأصول الأساسية

الأصول الأساسية هي التي تساعد للوصول إلى تأويل دقيق للآيات القرآنية وهي التي تعتبر أصل الأصول. وهي أربعة كالآتي:

١-مراعاة نظم الكلام والسياق والسباق

[٣٣٦] النساء ٨٢

[٣٣٧] محمد ٢٤

[٣٣٨] ص ٢٩

[٣٣٩] الفرقان٧٣

[٣٤٠] المائدة ١٠١

٢-التجنب من المعاني الشاذة

٣-تفسير القرآن بالقرآن

٤-تعيين الخطاب والمخاطب

مراعاة نظم الكلام

الكلام يشترك في الألفاظ والحذف والتقدير والتعريض كما يوجد الاشتراك في الأساليب المختلفة التي تستخدم من ناحية دلالات مختلفة في سورة ما. كذلك يوجد الاشتراك بين دلالات الأمر والاستفهام والعطف. حينما نتعرف على جميع هذه الدلالات للكلمات وأساليب البيان، يمكن أن يصل بسهولة إلى المراد الأصلي في موضع ما. إن هذا الاشتراك والاتفاق بين الدلالات، يعد نظم الكلام وهو أهم العوامل التي تساعد على فهم معاني القرآن.

عندما تكون أجزاء الكلام ذات احتمالات عديدة من نواحي مختلفة،لايمكن أن يصل إلى المعنى المراد إلا بالنظر إلى السياق والسباق. إنما السبب لظهور الخلاف في التأويل هو عدم مراعاة النظم في الآيات وعمود السورة عند الفراهي. ولذا يشير الإمام حلا لهذه المشكلة بتحديد الوجهة الصحيحة للكلام هو نظم الكلام.

تجنب من المعاني الشاذة

إن هذا القرآن كتاب منزل بلسان عربي مبين وتتميز لغته بكونها نموذجا لأعلى مستوى الفصاحة والبلاغة، كما أن معانيها تتصف بغاية من الروعة والجمال. منذ نزول القرآن تطورت هذه اللغة اجتماعيا وسياسيا وأدبيا وعلميا بشكل باهر.فكل لغة اتسع نطاقها،وكثر استعمالها وعذبت ألفاظها وراقت لهجاتها. فلا مراء أن اللغة العربية هي تتمتع بجميع هذه المحاسن اللغوية. قد إختار الله تعالى لسان كلامه الخالد المعجز بهذه الخصائص. ولذا يثبت الإمام أن الكلام المتميز لن يستخدم المفردات الشاذة والمنكرة والغريبة بدلا من الفصيح المعروف والواضح. وبالرغم من ذلك أن بعض علماء التفسير أتوا بمعاني لبعض المفردات لا تنافي الحقائق فحسب بل يستنكرها الذوق السليم ويأبى الطبع قبولها. مثلا،جاء في القرآن:" ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ "[٣٤١] .أخطأ عامة المفسرين في ترجمتها إذ قالوا "إن تتوبا إلى الله فهو خير لكما لأن قلوبكما قد جادت عن الطريق المستقيم. يقول الإمام الفراهي إن المفسرين أخطأوا في فهم دلالة الكلمة"صغوا"وذكروا معنى غير المعروف بدلا من المعروف، يقول الإمام : الميل معنى كلي، ثم تحته الزيغ والجور،والارعواء، والحيادة ،والتنحى، والانحراف كلها للميل عن الشيئ. والفيئ، والتوبة،والالتفات،

[٣٤١] تحريم:٤

والصغو كلها للميل إلى الشيء. فمن خبط بينهما ضل وأضل....فلا يخفي على العالم بلسان العرب أن قوله تعالى " ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾"(التحريم:٤) معناه أنابت قلوبكما ومالت إلى الله ورسوله. فإن الصغو هو الميل إلى الشيء،لا عن الشيء"[٣٤٢]

يقول الإمام في ضوء أسلوب هذه الآية أن العرب يحذف ما يستغنى عنه كعادتهم. وذلك لولوعهم بتهذيب كلامهم عن الفضول."إن" الشرط و"قد" التحقيق،يكون بينهما ما يقصر من المعنى.

تفسير القرآن بالقرآن

إن القرآن يفسر بعضه بعضا. لأن في كلام الله عزوجل يكون مجملا في موضع،كما يكون مفصلا في موضع آخر. كذلك يتخذ أساليب متنوعة لبيان نفس الأمر في مواضع مختلفة وفقا للسياق. إن معظم علماء التفسير اعترفوا بأن تفسير القرآن بالقرآن يساعد للوصول إلى المعنى المقصود،ولذا يعد تفسير القرآن بالقرآن من أصول التفسير الرئيسية. مثلا هناك آية" ﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾" نجد تفصيلات أوقات التسبيح في الآيات الأخر. يقول الله تعالى "﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾[٣٤٣] وكذلك في موضع:"﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ - ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ (ق:٣٩و٤٠)وكذلك في موضع: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ - ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ (الطور:٤٨،٤٩)ووفي موضع: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ - ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ (الروم:١٧،١٨)ومن هذه الآيات يتضح للقارئ وقت التسبيح بدون إشكال المعنى.

تعيين الخطاب والمخاطب

إن الله سبحانه وتعالى يخاطب البشر جميعا في القرآن الكريم. يخاطب الله في القرآن المؤمنين أحيانا والكفار والمشركين أحيانا والمنافقين أحيانا. كذلك جمع المنافقين والمؤمنين في خطابه أحيانا كما جمع المؤمنين والكفار والمشركين في أماكن. حينما يراعي الخطاب والمخاطب في سياق الآيات القرآنية ،يمكن أن يحدد وجهة الكلام يسيرا. إنما الكلام يخفي فيه روحه ووجدانه لا يعرفها إلا من ناحية الخطاب والمخاطب. فسوف نعرف جوانب التسلية والتثبيت والزجر والتوبيخ والجزء من الكلام الذي يعتمد على الرأفة أو الغضب،والوعد والوعيد. فمثلا في تفسير الآيات الأولى من سورة عبس،قال المفسرون عموما إنها معاتبة

[٣٤٢] الفراهي ، عبد الحميد، تفسير نظام القرآن، الدائرة الحميدية، ١٤٠٣هـ، ,سورة التحريم,ص١٧٧

[٣٤٣] طه ١٣٠

الرسول الله ﷺ لعدم الالتفات إلى الصحابي الأعمى عبد الله بن أم مكتوم والتغافل عنه .أما الإمام الفراهي يوضح مقصود التنبيه من الله تعالى لرسول الله ﷺ قائلا:"لما كان موقع هذه الآيات تنبيه النبى ﷺ على علو منصبه لكيلا يتنازل إلى الإلحاح على الذين أطهروا الاستغناء حتى يشتغل عن الذين يبتغون وجه ربهم أكد هذا الأمر ببيان علو ما أنزل إليه، ليعلم أن الاستغناء عن هؤلاء هو الأنسب"[٣٤٤]

يقول الشيخ أمين أحسن الإصلاحي في تفسير هذه الآية:"على الرغم من أن الخطاب في هذه الآيات موجه في الظاهر إلى النبى ﷺ لكن العتاب موجه بكامله إلى رؤساء قريش فحسب[٣٤٥]

الأصول المرجحة

هي أصول التي تساعد على الوصول إلى المعنى الصحيح في حالة وجود عدد من الاحتمالات، الأصول المرجحة عند الفراهي خمسة.

١-تحمل كل كلمة عدة جوانب ووجوه، وهي كلها معانيها،كما تكون لكل واقعة أو قصة عدة جوانب ووجوه. في هذه الحالة يتعذر فهمها تماما بدون مراعاة تلك الجوانب والوجوه. فيعتمد على المعنى الأنسب لسياق الكلام ومضمونه مرجحا عند احتمال الكلام أوجها. فمثلا وردت صفة وحدانية الله تعالى في أماكن عديدة بمختلف الأسماء وهذه غير مماثلة الترتيب في كل مكان، مثلا من صفات الله تعالى "العزيز" والتي وردت في أماكن عديدة من سورة البقرة ولحقت بها صفة "الحكيم"في كل مكان. ولكن توجد في بعض الأماكن وردت صفة "ذوانتقام"مع هذه الصفة. كذلك توجد صفة "العليم"معها،كما يلاحظ صفة "العزيز"مسبوقة في كل هذه الأماكن. لكن وردت هذه الصفة في سورة الحشر في الوسط مسبوقة با"لمهيمن"ومتبوعة با"لجبار".كذلك وردت هذه الصفة في الوسط في سورة الجمعة،مسبوقة بالقدوس ومتبوعة ب"الحكيم". فيجب على كل من يحاول فهم المعنى المقصود أن يتدبر القرآن بمراعاة موقع تلك الكلمات وملابساتها بحيث يتجلى الأرجح من أوجه الكلام.

٢-اذا احتمل الكلام عدة معاني، فيرجح المعنى الذي له نظير في القرآن الكريم. كذلك اذا احتمل الكلام معنين ولكليهما نظير في القرآن فيرجح المعنى الذي يتوافق مع نظم الكلام. مثلا قال الله تعالى ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ

[٣٤٤] الفراهي، عبد الحميد، تفسير نظام القرآن, الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح ,١٤٠٣هـ، ص: ١٣٠
سورة عبس,ص,٢٦٢
[٣٤٥] الاإصلاحي، الشيخ أمين أحسن، تفسير تدبر القرآن، ١٩١/٩

يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٣٤٦].هناك نظير للتأويل في القرآن ويؤيد ذلك نظم الكلام لأن التصور"تحشرون" يخلق في القلب تقوى الله ولذلك ذكر مع التقوى في أماكن عديدة.(سورة البقرة-٢٠٣،.سورة الأنعام-٧٢,سورة المجادلة-٩) والتقوى يجعل الوعى التام بتصور العلم الإلهي،ولذا قيل أن اتقوا الله لأنه عليم بجميع الأسرار وأن جميع البشر إليه يرجعون. فهذا وجه للتأويل لهذه الآية وله نظير في القرآن الكريم ومتوافق مع نظم الكلام.

٣-إذا كان المعنى يقتضى عبارة لم تذكر في الكلام فهو يكون مرجوحا.

سئل الإمام الشافعي رحمه الله عن حديث "من لم يتغن بالقرآن" بأن الإمام سفيان بن عيينة أخذه بمعنى "من لم يستغن بالقرآن"فقال إننا أعلم به منه فإن أريد به الاستغناء فقيل: "من لم يستغن بالقرآن" وما قيل: "من لم يتغن بالقرآن" فنعلم بما لا يذكر من أوله لا يراد به.

٤-الترجيح يكون في الكلام للجانب الأفضل بأخذ ما يليق بمعالي الأمور ومكارم الأخلاق، وما يتقبله القلب بدون ارتياب، وما يتوافق مع محكمات القرآن. مثلا آية في سورة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[٣٤٧] قال العلامة ابن جرير الطبرى في تأويل هذه الآية:"يقول الله تعالى: لقد كان في قصص يوسف وإخوته عبرة لأهل الحجا والعقول يعتبرون به، وموعظة يتعظون بها. قد أشار الإمام الفراهي إلى قول الإمام ابن جرير لأنه كان يرجح الجانب الفضل رغم اعتنائه الشديد بالروايات.

٥-الترجيح للمعنى الأكثر شيوعا من حيث اللغة. يؤكد الإمام على أن ترك المعنى الأكثر استعمالا في كلام العرب غير جائز إلا إذا كان مخالفا لنظم الكلام وطرق الاستعمال في القرآن والعقائد الدينية. يذكر الإمام الفراهي مثلا "﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ "(المعارج-١٦) ذكر العلامة الدهلوي معنى"الشوى" الكبد أي إنها نزاعة للكبد. أما هذة الكلمة تستخدم شائعة في كلام العرب للحم الساق. إن من قال معنى "الشوى" "جلد الرأس" هو خطأ فاحش لأن هذه الكلمة المستخدمة في معنى "جلد الرأس" شاذ وهو أيضا مع احتمال المعانى الأخر. هذه الآية بيان عن اليوم الذي أزلفت الجنة للمتقين وتكشف عن نار جهنم للظالمين. فلا يجدون أحدا من الناصرين. تدعو نار جهنم الكافرين تتلهب شعلة تصل إلى لحم ساقهم. فلا يوجد في القرآن ولا في السنة ما يشير إلى ما يتعلق بنزع أكبادهم وقلوبهم.

[٣٤٦] الأنفال ٢٤

[٣٤٧] يوسف: ١١١

الأصول الباطلة

أوضح الإمام الفراهي أن جمهور الأئمة اتفقوا على"أن القرآن يفسر بعضه بعضا"فيجب إقرار أولويته على غيره. إن هناك عددا كبيرا من الآيات القرآنية التي تؤيدها الأحاديث، فيجب أن يستدل بها بملاحظة تلك الأحاديث شرحا وتفسيرا للقرآن وليست زيادة عليها. ولذا أوجب الإمام الفراهي أن يتمسك بالأصول الملائمة لروح القرآن. إن جميع الأصول التي تنافي لروح القرآن والسنة باطلة. يقول الإمام "أن الاستدلال من الأحاديث أمر مستحسن، لكن الأولى أن تتعلموا الهداية من القرآن وتجعلوه أساسا لدينكم،ثم انظروا في ذخيرة الأحاديث فإذا رأيتم أن رواية تتصادم بالقرآن في الظاهر فأولوها في ضوء القرآن ،فإذا حصل التطابق بينهما فسوف تقر عيونكم وإن لم يحصل فتوقفوا في باب الحديث واعملوا بالقرآن"[٣٤٨]

يتضح مما سبق واجب أن يقر أولوية القرآن على غيره. إذا حدث التعارض بين الحديثين فلا بد أن يرجح ما يكون سنده قويا. القرآن هو أحق أن يعتبر أصلا رئيسيا لاستخراج المعانى. ولذا يجب أن يعمل بنفس الأصول في حالة التعارض بين القرآن والسنة لأن سند القرآن أقوى من أسناد الأحاديث.

التكميل في أصول التأويل- دراسة تحليلية

هذه رسالة الإمام عبد الحميد الفراهي ولها قيمة علمية عالية بما فيها بيان أصول التأويل التي تعين في فهم معاني القرآن الصحيحة وتعيين مقاصدها الحقيقية. هذه الرسالة تكشف عن حقائق القرآن ومعارفه جليا،كما أنها تزيل الشكوك وتسد أبواب الباطل وتبعد عن المعتقدات المضلة.

أهمية علم التأويل

يرى الإمام الفراهي أن علم التأويل علم خاص يتناول فيه الأسس التي تبعد عن الخطإ والزلة في تأويل القرآن. إن علم التأويل يرشد إلى معاني الآيات الصحيحة إشارة إلى الأسرار والعجائب التي يحويها كتاب الله المعجز. ولذا أن دراسة هذا العلم ضرورية في علم التفسير،وهي التي تقتضى أن اعتبرها فنا مستقلا.

يفصل الفراهي أن معظم تعاليم الدين تحوي في ثلاثة أمور، وهي ترقية النفوس وتربية العقول وإصلاح الأعمال الظاهرة. إنه يوجز غاية الدين في إصلاح الأخلاق والعقائد والشرائع. نشأت ثلاثة علوم وهي علم الأخلاق والمواعظ، وعلم العقائد، وعلم الفقه والشرائع، كما اعتبر علم التأويل مقصورا على الفقه والذي

[٣٤٨] الفراهي، عبد الحميد، رسائل الإمام الفراهي، ١٩٩١م: ط:٢، ص ٢٧٥, ٢٧٦

نتج عن بناء الأخلاق على حكمة الفلاسفة وتجاربهم. إن العلماء يظنون في آيات متشابهة بما فيها اعتماد على ظاهرها. قد سبب عدم تعيين أصول تأويل القرآن الكريم ليجعل الشكوك والأخيلة الباطلة في فهم معاني القرآن الكريم.

يثبت الفراهي أن التأويل إذا لم يكن مؤسسا على قواعده التي تكون فارقة بين الحق والباطل،لم يسد عن القول بالرأي المحض. تدل الآيات القرآنية على حق ثابت من الله تعالى، لا توجد التناقض والتضاد في الحق. وعلى هذا الأساس انفتح باب التأويلات، لكن الناس يأولون القرآن حسب نظرياتهم حينما لا يجدون ما يوافق لعقائدهم ومذاهبهم. فلا بد من وضع أصول التأويل الصحيحة ليستنبط منها المعنى الحقيقي في أقوال الله عز وجل. فيجب على أهل الحق أن يصلح عقائدهم وأعمالهم بما توافق لهدى القرآن بعد التدبر بمراعاة أصول التأويل. أما صرف القرآن عن المعنى الصحيح بدون مراعاة الأصول، فيتعرض للتحريف والتبديل.

الحث على التدبر والتفكر

قد إهتم الفراهي بالتدبر في القرآن الكريم إهتماما كبيرا، وقدم لها عدة دلائل في وجوبه، وهي كما يلى:

١- الآيات القرآنية عديدة التي تأمر بالتدبر في آيات الله عز وجل.
٢- قد أوضح الله تعالى مواقع التدبر والاستدلال والنظر بدون بيان ما يكشف بعد التدبر.
٣- تعليم الحكمة من مقاصد بعثة الرسول ﷺ. ولذا توجد نماذج لتعليم الرسول ﷺ كأنه معلم الحكمة.

كان طرح المسألة من أهم طريقة التعليم لرسول الله ﷺ. إذا أراد الرسول الله ﷺ أن يعلم شيئا جديدا، يلقى على الناس السؤال لكي تنمو فيهم مهارة الاستنباط وملكة الاستدلال. روى البخاري أن النبي ﷺ قال مرة للصحابة" إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم" فسألهم: حدثوني ما هي؟ قال عبد الله بن عمر ﷺ وقع في نفسي أنها النخلة، ولكن تلبثت في الإجابة بسبب التردد ثم سألوا رسول الله ﷺ فقال : هي النخلة.[٣٤٩]

كانت عادة الصحابة ﷺ طرح الأسئلة لوضوح معاني القرآن وبيان مفاهيمه. مرة سأل عمر ﷺ الصحابة عن مراد سورة النصر. لا يزال الناس يسكتون، إلا عبد الله بن عباس ﷺ وأجاب فصحح قوله عمر ﷺ.

[٣٤٩] صحيح البخارى، باب الحث على طلب العلم رقم الحديث، ٢٩٢٦,ص ٦١

وفي رواية أنه كان يقيم ابن عباس ﷺ.هذا يدل على تشجيع عمر ﷺ لرغبة ابن عباس ﷺ في فهم معاني القرآن وتفقهه في الدين.

أهمية أصول علم النظر والاستدلال عند الإمام الفراهي

أما بعض الناس ظنوا أن العلوم من البيان والنظر والاستدلال بدعة. لأن الصحابة أعلم بأمور الدين، لذا لم يشتغلوا بتلك العلوم. ولهذا السبب رأوا أن تأويل القرآن حسب أصول علم البيان والنظر والاستدلال هو التفسير بالرأي بقول أن الصحابة لم يعلموا هذه التأويلات. أما الإمام الفراهي انتقد هذا الرأي باعتراف أن عامة فقهاء الصحابة كانوا أبصر وأعلم بالقرآن كما أنهم غير محتاجين إلى أصول البيان وفروعه ولا إلى علم النظر والاستدلال بل أغناهم عن ذلك صحة ذوقهم وسلامة عقولهم. ولكن العلوم المدونة التي يعتمد عليها لفهم القرآن، لا تثمر إلا بالنظر والاستدلال. يؤكد الفراهي رأيه على هذا بقول أن العلوم المدونة ليست إلا كالأدوية لعلاج القضايا المعاصرة. قد تم تدوين علم العروض والبيان بعد وجود كثير من الشعراء المجيدين. نشأت فروع علم العروض والبيان من أصول الأشعار القدماء، ثم تطورت هذه العلوم بمرور الزمان رويدا رويدا.كانت بداية تدوين علم النحو من كلام أهل اللسان الذين لم يقرأوا ولم يكتبوا. قد برز كبار الفقهاء قبل استخراج علم أصول الفقه. تدل هذه الحقائق التاريخية على أن العلوم المدونة نشأت وتطورت بجهود العلماء الذين بذلوا كل قواهم لفهم تعاليم الدين قائمين على أساس متين. إنهم يحتاجون إلى علوم النظر والاستدلال ليستوعب ما في المضمون بكل معانيها. فلا يمكن أحد أن يعتبروضع هذه العلوم وتدوينه بدعة أبدا.

إن أرسطو مؤسس علم النظر والاستدلال والمنطق. كان الناس يعتمدون علي هذا العلم قبله بدون معرفة أصولها وقوانينها والتمرن بها. علم النظر موضوع واسع. يعد المنطق قطرة من بحور علم النظر الذي يميل إليه الإنسان بفطرته. إن معظم الصحابة قد فسروا القرآن بإملاء على تلاميذهم ما كان يملأ صدورهم علما وحكمة. وبالرغم من ذلك أن التلاميذ لم يتمكن لهم أن ينقل للآخرين. وبناء على هذا قد مهد الطريق لتأسيس أصول علم النظر والاستدلال.

غاية أصول التأويل وفوائدها عند الإمام الفراهي

يوضح الفراهي أن غاية لأصول التأويل في نقطتين هامتين. وهما كما يلي .

١-يطمئن بها قلب الإنسان

٢-تسد أبواب الاحتمالات الباطلة المتناقضة

أما الفوائد عديدة بهاتين الغايتين لأصول التأويل،وهي كما يلي.

١-ربما يكون في الكلام حذف وإيراد جملة معترضة لدفع دخل مقدر أو لتمهيد وبيان. حينا آخر تستعمل الجملة مقدما أو مؤخرا. يجب في هذه الأحوال على المفسر أن يرجع إلى الأصل الأول. فيتمكن أن يبين الحكمة التي تم بها صرفه عن الأصل بالسهولة.

٢- يجب على المتكلم أن يعرف المخاطب وأحواله. فلا بد للمفسر أن يرجع إلى أصول الكلام في عرض حقيقية المعنى.

٣-لكل كلام أصول معينة، وهي تدل على المعاني الثابتة. توجد في القرآن إشارات إلى فروع المعنى، وهي التي ترتبط بأصول الكلام. فيجب على المفسر أن يتدبر فيه لبيان الأصول واستنباط الفروع.

٤-توجد في أقوال المفسرين الضغف والسخافة. فالرجوع إلى الأصول يمهد طريقا لبيان الضعف وتصحيحها.

تدوين أصول التأويل

إن القرآن هو المصدر الأساسي الأول للتشريع الإسلامي. فيليق التمسك به مع اهتمام الأولوية والاعتماد عليه أصلا. إن المبطلين حرفوا كلام الله بعدم وضوح أصول التأويل، وفتحوا أبواب الأكاذيب. هنا تقتضي حاجة تدوين أصول التأويل للتمسك بالقرآن بتأويل ما لا يخالف لنصه مع الرجوع لتوضيحه إلى الأحاديث الصحيحة.

تعريف التأويل وحكمه عند الإمام الفراهي

عرف الإمام الفراهي التأويل في ضوء ما وردت الكلمة في الآيات القرآنية. قد أورد آيتين لبيان مفهوم التأويل فالأولى منهما كما يلي:

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾[٣٥٠]

استفاد الإمام من هذه الآية ثلاثة أمور تالية:

[٣٥٠] يوسف ١٠٠

١- يراد بالتأويل في الآية ما يكون حقيقة الأمر، يدل عليه بمتشابه له على طريق تمثيل

٢- إذا كان تأويله حقا،فالأمر حق. رأى يوسف ﷺ الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا يسجدون له فصارت هذه الرأيا حقا.

٣- قد استعمل هذا الطريق تبشيرا بما سيقع في المستقبل، تبيانا لما فيه من الحكمة.

والآية الأخرى هي ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾–﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٣٥١]

استنبط الفراهي ثلاثة أمور من هذه الآية وهي كما يلي:

١-إن ابراهيم ﷺ فهم من رؤياه أنه أمر بذبيح ابنه

٢-فلما رأى ابراهيم ﷺ أنه يذبح ابنه ظن أن الله عزوجل طلب قربانه فأراد تصديق رؤياه. يستفاد بظاهر التأويل فإنه كان أقرب إلى كمال التعبد فأصبح أسوة لأهل الظاهر ولأهل النظر والاستدلال معا.

٣-إن الله تعالى ابتلى عبده ابراهيم ﷺ. هذا الابتلاء سمة شدة حب الله إليه. كما قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾[٣٥٢]

التأويل إلى معنى واحد

كان الصحابة والتابعون ذوي العلم باللغة العربية وبنزول القرآن الكريم. وبهذا السبب اتجهوا إلى تأويل واحد مع تقواهم واحتياطهم. فلا يأتي من عندهم السؤال إلا قليلا، وما زادوا التفاسيرفي الحجم. أما التابعون اعتمدوا على أمرين: الأول هو نظائر القرآن والثاني هو أقوال الصحابة. فنقلت عدة تأويلات لآية واحدة. لكن مهدت السبل لظهور الاختلاف في العقائد لاعتمادهم على الروايات الموضوعة وعلى روايات اليهود. فأقبلت كل فرقة على أخذ الروايات والفلسفة بما أعجبها حيث تقودهم إلى التأويلات الكثيرة لآية واحدة .إن هذه التأويلات زادت الاحتمالات والوجوه وجعلت الأمر الواضح مشتبها حتى تكون الآراء كثيرة والروايات متشاجرة مضيعة الحكم الفيصل.

[٣٥١] الصافات ١٠٢-١٠٥

[٣٥٢] الصافات:١٠٦

يرى الإمام الفراهي سبيلا للامتناع عن كثرة الاختلافات والاحتمالات فهو التمسك بالقرآن حق التمسك مع الإيمان بأن القرآن هو قطعي الدلالة، وليس ظني الدلالة. يراد به أن القرآن لا يحتمل إلا تأويلا واحدا وليس لعبارته إلا مدلولا واحدا. لكن لا يصل إلى هذا المعنى من قطعي الدلالة إلا بتأويل مع مراعاة أصول القرآن. فيجب أن يفهم أسباب وجوه الاختلاف وعلل طرق الأخطاء في التأويل.

الأصول التي تهدي إلى تأويل واحد

قد ناقش الفراهي عن الأصول التي تحتفظ من تعدد الأقوال وكثرة الاحتمالات في تأويل الآيات القرآنية

١-مراعاة نظم القرآن:

إذ كانت وجوه التأويل في الآية كثيرة باشتراك اللفظ، فيجب التدبر مع مراعاة موقع الآية. ومن هنا تحتاج بشدة معرفة نظم القرآن. يثبت الفراهي أن عدم مراعاة بنظم القرآن يؤدي إلى الاختلاف يضيع نور الهدى والإيمان.

٢-اعتباربخصائص أسلوب القرآن

لكل شخص أسلوب خاص .يدرك مكالمات معه بأسلوبه الخاص. إذا لم يراع هذا فسيقع الأخطاء في معناه. إن كلام الله نزل إلينا بأسلوب إيجاز وإبلاغ مع اعتبار المخاطبين وأحوالهم. فلا بد أن يعرف خصائص هذا الأسلوب بكل معانيها. يؤكد الفراهي على أن هذا أهم أصول التأويل التي تهدى إلى معنى واحد.

٣-رفع الاحتمالات بالنظر إلى أنسب المعاني

إذا كان اللفظ يدل على أكثر من معنى واحد، فيجب أن يترك الاحتمالات بالنظر إلى أجدر المعنى وأنسبه. مثل قوله تعالى ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾[٣٥٣] هنا معنى المستطيع أي الذي يقدر على إعطاء الفدية. ذهب الشيخ ولي الله رحمه الله فإن الإطاقة كلمة تستعمل في القوى الجسمانية كما**قال تعالى**﴿ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾[٣٥٤].ترفع الاحتمالات بالنظر إلى موافقة القرآن بالآيات الأخرى وموافقته بالكتب السماوية وموافقته بالعقل والبرهان وعدم اعتناء التأويلات منكرا وشاذا.

[٣٥٣] البقرة:١٨٤

[٣٥٤] البقرة ٢٤٩

طريقة الفهم للمعنى المراد

قد أوضح الفراهي أن طرائق الفهم للمعنى المراد عديدة في كتاب "التكميل في أصول التاويل". من أهمها:

١-**تأويل القرآن بالقرآن**: قد اهتم العلماء بتفسير القرآن بالقرآن. قد ذكرت الموضوعات في القرآن مجملا ومفصلا. ربما يذكر مفصلا فما يترك في موضع أو يذكره مبهما يبينه في موضع آخر. معظم المفسرين أقروا بتأويل القرآن بالقرآن هو أحسن طريقة لفهم معناه المراد.

٢-**رعاية نظم الكلام**: هي أقوم طريقة لفهم معناه الصحيح، وهي تقتضى التدبر في الترابط المعنوي بين السور والآيات. يوجد في الكلام الألفاظ المشتركة في الأساليب المختلفة. وهي تدل على تعدد دلالتها من جهة وتوافق مفهومها من جهة آخر. كذلك يوجد الحذف والتقدير والتعريض. هنا لا بد أن يعتمد على الأصول لتعيين المعنى المقصود من المعاني المحتملة بإمعان النظر في جميع دلالات الكلمات وأساليب البيان.

تأويل القرآن بالأحاديث.

كتب الفراهي عن تأويل القرآن بالأحاديث .

تبين أقوال الفراهي عن تأويل القرآن بالأحاديث أمور أساسية. القرآن هو المصدرالأول الأساسي للتشريع الإسلامي. أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقاريره تؤيد وتصدق وتصوب ما نزل من الله عزوجل هدى لكافة البشر. يرجح الحديث الصحيح عند تعارض الحديثان. إذا تساوى الحديثان المتعارضان في السند، فيؤخذ سبيل الجمع والتوفيق بينهما. إن القرآن الكريم أوثق سندا فهو قطعية الثبوت. لذا لا تأويل الأحاديث بالقرآن. هناك مجال الاعتماد على التفسير بالحديث بشرط المقام المناسب. مع ذلك لا ينكر فهو ظني يبقى به إمكان غيره.

دورالإمام الفراهي في استكمال علم أصول التأويل

قد أمر الله تعالى المسلمين بالتدبر في القرآن الكريم. إن التدبر لا يتم على وجه صحيح بدون اعتماد على أصول وقواعد. ولذا قرر الأصوليون أن هذا الواجب لا يتم إلا بتأسيس القواعد والأصول، فهو واجب.

قد عين الإمام الفراهي الأصول التي تساعد على فهم القرآن وتدبر آياته. وهو الذي أكد على وجوب معرفتها لتسهل الفهم وتحميه من الخطإ، وترشد إلى استنباط الأحكام والحكم الشرعية المبثوثة في الآيات والإفادة منها وعظا ربانيا وتبعد عن الزلل والزيغ في الفهم والتأويل.

قام الفراهي بتحديد وظيفة علم أصول التأويل وأوضح مقاصد تأسيسه في تحقيق ارتياح القلب وطمأنينته للمعاني المستنبطة من القرآن الكريم. إن هذه الأصول يصحح الفهم ويسد باب الباطلة والمتهافتة. قال الإمام الفراهي :"الغاية لأصول التأويل اثنتان: الأولى: لكي يطمئن القلب به. والثانية: ليسد أبواب الاحتمالات الباطلة المتناقضة"[٣٥٥].إن علم أصول التأويل علم يستحق به أن يعتبر كالميزان يميز الصحيح من الخطإ، كما يرشد أصول الفقه الفقيه إلى الإفتاء بالأداة المنهاجية،وعلم الحديث يميز بين الصحيح المقبول والضعيف المردود بضبط النقل والرواية عن النبيﷺ. ولذا قال الفراهي:"ولعلم التأويل كالمعيار والميزان، مثل علم النحو والعروض".[٣٥٦]

كان الإمام الفراهي ساعيا إلى تأسيس علم معياري يرقى إلى المستويات العلمية. إن هذا العلم يوفر لمتعامل مع القرآن الكريم سبيلا أن يعتمد على أصول ومناهج يسدد طريقة التأويل. هنا جدير بالذكر أن " التفسير" من العلوم التي لا تتم النضج بعد، ولذا يمكن باستكمال تأسيس أصول التأويل أن يسد باب إشكال فهم وتفسير القرآن الكريم.

قام الفراهي بتشخيص المعضلات التي يعاني منها علم أصول التأويل. هناك عدة عوامل التي أثرت سلبيا تقوم عائقا أمام نضج هذا العلم وتمامه. كانت اتجاهات العلماء نحو هذا الموضوع ضعيفة تتركزت ثلاث نقاط ومنها أنه مشترك بين علوم متعددة، وأنه غير منقح وغير مؤهل ليكون علما معياريا، وأنه يرتبط بالفروع وليس بالأصول.

أظهر الإمام الفراهي الحاجة إلى استكمال بناء علم أصول التأويل،فقام بمحاولاته منبها إلى جهود العلماء السابقين في تأسيس هذا العلم، وداعيا إلى استكمال هذا العلم و مبينا مكوناته المبثوثة في علوم شتى. انتشرت كتابات في ضوء مجهودات الفراهي بعد فراقه من الدنيا، لكنها لم تثمر نتيجتها. جدير بالذكر هنا ما كتبه الإمام الجليل الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى في مقدمات تفسيره"التحرير والتنوير".إنه أتم هذا التأليف بتقديم القيم الكثيرة في بناء علم أصول التفسير. قد اشتمل هذا التفسير على مباحث هامة ووصف دقيق للعلوم مع بيان ما يصلح منها ليكون من علم أصول التفسير وما لا يصلح أن يكون من هذا العلم. قد نبه المفسر وجوب التجديد في التفسير والحاجة الملحة إلى ارتقاء به إلى المستويات العلمية.

[٣٥٥] الفراهي، عبد الحميد، ،التكميل في أصول التأويل، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سراي مير، ١٤١١هـ، ص ٢٣

[٣٥٦] االمصدر السابق،ص ١٠

الفصل السادس: علم النظام في الدراسات القرآنية للإمام الفراهي

النظام ومقاصد القرآن

لمعرفة مقاصد القرآن أهمية كبرى في علم التفسير وتدبر الآيات والسور. فلا بد لاستنباط الأحكام أن يعتمد على الإلمام بالمقاصد وتدبره. إن معرفة النظام تسهل سبيلا لمعرفة مقاصد القرآن. قد أوضح الإمام الفراهي أن مقصود بمعرفة النظام يجعل السورة القرآنية كلاما واحدا، مستقلة بنفسها، ذات عمود تجرى إليها أجزاؤها. قال الإمام الفراهي:"إن تعيين عمود السورة هو إقليد لمعرفة نظامها ولكنه أصعب المعارف، ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة ،حتي يلوح العمود كفلق الصبح، فيضيئ به السورة كلها ،ويتبين نظامها، وتأخذ كل آية محلها الخاص، وبتعيين من التأويلات المحتملة أرجحها."[٣٥٧] قد اعتبر الفراهي معرفة النظام إقليد للتدبر و علم النظام أعم من المناسبات. حينما يتضح النظام كل الاتضاح، تتجلى محاسن السورة ومقاصدها بإشارة إلى الحكمة التي هي تمام العلم والتقوى. ولذا اهتم العلماء القدماء بمعرفة النظام كأنها من ضروريات لفهم مقاصد القرآن. قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره عن علم النظام."أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[٣٥٨] قد وردت كلمة علم المناسبات بين الآيات و السور في بيان الإمام الفراهي، وهو أوضح الفرق بين النظام والتناسب في المفهوم. قال الإمام:"الفرق بينهما أن التناسب إنما هو جزء من النظام، فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئا واحدا مستقلا بنفسه. وبالجملة فمرادنا بالنظام أن تكون السورة كلاما واحدا، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة ، أو بالتي قبلها أو بعدها على بعد ما،... فكما أن الآيات ربما تكون معترضة فكذلك ربما تكون السور معترضة. وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلاما واحدا، ذا مناسبة في أجزائه من الأول إلى الآخر."[٣٥٩] يرى الفراهي أن سبب اختلاف العلماء في تأويل القرآن الكريم لعدم معرفتهم بنظامه، فلا شك أنهم لا يتذوقون بلطائفه المودعة في الترتيبات والروابط، ولا يفهمون مقاصد القرآن الكريم.

اكتشاف مقاصد القرآن الكريم عند الإمام الفراهي

كان الفراهي حريصا على التماس معاني الآيات من أخواتها، كما كان مجتهدا في استنباط نظام السورة من أعماقها ومن نفس سياقها، ثم إنه يتجه إلى تأييد فهمه بالنقل والعقل. ولذا قال الفراهي :"ففي أمر النظام

---

[٣٥٧] الفراهي، عبد الحميد، دلائل النظام، ،مكتبة الدائرة الحميدية ، سراي مير، الهند، ٢٠١٣ه، ص: ٨٥

[٣٥٨] الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن ، التفسير الكبير، ط، ٣، ١٤٢٠ه، ،ص ١١٠/١٠

[٣٥٩] الفراهي، عبد الحميد، دلائل النظام، مكتبة الدائرة الحميدية، ١٤٣٢ه، ص: ٨٦، ٨٧

تدليت في غور الكلام بالبصر النافذ، وفي أمر التفسير عضضت على كتاب الله بالنواجذ"[٣٦٠]. قال الله تعالى "﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾"[٣٦١]. قال ﷺ "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"[٣٦٢]. يقول الفراهي في بيان هذا "والصواب عندي "مثله معه" هو الفهم والبصيرة والنور الذي أشرق به قلبه مع إنزال الوحي[٣٦٣] كما قال تعالى: " ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ "[٣٦٤]. يقول الإمام السيوطي إضافة إليها"فإن لم يجده أي الحكم- من السنة رجع إلى أقوال الصحابة- رضوان الله عليهم- فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح، والعمل الصالح"[٣٦٥] تشتمل الآيات والسور على مقاصد رئيسية، هي التي تتصل بنظم الآيات والسور. لذا حاول الفراهي لمعرفة هذه المقاصد عن طريق فهم عمود السورة ومعاني الألفاظ المفردة.

معرفة عمود السورة ومعاني الألفاظ المفردة

قد اعتبر الفراهي تعيين عمود السورة هو إقليد لمعرفة نظامها، لكنه هو أصعب المعارف. لأن معرفتها تحتاج إلى تأمل وتدبر وتمحيص. ترجع الصعوبة في استكشاف عمود السورة إلى عدة أمور منها:

الأول: أن القرآن نزل متشابها مثاني، فترى سورا متشابهة المطالب مع اختلاف عمدها، ومتحدة العمد مع اختلاف مطالبها.

الثاني: كما أن القرآن أنزل لواجبات العقائد والشرائع، كذلك أنزل لتعليم الحكمة. جعل الله النظام من أكبر ما يحث به على النظر والتأمل لخفاء العمود. إن في القرآن الجانب الباطن، لا يتوصل إليه إلا باستعمال الفكر والعقل.

الثالث: جعل القرآن على نهاية الإيجاز،مع ذلك ملأه حكما جمة. حينما تكثر المطالب العالية يشق على الناظر أن يصطفي معنى واحدا كالعمود من بين معانيه.

---

[٣٦٠] الفراهي، عبد الحميد، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية ،سراي مير، الهند، ط١، ٢٠٠٨ ص ١٥

[٣٦١] سورة النساء:١٠٥

[٣٦٢] امام الشوكاني، نيل الأوتار، دار ابن الجوزي١٤٢٧ ص ٨/٢٧٨

[٣٦٣] الفراهي، عبد الحميد، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية، سراي مير، الهند، ص ٢٣

[٣٦٤] سورة الشورى:٥٢

[٣٦٥] السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٤م.ص، ١٣٢

قد عرف الفراهي عمود السورة بأنها عبارة عن فكرة رئيسية في السورة ترتبط بها جميع الأفكار الجزئية الواردة فيها،وهي مفتاح لمعرفة نظامها. إن معرفة عمود السورة لا تقلل قيمة أهمية الحكمة، كما تسهل طريقا لاكتشاف النظام. إذا لم يكن عمود السورة واضحا، فلا يزال نظامه غامضا. يؤكد الفراهي على هذا الرأي في قوله."إعلم أن تعيين عمود السورة هو إقليد لمعرفة نظامها ولكنه أصعب المعارف وتحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص تزداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة حتى يلوح العمود كفلق الصبح،فيضيئ به السورة كلها ويتبين نظامها،وتأخذ كل آية محلها الخاص ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها.[٣٦٦] قد اعتبر الفراهي أن المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم مقصود القرآن، وأن بعض الجهل بالجزء يفضي إلى زيادة جهل بالمجموع. إن سوء فهم الكلمة، يتجاوز إلى إساءة فهم الكلام،كل ما يدل عليه من العلوم والحكم، فإن أجزاء الكلام يبين بعضه بعضا ،للزوم التوافق بينهما.

دورالإمام الفراهي في إثبات علم النظام

كانت شخصية الإمام الفراهي رحمه الله عظيمة قضت كل مراحل حياته في تعلم علوم القرآن وأسرارها ورموزها. ما من شك بأن هذا الشخص الجليل أتى بالجواهر البديعة لهذه العلوم التي لم ترها العيون قط، ولم تسمع عنها الآذان من قبل. إنما تدل علاقته القوية مع القرآن الكريم على ثروة علمية كبيرة التي لا تزال تبقى وتنفع للأجيال اللاحقة. وهو العالم الوحيد الذي يرجع إليه الفضل الكبير بالتفاته إلى علم النظام واهتمامه به.

قدم العلماء المتقدمون والمتأخرون باسهامات جليلة لهذا العلم في عصورهم، ولكن لا يجد نظيرا لما قام به الإمام عبد الحميد الفراهي في هذا الصدد لاهتمامه بهذا العلم اهتماما بالغا بين العلماء المتقدمين والمتأخرين. لكل واحد منهم جدير بالثناء لأعماله الجليلة. أما الإمام الفراهي بذل قصارى جهوده بوضع الأصول والنظريات لدقةالمعرفة عن علم النظام. جدير بملاحظة الاقتباس من كتابه"فقد اجتهدت في هذا الكتاب - بحول الله وتوفيقه-أن أكشف عن نظام آيات القرآن العظيم، وأن أفسر تفسيرا ساذجا غير خالط به من اختلاف نجم فينا بعد عصر نبينا ﷺ ،فالتمست معنى الآيات من أخواتها، وكذلك استنبطت نظام السورة من أعماقها، ومن سياقها،ثم بعد ذلك ايدت ما فهمنا من القرآن بالنقل والعقل، ففي أمرالنظام تدليت في غور الكلام بالبصر الناقد، وفي أمر التفسير عضضت على كتاب الله بالنواجد"[٣٦٧].

[٣٦٦] المصدر السابق، ص:٥٦

[٣٦٧] االفراهي،، عبد الحميد، ديباجة نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان, الدائرة الحميدية,مدرسة الإصلاح, سراي مير أعظم كره ص ١٥

يستفاد من هذا الكلام أنه أحب كلام الله حبا جما، وأودع الله في ضميره الرغبة في دراسة نظام القرآن يؤدي إلى تذوق جمال كلام الله تعالى في شكل موحد مثل المرأة، تبدي المشاهد منظرا رائعا جميلا من كل نواحي. لا شك أن القرآن مصدر الأحكام المختلفة ومجموعة من الحكم والعبر. ولذا يجب على كل من يحرص في دراسة القرآن التدبر والتفكر في معاني الآيات. فيمكن به أن يعترف بجمال كلام الله في مرأة الفكر والوجدان.

هناك مذهبان مختلفان للعلماء في علم النظام. الفريق الأول أثبتوا وجود النظم بين الآيات والسور،أما الفريق الآخرأهل نفي وجود النظم. قال الإمام عنه "وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام:"فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض. فهذان مذهبان مختلفان للعلماء، وعلى كليهما فريق،الأول عندي أحسن وبه أخذ".[٣٦٨]

قد بذل الإمام جهودا كبيرة في سبيل الحصول على علم نظام القرآن وقضى حياته في دراسة اللغة العربية وآدابها وعلم النقد والبلاغة. إن فكرة نظام القرآن عند الإمام هي الكيفية الالهية التي تأتي من تلاوة القرآن الكريم ودراسته والتدبر فيه. كان الإمام مقبلا على مطالعة الكتب دائما بكل رغبة وشوق، كما كان مولعا في تأليف الكتب التي تناول فيها موضوع علوم القرآن. قد اهتم بدراسة العلوم الأخرى بما فيها الأدب والشعر الجاهلي وعلم اللغة وعلم إعجاز القرآن وعلم البلاغة والنقد وعلم النحو والصرف ، لأن هذه العلوم ضرورية لفهم القرآن الكريم. لن يتمكن أحد أن يفهم القرآن جيدا بدون معرفة هذه المواد المذكورة.

كانت دراسة الفراهي عميقة عن الترابط اللفظي والمعنوي في القرآن. مدح الإمام مآثر العلماء القدماء الذين قاموا بدراسة هذا الموضوع مثل الإمام الرازي والإمام البقاعي والإمام المهائمي والعلامة الزمخشري،واستفادوا من كتبهم. ولكن الإمام اهتم بعلم النظام أكثرمن هؤلاء العلماء المذكورين بعد تدبره ودراسته العميقة في البلد الأعجمي. ثم اعترف علماء العرب والعجم بعظمته. لأن تبحره في العلم وإلمامه التام بالفن والفكر ومعرفته الخاصة في لغة عهد نزول القرآن، إن ولد في بلد عجمي، استطاع له أن يقود علماء العرب بالذوق السليم والرغبة في علم النظام.

إن علم النظام ومعرفة عن الترابط المعنوي واللفظي هو موضوع دقيق وصعب للقرآن الكريم. فلا سبيل إلى معرفتها إلا من يتدبر في رموز القرآن وحقائقه كثيرا، فتنكشف العلوم الجديدة والفنون الحديثة التي

[٣٦٨] المصدر نفسه,ص ١٧

تسلط الضوء على عظمة الله تبارك وتعالى وحقائق القرآن الكريم. فالتدبر ضروري أن تنكشف الأمور والرموز والحقائق الجديدة وبه يرسخ الإيمان في القلوب.

طريقتان لفهم القرآن الكريم عند الإمام الفراهي

يرى الإمام الفراهي طريقتين هامتين لفهم القرآن الكريم. إحداهما الوسيلة الباطنية وأخراهما الوسيلة الخارجية. يحصل المتعلم على العلوم الإضافية عن طرق الدراسة الخارجية مثل الآيات التي وردت عن القصص والجغرافيا وتعيين الأمكنة والأحكام والأخلاق وغير ذلك. ويعتمد على كتب التفسير والفقه والحديث والتاريخ والسيرة. أما العلوم الدقيقة الباطنة في القرآن لا يمكن تعلمها إلا بدراسة عميقة للقرآن الكريم. وهي توسع مجالات الدراسات عن تسلسل المعاني وعظمة النصوص الإلهية وربط الآيات والسور وإعجاز القرآن من ناحية اللغة والأدب والعلم.

الترابط اللفظي والمعنوي في كلام الله

كان العرب يحبون الرسول والقرآن الكريم بقوة إيمانهم بالله تعالى،كما اعتقدوا أن طاعة الرسول هي واجبة لطاعة كلام الله عزوجل. حينما سمعوا القرآن الكريم،فهموا الكلمات الظاهرية والمعاني الدقيقة ووجدوا فيه الترابط والوحدة كأن كل كلمة أو جزء منه معجزة. كانوا يشعرون بقوة الكلمات وتراكيبها وحسن انسجامها في الدلالات والمعاني،ولكن لم يتحدثوا عن إعجاز القرآن مع معرفتهم التامة أن هذا الكلام كلام الله تعالى.

خلق الله كل شيء في هذه الدنيا بنظام تام للإفادة منه. كل من يجد نظام الكائنات والمخلوقات يتمتع حسنها وجمالها. هذه حقيقة لا غبار عليه،كما توجد الوردة متفتحة بين الأشواق ولكنها تمنح الفرح والطمأنينة للمرء بحسنها وجمالها. كذلك الجواهر التي تنشأ في الأحجار ويستخدمها الإنسان لزينة عرشه وتاجه. كل ذرة في الدنيا ذات أهمية بالغة وضرورية. كذلك كل حرف من القرآن وكلماته وآياته مرتبطة مع بعضها البعض. يوجد هذا الترابط بين الكلمات والآيات السابقة واللاحقة بانسجام المعاني وتسلسل المفردات، ويكتشفه عن طريق التدبر. إن المفسرين القدامى وبعض المتأخرين الذين ألفوا كتب التفاسير بربط آية مع آية أخرى،واهتموا بالتناسب بين السور القرآنية والتسلسل بين الآيات في السور السابقة واللاحقة مع وجود الاختلاف في الآراء بين العلماء والمفسرين.

كل سورة هي بمثابة وحدة وهي ترتبط بالسور الأخرى. يجب على دارس القرآن أن يحصل على المهارة التامة في اللغة العربية وعلومها ليفهم نظام القرآن وإعجازه وبلاغته. إن العلماء الذين لا يحاولون ليتدبروا في اعجاز القرآن وبلاغته فإنهم لا يهتمون بهذا العلم. أما العلماء الذين يؤمنون بهذا العلم ويعتبرونه كموضوع مركزي أساسي للقرآن الكريم وهم يقولون أن هذا العلم يسهل فهم الموضوعات الأخرى في القرآن مثل قصص الأمم الماضية والتزكية ووجود الكون وصفات الله تبارك وتعالى بدون إشكال.

القرآن الكريم هو كلام الله الذي أنزل على محمد ﷺ ،المعجز في أسلوبه، المتعبد بتلاوته. هو المعجزة الكبرى التي إختص بها الرسول الله ﷺ من بين سائر الأنبياء والمرسلين ﷺ. تتجاوب ملامح الإعجاز في الأداء القرآني من جميع أنحائه، وذلك باختيار اللفظ المؤثر، وتنويع الأسلوب الجذاب، والمسحة البلاغية الرائعة. حقا أن القرآن الكريم لهو المعجزة الباقية الخالدة الشاملة،قد ضمنها الله تعالى كل ما تحتاج إليه البشرية في مختلف أعصارها وأمصارها وأطوار حياتها من عقائد وعبادات ومبادئ ونظم وآداب وأحكام وغير ذلك. تعددت وجوه الإعجاز في مجالات شتى واختلفت آراء العلماء فيها،ولكن كلهم يقرون بأن القرآن معجز لما فيه من إبداع وانسجام وتناسق في الفواصل والمقاطع. فالحرف وضع في مكان لايصلح غيره من الكلمة والكلمة وضعت في مكان لا يصلح غيرها من الجملة، والجملة وضعت في مكان لا يصلح غيرها من الآية. الكل متماسك بعضه ببعض مثله مثل السلاسل الذهبية اللامعة البراقة، ومعجز في بيانه العجيب ونظمه الفريد وسحره الجذاب. القرآن الكريم له سياق في الأسلوب، عليه طلاوة في العبارة تجذب الأسماع تلفت الأذهان بجرس آياته وألوان بيانه في الحقيقة والمجاز والإطناب والإيجاز والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والعموم والخصوص....إلخ. إن معظم المفسرين حاولوا لإبراز الترابط الفكري والتناسب المعنوي بين السور والآيات في القرآن الكريم حتى أثبتوا علم النظم كجزء لايتجزأ من علوم القرآن الكريم. كانت هذه المحاولات ناقصة حتى قوي بنيان هذا العلم بمساهمات العالم الهندي الجليل عبد الحميد الفراهي. هو الذي رفع عماده وجعله قصرا شامخا من قصور العلم وفنا شاملا، أصوله راسخة وفروعه جامعة. لا يكاد يوجد له نظير بين المفسرين في تاريخ إثبات الترابط المعنوي ومعرفة نظم القرآن. كذلك بذل كثير من العلماء الجهود المضنية المتواصلة لاكتشاف الإبداع والابتكار في هذا الموضوع.

علم المناسبة عند المفسرين القدماء

النظم المعنوي له دور بارز في فهم الآيات القرآنية وتفسيرها. ولذا إهتم المفسرون باكتشاف التناسب المعنوي بين الآيات والسور وطوروه علما مستقلا باسم "علم المناسبة".إن معظم المفسرين أقروا بالتناسب

المعنوي والترابط الفكري في القرآن الكريم نظريا. ولكن قامت قضية وجود النظم المعنوي موضع اختلاف بين العلماء إلى يومنا هذا. هناك فرقتان، الأولى تذهب أصحابها إلى نفي وقوع النظم في القرآن،الفرقة الثانية تقر بوجود النظم وتبرز وجوه التناسب في التفاسير.

يعد الإمام عز الدين عبد السلام (١١٨١-١٢٦٢) رئيس الفرقة الأولى،قد نفي وجود النظم في القرآن الكريم، ووافقه على هذا الرأي كثير من العلماء الأجلاء ومنهم شاه ولي الله المحدث الدهلوي. أما فحول المفسرين ذهبوا إلى وجود التناسب المعنوي والترابط الفكري في الكتاب العزيز وكرسوا جهودهم في إبراز هذا التناسب فيه،ومنهم الإمام الطبري (٨٣٩-٩٢٣) في تفسيره "جامع البيان في تأويل القرآن"وفخر الدين الرازي (١٢١٠-١١٥٠) في تفسيره "مفاتيح الغيب" والزمخشري (١٠٧٥-١١٤٥) في تفسير "الكشاف عن حقائق التنزيل" والشيخ أبو حيان(١٢٥٦-١٣٧٧) في كتابه "البرهان في مناسبة القرآن" والشيخ المهائمي الهندي (١٤٣٢-١٣٧٤) في تفسيره المسمى "تبصير الرحمن وتيسير المنان" والعلامة بدر الدين الزركشي (١٣٩٢-١٣٤٤) في كتابه "البرهان في علوم القرآن" والعلامة جلال الدين السيوطي (١٥٠٥-١٤٤٥) في "تناسق الدرر في تناسب السور"،وأبو جعفر أحمد بن إبراهيم الزبير الأندلسي (١٣٠٨-١٢٣٠) في" البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن" وما إلى ذلك. جدير بالذكر هنا خاصا برهان الدين البقاعي (١٤٨٠-١٤٠٦)، هو الذي عالج موضوع التناسب المعنوي في القرآن الكريم مفصلا حتى سمي تفسيره "نظم الدرر في تناسب الآي والسور".

هؤلاء المفسرون الكبار حاولوا لإبراز التناسب المعنوي بين الآيات والسور، ولكن ظلت محاولتهم غير ناجحة في بيان النظم وإبراز الترابط المعنوي من أوله إلى آخره كليا. لم يستطيعوا أن يكشف عن التناسب الذي جعل الكلام ينتظم بعضه بالبعض حتى يصبح كلام الله شيئا واحدا. قام معظمهم بإبراز المناسبة بين الآيات المتلاصقة في بعض المواضيع، وذلك علم المناسبة علم شريف قل إعتناء المفسرين به لدقته وصعوبة المنال. هنا يذكر ما قام به عبد الحميد الفراهي لتطوير علم المناسبة وتثبيت أصولها وتبيين وجوهها في تفسيره المسمى "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان".

الأسباب الرئيسية لنفي وجود النظم

إن العلماء الذين أنكروا وجود النظم قدموا أدلة لتبرير دعواهم بنفي التناسب بين الآيات والسور. قد حلل الفراهي هذه الأدلة وبين أسبابها ولخصها في نقطتين هامتين كما يلى.

١) الدقة والصعوبة : لما لم ينجح العلماء في إبراز النظم في بعض السور والآيات فظنوا سهلا في هذه القضية أن يتخذوا سبيل الرفض والإنكار في جميع القرآن،لأن عدم وجود النظم ولو في آية،يعارض دعوى وجود النظام في القرآن كله.

٢) كثرة وجوه التأويل: إن كثرة وجوه التأويل واختلاف الأقوال وتشعبها في تفسير كل آية، يعد أحد الأسباب القوية التي أدت إلى عدم فهم النظام،أن النظام يجري على الوحدة وكثرة التأويل تنافي وجود النظام،وإن تفرق الأمة إلى شيع وأحزاب جعل هذه الظاهرة تتقوى،لأن كل حزب اختار من هذه الوجوه ما يؤيد مذهبه وفكره وجعلت هذه الظاهرة بدوره استنباط النظام متعذرا.

أدلة لنفي وجود النظم

استدل العلماء بأمور تالية لتبرير دعواهم أن كلام الله لايوجد فيه التناسب المعنوي والترابط الفكري بين الآيات والسور.

١-أنزل الله القرآن منجما حيث أتم نزوله تدريجيا حسب مقتضيات الأحداث والوقائع،فلا ينبغي أن يبحث عن وجود النظم. كلما كان الكلام تمتاز بالاقتضاب فلا مجال فيه أن يتصور التناسب والنظام.

٢- كان الكلام الذي اعتاد عليه العرب من ضرورة السياق ومقتضيات الحاجة، وان كان الكلام منزلا منظما يكون فهمه عسيرا بالنسبة لهم. لأن الكلام فيه وجود النظم والتناسب غريب لهم.

٣-الجهود المبذولة في سبيل اكتشاف التناسب المعنوي،ليس من واجبات الدين. وإنما هو من قبل الطرف العلمي مثل استنباط البلاغة وما على شاكلها.

أدلة الفراهي لإثبات وجود النظم

قد حلل الفراهي أدلة المنكرين بوجود النظم ورد عليها بأقوال عقلية ونقلية مع إيضاح جهالة زعمهم. قد نزل القرآن منجما،لا شك فيه أحد، ولكن جمعه في المصاحف أيضا كان من الوحي. قال الله تعالى﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[٣٦٩] حينما نزل القرآن مفرقا منجما حسب الأحداث والوقائع وكان ذلك من العوامل التي ساعدت على حفظه وكتابته والعمل به أولا بأول.

[٣٦٩] القيامة:١٧

وكذلك القول بأن سياق في الكلام المنظم لم يكن من عادة العرب زعم باطل في نظرية الفراهي. لا يمكن أحد أن يبرر هذا القول، يذكر الفراهي ردا عليه :"فإن العرب كانوا يتلهون بالشعر ولا يعدونه من المعاني وإنما كانوا يعظمون الحكماء ويحبون الخطب الحكيمة.[٣٧٠] كان العرب ارتجاليا في الشعر،لكن خطبهم وبيانهم لم تكن اقتضابا. إنهم ينشدون الأشعار وينظمونها وسيلة للهو والهزل. فلا حاجة لهم في شعرهم معرفة النظام في الكلام. ولكنهم ظنوا أن العرب لم يستعملوا في العهد الجاهلي النثر الأدبي إلا قليلا، وجل أدبهم في الشعر. يثبت الفراهي أن هذا ليس صحيحا. تبين صفحات التاريخ للأدب العربي أن العرب تناولوا أصنافا من أنواع الأدب كما تقتضي ظروف الحياة. ولذا اعتادت ألسنتهم على أنواع النثر كالخطابة والرسالة والحكمة والموعظة وغيرها. هذه كلها ترضي ما تحتاج عقولهم ونفوسهم .لاشك بالنسبة إلى حالهم أن النظم والترتيب من مقومات جودة كلامهم وحسن حديثهم.

أوضح بعض العلماء أن اهتمام بنظام القرآن من الأمور التافهة وليس من مهمات الدين. فقد رد عليه الفراهي بقوله: "لا شك أن هذا القائل لم يتصور ما نحن بصدده. لطائف البلاغة ووجوه الإعجاز ليس مقصودة لذواتها ولا هي غاية ما تفوز به. بل ليست معرفة نظام القرآن وروابط معاني الآيات ما هي طلبتنا. إنما المقصود هو التدبر في معنى القرآن الذي سبق إليه بيانه ومعرفة النظم. "[٣٧١] فمعرفة التناسب المعنوي تفتح أفق الفكرة السديدة عن عمود الآيات. لذا يمكن أن يقول بكل صراحة أن معرفة النظام واجب لفهم القرآن وتدبره.

أهمية النظام في الدراسات اللغوية

إن أهمية النظام في كلام الإنسان أمر حقيقي لا غبار عليه. يوجد النظام أصل كل تركيب سواء كان في الكلام أو في الكون. ما من موجود في الكون إلا عبارة عن مركبات في نظام خاص. إذا اختل هذا النظام أو فك التركيب، ضاع انتفاع هذه المركبات. إن اللغة هي الكلام،عرفها اللسانيون كأنها حياة للإنسان والربط روحها،لا قيمة للحياة بدون الروح كما لا فائدة للغة إذا خلت من الربط والنظم. لم توجد لغة على سطح الكوكب الأرضي إلا وهي تعتني بالربط عناية كبرى. تنتج البنى التركيبية دلالة ملموسة بالربط اللغوي الذي يحتل منزلة ديناميكية في كلام البشر. هو أساس جذري يدور حوله الحوار،كما يكون معيارا لتفريق ما يسمى بالكلام المفيد والمهمل في الدراسات اللغوية.

[٣٧٠] الفراهي ، عبد الحميد، نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية،١٤٠٣هـ، ص: ١٥

[٣٧١] المصدر السابق، ص: ٢٢

إن الدراسات اللغوية تجري وراء تحقيق الربط والنظم في ثلاث مجالات،منها الربط الصوتي والربط التركيبي والربط الدلالي .يراد بالربط هو التناسب والانسجام الذي يركب الجمل لفظيا وصوتيا ودلاليا. فحسن الكلام وقبحه يعتمد على هذه التركيبات بالتناسب والترابط بين الجمل والألفاظ. يقول الفراهي عن أهمية علم النظم"النظم هو الحبل المتين الذي يعصم من يعتصم به عن الزيغ وهو السراج المنير الذي تدل على الحكم فإن الآيات إنما تنتظم بما تتضمن من الحكمة فإنها هي الجامعة"[٣٧٢]

علم المناسبة ومجالاتها في الدراسات القرآنية

النظم عند الفراهي ليس الكشف عن الربط والمناسبة بين الجملتين، وإنما النظم هو ذلك الربط الذي يفتح أبواب الحكم ويكشف عن أسرار الحقائق الكامنة في الكلام. فالنظم ليس مطلوبا في حد ذاته ما لم يهد إلى حكم الكلام. يصرح الفراهي بكل صراحة أن معرفة النظام بين الآيات والسور تقود إلى حسن التأويل وصحة التفسير ،مع ذلك يكون النظام السديد مفتاحا للحكم دائما. يقول الإمام الفراهي "إن الإمعان في المناسبات التي توجد بين الأحكام المختلفة يعرفك نظم الكلام ويفتح عليك كثيرا من أبواب الحكمة، لأن النظام لا يخلو عن الحكمة ولا ينفصل عنه."[٣٧٣]

علم المناسبة يعنى به البحث في تشاكل الآيات والسور وتقاربها، هو علم قرآني يتجاوز علم التأويل أو يغنيه. تتجلى أسرار إعجاز القرآن من علم المناسبة. هو وسيلة إلى تدبر كتاب الله وفهمه. لذا اعتبر العلماء علم المناسبة من الدراسات النظمية التي تهتم بالتركيب المحدود، أي الجملة منقولة إلى الدراسات النصية بالتركيز على ترابط النصوص وترتيبها.

يعد الرازي من أوائل من تحدث عن المناسبة تطبيقيا، ويرى الإمام السيوطي أنها معروفة من قبل. أما الشيخ أبوبكر النيسابوري هو أول من أظهر علم المناسبة. كان غزير العلم في الشريعة والأدب. اختلف العلماء في قضية ترتيب القرآن الكريم، لاسيما في ترتيب السور. يقول الإمام الزركشي: إن ترتيب القرآن جاء على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا."[٣٧٤] فيكون علم المناسبة توكيدا لحقيقة القول بالتوقيف في الترتيب من خلال استنباط الصلات والروابط بين الآي والسور. إن مجالات التناسب التي يشتغل بها علم

[٣٧٢] الفراهي، عبد الحميد، دلائل النظام، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، ٢٠١٣هـ، ص:٣٦

[٣٧٣] مصدر السابق،ص:٥٤

[٣٧٤] الإمام الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، ١٤٧٦هـ، "٣٧/١

المناسبة في القرآن الحكيم هي: ١) التناسب بين السور، ٢)التناسب بين الآيات،٣)التناسب بين الجمل،٤) التناسب بين السورة وعنوانها ٥)التناسب بين الآية وفاصلتها،٦) التناسب بين الافتتاحات والخواتيم.

قد بذل المفسرون جهودهم المتضافرة في معرفة جميع مجالات التناسب. أضاف الفراهي إليها وأخذ منحيين من التناسب: لفظي، ومعنوي، وكان ذلك موافقا لطريقة التحليلات النصية التي ظهرت فيما بعد ذلك بقرون عند الغربيين تحت عنوان علم النص أو تحليل الخطاب. يستعمل مصطلح "الاتساق" (Cohesion) للمنحى الأول وللآخر يستعمل مصطلح "الانسجام"(Coherence) الترتيب وحده لا يكفي لبيان آلية عمل علم المناسبة. لذلك توسلت علم المناسبة بالحديث عن الروابط.

كتاب دلائل النظام : أهميته ومباحثه

المبحث الأول:كتاب دلائل النظام

إن كتاب دلائل النظام هو من أنفس كتب ما ألف الإمام الفراهي وطبع ضمن المجموعة الأولى في علوم القرآن. وهي تشتمل على ثلاث رسائل،١- دلائل النظام،٢-أساليب القرآن، ٣-التكميل في أصول التأويل.

المبحث الثاني: أهمية كتاب دلائل النظام

جاء هذا الكتاب في حوالي (١٣١) صفحة. هو كتاب لم يصنف مثله من قبل في تفصيل بعض الموضوعات كالنظام وعمود السورة وأهمية النظام ومقصوده. يثبت المؤلف في بداية هذا الكتاب أن الترتبب والنظام أهم العوامل في كل مركب،لا سيما في الكلام البليغ وعلى رأسه كتاب الله تعالى. القرآن هو كلام الله يوجد فيه الترتيب والنظام من أوله إلى آخره. يوضح المؤلف في هذا الكتاب طرق معرفة التناسب والنظام، وأهمها التدبر على أساس الإيمان الصادق بالله والآخرة. يجب على متدبر القرآن أن يعرف علوم اللسان، فيمكن له أن يتميز من الكلام حسن نظام كتابه و دقائق حكمته وإعجاز بلاغته. ثم مهد المؤلف في هذا الكتاب السبيل إلى طرق استنباط علم النظام وأصوله الراسخة، وهي مستنبطة من أساليب القرآن وقواعد اللسان. قد بين الفراهي جهود العلماء المتقدمين الذين اعتبروا علم المناسبة علما شريفا. ثم قارن بين جهودهم حيث وضح الفرق بين علم النظام وعلم المناسبة. لم يتيسر للمؤلف في هذا الكتاب إلا أن يرتب الفقرات العشر الأولى، أما بقي كان مبثوثا في المخطوطات. حينما يذكر مجملا، يضع مجالا للتدبر والتفكر،فإن في التفكير رياضة.

المبحث الثالث:النظام لماذا؟

يشرح الإمام الفراهي تحت عنوان: النظام لماذا؟ المقصود من معرفة النظام. إن التدبر هو إقليد ومفتاح لمعرفة النظام. قد أنزل الله تعالى هذا القرآن هدى للناس،فلا يصل إلى هذا الهدى والتقوى إلاعن طريق التدبر. إن التدبر في الكتاب هو الوسيلة إلى الهدى تستبصر به النفس .الإيمان بالله مع شعبه العلمية والمعرفة في الشرائع والأخلاق والأحوال يزيد التقوى. يدعو المؤلف إلى وجوب معرفة النظام ليتجلى محاسن السورة والحكمة البالغة التي هي تمام الهدى والتقوى.

المبحث الرابع: النظام لمن؟

قد أشار الإمام الفراهي إلى ضرورية معرفة النظام، لأن هذه المعرفة ترشد العلماء ليفهم ما تتضمن الآيات حق الفهم، وليعلم الناس حسب ما فهموا من الآيات القرآنية. يبين المؤلف مقصود تأليف هذا الكتاب في مقدمة مختصرة ذكر فيها ثلاثة أمور مفصلا وهي كما يلي:

١-ما يدل على وجود النظام في القرآن ويثبته.

٢-ما يهدي إلى معرفة النظام وطريق استنباطه.

٣-إيراد أمثلة لترتيب المطالب وترتيب سورة سورة.

معرفة النظام هي الموضوع الرئيسي الذي يتناول الفراهي في هذا الكتاب مع الإشارة إلى أن ترتيب السور توقيفي كما هو ترتيب الآيات في كل سورة. قد ناقش الفراهي هذا الموضوع في فصل خاص في كتاب له بعنوان"تاريخ القرآن"

المبحث الخامس:أسباب قلة الاعتناء بعلم النظام وردها:

يري الفراهي أسباب قلة الاعتناء بعلم النظام في نقطتين هامتين

١-عدم إدراك أهمية النظام وبالتالي الزهد فيه.

٢-قول بعضهم إن القرآن أنزل للعمل به والاستهداء بنوره لا للاشتغال بلطائفه ونكات بلاغته.

قد رد الفراهي لقلة الاعتناء بعلم النظام مؤكدا على أهميته."إن هذا القائل لم يتصور ما نحن بصدده، فلطائف البلاغة ووجوه الإعجاز ليست مقصودة لذواتها،ولا هي غاية ما تفوز به، بل ليست معرفة نظام الكلام وروابط معاني الآيات طلبتنا-كل ذلك يأتيك عرضا-إنما المقصود هو التدبر في معنى القرآن الذي

سبق إليه بيانه، ومعرفة النظم إنما هي الوسيلة إليه، فهل تظن أنك في غني عن ذلك؟ أن ليس لك حاجة إلى ما أنزل الله إليك من عيون الحكمة والنور والشفاء؟ وهل ترضى أن تجعل نفسك ممن يظن أن كتب الفقه قد تكفلت مما أمر الله ونهى، فلم تبق لنا حاجة إلى القرآن؟ أليس أن ظواهر الأحكام منوطة بالعقائد والنيات؟ ولكن إذا غلب الفساد، وفسدت العقائد. تبدد من الملة نظامها، وزاع من الشريعة قوامها، واستحوذ سلطان البدع والأهواء، اشتد احتياجها إلى الحكمة الإلهية ومعرفة طرق الشفاء، والخروج من فتن الشقاق في الدين، حين التبس الطريق، وأعجب كل ذي رأي برأيه، وضرب الجهل بجرانه ورفض الاستهداء بالقرآن الحكيم الذي عرفه الله تعالى بالنور والشفاء، وعشوا عن الحكمة التي أودعها الله تعالى كتابه، فهل يطلع عليها من يمر به كالراكب السريع أو الريح العاصف؟ ولولا ذلك فلماذا أمرنا الله تعالى بالتدبر في كتابه والتفكر في آياته؟[٣٧٥]

المبحث السادس: أهمية العمود

قد عرف الفراهي عمود السورة أنه جماع مطالب الخطاب،فإليه مجرى الكلام وهو المحصول. هو روح الكلام وسره والكلام يأتي شرحا وتفصيلا. ربما يحسن اخفاء الإنتاج وتعليله ، فلا يطلع عليه إلا بعد التدبر والتفكر. قال الفراهي إضافة إلى هذا في كتابه:"العمود كالحد المنطقي لا يلع عليه بالصحة إلا بعد رجع النظر في النظم وعلم روابط الجملات وإحاطة المطالب جملة، ثم إن وجدت العمود المفروض،أوفق بالنظم وأقرب إلى زيادة التوضيح وحسن التنظيم، فقد أصبت وإلا فلابد من طلب عمود آخر."[٣٧٦]

المبحث السابع: لماذا جعلت بعض السورغاية في الإيجاز

الإيجاز أهم ميزة لبعض السور في القرآن الكريم. يبحث الفراهي عن سبب نزول بعض السور غاية في الإيجاز. يحلل المؤلف هذا السبب قائلا، لماذا جعل الله سورة العصر، وسورة الكوثر، وسورة الإخلاص، وما يقرب منها موجزة؟ أجاب بقوله أن الله جعل الأصول الكلية الجامعة لهذا الدين على غاية الإيجاز والوضوح فيها ،فيحفظ الله عليهم بهذه السور الموجزة تحقيقا لوعد الله سبحانه وتعالى. قد أوضح الفراهي هذه الوجهة في كتابه،"السور القصار ألذ وأحلى، وأسهل وأجلى، فالقارئ ينتظرها كالمسافر إلى منزل طيب مريح

[٣٧٥] الفراهي، عبد الحميد، دلائل النظام، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح ، لكنؤ، ٢٠١٣، ص ٢٩-٣٠

[٣٧٦] المصدر نفسه ص ٨٥

بهيج، أو كما يوضع على المائدة أحلى الأطعمة في الآخر ، و كما أن المرء يترقى من الأرض إلى السماء، فكلما قرب إلى آخر القرآن قرب إلى معالى الأمور، وأصول الدين."[٣٧٧]

المبحث الثامن: النظرفي معالم السور يعين على استخراج العمود

استخراج العمود أمر هام في معرفة نظام القرآن. لن يجد إليه سبيلا ميسرا إلا النظر إلى معالم السور من المهمات، وهي تعين على استخراج العمود. إن هذه المعالم تجلب الالتفات من جهات مختلفة بعضها من جهة اللغة، وبعضها من جهة الإعراب، وبعضها من جهة البلاغة، وبعضها من جهة التاريخ. وبعضها من جهة الفقه،وبعضها من جهة الحكمة وهلم جرا. ولذا النظر إلى معالم السور أمر أن يهتم به في معرفة العمود.

المبحث التاسع : الحذف أسلوب أصيل

كان العرب يجردون كلامهم من كل رابطة، فإن السامع يفهم الروابط بذكائه. وبهذا السبب كثر فيهم الحذف. حينما يكون الكلام في غاية الإيجاز، فيفتح للسامع بابا ليستعمل المنطق والعقل. فيفهم أن الكلام مربوطا برابطة عقلية. يقول العرب:" أنا ذاهب".هنا كلمتان،أما في أكثر اللغات ثلاث كلمات. فيسهل لهم التلفظ بهذا الإيجاز حيث يضع حسب اقتضاء الفكر والفهم.

المبحث العاشر: صعوبة الوقوف على العمود

يرى الإمام الفراهي أن تعيين عمود السورة أصعب المعارف، أن هذا يفتح بابا لمعرفة نظامها. لا يمكن تعيين عمود السورة إلا بعد شدة التأمل والتمحيص. كذلك يحتاج إلى ترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة حتى يلوح العمود كفلق الصبح. لكل آية محلها الخاص، ويفهم من الآية التأويلات المحتملة، فيعتمد علي أرجح الأقوال. ولكن يواجه صعوبة لفهم ذلك، يذكر الفراهي عنها في كتابه.

١- إنما أنزل القرآن متشابها مثاني، فترى سورا متشابهة المطالب مع اختلاف عمدها،ومتحدة مع اختلاف المطالب، فمن لم يقم باجالة النظر في مطالبها مرة بعد مرة، وجمعها تحت عمد مختلفة، فإن الشيء الواحد يدخل كليات مختلفة، حتى يتبين له من بينها ما هو الأرجح، كان كسالك سبيل بلغ مجتمع الطرق،فضل، فكلما ذهب بعد عن مستقيمها.

[٣٧٧] المصدر نفسه ٩٨

٢- أنزل الله تعالى هذا الكتاب لواجبات العقائد والشرائع، فكذلك أنزله لتعليم الحكمة، وجعل ذلك من أخص صفات نبينا ﷺ وبذلك جعله خير المسلمين، وأعطاه من الآيات ما تكون أكثر اتباعا وأكمل تعليما. ولا يخفي أن تعليم الحكمة لا يتأتى بتزويد المعارف، وإنما يتأتى باستعمال الفكر والعقل، وحثه وتنبيهه على النظر، حتى يبرز قواه الكامنة كما هو الأصل في كل تربية،فعلى هذا كما جعل القرآن جانبا منه ظاهرا بينا، فكذلك جعل جانبا منه باطنا مكنونا، ولكي يهتدوا إلى بطونه. جعل الباطن على مدارج لكي يترقى المجتهد في درجاته من الأقرب إلى الأبعد، فإن التربية لا تتم بدون ذلك

٣- جعل الله القرآن على نهاية الإيجاز لمثل المصلحة المذكورة سابقا. ومع ذلك ملأه حكما جمة،يقول الفراهي عن صعوبة تمييز العمود" فلكثرة المطالب العالية والأطايب الغالية، يتحير الناظر فيه فيصعب عليه أن يصطفي من بين معانيه معنى واحدا كالعمود، كمن يطلب من بين الجواهر واسطة للعقد، ومن غاية الحسن كلها يروقه، فلا يدرى أيها أولى[٣٧٨]

المبحث الحادي عشر: ومحتويات أخرى:

تناول الإمام الفراهي في هذا الكتاب الموضوعات الكثيرة بنوع من الإجمال. قد تحدث عن بعضها مفصلا في مواضع آخر.العلاقة بين النظام والحكمة وعلاقة المناسبة بالترتيب من الموضوعات الرئيسية التي تناولها المؤلف في هذا الكتاب. قد ناقش الفراهي عن ترتيب السور وعن نظم السور بعضها مع بعض. إنه يبحث عن كيفية التماس موقع الكلام من الوقائع والأحوال والنظر في تاريخ النزول، كما يتحدث عن عمود كل سورة من سور القرآن بشكل إجمالي مع تلخيص مطالب السور ونظامها. يثبت الفراهي في هذا الكتاب أن الحذف وهو أسلوب أصيل في كلام العرب، ومنهج متبع وفهمه أساس في فهم القرآن الكريم. وبالجملة يوضح المؤلف أن كثرة الوجوه في النظام ممكن، وهو مما يسوغ كثرة التأويل. إن تعيين العمود أمر شاق، يحتاج إلى التدبر، ولكن النظر في معالم السورة يعين على استخراج العمود.

الترابط المعنوي بين السور والآيات في تفسيرنظام القرآن

ألف عبد الحميد الفراهي تفسيرا للقرآن باسم "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" في مجلدات ضخمة لم تطبع بأكمله إلى الآن. قد كتب العلامة الشهير سليمان الندوي في كتاب "فاتحة تفسير نظام القرآن": فهذه فاتحة تفسير نظام القرآن الذي أنعم به الله على عبده المدعو بعبد الحميد الفراهي تغمده الله

[٣٧٨] المصدر نفسه،ص:٨٩، ٩٠

برحمته قضى من عمره عشرين سنة بل أكثر في جمع فوائده وقيد أوابده فقضى نحبه ولم يتيسر له إتمام ما بدأ به، فتركه مبعثرا ومبثوثا في الدفاتر غير سور أتم صنعها فأخرجها في صور الطبع."[٣٧٩]

لتفسير نظام القرآن مزايا كثيرة، لا يوجد نظيره في تفاسير أخرى. قد اجتهد الفراهي فيه جهدا جادا وبذل له سنين فجاء بشيئ نادر، يستحق كل إعجاب وتقدير. تناول المؤلف نظام سور القرآن ففسر ربط السور بعضها ببعض، كما اهتم بأن يفسر القرآن بالقرآن ويبين ربط الآيات بعضها ببعض. لذا يمكن أن يقول بدون شك أن الفراهي هو أول عالم هندي الذي قام بتفسير القرآن على هذا النحو، هو من أعلم الناس برموز القرآن وحقائقه بين أقرانه.

يبدى الفراهي في تفسيره تنسيق كلام الله عز وجل وترتيبه ،إن هذا دليل على أن القرآن الكريم على قمة البلاغة وذروتها. أول سورة من القرآن هي سورة الفاتحة، يسمى بفاتحة الكتاب. كل آية منها مرتبطة ما قبلها من بعدها، والموضوع المركزي لهذه السورة التوحيد. فعبر عنه بالصراط المستقيم. فالعبد يعهد بالله عز وجل بعد الحمد والثناء بعبادته والاستعانة به. ثم يقدم عريضته إلى الله عز وجل بأن يرشده إلى صراط التوحيد، كما يدعوا له أن يسلك على صراط الذين أنعم الله عليهم.

تتبع سورة الفاتحة سورة البقرة. إن هذه السورة تحكي قصة البقرة في آياته من ٦٧-). يستفاد من قراءة السورة بكل تدبر وتفكر أنها مشتملة على بابين. الباب الأول يتعلق بأقوال وأعمال بني إسرائيل أي اليهود. يذكر الله تعالى في هذا الباب قصة معاصيهم. والباب الثاني يعالج موضوع ممن أنعم عليهم من تفاصيل عقائدهم وأعمالهم. يناقش في الباب الأول عن المغضوب عليهم وقصة كبرهم وتمردهم، والباب الثاني عن أهل الإيمان ليعلم المسلمين مسالك الفوز في الدنيا والآخرة. فالموضوع الأساسي لهذه السورة هو الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح. كان اليهود مقري الإيمان بلسانهم. وهم أنكروها وجحدوا بها عن العمل وعصوا عن أوامر ربهم. فجاء تفيصله في الآية ٢ من بداية السورة. ثم يدعو القرآن المسلمين إلى الإيمان والعمل بأوامر الله عز وجل ويحرضهم على العمل بجميع تفاصيلها. فليس عليهم أن يقروا باللسان وينكروا بالعمل ببعض أجزائه كمثل اليهود، بل عليهم أن يدخلوا في الإسلام كافة. كما قال الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٣٨٠] فلا يمكن الاتباع الكامل والدخول في الإسلام كافة إلا بالصبر والصلاة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[٣٨١]

٥٤٥ الندوي، السيد سليمان، فاتحة تفسير نظام القرآن، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، ص: ٤

[٣٨٠] البقرة: ٢٠٨

[٣٨١] البقرة:١٥٣

تشتمل السورة على مواد التوحيد، ثم يتبعه الدعاء يطلب فيه العبد بكل سمع وطاعة العفو والخفة في الأحكام والفرائض. يوجد في نهاية السورة دعاء إلى الله تعالى أن العبد يطلب النصرة في وجه الكفار مع الإيمان والإقرار بصنعه "﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ " [٣٨٢]

خلاصة القول أن هذه السورة منظمة في أحسن سلك النظم والترتيب. يوجد التناسب بين الابتدائية، وأصل الموضوع، والخاتمة. لا يوجد فيها أي خلل، بل يوجد منظمة ومرتبة إلى حد يثير العجب.

إهتم الفراهي بتقديم فكرة النظام العام للقرآن الكريم مع التفصيلات الهامة في كتابه "دلائل النظام"، وتفسير نظام القرآن". يمثل مصطلح"النظام" فكره الجامع لنظام القرآن الكريم، ويدل على ترابط الأجزاء القرآنية. يقدم الشيخ هذا المصطلح شيئا زائدا بمقابلة علم المناسبة العام. على هذا الأساس يجد في كل سورة من القرآن الكريم صورة وحدة مع تقسيمها من حيث الموضوع إلى مجموعات متعددة. يؤكد الإمام على النظريات التالية في طلب نظام القرآن الحقيقي:

١- يكون لكل سورة موضوع مركزي أو في مصطلحه الخاص يكون عمود يربط جميع موضوعات السورة.

٢- تكون كل سورة مرتبطة بالسور السابقة واللاحقة من حيث المعنى.

٣- ربما تكون السورة معترضة كما أن الآيات تكون معترضة، فلا تكون متصلة بالسورة التي بعدها مباشرة بل تعترض بينها سورة أو سورة عدة من مجموعة أخرى."[٣٨٣]

الواضح مما سبق لا يمكن أن يجد أحدا من العلماء المتقدمين والمتأخرين مثل ما قام به الفراهي في هذا الصدد. تركزت دراساته القرآنية على أساس علم النظم ، وقدم الأصول والنظريات لتنوير علومها. قد حاول لتطوير علم النظم بمؤلفاته القيمة حيث تأثر المتأخرون بعده بأهمية نظام القرآن الكريم. إن أهم ما يمتاز به منهج الإمام الفراهي في التفسير هو الاهتمام البالغ بالترابط المعنوي والتركيز الشديد على نظم القرآن. لا شك أن الدراسات القرآنية للفراهي تبدى فكرته النيرة وهي أن نظام القرآن هي الكيفية الآهية التي تأتي من تلاوة القرآن الكريم وفهم معانيه والتدبر عن حكمه البالغة وحججه الدامغة.

[٣٨٢] البقرة:٢٨٦

[٣٨٣] الفراهي،،عبد الحميد، رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، ص ٨٦, ٨٧.-٩٥,٩٦

الفصل السابع: أفكار الفراهي البلاغية في ضوء كتاب جمهرة البلاغة

نظرية الإمام الفراهي عن بلاغة العرب

كان العرب يفتخرون ببيان اللغة وفصاحتها عند نزول القرآن الكريم. قد نزل القرآن ليتحدى أساطين البلاغة آنذاك ببيانه وبلاغته. قد مهد هذا التحدي طريقا للعرب أن يدرك قيمة تلك البلاغة. كان قوام تلك البلاغة على مبادئ الصدق والمناسبة والإصابة في عصرها الأول. فأقبل النقاد والبلاغيون على جمع تلك المبادئ في قوانين أطلقوا على مجموعها اسم (عمود الشعر). كان الجاحظ مشتغلا بالبيان الذي يتأسس على تلك المبادئ، كما يتجلى في كتابه " البيان والتبيين". تعد جهود الجاحظ محمودة بربط البيان بفئة محددة أطلق عليها اسم "الفصحاء والأعراب والأقحاح"، فاستطاع به أن يميز الأعراب الأقحاح من المولدين والبلديين والمتكلفين المتصنعين.

قد تأثر الفراهي بنظرية البلاغة للجاحظ، واعتبره مرجعا وزاد فيه ضربا آخر من البلاغة، هي بلاغة متأثرة ببلاغة أرسطو. ذكر الفراهي عن الخارجين من سنن العرب الأقحاح بمحاكاة العجم، وذلك يمنعهم عن الفهم الحقيقي بلاغة القرآن الكريم وإعجازه. في ضوء هذا السياق حاول الفراهي للكشف عن بلاغة العرب الأقحاح ولتمييزها من البلاغة التي تأثرت ببلاغة العجم، لا سيما ببلاغة أرسطو. كانت نتيجة هذه المحاولة المحمودة تأليفه الجليل "جمهرة البلاغة" ببيان الأساس الذي تجلى فيه فكر الفراهي.

هنا يبحث عن مصطلح جمهرة البلاغة ومفهومه مع شرح محتويات الكتاب. ثم يضيف إليه المقولات العامة التي تعكس أفكار الفراهي البلاغية وتأثره ومواقفه. أخيرا يقدم بعض النماذج للتجديد البلاغي عند الفراهي.

سياسة البلاغة عند الإمام الفراهي

تقوم سياسة البلاغة عند الفراهي مبنية على الصدق الذي مادته القرآن والشريعة، وعلى البيان الذي يعتمد على لغة العرب الأقحاح الفصحاح. يقول الفراهي: " كما أن علماء الإسلام أقبلوا على هذا الفن أي البلاغة، لأجل الكشف عن إعجاز القرآن، فلوا أنهم استقصوا كلام العرب واقتفوا آثار المحاسن فيه، وقيدوها بالحدود، ونظموها في ترتيب حتى يصير لهم ميزان ومحك لمعرفة محاسن الكلام، ثم نظروا في براعة القرآن ونظمه المعجز، لكانوا أقرب إلى معرفته أي إعجاز القرآن الكريم، ولكنهم لم يأخذوا من العرب ولا من كلامهم فإنهم أثرت فيهم علوم العجم، كما خالطتهم سجاياهم إلا الأولين منهم كالجاحظ، فإنه لا يبعد عن سنن العرب كبعد صاحب دلائل الإعجاز، ولم يبعد هذا إلا لقلة ممارسته بكلام العرب

الخلص"[٣٨٤] .كان السلف والأعراب الأقحاح يخطبون بدون ألفاظ مسخوطة ولا معاني مدخولة. لا توجد فيه طبع رديٌ ولا قول مستكره. أما هذه الأشياء توجد في خطب المولدين والبلديين المتكلفين وأهل الصنعة المتأدبين. ولذا اهتموا أكثر الاهتمام بالبديع والتشبيه. اهتم الجاحظ والعرب الخلص الأقحاح ببلاغة أقرب إلى معرفة إعجاز القرآن من طريق الذوق بدون طريق الصناعة. قد بنى الفراهي بلاغته على نظرية الجاحظ. والبلاغة المقابلة عندهم هي بلاغة المولدين والبلديين المتكلفين ومن أهل الصنعة المتأدبين. قد أوضح الفراهي عن تأثر البلاغيين بالأعاجم في بلاغة التحسين والبديع."لما رأوا أن أرسطو أسس الأمر على مهارة الاختلاق، سبق إلى ظن بعضهم أن أحسن الشعر أكذبه،وإذ ليس في أشعار العرب من أمر القصة والحكاية إلا التشبيه، ظنوا أن الغلو في التشبيه من المحاسن، وكما أن المحاكاة صارت عمود الرجاحة عند أرسطو، فكذلك صار التمثيل والتشبيه الذي يشابه القصة عندهم قطب البلاغة، ثم إنهم وافقوه في عين هذا الرأي، فإنه قال في عد محاسن الكلام: إن أعلى كمال البليغ أن يكون حاذقا في استعمال التشبيه."[٣٨٥]

يتضح مما سبق أن الفراهي تحرى في الصدق مع إهتمام بمبدإ البيان والوضوح، كما قال في كتابه" الصدق في الشعور والنية والنطق"[٣٨٦]. قد بين الفراهي أهمية الصدق لتحديد مفهوم البلاغة."فاعلم أن الأمة التي همها الصدق في الكلام تزيد كل يوم من حقائق الأشياء ما يسهل به طريق البيان للمتأخر، فاللغة تكتسب بذلك وسائل وأدوات بها تتكامل وتترقى وضاحة وقوة، والأمة التي همها الإغراق،والولوع بالمبالغة، والغفلة عن حقائق الأشياء، تملأ اللسان بأمور مبعدة عن البيان والوضوح"[٣٨٧].

لقد كشف هنا التمييز بين البلاغتين أي بلاغة البيان والوضوح والمناسبة التي تمثل الثقافة العربية الصرف، كما تتجلى في كتاب الجاحظ "البيان والتبيين"، وبلاغة التحسين والمبالغة والغموض التي تبدو في كتابات قدامة بن جعفر وعبد القاهر الجرجاني. يشير الجدول الآتي إلى الوصف والغاية والمقابل البلاغي والنقدي بين البلاغتين.

[٣٨٤] الفراهي، عبد الحميد،بجمهرة البلاغة، مطبعة معارف، أعظم كره، عام ١٦٠م، ص ١٠١-١٠٢.

[٣٨٥] الفراهي، جمهرة البلاغة، ص ١٠٧-١٠٨

[٣٨٦] المصدر نفسه،ص ٢٠٩

[٣٨٧] المصدر نفسه،ص ٢٠٩

البلاغة	الوصف	الغاية	المقابل البلاغي	المقابل النقدي	
العربية	الصرف	الصدق	الحكمة وشرف المعنى	البيان والوضوح	الطبع
المتأثرة بالأجنبية	الاختلاق	اللذة والتحسين	المبالغة والغموض	البديع	

نشأة البلاغة وتطورها إلى عهد عبد الحميد الفراهي

قد مرت البلاغة بعدة مراحل في نشأتها وتطورها، بدت بذورها الأولى في كتاب سيبويه، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للفراء. ثم كثرت الكتب في فن البلاغة منها: نقد الشعر لقدامة بن جعفر، وكتاب الصناعتين لأبى هلال العسكري، والعمدة لابن رشيق،وأسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، والجامع الكبير لضياء الدين بن الأثير، والبرهان والتبيان لابن الزملكاني،ونهايةالإيجاز لفخر الدين الرازي، وبديع القرآن وتحريرالتحبير للمصري. كان من أوائل الكتب في التأليف البلاغي البديع لابن المعتز وقواعد الشعر لثعلب.

تمتاز هذه المؤلفات بعدة طرق في التصنيف، وتختص بالمسحة الأدبية تلونها بألوان زاهية، وإشراقة ناصعة. قد عاش السكاكي (ت-٦٢٦) في القرن السادس للهجرة في خوارزم، هو الذي ألف كتاب "مفتاح العلوم"وقسم البلاغة فيها إلى ثلاثة فنون وهي :علم المعاني، علم البيان، علم البديع. قد أثر المنهج السكاكي في الدراسة البلاغية، وأول من تأثر به بدر الدين بن مالك، ثم تلاه الخطيب القزوينى (٧٣٩هـ) في كتابيه "التلخيص"والإيضاح".

قد أقبل العلماء اللغويون على كتابة الشروح والتلخيصات ومن أبرزهم سعد الدين التفتازاني،والسبكي، وابن يعقوب المغربي، وغيرهم. قام بعض المؤلفين بوضع كتب بلاغية بدون إهمال منهج الذي رسمه السكاكي في "مفتاح العلوم". ثم جاء المتأخرون بوضع منهج جديد، لكن البلاغة غير مؤثرة في النفوس. لا يمكن أن ينسى إسم هنا المرحوم أمين الخولي صاحب"فن القول"هو الذي رسم منهجا جديدا لم يطبق حتى اليوم.

استمرت المحاولات المتنوعة وكثرت الدراسات الجدية في البلاغة حتى بدت الأسلوبية بمعناها الغربي متمسكة بعضها ببعض. لما توالت الدراسات في هذا المجال، أدت إلى هجر البلاغة العربية والأخذ بالأسلوبية التي هي الوريث الشرعي للبلاغة. أخيرا وصل الدكتور عبد السلام المسدي ومن شايعه من المبهورين إلى تقسيم الكتب الأسلوبية إلى مستويات ثلاثة هي: المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي. أما البلاغة العربية مقسمة حسب ما حصر السكاكي في ثلاثة علوم هي: علم المعاني، علم البيان، علم البديع. توجد في الثلث الأخير من القرن العشرين مناداة الغربيين الذين دعوا إلى البلاغة الجديدة،حتى لا يزال الباحثون والدارسون يحاولون للتجديد ، لكن لم تثمر هذه الجهود حتى اليوم بما يطمئن إليه الدرس البلاغي.

لما توالت الدراسات البلاغية، ظهرت طائفة من العلماء الذين بحثوا عن أمر البلاغة خدمة للقرآن الكريم. وفي مقدمة هؤلاء العلماء في غير أرض العرب عبد الحميد الفراهي الذي نادى إلى التمسك ببلاغة العرب لا بلاغة العجم، في كتابه"جمهرة البلاغة".

جمهرة البلاغة: المصطلح والمفهوم

أصل كلمة (جمهرة) دالة على معاني الجمع والكثرة والاتساع والتراكم والإشراف، إذ إن "الجمهور: الرمل الكثير المتراكم الواسع، وقال الأصمعي: هي الرملة المشرفة على ما حولها المجتمعة. والجمهور والجمهورة من الرمل: ما تعقد وانقاد، وقيل: هو ما أشرف منه. والجمهور: الأرض المشرفة على ما حولها.... وجمهور كل شيء : معظمه، وقد جمهره. وجمهور الناس: جلهم. وجماهير القوم: أشرفهم..... وجمهرت القوم إذا جمعتهم،وجمهرت الشيء إذا جمعته".[٣٨٨] قد سمي هذا الكتاب بجمهرة البلاغة، لأن الفراهي قصد بتأليف هذا الكتاب جمعا لأبرز المقولات البلاغية، وحاول أن يكون إشرافا على بلاغة العرب بحيث يكون تنويرا لها.

مصطلح الجمهرة مشهور باستخدام كأسلوب قديم، يدل على طريقة من التأليف والتصنيف. هذه الطريقة متسمة بالجمع والتأصيل في أغلب الأحيان، خصوصا إذا ارتبطت بالحديث عن العلوم. أما يوجد مصطلح "الجمهرة" مستخدمة كمصطلح الطبقات لجمع الأعلام، كطبقات فحول الشعراء وطبقات النحويين وطبقات الفقهاء وغيرها. هنا جدير بالذكر ما يتعلق باشتهار مصطلح الجمهرة قديما،"جمهرة أشعار العرب" لأبي زيد القرشي (١٧٠هـ)، و"جمهرة أنساب العرب" لابن بشر الكلبي (٢٠٤هـ)،وكذلك لابن حزم

[٣٨٨] ابن منظور، لسان العرب،مادة (جمهر)، دار الصادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ص:١٢٥

الأندلسي الظاهري (٤٥٦هـ)، و"جمهرة اللغة" لابن دريد الأزدي (٣٢١هـ)، "وجمهرة الأمثال" لأبي هلال العسكري (٣٩٥هـ) وغيرها.

أما كتاب "جمهرة البلاغة" للإمام الفراهي يقدم للقراء مفهوما مخصصا بتأصيل علم البلاغة عند العرب الأقحاح. وهو يدعو للرجوع في مفهومها زمنيا إلى بلاغة عصر الاحتجاج. إن بلاغة الفراهي تباعد كل ما يمت لثقافة العجم من جهة مادة الأدب التي تتأثر بتلك الثقافة وتتمثل بشعر البديع، أو شعر الشعراء المولدين. وهو الذي يقبل بلاغة طبع وفطرة عربية التي لا تتأثر بالفلسفة اليونانية من جهة سياسة الأدب ونقده. ولذا توصف هي بلاغة أخلاقية مقصدية إسلامية. كان الفراهي متمسكا بمبدإ الإصابة أو المناسبة أو المعيار الذي تأسس عليه عمود الشعر خصوصا باعتبار قوانين النقد والبلاغة لأدب عصر الاحتجاج. إن ثقافة العرب متميزة باللغة والأدب، وهي تحافظ أصالتها بالطبيعة البشرية العقلية والنفسية. قام الفراهي بتمييز ثقافة العرب من ثقافة العجم من جهة الثقافة واللغة التي تختلف عن العجم،كما تختلف الطبيعة البشرية العقلية والنفسية عنهم. ولذا اتجه الفراهي إلى اتخاذ الثقافة العربية نفسها محافظا على أصالتها بطريقة استعمال أهلها من الأدباء وطريقة تعلمها من قبل البلاغيين والنقاد بعيدا عن التأثيرات الأجنبية كدراسات الجاحظ. وهو الذي أرشد إلى طريق قبول البلاغة العربية بدون دخول فيها تأثيرات الآداب الأجنبية الجانحة إلى المبالغة والإغريق، وتأثيرات الفلسفات الأجنبية التي ساير فيها النقاد والبلاغيون العرب أصولها التي توافق لغاتها الأجنبية.

يبين الفراهي في كتابه خطأ البلاغيين والنقاد العرب الذين تأثروا بأدوات البلاغة اليونانية في مطالعة البلاغة العربية. هم الذين اعتمدوا على أداة المحاكاة والاختلاق والكذب. قدامة بن جعفر وعبد القاهر الجرجاني وأمثالهما ابتعدوا عن طريقة العرب في تحري الصدق. على إثر ذلك ابتعد الأدب عن منابعه ومصادره، وابتعدت البلاغة أيضا عنها. كانت الثقافة العربية تمثل بلاغة البيان والوضوح والمناسبة، كما تتجلى في كتاب الجاحظ"البيان والتبيين". يقول عامر خليل الجراح في كتابه "أما بلاغة التحسين والمبالغة والغموض ظاهرة في تأليفات قدامة بن جعفر وعبد القاهر الجرجاني. هناك نوعان من النقد عند العرب : نقد متمثل بمدرسة الطبع، ونقد آخر تجلى في مدرسة البديع. إن بلاغة الفراهي تمثل بلاغة البيان والطبع كانت تهتم بحسن الكلام ، وهي مناسبة مع الطبيعة والثقافة العربية الإسلامية. أما بلاغة التحسين أو

البديع تهتم بالمحاسن والزخرف تتركز على الشكل والتشكيل، وهي التي لاتمثل الثقافة العربية الإسلامية، فهي ذات صبغة أسلوبية نصية.[٣٨٩]

جمهرة البلاغة : مباحثه الهامة وقيمته العلمية

يعتبر كتاب جمهرة البلاغة أعظم مساهمة علمية للفراهي في علوم القرآن وتفسيره. لهذا الكتاب الجليل قيمة علمية،ألف الإمام الفراهي هذا الكتاب داعيا إلى تأسيس فن البلاغة على أسس منبثقة من القرآن الكريم وكلام العرب الأقحاح . وهو يقول عنه :"جمهرة البلاغة الذي نقض فيه الأساس الذي يقوم عليه فن البلاغة عند أرسطاطاليس، وهو نظرية المحاكاة. ويرى الفراهي أن فن البلاغة العربية تأثر بهذه النظرية فجار عن قصد السبيل. وانتقد في ذلك الإمام عبد القادر الجرجاني مع اعترافه بجلالته، ودعا إلى تأسيس فن البلاغة على أسس منبثقة من القرآن الكريم وكلام العرب الأقحاح"[٣٩٠].

يعرض المؤلف في هذا الكتاب الجليل صورة رائعة من صور الدرس البلاغي في القرن العشرين للميلاد. تتجلى قيمة هذا الكتاب النفيس في ظهور رؤية ناقدة للبلاغة العربية في مثاقفتها مع الثقافة اليونانية. يرى الفراهي تلك المثاقفة غير متمثلة خصوصية البيان العربي وكمال بلاغته التي تختص بكتاب الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

يقول صاحب مقال سياسة البلاغة عند عبد الحميد الفراهي الدكتور صالح سعيد الزهراوي في كتاب "بحث في سياسة الفن الجميل" يتأسس على وعي دقيق بخصوصية البلاغة العربية، وفلسفتها للفن، وكيف نشأت هذه الفلسفة؟ وما الذي أدى بها إلى الانحراف عن ذلك المسار، من خلال "قراءة شاعرية" تقف على أدق"قوانين الخطاب الأدبي" في التراث البلاغي والنقدي عند العرب.[٣٩١].

مقدمة الكتاب

بدأ الفراهي في كتابه بمقدمة موجزة، عبارته قليلة لكنها غزيرة المعاني وثرية الدلالات. قد اختار المؤلف في معظم كتاباته الإضافة النوعية مع تحاشي الحشو في الكلام. بدأ المؤلف كلامه بذكر فضل بني آدم على سائر الخلائق وهو حي ناطق علمه الله البيان. يقول عنه الفراهي:"إن البيان كالظل والأثر للنطق الذي هو

[٣٨٩] عامر خليل الجراح، التفكير البياني عند العرب' قراءة تداولية، ص ٢٥٨

[٣٩٠] الفراهي، عبد الحميد، جمهرة البلاغة، الدائرة الحميدية، أعظم كره،١٩٦٨، ص ٢٦

[٣٩١] د. صالح سعيد الزهرانى، سياسة البلاغة عند عبد الحميد الفراهي، كتاب بحث في سياسة الفن الجميل ،ص: ٢٥

مقوم للإنسان، كما أن النطق ظل من الوحي الأعلى وكلمة الله العليا. فالبحث عن أوليات علم البيان يجلبنا إلى الحكمة الإلهية.[٣٩٢].

تدور فكرة الفراهي في هذا الكتاب حول نقطة هامة، وهو الذي يدعو إلى إثبات البلاغة لخدمة القرآن الكريم وعلومه. كان العلماء المحققون أقبلوا على فن البلاغة لأجل الكشف عن إعجاز القرآن الكريم. إنهم اعتمدوا على كلام العرب واتبعوا المحاسن فيه وقيدوها بالحدود حتى يصير لهم ميزان ومحك لمعرفة جودة الكلام. ثم إنهم رجعوا إلى روعة بيان كلام الله المعجز ونظمه المعجب.

القسم العمومي

قسم الفراهي هذا الكتاب إلى قسمين: القسم العمومي والقسم الخصوصي

يتناول المؤلف في القسم العمومي أصول البلاغة ويهتم بها اهتماما بالغا، لأن جودة الكلام تظهر هذه الأصول جليا. يبحث الفراهي في هذا القسم عن مطابقة الكلام بالمعنى، والوضوح، ونفي الفضول، وحسن الترتيب، والمقابلة، والتشبيه، والتمثيل من جهة الوضوح، وتنقيح اللفظ من المطابقة. ثم يتجه إلى مناقشة عن الاعتدال، ومطابقة الكلام بالمعنى وسذاجة الكلام، والترتيب، والمقابلة، وتمييز المعاني وفرق درجاتها، وتنقيح الألفاظ، والإيجاز، وأصول الإيجاز والإطناب، وادخار الألفاظ والأساليب، ومنع الكلام، وواسطة العقد، وبذلك ينتهى القسم الأول من الكتاب.

القسم الخصوصي

بدأ الفراهي هذا القسم بدلالة الفصل، ولكنه دعا إلى اتجاه جديد هو أقرب إلى الذوق وروح الأدب. وهو يقول:"إن سردت الكلام سردا ذهبت غافلا عن بعض المعاني، بل ربما بدلت المعنى مثلا إن لم تقف على كلمة المرسلين في قوله تعالى﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ – ﴿ٱتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٣٩٣] غفلت عن قوة الدليل، وأكدت على الأمر كأنك قلت: اتبعوا اتبعوا فهذا مع الغفلة يرد المعنى من الأمرين إلى أمر واحد"[٣٩٤].

[٣٩٢] الفراهي، عبد الحميد ،جمهرة البلاغة، الدائرة الحميدية، أعظم كره، ١٣٦٠هـ، ص ١

[٣٩٣] سورة يس٢٠-٢١

[٣٩٤]الفراهي، عبد الحميد، جمهرة البلاغة, مطبعة معارف، ١٣٦٠هـ، ص٦٢

تحدث الفراهي في هذا المبحث عن الفصل بذكر الآيتين الكريمتين مشيرا إلى الفصل (اتبعوا).حينما أعاد الله سبحانه وتعالى هذا الفصل، يرى الفراهي هذا الفصل ربطه بالخيال. هنا مبحث جديد في هذا القسم قائلا:"ثم الفصل يجعل الخيال جسرا بين معنين، فإن وصلتهما لم يكن للخيال سبيل بينهما"[٣٩٥].

يبحث الفراهي تحت عنوان"حظ السامع"عن اهتمام رعاية جانب السامع. لا بد للمتكلم أن يبالي حظ السامع، لأن الكلام مؤثر في أذهان السامعين حسبما يتخذ المتكلم أو الكاتب استراتيجية توافق أحوال السامعين في خطابهم. حينا يستعمل المتكلم الاستفهام لينتبه السامع، ويسكت ليستريح حينا آخرا. كذلك يحذف ليصير السامع متكلما في نفسه فيعمل عقله. ينبه المتكلم بألفاظ منبهات الرغبة والنفرة، كما يلتفت لينتبه بما أحس من تجديد، ويأتي بالتمثيل ليشاهد محسوسا، فتنشط نفسه وتستيقظ من رقدته. يبين المؤلف في هذا القسم عن فوائد الحركات أسباب لانتباه السامع.

.يذكر في المباحث عن إدراج الدليل، والترتيب في النسق، والمقابلة، والاستثناء، وانتهاز الفرصة، والمجاز،والكناية،والتشبيه، ودلالة المجاز في الأزمنة ولسان الغيب، والإشارة والتعريض. هذه كلها تعتبر من فنون البلاغة التي وجدت سبيلها إلى التأليف.

توجد في ختام هذا الكتاب مباحث متفرقة هي: صرف الكلام عن سنته، والجملة المعترضة، ووجوه الخطإ في التمييز بين حسن الكلام وقبيحه، وروح البلاغة وسرها، وكمال البلاغة والإعجاز، ومناط كلام العرب، وأخلاق العرب وارتجال العرب، صوت الخطيب، ومذهب العرب في نقد الكلام، وباب من التمرين في النقد، وباب نقد الكلام، والفواصل والقوافي، وبعض هذا ما لم تبحثه البلاغة العربية.

نقده لنظرية المحاكاة

يرى الفراهي أن النطق هو الفصل المقوم للإنسان. إن الإنسان هو حيوان ناطق في فطرته. النطق مودع في فطرة الإنسان ليلتمس له قوة الوسيلة للعمل. يخالف الفراهي أرسطو في رأيه أن المحاكاة في فطرة الإنسان. أوضح الفراهي أن البيان يربط بالنطق الذي هو"زهرة تخرج من كمال الفهم وصلاح البنية"،ولو لم يكن النطق في الإنسان لما استطاع المحاكاة"[٣٩٦]. إن الكلام يحسن ليس في محض محاكاة، بل في إبلاغ المعاني من المتكلم. النطق من خصائص الإنسان، إن الصدق من لوازم الأمور ليقوم المتكلم بدرجته عند السامع.

[٣٩٥] المصدر نفسه ص ٦٢

[٣٩٦] المصدر نفسه ص٩

استراتيجية الابداع

يناقش المؤلف في هذا الكتاب الجليل عن استراتيجية الإبداع. يقول في هذا المبحث عن أهم المقومات لحسن الكلام. الإبداعية من أهم المقومات لجودة الكلام وحسن مستواه. يرى الفراهي أن الإبداع مبني على أسس أربعة.١-العلم، ٢-القدرة، ٣-الحكمة والتدبير، ٤-النفس الخاص

١-المعرفة باللغة التي يخاطب فيه تسهل طريقا ليستعمل الأساليب الملائمة حيث يمكن الإدراك مع الوضوح والدقة في الكلام.

٢- المتكلم الإبداعي لازم أن يكون ذا القدرة على تطويع اللغة لتجاربه الفنية والجمالية.

٣-يختار المتكلم الكلمات المناسبة للمواقع والأحوال، فيمكن أن يعرف جيد المعاني من رديئها حتى يكون المتكلم صادقا في قوله.

٤-يستطيع المتكلم غير مقلدا في الكلام لأنه يعتمد على عقله، حتى لا يشتبه كلامه بكلام غيره، كما لا يشتبه صوته بصوت غيره.[٣٩٧]

انتهازفرصة الكلام

يبحث المؤلف عن انتهاز الفرصة في هذا الكتاب القيم مع بيان تعريفه وتأثيره في الكلام المفيد. لكل لفظ في الكلام محل خاص وموقع متميز. إن فات هذا الموقع، ذهب روحه، وإن أتقن كل الإتقان فيؤثر في أذهان المخاطبين. كذلك توجد بين أجزاء حديث جار ألقي كلام بل لفظة لا يكاد يلقيه كل متكلم. وهو ما يسميه علماء العربية"الجملة المعترضة".إن لهذه الجملة المعترضة مواقع خفية لا يدركها إلا الذكي المتوقد.لا بد للمتكلم أن ينتهز الفرصة لإيضاح روح الكلام باستعمال الجمل المعترضة حسب الحاجة، فتفيد فائدة تامة، فإلا تضيع متن الكلام إلى المخاطبين. يقول الفراهي عن الجملة المعترضة."الجملة المعترضة لا بد من وضعها في محلها الذي توضع فيه لوجوه خاصة. فلا بد من قطع الكلام، ولكن هذا القطع لا بد أن يكون غير مذهل عن مجرى الكلام. ولذلك يلتمس أحيانا ما يرجع إلى المجرى إما بتكرار كلمة أو إعراب حسب إعراب ما قطع عنده الكلام. أما الوجوه الخاصة للاعتراض ففرصة الكلام المفيد ليكون أوقع عند القربة منه. ودفع دخل لا بد من دفعه."[٣٩٨]

[٣٩٧] المصدر نفسه٨٣

[٣٩٨] المصدر نفسه ١٤٧

روح البلاغة وسرها

إن أصل البلاغة يوجد في تصوير المعاني وترتيبها. إذا كان الكلام واضح المعنى ومطابقا للموقع والمخاطب،فيبقى روح البلاغة،حتى يوصف الكلام بليغا. يناقش الفراهي عن الخطابة. لابد للخطيب أن يستعمل في الكلام الأمور المؤثرة في النفوس وباعثة لها على عمل شاق عليها. يقول الفراهي"فأول الأمر أن لا يكون الخطيب متهما بالكذب، ولا بضعف الرأي، ولا بضعف الاعتقاد فيما يدعو إليه، ولا بضعف القوة وقلة الجراءة"[٣٩٩]

عندما تميل الخطابة إلى قلوب السامعين، وتؤثر فيهم بشدة الاهتمام، وتجلب إليهم الخير والسعادة، فينبغى أن يكون المتكلم صائب الرأي، بصيرا بتدبير الأمور، جريئا على اقتحام المكاره، قويا على نيل المآرب. كذلك يجب أن يكون الكلام جاريا على سنته الفطرية. إن المتكلم يعبر عما في نفسه من العواطف الصادقة القوية من الجد والتأسف والغضب والرحمة والقول بالحق والصواب وفصل الخطاب. هوالذي يصور تصوير النافع والضار المطل على المخاطبين كأنهم يرونها عيانا. تؤخذ من الأحاديث الصحيحة صورة الرسول ﷺ إذا كان خطيبا."عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله إذا خطب إحمرت عيناه، وعلا صوته ،اشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش، يقول:"صبحكم ومساكم".[٤٠٠]

دلالة الحذف عند الإمام الفراهي

يعد الحذف من خصائص لسان العرب وخطبهم. يرى الإمام الفراهي كلام العرب شبيها بالوثبات لما يتضمن فيه الحذف. القرآن كمطر السحاب من وجوه مختلفة وهذه الوثبة من بعض وجوه المطر. يتحدث الفراهي عن حقيقة الحذف، "فالكلام الذي لا حذف فيه، لا محل فيه للعقل والنظر، وهو كدبيب النمل والعرب لا تستجيده، ولا تتاثر به، لذكائهم وسرعة فهمهم، وتنفرهم عن الفضول وإن كان ضروريا عند غيرهم".[٤٠١]

الحذف هو إسقاط الفضول عن القول، والفضول ما يفهم الكلام بدونه ويتأثر منه السامع. يستعمل العرب الحذف أسلوب كلامهم لأنهم يريد الإفهام والتأثير بالكلام. كلما زاد الإفهام والتأثير يجعل الملل والثقل في أذهان المخاطبين. كان أنجح الأقوال عند العرب ما قل وكفي. ولذا يفيد الحذف فائدة في كلام

[٣٩٩] المصدر نفسه ١٥٠

[٤٠٠] صحيح مسلم رقم ١٤٤١، كتاب شرح سنن ابن ماجة، باب ما جاء في اجتناب البدع والجدل.، رقم ١٤٠٧

[٤٠١] الفراهي، عبد الحميد، دلائل النظام ، الدائرة الحميدية، أعظم كره، ص ٦٥-٦٨

العرب حسب مراتب المستمعين من الذكاء والتأثر. كان العرب بذكائهم وتوقد أذهانهم رأوا أن الكلام المسهب في الكلام إما أنه أحمق أو يحمق المستمع. كانت طبيعة كلام العرب ممتازة بالحذف.

كمال الفصاحة والبلاغة

إن الصناعة في الألفاظ وتجهيزها عيال على المعنى، فلا بد لحسن القول وكمال النص أن يكمل العقل والفكر. لكن بعض البلغاء لا يبذل جهدا سوى حسن صوتهم، يخلو كلامهم من مجال الفكر والإبداع. يقول الفراهي عنهم"كم من فصيح، ليس إلا كالبلبل والببغاء"، أي أنهم يحاكون، لا توجد الإبداعية في جهودهم. التمييز بين حسن الكلام وقبيحه سهل من طريق الذوق قبل استعمال القواعد المستنبطة. لذا يبين الفراهي وجوه الخطإ في تعيين حسن الكلام من قبيحه.

المقابلة وأسباب الدلالة فيها

المقابلة هي أن يأتي المتكلم في كلامه بمعنين متوافقين أو أكثر، ليس بينهما تضاد ثم يأتي بما يقابل ذلك الترتيب، كما قال تعالى (**فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**)[٤٠٢]. قد أشار الفراهي إلى أسباب الدلالة في المقابلة، منها الوضوح والسعة والاعتدال التام بنفي الطرف والدلالة على ما خفي في المتقابلين على سبيل التعاكس.

كمال البلاغة والإعجاز

يرى الإمام الفراهي أن الكلام يفيد فائدة تامة للسامع إذا كان المتكلم معبرا عن الأفكار باعتبار من الجهات الهامة. لخصها المؤلف في هذا الكتاب كما يلي:

١-أن يكون المتكلم عارفا باللسان وأساليبه.
٢-أن يكون قادرا على سلس الكلام، باستعمال الكلمات مطابقة بالمعاني
٣- أن يكون الكلام موافقا المحل والحاجة والحكمة والتدبير
٤-أن يكون حامل اللهجة في الكلام حسب ما يحمل الكلام من العلوم والعواطف
إن هذا الكتاب فريد من نوعه، فقد مدح الكتاب والعلماء والباحثون هذا التأليف الجليل. يكفي قول ابن عمته العلامة شبلي النعماني دليلا واضحا على قيمة علمية لهذا الكتاب. يقول العلامة شبلي النعماني.

[٤٠٢] التوبة: ٨٢

"هذه هي مباحث الكتاب والكاتب يعرف جيدا ما كتب عن بلاغة القرآن ولكنه يظن أن كلها غير تامة في الموضوع، وما قام به القدامي من ترتيب فنّ البلاغة ناقص كذلك ولذا فقد اعتنى الكاتب بهذا الفنّ ورتّبه في نطاق واسع ووضع أصولا عديدة لم يكن بها عده لفنّ البلاغة وهكذا فألف كتابا مستقلا سماه "جمهرة البلاغة"[٤٠٣]. أوضح البروفيسور محمد راشد الندوي أن العلامة الفراهي كان عاكفا على دراسة القرآن الكريم. ألف عديدا من الرسائل في علوم القرآن يضمنها إعجاز القرآن الكريم كتابه جمهرة البلاغة مثال رائع لجهده في هذا الفن. ولقد مارس العلامة الفراهي كلام العرب الجاهلي كما أمعن النظر فيما ألف من كتب النقد والبلاغة حتى عصره . كان العلامة يشعر تماما بفصاحة القرآن وبلاغته لتضلغه من اللغة العربية . ولقد درس جيدا كلام العرب الجاهلي والقرآن الكريم ومؤلفات علماء النقد والبلاغة.

النظريات المؤثرة في فكر الفراهي : عرض ونقد

هناك أربع شخصيات ذات صلة وثيقة بمضمون كتاب الفراهي "جمهرة البلاغة،هي الجاحظ، وأرسطو،وقدامة بن جعفر، وعبد القاهر الجرجاني. قد بني محتوى جمهرة البلاغة على آراءهم ومقولاتهم قبولا وردا. تبنى الفراهي أفكاره البلاغية والنقديبة متجها إلى آراء الجاحظ، ثم يذكر في كتابه عن أرسطو الذي كانت أفكاره وبالا على البلاغة العربية في نظر الفراهي. ثم يذكر عن قدامة والجرجاني هما ابتعدا عن نهج بلاغة العرب الخلص الأقحاح.

نظريات الجاحظ

قد بني الفراهي مشروعه البلاغي على مقولات الجاحظ ،لأنه كان قدوة للفراهي بتمجيده بلاغة العرب الأقحاح، وكلامه عن سجايا العرب واقتدارهم، وتحديده أسس البلاغة وغير ذلك. يستفيد من قول الجاحظ أن رأيه يوافق لقول الفراهي. يدل قول الجاحظ على أن البلاغة العربية هي بلاغة العرب الأقحاح. يرى الفراهي الابتعاد عن سنن الأعراب الأقحاح سببا هاما لانحراف البلاغة عن مسارها. قد أثره قول الجاحظ في تمييز كلام العرب الأقحاح من كلام المولدين: يقول الجاحظ:"لم أجد في خطب السلف الطيب، والأعراب الأقحاح ألفاظا مسخوطة، ولا معاني مدخولة،ولا طبعا رديا، ولا قولا مستكرها،وأكثر ما نجد ذلك في خطب المولدين البلديين المتكلفين ومن أهل الصنعة المتأدبين، وسواء كان ذلك منهم على جهة الارتجال والاقتضاب، أو كان من نتاج التخير والتفكر".[٤٠٤]

[٤٠٣] شبلي النعماني، مقالات شبلي النعماني، مدرسة الإصلاح، اعظم كره، ص: ١٤

[٤٠٤] الجاحظ، عمرو بن بحر محبوب الكناني، ،البيان والتبيين، مكتبة الخانجي،٢/٨-٩

قد استلهم الفراهي من آراء الجاحظ أسس البلاغة، وبني عليها مشروعه البلاغي. لقد أدرك الجاحظ أن المعاني هي مجلى الأفكار، والمشاعر والخواطر، وإنها تكون خفية إلا أن يظهرها الأديب. ولكن لا يمكن للأديب أن يظهرها كما يشاء. ولذا اشترط النقاد الوضوح أهم العوامل لصحة الكلام رغبة في التصوير الحسي. قد اختار الجاحظ لكتابه الشهير عنوان "البيان والتبيين" مشيرا إلى غاية الكلام العربي. يدل قول الجاحظ على محاكاة المحسوس للمحسوس أصلا من الطبيعة. نقل الجاحظ بعض الحاكية كان يحاكي صوت الحمار، فإذا نهق نهق به كل حمار حتى الذي لم يكن يبعثه نهاق، فكأن الرجل جمع من النهيق كل طرفة وجعلها في نهيق واحد فاشتد أثره. يقول الفراهي متأثرا بمقولة الجاحظ في كتابه"إن المتصنع المحاكي مخادع ومنافق لا روح في كلامه، وهو شأن المولدين والمتصنعين."[٤٠٥]

كان الفراهي معجبا بآراء الجاحظ ، لأن أفكاره توافق لاتجاهات الفراهي بمواقفه النقدية وبكلامه الأدبي. لم يكن الفراهي عربية الأصل نشأة وإقامة ، ولكن وفاؤه للعربية والعرب كبيرا بما اختارهم الله تعالى لحمل رسالة إلهية خاتمة إلى البشرية الجمعاء. كان الجاحظ عربيا يدافع عن العربية وأهلها ضد الشعوبية التي ظهرت في عصره. ولذا استشهد الفراهي بكلامه.

نظرية أرسطو

ذهب أرسطو إلى أن الشعر محاكاة، وأن غايته اللذة، وأن مبناه على الاختلاق والكذب. وهو لا يرضى اقتداء البلاغيين العرب المتأخرين به. ولذا مقصدهم الرئيسي البديع والتزيين. قال أرسطو: "إن أصناف الشعر- والنغم جنسه الأعلى- محاكاة، فإن الإنسان إما من الفطرة أو من التعلم يحاكي أشياء مختلفة بوسيلة اللون والشكل أو بالصوت."[٤٠٦]

أما الفراهي يعبر عن فكرته في هذا الشأن قائلا: " فلو قال إن الشعر بل كل كلام- والنغم جنسه الأعلى تصوير- لكان أقرب".[٤٠٧] لا يقر الفراهي التصوير أو المحاكاة أساس الشعر وأساس البلاغة . إن جمهور الشعراء جردوا الشعر من الجوانب الأخلاقية التي تتعلق بشرف المعنى والحكمة والصدق، واهتموا بالإحسان في التشكيل والتصوير والتحسين كل الاهتمام. إن الصدق عند الفراهي شرط في البلاغة.

[٤٠٥] الفراهي، جمهرة البلاغة، دار المعارف، ١٣٦٠هـ، ص١٣٢-١٣٣

[٤٠٦] أرسطو، فن الشعر، مكتبة النهضة المصرية ،،١٩٥٣، ص ٥٦-٥٧ و٧٩-٨٠

[٤٠٧] الفراهي،جمهرة البلاغة، دار المعارف، ١٣٦٠هـ، ص ١٠٤

قد اعتبر أرسطو المحاكاة عمود الرجاحة، كما رأي التمثيل والتشبيه الذي يشابه القصة قطب البلاغة. قال أرسطو:" إن الشعر حكاية عن أفعال الناس، إما معاليها أو مخازيها"[٤٠٨] . أما الفراهي لا يفرق الشعر من الخطابة من هذه الجهة، بل إنه اعتبر الشعر والخطابة شريكين في البلاغة، فأيما كان منهما لا يكون أحسنه إلا ما كان أبلغه.

نظرية قدامة بن جعفر

قدامة بن جعفر متأثرٌ بنظرية أرسطو. قد سار على منهج عدم تحري الصدق من جهة ابتغاء التزيين والتحسين. إنه متبع مقولة أرسطو "أعذب الشعر أكذبه". يشير قدامة إلى أن تلك المقولة تعكس مذهب اليونانيين في شعرهم."[٤٠٩]

قال قدامة بن جعفر:"إن الشاعر ليس يوصف بأن يكون صادقا، بل إنما يراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني، كائنا ما كان، أن يجيده في وقته الحاضر."[٤١٠] أما الفراهي أبدى رأيه في هذا الشأن."فلم يرو من الشعر إلا شيئا نازلا وصناعة دنية،كما هو وجد أكثر المنتسبين إليه"[٤١١].

نظرية عبد القاهر الجرجاني

لم يكن عبد القاهر الجرجاني متأثرا بنظرية أرسطو. إنه ميال إلى المناداة بطلب البعد والندرة والفرادة على حساب البيان أحيانا، مع اشتراطه أحيانا أخرى. كان الجرجاني مقرا ببلاغة المبالغة أو المناسبة التي تقع في منطقة دون الإغراق والغلو. مع أنه كان متجها إلى بلاغة النص أو التشكيل أكثر من المضمون والرؤية. قال الفراهي: "اعلم أن المولدين زعموا أن الندرة والبعد في التشبيه من محاسنه، وقد أسهب الجرجاني- رحمه الله- في إثبات ذلك، وجمع التشبيهات الرديئة."[٤١٢] خلاصة القول أن البلاغة في منظور الجرجاني مركزة على الأشكال والتشكيل. أما الفراهي اهتم ببلاغة تقف على المضامين والمقاصد.

[٤٠٨] أرسطو، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، فن الشعر، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٣، ص ٦٧-٨٠

[٤٠٩] قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص ٩٤، ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة،ص ٣١٩

[٤١٠] المصدر نفسه،ص ٦٨

[٤١١] الفراهي ،جمهرة البلاغة، مطبعة معارف، ١٣٦٠هـ، ص ١١٣

[٤١٢] المصدر نفسه،، ص١٨٥

نقد الإمام الفراهي نظرية المحاكاة لأرسطو

ألف الإمام الفراهي كتاب جمهرة البلاغة لتحقيق هدف هام، هوشرح البلاغة القرآنية. لا يقصد المؤلف بهذا التأليف الكشف عن آراء أرسطو في الأدب والشعر. لكن خلال بحثه عن نشأة العلوم، يتحدث عن ربط العلوم بأرسطو وحذا العلماء العرب حذوه في هذا الخصوص طيلة القرون المتوسطة. لذلك يناقش الفراهي عن نظريات أرسطو مشيرا إلى ضعفها فيما يختص بالأدب والشعر.

إنه أقبل على نقد نظرية المحاكاة لأرسطو نقلا من محاضاراته حول هذا الموضوع. أول من قدم نظرية المحاكاة هوأفلاطون. فالشعر ظل الأظلال حسب نظريته، هو بعيد عن الصدق، لذلك لم يجد الشاعر مأوى في جمهورية أفلاطون المثالية. ألقى أرسطو محاضرات معروفة باسم "بوطيقا" ردا على أستاذه. كانت هذه المحاضرات يبلغ عددها إلى ٢٦ذات شرح بسيط مفهوم.

يقول أرسطو في محاضرات الأولى:

"Epic poetry and tragedy comedy also and dithyrambic poetry and music of the flute and of the lyre in most of their forms are all in their general perception modes of imitation" [413]

(الشعر ملحمي والتراجيديا والكوميديا والشعر الثنائي الدرقية وموسيقي المزمار والقيثارة في أكثر أنواعها كلها في معرفتها العامة طرق المحاكاة)

إن الصفة الغالبة للكلام الحسن لدى أرسطو هو سرد الوقائع أو المحاكاة. فلما رأي أرسطوأن غالب صفة الكلام المستحسن كونه قصة وحكاية عن الوقائع، ربما لا تطابق الوقائع وبكذبها لا تزداد إلا حسنا غلب على ظنه أن حسن الكلام في كونه حكاية.

يقول أرسطو في محاضراته الرابعة متحدثا عن الشعر"Poetry in general seems to have sprung from two causes each of them lying deep in our nature.First the instinct of imitation is implanted in man from childhood and difference between him and other animals being that he is most imitative of living creatures and through imitatation learns earliest lessons...Next there is instinct of harmony and rhythm".[414]

[413] Aristotle,poetics,translated by:S.H.Butcher,part,1 page:299 Wikisource.org

[414] Poetics,trans,Butcher,part4

(الشعر بالعادة كما يبدو ينبع بسببين مودعين في طبيعتنا الأول فطرة المحاكاة غرست في الإنسان منذ الطفولة والفرق بين الإنسان والحيوانات الأخرى بأنه أعظم محاك في المخلوقات الحية وبالمحاكاة يتعلم دروسه الأولى.والثاني هناك فطرة الانسجام والإيقاع.)

رد الفراهي على أرسطو لأجل نظريته عن المحاكاة. قد أثبت الفراهي أن النطق قوة طبيعية للإنسان يميزه عن سائرالحيوانات. إنه برهن رأيه بالدلائل. لا ينكر أرسطو أيضا هذه الحقيقة، بل إنه قال أن طبيعة الإنسان جبلت على المحاكاة، وكان يهدف إلى الكلام على ماهية الشعر.قد اعتبر الفراهي قوة المحاكاة صفة ثانوية كوسيلة التي تستخدم للنطق. ولذا ذهب الفراهي إلى أن قوة النطق هي الأساس، إذا كان الإنسان غير قادرا للنطق، فلم يقدر على المحاكاة أيضا.

الشاعر هوالذي يقوم بدور المبدع في نظرية أرسطو، إنه يرى الإبداعية مؤسسة على الواقع. لما يختلق الشاعرأو الأديب سرده، فتضمحل فيه صورة الصدق الواقعي. فالشاعر يأوي إلى القوة المتخيلة لاختلاق صدقه الشعري. هذه القوة المتخيلة تكون بعيدة عن الصدق الواقعي. ولذا انتقد الفراهي أرسطو لأجل تصور الصدق الواقعي. لم يترك الفراهي الشاعر أن يهيم في كل وادي الخيال من غير قيد ولا حد. لأنه يعتبر صدق الواقع كعنصر أساسي لازمي للشاعر. أما أرسطو يترك الشاعر في دنيا الخيال سدى. لا شك أن تصور الصدق لدى أرسطو يختلف عنه لدى الفراهي.

قد تأثر الفراهي بالشعر الجاهلي، لأنه يرى في الشعر الجاهلي والأموي الواقعية(Realism) . لما قل الخيال، فطعن بعض المستشرقين في الشعر الجاهلي. كان الفراهي محبا الكلام الإلهي، كتب مؤلف"جمهرة البلاغة"لأجل تفهيم هذا الكلام الإلهي. إنه قال ناقدا آراء أفلاطون"كل فن من فنون المحاكاة يهدد بالقوى الذهنية للسامعين. حكم أفلاطون بنفي الشاعر لوجهين: لأجل ما بعد الطبيعات(Metaphysics)، ولأجل نظرية المعرفة(Epistemology). ولكن الفراهي لم يقبل الفن إلا الذي يقرب من الصدق الواقعي. هو الذي حاول أن يرى جميع العلوم والفنون خاضعة للقرآن الكريم باحتواءه في تصور الأدب الإسلامي. تحدى الفراهي نظريات أرسطو الذي كان محترما لدى أهل الفن والنقد العرب في القرون المتوسطة. إنما قام العلامة الفراهي بإرشاد الناس إلى الأفكار الأدبية الصادقة الأصيلة في ضوء ما صبت عليه موهبته الفذة.

يستفاد من المباحث السابقة أن الفراهي نقض الأساس الذي يقوم عليه فن البلاغة عند ارسطاطليس وهو نظرية المحاكاة. يرى الفراهي أن فن البلاغة العربية تأثر بهذه النظرية فجار عن قصد السبيل وانتقد في ذلك عبد القاهر الجرجاني مع اعترافه بجلالته ودعا إلى تأسيس فن البلاغة على أسس منبثقة من القرآن

الكريم وكلام العرب الأقحاح . يرجع إليه فضل بناء البلاغة على كلام العرب الأقحاح الذين كانوا فرسان الكلام وكانوا أعرف ببلاغة كلامهم من غيرهم . ولذا قدم المؤلف هذه الرسالة المختصرة تصويرا صادقا لتأسيس فن البلاغة على أصالة اللغة العربية . لما حاول الفراهي لتجديد الفنون وتطهير العلوم في ضوء القرآن الكريم، إستطاع له أن يؤلف رسالة مختصرة باسم "جمهرة البلاغة" صدرت في حياته ثم إنه شعر باعادة النظر فيها وإضافة المواد الأخر إليها ولكنه عاجلته المنية قبل إتمامها. هذه الرسالة غير تامة صدرت بعد وفاته ١٣٦٠هـ من مطبعة "معارف" بأعظم كره (أوتربراديش).

محاولات الإمام الفراهي للتجديد في فن البلاغة

يعتبر كتاب جمهرة البلاغة للإمام الفراهي من أعظم محاولة للتجديد في فن البلاغة، وهي التي تحمل إضافة علمية في مجال اللغة العربية وعلومها، وفي مجال القرآن الكريم والعلوم الخادمة له. بذل الفراهي جهوده الخالصة ليجعل البلاغة وعلومها في خدمة القرآن الكريم بانتقاد نظرية المحاكاة، وما درج عليه الشيخ عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز".إن كتاب جمهرة البلاغة كتاب نفيس لما فيه قيمة علمية بدت فيه رؤية ثاقبة للمؤلف في علوم القرآن وصميم العربية. قد اجتهد الفراهي اجتهادا للتجديد في فن البلاغة، لا يفهم قيمتها ونفوذها إلا بالتفات إلى مراحل نشاة البلاغة وتطورها .

بعض النماذج التطبيقية للتجديد البلاغي عند الإمام الفراهي

قد امتلك الفراهي الفكر التجديدي في البلاغة. لم يكن تجديده واقفا عند الكليات، بل استطاع أن يوسع مداره بقوة تفكره ليشتمل على الجزئيات. يتجلى هذا في الحديث عن الوصل والفصل ودلالاتهما وآلياتهما.

أولا: آليات الفصل والوصل:

قد استقر مبحث الفصل والوصل في علم المعاني جزءا هاما في أعراف البلاغة. يستخدم الواو خاصة للوصل يكون بعطف الجمل والتراكيب، والفصل يكون بتركه. أما الفراهي توسع في عرض هذا التحديد، وجعل له آليات جديدة التي تنطلق من ذوقه وتدبره. قدم الفراهي النماذج الحية لهذا القول من آي القرآن الكريم. إن هذه النماذج والآليات تسلط الضوء على اتجاه جديد للإمام الفراهي لظاهرة الفصل والوصل ،وهي التي بنيت بحكم الخيال، فأطلق مصطلحا جديدا باسم"فصل ووصل بالخيال.[٤١٥] . من المعروف لدى

[٤١٥] الفراهي، جمهرة البلاغة، دار المعارف ، ١٣٦٠هـ، ص ٢٢٠

الجميع أن للوصل آلية واحدة بحسب البلاغة المدرسية، هي العطف بالواو .لكن الفراهي يقترح آليات جديدة متمثلة في الحذف، والفصل والإيجاز، والتقديم والتأخير.

أ-الوصل بالحذف:

يركز الفراهي على الوصل، وجعل الفصل آلية من آليات الوصل. الوصل يقوم بالحذف على فكرة الإيجاز وحذف الفضول والتركيز على الغرض من الكلام. يقول الفراهي:" لم أجد في كلام تقريب البعيدين كما وجدت في القرآن، يحذف من القصة أمورا لا يكاد يحذفها أحد، ويوصل الطرفين، والغرض ليس إلا صرف الذهن عن أمور لا يعلق بها الغرض، ولكيلا تضيع قوة الذهن، وتتفرق همته"[٤١٦] يكون الوصل بالحذف،يوضح الفراهي دليلا لهذا بآيات من سورة يس. قال تعالى :" ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿ٱتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [٤١٧]

١-فغضب قومه، وتألبوا عليه، **فقال:"** ﴿ومَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٤١٨]

٢-فقالوا : أتترك آلهة كنا نعبد نحن وآباؤنا، وتتخذ إلاها واحدا؟ فقال: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ ﴿ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٤١٩]

٣- **ربي واجعلني من المكرمين**.-ثم التفت إلى المرسلين قائلا:" ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾[٤٢٠] - فإذا آمن،اشتد غضب قومه، وألقوه في عذاب.- فأرسل الله جنده من السماء، فحق عليهم العذاب، ونجاه من العذاب، ثم قيل له:" ﴿ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾" (سورة يس:٢٦) فصار قلبه مليئا بالشكر،ذكر عن حال قومه بالحسرة.

٤- فنادى جهرا من الحسرة عن قومه، ﴿قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [٤٢١]

هذا نموذج الوصل بالمحذوف، ورد في الآيات من سورة يس ٢٠-٢٧) لما قتل أهل القرية الرسل إليهم، فأرسل الله إليهم رجلا ناصحا. يتجلى الوصل بالحذف، يستفاد هذا الوصل من التأمل بالسياق بين الآيات. يفهم بالحذف فائدتين هامتين. الأولى:حذف ما يستكره ذكره، كما يدرك من الآية سورة يس"٢٣،٢٢، ٢٥) هنا

[٤١٦] الفراهي، عبد الحميد، جمهرة البلاغة الدائرة الحميدية، ط: ١، ١٩٦٨ص ٢١٣

[٤١٧] سورة يس:٢١،٢٠

[٤١٨] يس:٢٢

[٤١٩] يس: ٢٣،٢٤

[٤٢٠] يس:٢٥

[٤٢١] يس: ٢٦،٢٧

حذف أقوال الكفار وأفعالهم. والثانية: حذف ما فيه الشغب والسرعة.،كما يفهم من الآية سورة يس:٢٦ ، هنا دلالة على أصل الواقعة من كيفية القول والفعل. فحذفه أبلغ طريقة وأوضح فهما للقارئ بدون ملل.أخبر الله تعالى عن وقوع العذاب بقوله:" ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾[٤٢٢]. سورة يس:٢٩) أمر الله فيه مفهوم ظاهر يدل على السرعة، وهو يتعلق بالوصل والحذف والترتيب.

ب - الوصل بالفصل :

إن الوصل بالفصل قد يكون حاضرا في جميع آليات الوصل. قد اعتبر الفراهي تمثيله لغرض السرعة. فالسرعة تقتضي الوصل بالفصل، له أهمية عظيمة بما يعتمد فيه على الخيال. يقول الفراهي: "الفصل يجعل الخيال جسرا بين معنين، فإن وصلتها لم يكن للخيال سبيل بينهما، فكل فصل زيادة في المعنى، كأن الكلام وشاح مفصل بشذر من اليواقيت بين اللآلي،فهذه زيادة الخيال أحسن طرق الإعجاز. وزيادة على الإعجاز أمر آخر، وهو أنك لو أظهرت ما أخفيت من الخيال، وجعلت بين الجزأين اتصالا، ذهبت بلينة الجزء الثاني، فلم يمكن وصله بالثالث، إلا أن يكون بخط مستقيم مع الأولين. ومثال الوشاح يبين لك هذا الأمر كما أظهر الأمر الأول. فإن شئت ألا يكون فصل زدت بين كل فصل أمرين، بل ربما أمورا، الأمر الأول لبيان اتصال الجزأين، والأمر الثاني لبيان اتصال الثالث. وجملة القول: إن الكلام إذا لم يكن على خط مستقيم- لا بد له من واصلات، والفصل ربما هو أحسن الواصلات".[٤٢٣]

قد تحدث الفراهي عن أهمية الوصل بالفصل على أحسن وجه وأدق أسلوب. يذكر الوصل بالفصل لغرض السرعة. ربما جمع حالات يخبر عن اتصالها وسرعة تواليها، كما كتب قيصر مخبرا عن فتحه : جئت، رأيت، فتحت. يقول الفراهي: "هذا أحسن من كلام قيصر، فإنه جمع المجيئة والفوز والرجوع. ومثل هذا الأسلوب ترى في القرآن: " ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا. فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا. فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا. فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾[٤٢٤]. ومن هذا الباب ما ترى من وصل إنعام الله تعالى بعد الاستغفار دلالة على سرعة رحمة الله تعالى،وإن الكرم لا يحتمل المطل. والأمثلة توضح ما أردت : في سورة هود ﷺ في استغفار نوح ﷺ" ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ. قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾[٤٢٥] .

---

[٤٢٢] يس:٢٩

[٤٢٣] الفراهي، عبد الحميد جمهرة البلاغة، مطبعة معارف، ١٣٦٠هـ، ،ص ٢٢٠-٢٢١

[٤٢٤] العاديات:١-٥

[٤٢٥] هود: ٤٧، ٤٨

ت- الوصل بالتقديم والتأخير:

الوصل بالتقديم والتأخير ظاهرة ربط بها الفراهي لغرض هام هو صحة التصوير. مثاله في قصة نوح ﷺ كما وردت في سورة هود. قد جمع هذه القصة في آيات عشر، وجعلها صورتين كاملتين، إحداهما بجنب الثانية، هذا هو أحسن البيان على وجه صحيح للتقديم والتأخير. تبدأ قصة نوح من الآية ٣٦. إن دعاء نوح ﷺ في ابنه ورده من الله تعالى، واستغفار نوح ﷺ والاستجابة، كل ذلك متأخرا بعد تمام الواقعة. فسؤال نوح ﷺ في ابنه كان قبل غرقه، وقبل استواء الفلك على الجودي. لكن لم توضع هذه الأمور في محلها الزمني، لتكون أجزاء التصوير أحسن التوضيح. كذلك توجد من أحسن البيان فيه أن هلاك ابنه صور بغتة وفي أسرع حالة، في قوله تعالى" ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ "[٤٢٦]. فيتمثل صورة الطوفان والسفينة:" ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ ﴾"[٤٢٧] . ثم يدرك كلام الوالد الذي يحن إليه ويلاطفه بقوله." ﴿يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾" [٤٢٨]، ثم بقوله: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾[٤٢٩] ثم يقنط، فيقع ما يقع.

كان الفراهي ذا قريحة نادرة وموهبة فذة وذهنية وقادة، تمكن بها أن يفيدها في مجال تحصيل العلوم وتنويرها في مجالات شتى. إن العلم والإيمان مناط التدبر والتفكر الذي اشتغل به الإمام الفراهي في قراءة القرآن وتفسيره ، واعتبره أساس معرفة نظام القرآن. قد عرض الفراهي مشروعه البلاغي الذي انعكس من خلاله الجانبان الذوقي والمعرفي في ضوء القرآن الكريم. إنه قدم البلاغة التي تحدث عنها الجاحظ، هي بلاغة الأعراب الأقحاح.لا شك أن هذه البلاغة التي تسهل طريقا لفهم سر بلاغة القرآن الكريم وإعجازه وتدبره. قد حذر الفراهي من البلاغات التي تهمل أصالة اللغة العربية وفخامتها، وتبين في ضوءها التجديد الفكري. الفصل والوصل من النماذج الهامة للتجديد عند الفراهي.

خصائص كتاب جمهرة البلاغة

كتاب "جمهرة البلاغة " تقوم على أربعة محاور وهي ١) سياسة البلاغة بين العرب والعجم ٢) بلاغة الصدق ٣) حدود الجنس الأدبي ٤) استراتيجية الإبداع العلامة عبد الحميد الفراهي يقدم رؤية ناقدة للبلاغة العربية في ثقافتها مع الثقافة اليونانية ."جمهرة البلاغة" كتاب فريد في تاريخ البلاغة العربية. لقد كتب

[٤٢٦] هود: ٤٣
[٤٢٧] هود: ٤٢
[٤٢٨] هود: ٤٢
[٤٢٩] هود:٤٣

الفراهي من خلال مباحث هذا الكتاب مالا يوجد لدى الآخرين من البلاغيين والنحويين ولذا توجد في هذا الكتاب مباحث بديعة نادرة ومن أهمها القسم العمومي والقسم الخصوصي. يدعو الفراهي في كل مؤلفاته إلى مجد أصالة للغة العربية وفضل ثقافتها. وهو يمدح العرب كثيرا في معظم مؤلفاته لاسيما في هذا الكتاب الوجيز . وهو يشير إلى براعة العرب وحذاقتهم.

تبدو في كتاب جمهرة البلاغة نزعة الفراهي واتجاهاته الأدبية واضحة كل الوضوح وتتمثل في الاعتزاز بالعرب لأنهم من أذكى الأمم و الاهتمام باللغة العربية ذات الخصائص التي تميزها عن اللغات الأخرى ولا سيما لغة اليونان التي استقى منها أرسطوطاليس مفهوم الشعر والمحاكاة و تمسّكه ببلاغة العرب والعزوف عن بلاغة العجم و العناية بالأسلوب العربي البيلغ و الاطلاع على أهم كتب البلاغة العربية وعلى كتب أرسطوطاليس والشعر العربي.

إن كتاب جمهرة البلاغة صغير الحجم ولكنه قوي الأثر بمحتواه القيم، يحتل قيمته العلمية في غاية الدقة نظرا إلى الكشف عن الأسرار البلاغية. صدرت طبعته الأولى من الدائرة الحميدية بسرائ مير، أعظم جره سنة ١٣٦٠ للهجرة. هذه الطبعة تحتوى على٨٨ صفحة. ثم أعيد طبعه في قشيب جديد عام ١٤٣٧ ه الموافق ٢٠١٦ للميلاد. تحتوي هذه الطبعة على ١٦٨ صفحة. وصدرت حديثا طبعة منه في العالم العربي مع التعليقات القيمة بقلم عالم قطري اسمه الشيخ أحمد فرحات.

الفصل الثامن :آراء الإمام الفراهي المبتكرة في إعراب القرآن

أهمية علم إعراب القرآن

اللغة العربية بحر العلوم، لا ساحل لها، وقد جاء القرآن الكريم بلغته الفصحى الجزلة بأكثر مما يعرفه العرب، واعتادوه في حياتهم من مفردات لغتهم وأساليب كلامهم. قد استعمل القرآن الكريم التعبير البليغ، الرائع، المعجز من جميع النواحي البيانية واللغوية والتشريعية والعلمية. استعمل ذلك في قوالب لغوية صغيرة هي الأيات. يتلو الأيات هي متصفة بدقة النظم والإفهام المتقن، وارضائه العقل والعاطفة. تمتاز الآيات القرآنية بجودة السبك وإحكام السرد وتعدد الأساليب واتحاد المعنى، والجمع بين الإجمال والبيان، وايجاز اللفظ مع وفاء المعنى. البلاغة القرآنية بأساليبها فائقة الحد، بالغة الحسن، حاوية المقاصد، لايرقى إلى حسنها وجزالتها وقوتها شيئ. ولذا ارتكزت عناية العلماء الكبار في دراستهم على التحليل اللغوي في ألفاظ القرآن ومعانيه. إن علماء الهند - قديما وحديثا- قاموا بإسهامات جليلة في مجال إعراب القرآن. يستحق أن يناقش خاصة عن الآراء الجديدة التي تفرد بها علماء الهند في مجال إعراب القرآن. تقود المناقشات

العلمية حولها إلى البحث والتخصص في المجال نفسه. وفي مقدمة هؤلاء العلماء الأستاذ عبد الحميد الفراهي هو الذي يحتل مكانة مرموقة بنظراته الثاقبة وآرائه القيمة في مجال علوم القرآن. أريد في هذا الفصل إبراز إسهاماته القيمة في علم إعراب القرآن.

قد اهتم علماء التفسير بإعراب القرآن اهتماما بالغا لأنه جزء هام من علم التفسير، كما اعتبره بعض العلماء جزءا من علم النحو. ولذا اتفق جميع العلماء على أهمية هذا العلم ومكانته في تفسير القرآن الكريم وشرح الدين الحنيف منذ قديم الزمان. مما لا شك فيه أن التراكيب تقوم على المفردات والمفردات تقوم بها المعاني والمدلولات في اللغة العربية. المصطلحات الشرعية صلة وثيقة بمدلول ألفاظها في اللغة العربية. ولذا قال إبن عطية الأندلسي (المتوفي ٥٤٣هـ) "إعراب القرآن أصل في الشريعة لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع "[٤٣٠]

اعتنى المفسرون الكبار بإعراب القرآن عناية بالغة. هناك عدة كتب خصصت بإعراب القرآن وقد استقصى الدكتور مى فاضل الجبورى كتب إعراب القرآن حتى نهاية القرن السادس الهجرى فاستطاع أن يذكر خمسة وعشرين كتابا في رسالته العلمية. لا يشك أحد في أهمية علم النحو لتعلم اللغة العربية، لأن علم النحو له علاقة وطيدة للغة ودلالتها هو جزء لايتجزأ من تعلم اللغة. إن الدلالة تختلف كما يختلف الإعراب والبناء والتركيب، لا يمكن أحد أن يحصل على مضمون النص إلا بعد إلمام بعلم النحو. ومن هذا المنطلق لعلماء الهنود اليد الطولى في الفنون كالنحو والصرف واللغة والبلاغة والعروض والشعر والإنشاء. بذلوا جهودهم المستمرة عبر القرون لاكتشاف أقرب الوجوه في إعراب القرآن. هنا أقف على إسهامات الإمام الفراهي في إعراب القرآن في ضوء مؤلفاته القيمة.

بعض النماذج لآراء الإمام الفراهي في إعراب القرآن

قد اهتم كثير من العلماء بعلم إعراب القرآن منذ وقت مبكر من تاريخ الإسلام، حيث أصبح موضوعا للبحث والدراسة، ثم شرعوا في التأليف عنه حتى أصبح علما مستقلا. تناول العلماء هذا الموضوع في عدة كتب مطولة ومختصرة قديما وحديثا. تتجلى في هذه الكتب آرائهم النحوية بتحليل الأيات القرآنية. قدم الإمام الفراهي النظرات المبتكرة التي تدل على الوجوه الإعرابية من القرآن الكريم . أذكر هنا بعضا من النماذج.

[٤٣٠] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١:م: ١١، ص: ٤٠

النموذج الأول: قال الله تعالى في القرآن الكريم ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ[٤٣١] وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٤٣٢] قد بين الشيخ السمين الحلبي في كتابه "الدر المصون في علم الكتاب المكنون"عن الإشكالات والتساؤلات التي جاءت في إعراب ل"ولا يأمركم" في الآية. قوله تعالى (ولا يأمركم): قرأ إبن عامر و عاصم وحمزة بنصب" يأمركم" والباقون بالرفع وأبو عمرو على أصله من جواز تسكين الراء والاختلاس، وهي قراءة واضحة سهلة التخرج والمعنى. وذلك أنها على القطع والاستئناف، أخبر الله تعالى بأن الأمر ذلك لايقع. والفاعل فيه إحتمالان، أحدهما هو ضمير الله تعالى، والثاني هو ضمير بشر" الموصوف بما تقدم، والمعنى على عوده على "بشر" أنه لا يقع من بشر موصوف بما وصف به أن يجعل نفسه ربا فيعبد، ولا يأمر أيضا أن يعبد الملائكة والأنبياء من دون الله، فانتفي أن يدعو الناس إلى عبادة نفسه وإلى عبادة غيره. والمعنى على عوده على الله تعالى أنه أخبر أنه لم يأمر بذلك فانتفي أمر الله وأمر أنبيائه بعبادة غيره تعالى [٤٣٣] وبالجملة أن الضمير في "يأمركم" يجوز أن يعود على" الله" وأن يعود على" البشر"الموصوف بما تقدم، والمراد به النبى من ذلك، سواء قرئ برفع "ولا يأمركم" أو بنصبه إذا جعلناه معطوفا على يؤتيه.

قد أطال المفسرون الحديث عن إعراب هذه الآية كما يفهم في كتاب "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" بيانا للإشكالات والتساؤلات التي توجد في إعراب هذه الآية. أما الفراهي يتحدث عن إعراب هذه الآية بكل بساطة في رسالته حول النحو العربي. قال الإمام "التقدير في المعطوف كثير في القرآن الكريم وكفي به مستندا، فقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [٤٣٤]

يقول الفراهي : "لانعلم أحدا من المفسرين من قرأ (لا يأمركم) بالنصب ، جعل الضمير الله، ولكن لا شك أن الضمير الله، والعطف على المنفي المذكور (ما كان)، والتقدير:(ما كان الله أن يأمركم أن يتخذوا

[٤٣١] آل عمران: ٧٩

[٤٣٢] آل عمران: ٨٠

[٤٣٣] أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار القلم دمشق، ص: ٢٧٩/٣

[٤٣٤] آل عمران: ٧٩,٨٠

الملائكة..الخ) كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[٤٣٥] . فمفهوم من الآية المستند بها أنه بعيد عن النبي أن يأمر الناس بأن يتخذوه ربا ، وبعيد عن الله أن يأمركم بأن تتخذوا النبي ربا، ولكنه أمركم جميعا بأن تكونوا لله عبدا."[٤٣٦]

النموذج الثاني: قال الله تعالى في سورة التين: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴾ ﴿ وَطُورِ سِينِينَ﴾ ﴿وَهَـٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَـٰهُ أَسۡفَلَ سَـٰفِلِينَ﴾[٤٣٧] قد اختلفت آراء العلماء في تفسير الآية "**ثم رددناه أسفل سافلين**".كما قال الشيخ السمين الحلبي وجهين في إعراب "أسفل سافلين" فقال: يجوز فيه وجهان، أحدهما أنه حال من المفعول. والثاني: أنه صفة لمكان محذوف، أي مكانا أسفل سافلين وقرأ عبد الله "السافلين" معرفا.[٤٣٨]

يفسر الإمام الفراهي هذه الآية ويحلل إعراب "أسفل سافلين"برعاية ثلاث مراتب في أحوال الإنسان كما ذكر الله تعالى في (سورة الأحزاب: ٧٢,٧٣) يوجد هذا في تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان".فكان احتمال الإنسان الأمانة لكمال استعداده. وكان ظلمه وجهله لما انطوى هذا الاستعداد على الزلة، والعقبات والنهوض، فيتوب الله على من انتعش بعد العثرة مثل آدم فيفوز بالاجتباء.

يقول الإمام الفراهي في بيان إعراب كلمة "أسفل" إما هو حال عن ضمير المفعول في (**رددناه**) أو ظرف، وعلى هذا يكون المعنى: إنا صيرناه مرة أخرى في مقام أسفل، كما ترى في قوله تعالى: ﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾[٤٣٩] أي بمقام أسفل. ولا فرق بين التأويلين من جهة المعنى.[٤٤٠]

ومما ذكر تبين أن الآيات الثلاث جامعة لتمام قصة الإنسان ودينونته من أول خلقه إلى نهاية مبلغه، وناظرة إلى حالة آدم عليه السلام و هبوطه مع ذريته. وعلى هذا يفهم من :(**أسفل سافلين**(-التين: ٥) حالتهم حين رجعوا إلى هذه الدار الدنيا. وحينئذ حرف "إلا" لاستدراك أي: ولكن المؤمنين يترقون بعد الهبوط، فيفوزون بأجر دائم.

---

[٤٣٥] البقرة: ١٤٣

[٤٣٦] الفراهي، عبد الحميد، رسائل في علوم القرآن، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، ص: ٩٨

[٤٣٧] التين: ١-٦

[٤٣٨] أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ١١ دار القلم،ص:٥٢

[٤٣٩] الأنفال: ٤٢

[٤٤٠] الفراهي، عبد الحميد، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان، تحقيق: عبيد الله الفراهي، الدائرة الحميدية،مدرسة الإصلاح، ج:٢،ط: ١٤٣٩،٢ ص: ٦٤٧

يوضح الفراهي معنى (**سافلين**) بقول " ففيه وجهان: الأول أن تجعله أيضا ، فإن الله تعالى لم يردهم إلى أسفل إلا بأن إختار الإنسان سفلا لنفسه. وعلى هذا تكون حرف" إلا" للاستدراك أي لكن المؤمنين بعد أن كانوا سافلين حين اهبطوا نهضوا وتابوا، فلهم أجر دائم. وهذا تأويل حسن راجح كما هو الظاهر. والوجه الثاني أن تخرج المؤمنين من (السافلين) وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا، أي المؤمنون مع الهبوط لم يكونوا سافلين. ولكنهم عرجوا من السفل إلى العلو. وأما الكافرون فبقوا فيما ردوا إليه، بل ازدادوا سفلا.[٤٤١]

النموذج الثالث: يفسر الإمام الفراهي الآية من سورة (عبس ١- ٣)، عبس بمعنى كلح لكراهية أمر، وتولى أي أعرض. قد اتفق المفسرون على مراد الأعمى أنه ابن أم مكتوم، عبر عنه بهذا الوصف للدلالة على ضعفه واحتياجه وعدم اطلاعه على ما كان فيه النبي ﷺ من الشغل وما كان مقتضى الحال. قال الفراهي في بيان إعراب(**وما يدريك لعله يزكى**) مفعول(ما يدريك) محذوف، وأقيم مقامه، لعله يزكى لدلالته عليه بالمقابلة،كما قال تعالى﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[٤٤٢] أي ما يدريك أن الساعة بعيد، فلعلها قريب. كذلك قوله تعالى: في سورة الأحزاب ٦٣ (**وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا**)[٤٤٣]

يستفاد من هذا الفصل بعض من النماذج لآراء الفراهي في إعراب القرآن. قدم الإمام آرائه النحوية في وجوه الإعراب القرآنية بالأدلة الواضحة والبراهين الدامغة. وهو يعد من المفسرين المرموقين للقرآن الكريم بخدماته الجليلة ذات جوانب مختلفة في مجال الدراسات القرآنية. إنه فاق الأقران بتعمقه في القرآن الكريم وتحقيقه في النحو العربي. بدت مهارته اللغوية في حداثة سنه ونضجت باجتهاداته المستمرة لإسهامات قيمة في إعراب القرآن الكريم.

[٤٤١] الفراهي، عبد الحميد، نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، سورة التين، مدرسة الإصلاح، أعظم كره، ص:١١٣

[٤٤٢] الشورى: ١٧

[٤٤٣] الفراهي، عبد الحميد، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية، ج: ٢، ط:٢ ١٤٣٩،ص: ٥٩٢

الباب الخامس

الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية لعبد الحميد الفراهي

الفصل الأول: عبقرية الإمام الفراهي وتجسيد مكونات فكره اللغوي

الفصل الثاني: آثار الإمام الفراهي وآراؤه في علم النحو

الفصل الثالث: الاتجاه اللغوي: عوامله ودوافعه

الفصل الرابع: انعكاسات الاتجاه اللغوي ومناهجه في الدراسات القرآنية

الباب الخامس

الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية لعبد الحميد الفراهي

قد شهد القرن التاسع عشر مولد كوكبة من العلماء والأدباء والكتاب والمفكرين في شبه القارة الهندية. فبفضل جهود هؤلاء العباقرة من العلماء والأدباء والكتاب والمؤلفين الهنود عادت إلى اللغة العربية حيويتها ونضارتها وقوتها ونصاعتها في التعبير والبيان. كان لهم دور فعال في النهضة العلمية والفكرية والأدبية والعربية المعاصرة في ربوع الهند. لاتزال نتائج أعمالهم الجليلة متفاعلة مع مكونات العصر الحديث بعد مدة حياتهم. ومن بين هؤلاء العلماء الأفاضل يحتل العلامة عبد الحميد الفراهي درجة عالية بخدماته الجليلة في العلوم القرآنية وإسهاماته القيمة في المجالات اللغوية والأدبية. هو من الشخصيات الفذة التي رفعت مستوى اللغة العربية إلى قمتها تصنيفا وتأليفا في الهند، بل في العالم العربي كله. يعد الفراهي من أبرز علماء العربية في شبه القارة الهندية لأن له دور ملحوظ لايستهان به في ترويج العلوم العربية والإسلامية وتطوير الأساليب العربية الفصيحة الخالية من التكلف والتصنع. كانت شخصيته ممتازة في أكثر المجالات العلمية والأدبية، قد بدت عبقريته الفذة ومواهبه اللغوية وجدارته العلمية في مختلف العلوم والفنون ومعرفة اللغات والثقافات. أحاول في الباب الخامس لإبراز دور الفراهي الفعال في إثراء اللغة العربية مع إيضاح اتجاهه اللغوي في ضوء الدراسات القرآنية مشيرا إلى خصائصه ومناهجه وطرق تعبيره في الإنشاء والترجمة والبيان.

الفصل الأول : عبقرية الإمام الفراهي وتجسيد مكونات فكره اللغوي

دور الإمام الفراهي في إثراء اللغة العربية

نشأ الإمام الفراهي في عصر كان يسود فيه التقليد والمحاكاة على الإنشاء والترسل. كان هذا التقليد والجمود يتغلب على المسلمين منذ قرون. هذا الأمر قد جعل النثر العربي مثقلة بالتراكيب الصعبة والزخارف اللفظية. كان التكلف والتصنع من أهم عوامل الجمود والركود في مجال الأدب خصوصا في النثر العربي. قد قام الفراهي مقام المعارض لهذا الجمود والركود وهو من ألد الأعداء للتخلف والتعقم . ولذا حاول الإمام لتغيير هذه الحالة بدعوة الناس إلى ترك الجمود وحثهم على التدبر والتفكر والبحث والتحقيق. قد أثبت لأجل تحقيق هذا الهدف صياغة الأصول الجديدة والمناهج البديعة لأكثر العلوم والفنون. تعتبر محاولاته تمهيدا لتغيير مجرى حياة المسلمين بإثبات طريقة حديثة في الإنشاء والكتابة.

لما شاعت أساليب المقامات العويصة في الكتابة العربية تلاشت الروعة والبراعة في الأدب والإنشاء وفسدت الأذواق اللغوية والأدبية بسبب قراءتها إلى مدة طويلة. أصبح أسلوب الحريري العقيم الأجوف هو المرجع الأصلي والمعيار الوحيد للكتابة في اللغة العربية. في تلك الفترة من الزمن بذل العلماء والأدباء والكتاب والمؤلفون جهودهم المتضافرة لكتابة التلخيص والتعليق والشرح والتحشية. ففقد النثر العربي سموه وبهاءه ورونقه وجماله. على إثر ذلك قد غاب الإبداع والإبتكار في مجال الأدب. في هذه الظروف السائدة التي كانت المحاكاة والتقليد غلبت على الإنتاجات الأدبية،قام الفراهي بدوره الرئيسي لتحرير اللغة العربية عن عقال أساليب المقامات العويصة بتحويل النمط الذي كان يعم في الكتابة العربية. إنه إختار لأجل هذا أسلوبا سهلا بسيطا خاليا من التكلف والتصنع والتعقيد والتسجيع. يقول الأستاذ الدكتور محمد راشد الندوي عن إسهامات الفراهي :

"الأستاذ الفراهي إختار اللغة العربية لغة الكتابة لجميع آثاره الأدبية والعلمية. فهو بهذا العمل الجليل قد أضاف ثروة فكرية وثقافية ولغوية إلى اللغة العربية وبخاصة في زمن كانت اللغة العربية في حاجة إلى مثل هذه الآثار العلمية والأدبية،لأن الكتب والمؤلفات والأبحاث التي كانت تكتب فيها إلى عصره،كلها كانت سقيمة الأسلوب عقيمة الفكر وكانت شرحا أو تلخيصا للكتب العربية القديمة التي ألفت في عصور ضعف فيها مستوى اللغة والفن والثقافة "[٤٤٤]

كان عبد الحميد الفراهي محبا اللغة العربية بكل فضلها ومجدها وإختار لغة الضاد كوسيلة التعبير عن الأراء والأفكار. أخد الإمام اليراع بيده لإصلاح المساوئ المتفشية في داخل الأمة الإسلامية بأجمعها. لما أقبل الفراهي على الكتابة في هذه اللغة ألح عليه أستاذه شبلي النعماني أن يكتب كل شيء في لغة الأم. ولكنه إختار لغة الضاد لتأليفه لأنه كان يرجوا بقاء لعلومه في جميع أقطار العالم الإسلامي لينتفع به علماء الأمة الإسلامية المنتشرين في العالم كله. لما علم العلامة شبلي النعماني بأن الفراهي لا يحب الكتابة إلا بالعربية كتب إليه قائلا "علمت بأنك كتبت شيئا باللغة العربية هل تفعل هذه الأعمال غير المجدية وتعجب نفسك للكتابة العربية أتريد أن ينشأ حريرى آخر؟ وما الفائدة منه ؟هل يحتاج المسلمون اليوم إلى الحريرى وإمرئ القيس."لكن ما لبث الأستاذ شبلي النعماني أن يغير موقفه في هذا الشأن،بعد أن يفهم غاية العلامة الفراهي بكتابته في اللغة العربية. أعجب الأستاذ بآثاره العلمية واللغوية والأدبية التي ألفت في اللغة العربية.

[٤٤٤] الندوي، الدكتور محمد راشد، مقالة كتبها بعنوان" مساهامات الفراهي لترويج اللغة العربية وآدابها"، مجلة الضياء، لكنؤ، م: ٤، ص: ٨٩

وهو يثنى في الرسالة على قدرة بيانه وقوة تعبيره قائلا "رأيت "نظام القرآن" من أوله إلى آخره لايمكن الكلام في حسن تعبيره وأسلوب بيانه "[٤٤٥]

يرى الفراهي أن القرآن الكريم محور الفكرة والتدبر عن العلوم والفنون. تأثر الإمام بكلام الله عز وجل واهتم باللغة والأدب وسيلة لفهم القرآن الكريم والتدبر في آياته وإدراك معانيه السامية والتذوق ببلاغته وفصاحته. قضى الإمام معظم مدة حياته لتدبر القرآن الكريم وتصنيف الكتب التي يتناول الموضاعات القرآنية. إنه أتم حوالي أربعين كتابا مطبوعا وغير مطبوعا بالعربية.

العوامل المختلفة في تجسيد مكونات فكر الفراهي اللغوي

إن اللغة العربية لغة الدين والعبادة عند المسلمين. فالمسلم يجب عليه الإتقان في اللغة العربية لفهم الدين من المصادر التشريعية الأساسية،كما يجب الاعتماد على الأصول اللغوية من الأولويات للتأويل والتفسير. يتقن ناطق اللغة ومستخدمها في بناء التفكير اللغوي على جملة من الممارسات والتصورات. أثبت الإمام الفراهي شخصيته بسلوكه اللغوي القويم، وساعدته في ذلك طبيعة البيئة والمجتمع الذي تحمل ثقافة ولسان يختلف عن اللغة العربية. كانت مقومات الفكر اللغوي والمشكلات التي انطلق منها الإمام الفراهي متنوعة. إنه بذل جهودا جادة لفهم الدرس اللغوي عن طريق الممارسات المتفاعلة في تلقى اللغة بشكلها ومضمونها. قد أثرت العوامل المختلفة في تشكيل شخصيته اللغوية و تجسيد مكونات فكره اللغوي. أوضحها هنا موجزا كما يلي:

التعلم والتدريس: ساهم تعلم اللغة العربية وتدريسها في تقوية المهارات اللغوية وتنشيط الفكر اللغوي في حياة الإمام الفراهي . فتحت له أبواب الفرص للفهم الواعي والتطبيق المتفاعل في حقول الدرس اللغوي ومضامينه من شتى العلوم والمعارف والفنون والآداب. كانت بداية تعلم اللغة العربية في حياة الفراهي وهو في أربع عشرة سنة، فانتقل من قريته إلى مدينة (أعظم كره) ليتلقى مبادئ اللغة من ابن عمته العلامة شبلي النعماني (ت١٣٣٢هـ) الذي كان أكبر منه بست سنين. بعد اتمام دراسته سنحت له فرصة ليتولى مناصب عدة تعليمية وإدارية. فعين سنة (١٣١٤هـ) مدرسا للعربية والفارسية بمدرسة الإسلام في مدينة كراتشي، قضى فيها مدرسا أكثر من تسع سنوات. ثم إنه سلك في وظيفة الأستاذ المساعد للعربية في كلية عليكره عام (١٣٢٤هـ). كان أستاذ العربية فيها حينذاك المستشرق الألماني (جوزف هوروفيتس) الذي كان مشهورا بنشر الجزئين الأولين من طبقات ابن سعد وصاحب كتاب (المغازي الأولى ومؤلفوها). فانتهز الفراهي فرصة

[٤٤٥] رسائل شبلي النعماني، دار المصنفين، ١٩٢٧م، ج:٢، ص:٣٨

مصاحبته في كلية عليكره ليدرس منه اللغة العبرانية،كما أخذ منه المستشرق العربية. بعد سنتين عين أستاذا للعربية بجامعة إله آباد سنة(١٣٢٦ه) . قام الفراهي بتدريس هناك نحو ست سنوات، ثم أختير عضو في اللجنة العربية للعلوم الشرقية. كان الفراهي عبقريا فذا وماهرا في اللغة العربية ،بدت مهارته في التدريس والتأليف. ولذا اقترح اسمه للتدريس في جامعة عالمية في المدينة المنورة مع الأستاذ الجليل العلامة شبلي النعماني. ثم إنه تولى المسؤولية الإدارية لكلية شرقية التي كانت تسمى دار العلوم. لما اختارته الحكومة حيدر آباد الدكن عميدا لدار العلوم، فغادر إليها سنة(١٣٣٢ه) منتدبا من قبل حكومة ولايته، فقضى فيها مدرسا للطلاب الذين يدرسون في الصفوف العليا في الكلية. إنه قام بدور فعال لتأسيس الجامعة العثمانية بحيدر آباد،وهو الذي اقترح أن يكون تدريس العلوم الشرعية فيها في اللغة العربية والعلوم العصرية باللغة الأردية. فوافقوا على الجزء الثاني ولكن لم يوافقوا على الجزء الأول من اقتراحه. فهذه الأعمال الميدانية والنشاطات التعليمية قد مهدت طريقا في تشكيل المقومات اللغوية عند الفراهي.

الرحلات العلمية: شكلت الرحلات التي قام بها الفراهي لأجل تحصيل العلوم شخصية ذات رغبة في العلوم اللغوية. يقول صاحب كتاب نزهة الخواطر" إنه اشتغل بالعلم مقيما عند المولوي محمد مهدي والعلامة شبلي النعماني، ثم سافر إلى (لكناؤ)، ثم انتقل إلى لاهور ليتلقى دروس الأدب من العلامة فيض الحسن السهارنبوري. بعد ذلك قضى وقته لتعلم الإنكليزية وحصل على درجة الفضيلة في العلوم الغربية أيضا مع درجة علمية ممتازة في الفلسفة الحديثة. ثم سنحت له فرصة للتدريس بمدرسة الإسلام بكراتشي ، ثم في الكلية المحمدية إله آباد، ثم سافر إلى حيدر آباد وتصدر بدار العلوم وأقام بها مدة من الزمان.[٤٤٦] . اشتغل الفراهي بطلب العلم وتحصيل اللغة والمعرفة مسافرا من بلد إلى بلد آخر، وقضى أوقاته الغالية في منصب المعلم في شتى المعاهد التعليمية وهو مر بعدة مراحل الرحلات. قد كونت مدة الرحلات العلمية في شخصية الفراهي مقومات لغوية، ولذا بذل جهودا عظيمة لنشر العلوم اللغوية في شتى البقاع التي حل بها.

الحلقات العلمية: كان الفراهي مولعا بالتعلم والتعليم، ومشاركا في الحلقات العلمية. جرت في الحلقات العلمية كثيرا من المناقشات والتحليلات في حقول المعرفة اللغوية. تداول العلماء الكبار المسائل الدينية وتناقلوها بين الشيوخ والتلاميذ. قد أثرت المشاركة الحية في هذه الحلقات تأثيرا كبيرا في تشكيل الفكر اللغوي عند الفراهي. قد جرت حلقة أسبوعية في حيدرآباد لتفسير القرآن الكريم تحت رئاسة عبد الحميد الفراهي. شاركت زمرة من العلماء والباحثين في هذه الحلقة بطرح الأسئلة، فيجيب الأستاذ الفراهي عنها. كذلك قد ألقى دروس اللغة العربية في كراتشي وعليكره وإله آباد وحيدرآباد، ثم إنه شارك في الجلسات

[٤٤٦] الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، دار ابن حزم، م:٨، ص: ١٢٦٧

العلمية في ندوة العلماء والجامعة الملية الإسلامية ومدرسة الإصلاح وحيدرآباد. قد استفاد عدد كبير من العلماء والباحثين والطلاب في الصفوف العليا من محاضرات الفراهي حول تفسير القرآن الكريم وغيره .إنهم تأثروا بأفكاره اللغوية تأثرا كبيرا في كتاباتهم. وهنا جدير بالذكر ما قال العلامة أبو الكلام آزاد (ت١٣٧٧هـ)، والعلامة السيد سليمان الندوي (ت١٣٧٣هـ)، والشيخ مناظر أحسن الكيلاني (ت ١٣٧٥هـ)، والأستاذ عبد الله العمادي (ت ١٣٦٦هـ) والأستاذ عبد الماجد الدريابادي (ت ١٣٩٧هـ)، مقرين استفادتهم منه. هم حملوا لواء فكره اللغوي، وقاموا بنشره حتى في آخر حياته في مدرسة الإصلاح، ولاسيما صاحباه الشيخ أختر أحسن الإصلاحي (١٣٧٨-١٣٢٠هـ) والشيخ أمين أحسن الإصلاحي (ت ١٤١٨هـ) . فهذه الحلقات العلمية جعلت تحي روح الفكر اللغوي وممارساته التطبيقية في شتى مجالات المعرفة . خصوصا ما قام بخدمات جليلة في نشر علوم القرآن من خلال اللغة العربية وممارساتها.

الأعمال التأسيسية: كانت نشاطاته العلمية بتأسيس المعاهد التعليمية وادارتها ساهمت في تنمية الفكر اللغوي من خلال التطبيق المتفاعل والممارسة اللغوية الحية. تم نشر أفكاره وأطروحاته ورسائله اللغوية بين جمهور المسلمين في الهند عن طريق الأعمال التعليمية. بعد رجوعه من حيدر آباد تولى مسؤولية إدارة مدرسة إصلاح المسلمين التي أسست في بلدة سراي مير تحت رئاسة جمعية إصلاح المسلمين. كانت هذه الجمعية في منطقة أعظم كره تعمل لإصلاح عقائد المسلمين وإزالة البدع المنتشرة ورفض المنازعات والخصومات بين المسلمين، ثم تم تأسيس الجمعية لتخريج العلماء والدعاة الذين يحملون رسالته وينشرون أفكاره. أكبر مقاصد تأسيسها تحسين طريقة تعليم العربية والتخصص في علوم القرآن. تولى الفراهي إشراف على هذه المدرسة وهو في حيدرآباد، فلما عاد إلى مسقط رأسه، عمل مدير المدرسة. فرسم لها منهاجا دراسيا فريدا متميزا يختلف عن مناهج المدارس الدينية الأخرى في نظامها ومقرراتها الدراسية، وطريقة التدريس فيها. قضى وقتا كثيرا وجهدا جادا في السنوات الخمس الأخيرة من عمره لخدمة هذه المدرسة مقيما ثلاثة أياما من كل أسبوع في المدرسة. لما انتقل العلامة شبلي النعماني إلى رحمة الله تعالى سنة (١٣٢٢هـ) واجتمع تلامذته لإنشاء مؤسسة دار المصنفين في مدينة أعظم كره بهدف نشر أفكار الأستاذ. اختاروا الإمام الفراهي رحمه الله رئيسا لها والعلامة سليمان الندوي مديرا. ساعدت هذه النشاطات التأسيسية والأعمال الإدارية على نشر الأطروحات اللغوية ومقتضياتها التخصصية في علوم اللسان العربي وما يتعلق به من العلوم والمعارف. خلاصة القول أن الجهود الدؤوبة التي بذلها الإمام الفراهي في سبيل إتقان اللغات والتمكن في أصولها في شتى مضامين والمحاور العلمية، قامت بدور كبير في التلقي والإنتاج اللغوي. ولذا تمكن له أن يتعلم اللغة باكتساب مهاراتها والإ بداع في شتى حقوله الثقافية.

الفصل الثاني: آثار الإمام الفراهي وآراؤه في علم النحو

آثاره العلمية في النحو

قامت شخصيات فاضلة في كل عهد بدور فعال لاحياء العلوم والفنون. نفخوا هؤلآء العلماء الكبار الروح فيها وتركوا مآثر قيمة في مجال التفسير والحديث واللغة والادب والفقه والطب والحساب . تعتبر اللغة أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة. ترتبط اللغة بالفكرة الإنسانية وهي تصاغ في قالب لغوي. ولذا تعتبر الدراسات اللغوية والعلوم النحوية مدخلا إلى العلوم الأخرى.

نبغ عدد كبير من الرجال في مجال اللغة والنحو وقاموا بمساهمات جليلة في تعليم اللغة. لا يمكن أحد أن ينسى اسم سيبويه وهو الذي صنف كتابا منفردا في هذا الموضوع سماه "الكتاب". إن علماء اللغة بحثوا عن أصول اللغة وأساليبها وتراكيبها حتى جاء الأستاذ جار الله الزمخشري من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب وهو الذي ألف في اللغة "أساس البلاغة" وفي النحو "المفصل في صنعة الإعراب" وهو كتاب شامل على أصول نحوية مختلفة.

لم تكن اللغة العربية معروفة بقواعد النحو والصرف، بل كانت لغة محكية مرتبطة بسليقة أهل الجزيرة العربية. وهى ترتبط بفطرتهم ارتباطا وبها تكتسب اللغة العربية أهميتها البالغة من أنها لغة القرآن الكريم وهى لغة أكثر من ثلاث وعشرين دولة في العالم . لما اتسعت رقعة البلاد الاسلامية، قادت الفتوحات وكثرت المراسلات فأصبحت الحاجة ملحة ليحفظ قواعد اللغة العربية حفاظا عليها ممن يداخلها. لما كثرت الشوائب التي تخالطها، مهدت طريقا ليتفكر عن وسائل محافظة اللغة من كل أخطاء وزلل. معظم النحاة القدامى اعتمدوا على الأصول ليتعلم قواعد اللغة صرفا عن الأمثلة التي نحتاج إليها. بينما كان ذلك شائعا توجد شخصية بارزة متبحرة في لغات شتى. كانت لها اليد الطولى في النحو العربي. وهو الذي حاول لتجديد الفن وأضاف إلى علم اللغة إضافة مهمة بمؤلفات قيمة . يمكن أن يقول بدون شك وهو العلامة عبد الحميد الفراهي رحمه الله. أحاول هنا لتعبير عن آرائه المتميزة في دراسة اللغة العربية وتعليم قواعدها النحوية.

خلف الإمام الفراهي آثارا علمية عديدة في مختلف مجالات العلم والأدب والفن. تستحق أن تلاحظ مساهاماته في مجال علم النحو. ترك الإمام في هذا المجال ثلاث رسائل "أسباق النحو"جزآن ورسالة منظومة باسم "تحفة الإعراب" ألفتا هاتان الرسالتان في اللغة الأردوية وله أيضا آثار غير مطبوعة في ذلك

منها "الدر النضيد في النحو الجديد" "ومسائل النحو" كل هذه الكتب والرسائل تبدي آراءه البديعة بالإشارة إلى بداية العهد الجديد في عالم النحو العربي.

دعا الإمام الفراهي إلى نقطة هامة للتفكير في النحو العربي. لاشك أنها جديرة بالبحث والتحقيق لكل من يتمنى أن يعرف عجائب لغة الوحي الرباني. عبر الفراهي عن نظريته الخاصة في مؤلفاته وهو ألا يجعل للإعراب عوامل. إنه يرى الأفعال مبنية غير معربة. قد خالف الإمام النحويين القدامى اللذين سلكوا مسلكا فيه صعوبة وتعقيد لفهم اللغة. يذكر الإمام اختلافه في الرسالة المنظومة ."هذه رسالة(تحفة الإعراب) انا وجدناها سهلا ليحفظها الطلاب المبتدؤن. إن ما سلكه القدماء وإختاروه سبيلا إلى أفهام الطالبين هو صعب جدا وكثيرا ما ترى أن من يسلكه يتعب ويصبه اللغوب لأن ذلك السبيل مظلم والمقام المراد بعيد جدا ومع ذلك لا بد لكل قوم من زلة وركلة فقد عرفنا الإعراب تعريفا جديدا ورتبنا هذا الفن ترتيبا حديثا فقد صارت الأفعال متخلصة من الإعراب والعوامل مجلوة عن البلاد فصار الفن غير صعب والطريق سهلا قصيرا"[٤٤٧]

إن الإنسان يعرف شيئا بالتمثيل لا بالتعريف المنطقي. فالرجوع إلى الإعتماد على قواعد اللغة صرفا عن الأمثلة فتكون دراسة اللغة حملا ثقيلا على من يطلب أسرار اللغة وعجائبها. تستعمل قواعد اللغة لأجل تيسير فهم الكلام وتبليغ معانيه بكل دقة وصحة. لكن إذا وضعت بدون اعتماد الأمثلة، تجعل فيه تعقيدا لفظيا ومعنويا. لذا أرشد الفراهي إلى تعليم اللغة بالرجوع إلى الأمثلة أكثر من القواعد النحوية.

آراءه البديعة في علم النحو

حاول الإمام الفراهي لتطوير هذا الفن كما طور الفنون الأخرى من التفسير والحديث والفقه. ألف الإمام الكتب الكثيرة والرسائل العديدة في هذا الفن ،منها "أسباق النحو" و"تحفة الإعراب" و"النحو الجديد" و"مسائل النحو". هذه كلها تحتوي على آرائه البديعة وأفكاره الجديدة في النحو والصرف وتختلف عما تحويه رسائل العلماء الآخرين من داخل الهند وخارجها. وهو الذي اهتم بالعربية وآدابها وفنونها اهتماما كبيرا . تعتبر مجهوداته المكثفة في هذا المجال محمودة و مساعدة على تطوير علوم اللغة وفنونها. وهى تضيئ إلى طريقة بديعة سهلة لتعليم اللغة وتطبيق علومها وفنونها. أفصل بعضا منها بالتلخيص.

[٤٤٧] االفراهي، عبد الحميد، تحفة الإعراب، مطبعة الدائرة الحميدية، سرائ مير، ١٣٧٥هـ، ط:٣، ص: ٥

١) نفي العوامل

يتبين من أقوال الفراهي أن سبب الإعراب في تبديل الأحوال فقط. يؤكد على هذا الرأي يبدي في قوله"إن تبدل الأحوال لهو تبدل المنازل. فافهم تبدل المنازل نعلم تبدل الأحوال"حينما يركب الجمل بالأسماء يكون ثلاث منازل. الأولى: جزء ضروري، الثاني : جزء زائد، الثالث: جزء زائد ومحتاج إلى وسيلة. مثلا "زيد ذاهب".هناك زيد وذاهب جزآن ضروريان . فان فقد أحدهما فلا يتم الكلام والثانية، حينما كان جزءا زائدا لكن بلا احتياج إلى وسيلة مثلا "زيد ذاهب غدا. والثالثة، حينما كان جزءا زائدا ومحتاجا إلى وسيلة مثلا "زيد ذاهب إلى المدرسة". فهناك زيدت كلمة "المدرسة".تحتمل هذه المنازل على ترتيب الرفع والنصب والجر فيقال هذا الإسم مرفوعا ومنصوبا ومجرورا. وبالجملة أن الإسم من حيث تركيبه على ثلاثة أحوال. الرفع والنصب والجر. فقد وجدت أن في آخر المرفوع وفي آخر المنصوب وفي آخر المجرور فكأن هذه التبدلات أعلام للأحوال وعلامات لها."[٤٤٨]

يشير الفراهي إلى أدوات الإشارة بدون أن يذكر عن عواملها ويقول: "أدوات الإشارة هي : هذا، هذه، ذلك، تلك المثنى هذان،ذانك، تانك، والجمع هؤلاء وأولئك .يذكر أمثلة لها. هذا القلم نفيس،هذه الدواة رديئة. تلك البنت صالحة. ذانك الرجلان مسافران. هؤلاء قوم زيد. أولئك أصحاب عمرو.

٢) عدم إعراب الأفعال

قد ناقش الفراهي عن الأفعال وأثبت رأيه أنها لا تتبدل أحوالها. الأفعال ترجع إلى أصل واحد. وهو يقول:"إن الفعل لو كان معروفا أو مجهولا لابد أن يكون تارة غائبا وأخرى حاضرا وتارة متكلما وأخرى مثنى وتارة جمعا. وهكذا تارة مذكرا وأخرى مؤنثا . فإن تبدل الشيء يسبب تبدلا خفيفا في أشكال الفعل وهذا هو المسمى بالصرف. [٤٤٩]

٣)العناية بالأمثلة

كان القدماء من العلماء اللغويين مائلين إلى التعاريف المنطقية، ولا يعتمدون على الأمثلة حق الاعتماد في الدراسة اللغوية. بالنسبة إلى الطالب المبتدئ يمكن أن يدرس القواعد اللغوية سهلا عن طريق الأمثلة. ولذا يرجح الفراهي هذه الطريقة لتيسير الفهم . يبحث الفراهي عن المسند والمسند إليه فهو يأتى بالأمثلة ولا

[٤٤٨] المصدر نفسه ، ص: ١٢-١٣

[٤٤٩] الفراهي، عبد الحميد، أسباق النحو، الدائرة الحميدية، ١٣٥٧هـ، ط: ٢، ص: ١١

يذكر التعريف. "سالم عاقل ونسيم غافل. الإنسان حاكم والحيوان محكوم."وكذلك يذكر الحال"الأطفال في المدرسة قارئين وكاتبين.الناس ذاهبون سريعين"خالد ورشيد نائمان ساكتين.[٤٥٠]

٤) الموصولات العامة

يذكر الإمام الفراهي الأمثلة تحت عنوان "الموصولات العامة" كما في الآية "هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم. يذهب الفراهي إلى أن "يوم" وأمثال ذلك غير مضاف إلى الجملة بل هو إسم الموصول وأما الذي يأتى من بعده فهو صلة. أما القدماء من العلماء ذهبوا إلى أن" يوم" وأمثاله يأتي بعد الفعل مضاف إليه. يذكر الفراهي الأمثلة الأخرى تحت عنوان"الموصولات العامة " كلمة "حيث" في الجملة "الكتاب جليسك حيث لا جليس لك".كلمة "غدا" في الجملة". أنا مسافر غدا إذ الناس ذاهبون للحج. [٤٥١]

قد تحدث الفراهي عن المقياس الخاص لكل كلمة عربية. تصاغ كل كلمة من الحروف الأصلية يقال لهذه "المادة".لكن في بعض الأحيان يلتحق بها بعض الحروف الزوائد فتصير الكلمة صورة جديدة. يقال لها الوزن تلك الكلمة. هكذا وضع الإمام لكل كلمة وزنا خاصا، وهو "ف ع ل". يشرح عنه في قوله."إن لكل كلمة حروفا أصلية يقال لها "مادة" تلك الكلمة. لما تقبل هذه الكلمة الحركة أو في بعض الأحيان يلتحق بها حروف زائدة فهي تصير صورة جديدة يقال لها وزن تلك الكلمة ككلمة "الكتاب" ومادتها "ك ت ب"ووزنها "فعال"فلبيانه خصصنا "ف ع ل" والأحرف الأصلية ثلاثة غالبا فنضع "ف ع ل" في موضعها ولا نتعرض الحركات والحروف الزائدة[٤٥٢]

يمكن أن يدرك الكلمات من أصولها التي وضعت مقياسا خاصا في علم الاشتقاق وهي من المادة والوزن. لاشك أنها تيسير لفهم مراد الكلام من أصول لغوية بدون صعوبة والتباس.

٥)استعمالات الأفعال

يقول الفراهي تحت عنوان "استعمالات الأفعال "إنه تأتي قبل الفعل الماضي هكذا قبل كل فعل كما يظهر من التفصيل الذي ذكر من بعد، أحرف لا يتبدل بها شكل الماضي وتوجد هناك تبدلات معنوية.[٤٥٣]

[٤٥٠] المصدر نفسه،ص: ٢١

[٤٥١] المصدر نفسه،ص: ٣٩

[٤٥٢] المصدر نفسه،ص: ٥٨

[٤٥٣] المصدر نفسه،ص: ١٥

خلاصة القول أن الإمام الفراهي قدم الأفكار الجديدة والآراء البديعة في النحو العربي، وهي تخالف لآراء النحويين القدماء مع أنها موافقة بالعقل وسهلة للعمل بها. يمكن أن يقول بكل صراحة أن الفراهي هو الذي طور علم النحو بمحاولات محمودة التي تعتبر مفخرة لنا ولجميع من يحب اللغة المباركة. قد انتقل هذا العبقري الفذ إلى ذمة الله تاركا لمن خلفه الثروة العلمية النافعة التي تفتح أمامنا مجال البحث المزيد والتحقيق الكثير في علم النحو والصرف.

آراء الإمام الفراهي في تفسير بعض الحروف والألفاظ

اللغة العربية هي لغة حية، لا تزال تختفي في طبيعتها عجائب كثيرة وأسرار جمة. لا تتجلى هذه الخفايا إلا لمن تعمق فيها بكل جد وإخلاص.كان الإمام الفراهي مقبلا على التأمل والتدبر في الآيات القرآنية، واعتمد على كلام العرب لدراسة المفردات القرآنية على أدق وجه. ولذا تمكن الفراهي أن يصل إلى نتائج مهمة بإشارة إلى آرائه في الدراسات الصرفية. تعتبر هذه الآراء نظرات جديدة في تفسير بعض الحروف والألفاظ.

١- الفرق بين قاتل، و اقتتل:

فعل (قاتل) ثلاثي مزيد بحرف، يستعمل للدلالة على معان كثيرة، أهم منها: المشاركة. قال سيبويه: "اعلم أنك إذا قلت : فاعلته، فقد كان من غيرك إليك،مثل ما كان منك إليه، حين قلت: فاعلته، ومثل ذلك: ضاربته، فارقته، وكارمته، وعازرني وعازرته، وخاصمني وخاصمته".[٤٥٤]

أما (اقتتل) هو فعل ثلاثي مزيد بحرفين، يستعمل للدلالة على عدة معان، أهم منها : التفاعل، وهو التشارك، نحو: اعتوروا أي: تناوبوا، واجتوروا، أي: تجاوروا.

يتضح من كتب الصرف هذه المعان لكلا الفعلين.[٤٥٥]

يرى الإمام الفراهي فرقا واضحا بين دلالة كل من :(قاتل) و(اقتتل)، كلاهما يدل على المشاركة، لكن الأول (قاتل) يراد به بين المخالفين، والثاني (اقتتل) بين رجال قوم واحد، كما وردت الكلمة في الآية "﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُو﴾"[٤٥٦]، وكذلك في سورة الحجرات ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا

[٤٥٤] سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارجي، الكتاب مكنتبة الخانجي القاهرة،ط ٣، ١٤٠٨هـ ص: ٢٣٨

[٤٥٥]، علي أكبربن علي إله آبادى، شرح الأصول الأكبرية، دار طهران طبع حجر، ص ٢٥٦

[٤٥٦] سورة البقرة: ٢٥٣

عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[٤٥٧] يقول الفراهي " فانظر أتى- أولا- بكلمة : اقتتلوا، فإذا لم يقبل الإصلاح وتمادى في بغيه جاء بكلمة : قاتلوا".[٤٥٨]

يدل غير واحد من الأحاديث على هذا المعنى، أي تخصيص (اقتتل) برجال قوم واحد، منها :حديث بن عمرو الكندي أنه قال لرسول الله ﷺ " رأيت إن لقيت رجلا من الكفار فاقتتلنا،فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله،أأقتله- يا رسول الله- بعد أن قالها؟ فقال رسول الله ﷺ لا تقتله".[٤٥٩]

ومنه حديث سهل بن سعد الساعدي: "أن رسول الله ﷺ - التقى هو والمشركون،فاقتلوا".[٤٦٠]

٢- معاني الحروف المقطعات:

الحروف المقطعة هي حروف تبتدأ بها بعض سور القرآن الكريم، تعد من الافتتاحيات الرائعة، التي يصدر بها الكلام. الحرف معناه أصليا في اللغة : الطرف والجانب' وبهذا المعنى سمي الحرف من حروف الهجاء. والمقطعة: هي إبانة بعض أجزاء الجرم من بعض فصلا. أما المعنى الإصطلاحي، هي حروف من حروف الهجاء ذكرها القرآن في مطلع بعض السور. إن في القرآن الكريم تسع وعشرون سورة ، تبدأ بحروف الهجاء المقطعة، تتكون من حرف واحد أو حرفان ، أو ثلاثة أحرف،أو أربعة أحرف، أو خمسة أحرف. قد أتت جميع فواتح السور في القرآن الكريم على أحسن الابتداء، وهي أبلغ الوجوه بأعذب لفظ وأجزل نطق وأحسن نظم وأكمل سبك، كالتحميدات، وحروف الهجاء، والنداء، وغير ذلك. قد اختلف العلماء والمفسرون في معنى الحروف المقطعة على أقوال كثيرة.أهمها ما يلي:

الأول: هي من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، وهي سر الله، ولذا الخلق عاجز أن يتكلم فيه.

الثاني: إن المراد من الحروف المقطعة معلوم . فينبغي أن يلتمس أسرارها بالتدبر. وقد استدل أصحاب هذا الرأي بالآيات التي تحث على التدبر والتأمل في معاني الآيات القرآنية.

الثالث: إن الحروف المقطعات قسم أقسم الله بها.

---

[٤٥٧] حجرات:٩

[٤٥٨] الفراهي، عبد الحميد، مفردات القرآن، الدائرة الحميدية، ١٣٥٨هـ، ص ٣٠٣-٣٠٤

[٤٥٩] أخرجه البخاري في صحيحه،٨٥/٥، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى:و"من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم" برقم: ٤٠١٩

[٤٦٠] أخرجه مسلم في صحيحه، ١٠٦/١، باب تحريم قتل الإنسان نفسه، برقم:١١٢

الرابع: إنها صفة من صفات الله تعالى، فإن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه سبحانه وتعالى.

الخامس: هي أسماء السور تعرف كل سورة بما افتتحت به .

هناك آراء مختلفة عن معاني الحروف المقطعة. لقد كتبت عدة مؤلفات حول الحروف المقطعة، ككتاب الحروف المقطعة في القرآن بقلم عبد الجبارشرارة، وأوائل السور في القرآن الكريم بقلم علي ناصوح طاهر. وبالرغم من ذلك لا يمكن إيضاح معناها قطعيا لعدم وجود نص يوضح مراد هذه الحروف المقطعة في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة. وإذا تعد من نوع المتشابه.

أما الإمام الفراهي يوجب أن يتكلم فيها ملتمسا فوائدها ليتوصل إلى معنى، لم يسبق إليه أحد من العلماء في القارة الهندية أو غيرها. ولذا يبدي نظرات جديدة في مراد حروف المقطعات. وهو يقول أن العرب هم الذين يعمدون إلى ما يناسب المسمى في وضع لشيئ اسما جديدا. هذا ما يوضح فيما لقب به بعض الرجال، كالملك الضليل، والمرقش، وتأبط شرا. لكل اسم علامة يصلح للإسمية. ولذا يقال أن الإسم من الوسم. وعلى هذا الأساس تعتبر أسماء بعض السور، مثل الروم،والنمل،والبقرة، والعنكبوت. وبهذا السبب يؤكد الفراهي على أن تكون الحروف المقطعات ذوات معان. كل هذه الحروف المقطعات أسماء للسور. إن أسماء الحروف في لسان العرب أسماء للأشياء وتماثيل لها. أما توجد أسماء الحروف أسماءً للأصوات المجردة في اللغات الهندية والإنكليزية. مثلا (الألف) فإنها اسم البقرة، وكانت على صورة رأس البقرة، والباء فإنها تسمى بالعبرانية: بيت: أي البيت، والجيم فاسمها بالعبرانية" جيمل" أي الجمل. من الحقائق التاريخية التي لا غبار عليها أن حروف في اللغة العربية هذبت من العبرانية، وهي التي أخذت من حروف العرب القديمة. في ضوء هذه الحقائق التاريخية يدل القرآن على السر بما قد سمى سورة بحرف. مثلا حرف "ن" يدل معنى على الحوت، والسورة المسماة بها لأن فيها تذكر قصة يونس ﷺ، لا يوجد غيره من الأنبياء، فوصف الله تعالى يونس ﷺ بصاحب الحوت مشيرا للمتوسم إلى وجه التسمية. فلا شك أن هذه السورة سميت بحرف النون لأجل معنى هذا الحرف. كذلك حرف "ط" صورتها في العبرانية معناها الحية. هنا جدير بالذكر السورة المسماة ب(طه) فيه بداية بعد التمهيد بقصة موسى ﷺ الذي يذكر عصاه وانقلابها حية . هكذا توجد السور الأخرى التي سماها الله تعالى بأسماء تبتدئ بالطاء مثل "طسم"، وطس" فيه بداية قصة موسى ﷺ وقلب عصاه حية.

يقول الفراهي عن معنى (الآمّ) من الحروف المقطعة. "(الآمّ) صورة رأس البقرة، وكانت هذه الحروف عندهم دالة على الإله الواحد، ولم نجد السور،التي تبتدئ أسماؤها بالألف إلا ومن أعظم مطالبها الإيمان بالله

الواحد، ولكن التوحيد أغلب تعليم القرآن الكريم، فهذا ليس مما يستدل به، وقصاراه أنه لا يخالف ما اطلعنا عليه، وإني لا أدعي المعرفة بجميع معاني الحروف، ولكن العلم القليل، الذي حصل لنا يؤيد ما استدلنا عليه من القرآن، وهذا القدر يكفي لمن مزيد العلم، ووجد لنفسه فرصة ونشاطا، للخوض في هذه الغمرة، وفوق كل ذي علم عليم"[٤٦١]

٣-تفسير"لعل" في الآيات

اختلفت آراء المفسرين في معنى "لعل".قال الله تعالى "﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾"[٤٦٢]. قال الطبري في تفسيره معنى ذلك : اعبدوا ربكم، الذي خلقكم والذين من قبلكم، لتتقوه بطاعته وتوحيده وإفراده بالربوبية والعبادة"[٤٦٣] هنا يراد بمعنى التعليل. هذا هو الرأي الأول. أما الرأي الثاني : بمعنى الترجي والإطماع .أما الفراهي، قال في تفسير (لعل) في الآية: "اعلم أن لعل تستعمل في وجوه، منها: أنها تأتي لبيان النتيجة الممكنة، أي: لكي تتقوا"[٤٦٤]

كتاب" أسباق النحو":دراسة تحليلية

قد اعتكف الإمام على الدراسات القرآنية وجعل القرآن المحور الرئيسي لجميع أعماله العلمية والأدبية والدينية. إنقطع الفراهي إلى تأليف الكتب مع عمق فكره ودقة بصره على القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى وقدرته الفائقة على الأدب العربي من النثر والشعر والبلاغة والنقد. قد توافرت في المؤلف صفات تؤهله للقيام بهذا العمل الجليل ثروة لأجيال القادمة، كما أنه نشأ على الاطلاع الواسع والبحث الدقيق في علوم القرآن طوال حياته، حيث وفقه الله توفيقا لتصنيف الكتب بلغ مجموعها ٥١ مطبوعة ومخطوطة. ومن بينها كتاب "أسباق النحو" و"تحفة الإعراب"،هذان الكتابان يحتلان مكانا مرموقا. يحسن أن يقف قليلا عند هذين الكتابين ليبحث عن آراء الفراهي المبتكرة في علم النحو والصرف. مما لا يخفي على أحد الذي يقرأ كتابه "أسباق النحو" أنه يساعد الدارسين المبتدئين على تعلم اللغة وتذوقها مع كل بساطة وسهولة. أريد هنا أن أقوم بالدراسة التحليلية حول محتويات هذا الكتاب على وجه الاختصار.

[٤٦١] الفراهي، عبد الحميد، مفردات القرآن، (نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية)، الدائرة الحميدية، ١٣٥٨، ص: ١١٨-١٢١

[٤٦٢] سورة البقرة:٢١

[٤٦٣] ابن جرير ، أبو جعفر ، محمد جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تفسير الطبري، دار التربية والتراث، ط:١، ص: ٣٦٥

[٤٦٤] الفراهي، عبد الحميد، مفردات القرآن، الدائرة الحميدية، ١٣٥٨هـ، ص ٢٣٨، حاشية:١

سبب تأليف الكتاب

لما قضى الفراهي معظم مدة حياته في تدريس اللغة العربية وآدابها ، فواجه عدة مشاكل في تعليم قواعدها النحوية والصرفية. فشعر بحاجة ماسة إلى كتاب مفيد على منهج جديد في علم النحو لكي يدرس الدارسون المبتدئون بسهولة ووضوح. قد رتب الفراهي الموضوعات في هذا الكتاب ليفهم الدارسون أصول النحو والصرف ومبادئهما مع الأمثلة. أراد الإمام بتأليف هذا الكتاب أن يجعل الدارسين قادرين على الكتابة والقراءة بدون أخطاء في وقت قليل. ولذلك ألف كتابا مفصلا في اللغة العربية في علم النحو سماه "الدر النضيد في النحو الجديد". بدأ تأليفه ولكن لم يكتمله ولا يزال هذا مخطوطا بين كتبه الأخرى. ثم التفت الإمام إلى تلخيص مضمون هذا الكتاب في تأليف جديد باسم "أسباق النحو" في اللغة الأردية. قد اهتم الإمام بتأليف هذا الكتاب متمسكا بجزء من النحو الجديد ومفيدا تاما للدارسين الناشئين حيث لا توجد فيه التعقيدات العامة التي يواجهها الدارس في التعلم.

قد صدر "أسباق النحو" في جزأئين في بداية الأمر. ولكن الأستاذ الشاه معين الدين أحمد الندوي كتب تعليقا على هذا الكتاب في مجلته الغراء "معارف"، يوليو ١٩٣٧م. كان الطلاب يستفيدون من هذا الكتاب كل الاستفادة لجمال أسلوبه و جودة منهجه ونقاء طريقته حتى نال شهرة واسعة بين الأوساط العلمية. ولذا قرر هذا الكتاب في المقررات الدراسية في المدارس العربية المختلفة في الهند. تمتاز هذا الكتاب بأمرين هامين. هما أساس الإعراب على إختلاف الأحوال، ليس على العوامل. ثانيا ذكر الأمثلة بدل التعريفات لأنه يتمسك بمبدأ هو تعليم اللغة في طريقة تطبيقية. لذا يتيح المؤلف فرصة التعليم من الأمثلة موقنا بأن الإنسان دارس مبادئ اللغة من الفطرة.

محتوى الكتاب

أوضح الفراهي في مقدمة الكتاب غرض تأليفه وطريقته. قسم المؤلف هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء، يحتوي الجزء الأول على مباحث النحو وفيه ثمانية عشر درسا. والجزء الثاني يشتمل على مباحث الصرف، لم يذكر عن دروسه. وفي الجزء الثالث يذكر عن الحروف مع مباحث النحو والصرف . يتحدث المؤلف بعد المقدمة عن الأمور الابتدائية للغة العربية مثل الحروف الهجائية والحركات وطريقة كتابة اللغة الهجائية.

يحتوي الجزء الأول من الكتاب على ثمانية عشر درسا . يتناول في الدرس الأول علم النحو، يعرف فيه علم النحو والكلمة والكلام وأقسام الكلمة،الاسم،والفعل،والحروف. كما يناقش في الدرس الثاني أحوال الاسم المختلفة، و يذكر فيه عن أحوال الاسم المختلفة من الرفع والنصب والجر مع الأمثلة.

يحتوى الدرس الثالث على الإعراب،والمعرب والمبنى مع تعريفاتهم ،كما يناقش في الدرس الرابع عن أحوال الإعراب المختلفة بالحركة مثل الرفع والنصب والجر والتنوين وبالمعنى مثلا ان،ون، ي ن وذكرفيه أقسام الاسم مع إعرابه وأشكاله الثلاثة حركة ومعنى. يذكر في الدرس الخامس عن الإعراب من الثقيل والخفيف ومواقع التخفيف الثلاثة.

يبحث في الدرس السادس عن المعربات الأصلية وهي عشرة. إثنان من المرفوع، المسند إليه (المبتدأ) والمسند (الخبر)، وإثنان من المجرور بواسطة حرف الجر والمضاف إليه، وستة من المنصوب وهي الظرف، والحال، والتمييز، والمفعول، والعلة (المفعول له) والمصدر (المفعول المطلق) مع أقسامهم وأمثلتهم.

موضوع في الدرس السابع هو المعربات المشكلة،وهي خمسة أقسام. مثلا الكلمات المنصوبة بالحروف المشبهة بالفعل، ولا نفي الجنس،والمستثنى، والمنادى العام مع أمثلتها. يذكر في الدرس الثامن عن إعراب المثنى وجمع مذكر سالم. يناقش في الدرس التاسع عن غير المنصرف، ويذكر فيه تعريف الكلمة غير منصرفة وأقسامها الخمسة مع الأمثلة، كما ذكر فيه تغيير كلمة غير منصرفة إلى كلمة منصرفة وأشكالها الستة مع الأمثلة.

موضوع في الدرس العاشر هو مبدل الإعراب، يراد به تبديل حالة الإعراب بحرف الياء والواو حيث إرتبطت بأي كلمة فذكر سبعة أقسام، فيهن تتغير حال الإعراب بارتباط حرف الياء والواو مثل كتاب، كتابى. كما يبحث في الدرس الحادي عشر عن أقسام الأسماء المبنية وفي الدرس الثاني عشر عن الضمائر من الاسم المبني وأحوالها المختلفة من الرفع والنصب والجر مع الأمثلة.

يذكر في الدرس الثالث عشر عن القسم الثاني من الإسم المبني وأقسامه السبعة مع الأمثلة من الإشارات والموصولات والاستفهامات والمخففات والظروف والمركبات والشروط وأقسامهن، مثلا قسم الإشارات إلى القريب والبعيد والموصولات إلى الموصولات الخاصة والعامة. يذكر الفراهي في الدرس الرابع عشر عن الأعداد الباقية بأنه ذكر الأعداد بين العشرة والعشرين في الدرس الثالث عشر، وفي الدرس الخامس عشر عن أحوال الإسم غير الإعراب، وسماها كيفية الإسم وقسمها إلى اللازم والمتعدي مع تعريفهما . يتناول الفراهي موضوع الأحوال (يسميها الكيفيات) اللازمة الثلاث في الدرس السادس عشر وصرح القواعد كلها وتفهيمها بالأمثلة. فذكر الأمثلة بكل حالة لازمة، فبين أولا أصل الكلمة بعد ذلك يذكر التصغير والترخيم والنسبة.

يختتم المؤلف مباحثه في الدرس السابع عشر بمناقشة عن الأحوال المتعدية الثلاث، فأولا ذكر الوسعة مع ذكر تعريف المعرفة وأقسامه الخمسة من العلم والضمير والإشارة والمعرف باللام والمضاف إليه مع تلك أمثلة المطابقة. بين المعرفة والنكرة ومواقعها. ثم ذكر العدد ويراد به الواحد والمثنى والجمع. ذكر فيه بعض القواعد مع إشارة إلى عشرة الأوزان المعروفة لجمع المذكر. بعد ذلك بحث عن الجنس وذكر فيه قسمين للمؤنث أي المؤنث الحقيقي والمؤنث اللفظي وقسم المؤنث اللفظي إلى المؤنث القياسي مع ذكر علاماتها والمؤنث السماعي بذكر الأمثلة لكل فيها. أخيرا يبحث في الدرس الثامن عشر عن المادة والوزن، أولا يعرف المادة والوزن مع الأمثلة. ثم يقسم المادة إلى إثنين، المادة الاسمية من التي ينشق الاسم فحسب، وهو يقال الجامد والمادة الفعلية من التي ينشق الفعل وصوره المختلفة.

المباحث في الجزء الثاني

يتناول الفراهي موضوع الصرف في الجزء الثاني لهذا الكتاب . يذكر أولا عن الاشتقاق مع تعريفه بالإشارة إلى المادة الأصلية. بعد ذلك يذكر عن الألفاظ والأوزان والحروف الزوائد .ثم قسم الإمام الفراهي الفعل حسب عدد حروف المادة من الثلاثية والرباعية وقسمها في المجرد والمزيد ثم يذكر عن الثلاثي المجرد والثلاثي المزيد فيه والرباعي المجرد فيه.

ثم يقول هذه الأقسام الأربعة تنقسم في الأقسام الأربعة يسميها الأبواب.

المشتقات الفعلية : يذكر الفراهي تحت عنوان "المشتقات الفعلية " خمس مشتقات من الماضي والمضارع والأمر وذو الفعل(يراد به اسم الفاعل) واسم الفعل يراد به المصدر وبعد ذلك صرح بالمشتقات المذكورة اللتى توجد في جميع الثلاثيات والرباعيات ولكن تخرج خمس مشتقات من الثلاثي المجرد، وهي المبالغة والصفة والمفضل (يراد به اسم التفضيل) والظرف واسم الآلة.

تقسيم الأفعال: يقسم الإمام الفراهي الأفعال بحسب المعنى إلى اللازم والمتعدى والمعروف والمجهول مع تعريفها بالإيجاز. يبحث المؤلف معه ذوالفعل(اسم الفاعل) في المعروف والمجهول مع ذكر الأصول التي فيها جعل الفعل المعروف إلى المجهول. ثم يذكر أنه من أبواب الثلاثي المجرد مع ذكر خاصية باب كرم بأنه لازم دائما .

صرف الكلمة: يفصل المؤلف صرف الكلمة مع الأمثلة وهي من الماضي والمضارع والمعروف وأقسامه (أي المضارع) الأخرى من الأخف والخفيف والأثقل والثقيل بالوضوح مع تغيرات التي توجد في آخر المضارع ويسميه حسب التغيرات.

فعل الأمر وأصوله: يذكر الإمام عن فعل الأمر وأصوله وقواعده مع الصرف الأصلي والأثقل والثقيل بالتفصيل. يبحث فيه وزن ما يلى:يفتح، يضرب، ينصر بالتمرينات. ثم يذكر استعمال الأفعال من الماضي والمضارع والقواعد المتصلة بهما مفصلا. حينما يدخل بعض الكلمات مثلا ما،إن، قد، لم، لا، س، سوف وغير ذلك على الماضي والمضارع تتغير معناهما ، فلم توجد التغير في صورتهما الظاهرية.

صرف ذو الفعل (اسم الفاعل): يبحث الفراهي عن صرف ذى الفعل (اسم الفاعل) بحسب المعروف والمجهول . يذكر اسم الفعل أي المصدر وأوزانه المعروفة . بعد ذلك بين الأوزان العامة للمبالغة والصفة والتفضيل (اسم التفضيل) والظرف (الزمان والمكان) والآلة. يورد في هذه المباحث المذكورة ذكر الأوزان على العموم ولم يذكر الأمثلة إلا قليلا.

ذكر الأبواب والمشتقات: يذكر الفراهي أبواب الثلاثي المزيد فيه والرباعي المجرد والمزيد فيه مع الأمثلة، وبعد ذلك يذكر عن المشتقات الباقية من المضارع والأمر وذي الفعل واسم الفعل . ثم يعرض جدولا الصرف المختصر للثلاثي المزيد فيه والرباعي المجرد والمزيد فيه من المعروف والمجهول . بعد ذلك يذكر عن الأوزان الأصلية للمشتقات الفعلية مع ذكر الأوزان المبدلات بالتفصيل.

تقسيم أصل الأوزان : قسم الإمام أصل الأوزان المبدلات إلى خمسة: المثال ،الأجوف ،الناقص،المهموز، المضاعف مع تعريفهم بالإيجاز. صرح المؤلف أن الأقسام الثلاثة الابتدائية تسمى المعتل ،بعد ذلك يذكر عن أصول التخفيف وأسسه وأوضحه في خمس قواعد بالأمثلة. ثم كتب عن الصرف من الأوزان المبدلات مع ذكر مشتقاتها الاسمية. ثم يذكر صرف الأقسام الخمسة من المبدلات مع جميع صيغها وإبراز مواضع التعليل والتبديل فيها بالتفصيل وأوضحها بالأمثلة. توجد التمرينات في هذه الدروس لكي يفهم الدارسون قواعد التعليل والتخفيف بالسهولة.

تقسيم المبدلات المركبة: قسم المؤلف المبدلات المركبة ثلاثي المجرد إلى ثلاثة أقسام.١)المثال الناقص (يقال له اللفيف المفروق) توجد التغيير باعتبار المثال والناقص كليهما.٢)الأجوف الناقص (يقال له اللفيف المقرون) يعتبر فيه الناقص حينما هو ليس مضاعفها.٣)الأجوف الناقص المضاعف : تعتبر المضاعفة في كلمة الماضي والناقص في كلمة المضارع بذكر لكل ثلاثة أقسام الأمثلة. ثم ذكر المبدلات

المضعفة للثلاثي المجرد وأوضحه بأن توجد بعض التغيرات في الكلمات الخاصة وذكر خمس كلمات على سبيل المثال. يبين المؤلف صرف الأوزان المبدلات الثلاثي المزيد فيه. يذكر أقسامها الأربعة من المثال والأجوف والناقص والمهموز فحسب. ثم يذكر المبدلات المختصة للثلاثي المزيد فيه مع الأمثلة. يمتاز هذا الكتاب بخاصية الأبواب مع التفصيل .توجد أكثر الكتب النحوية خالية من البيانات عن خاصية الأبواب.

يتضح مما ذكر هنا أن هذا الكتاب أقرب منهجا وأيسر سبيلا للمتأدبين والمثقفين الذين يدرسون مبادئ النحو وأصول الصرف بالسهولة. قد أتم الفراهي تأليف هذا الكتاب لتحقيق هدف رئيسي هو أن يجعل الدارسين قادرين على القراءة والكتابة على منهج صحيح بدون أخطاء. استطاع له أن يحقق هذا الهدف العلمي في تيسير الدراسة النحوية باعتبار مستوى الدارسين. مع ذلك يحتاج هذا الكتاب للقراءة التفصيلية إلى الحواشي والملاحظات كما أشار إليها الأستاذ مجيب الله الندوي هو مؤسس مدرسة جامعة الرشاد بأعظم كره ورئيس التحرير لمجلة "الرشاد".هو يقول أن هذا الكتاب يحتاج إلى مزيد من الإيضاح في التعبير والتفهيم.١)الأستاذ أختر أحسن الإصلاحي أضاف في كتابته إلى حاجة الحواشي التي تضم في طباعة "أسباق النحو"التي صدرت في يناير ٢٠٠١...

وبالجملة أن هذا الكتاب أكثر إفادة للدارسين الناشئين أن يعرفوا النحو العربي فضلا عن الطلاب في المدارس والكليات.

الفصل الثالث: الاتجاه اللغوي للإمام الفراهي: عوامله ودو افعه

العوامل المؤثرة في تنمية الاتجاه اللغوي للفراهي

بذل الفراهي جهودا متضافرة في إنتاج كثير من التآليف اللغوية والدينية والثقافية التي تعبر عن لغة الدين. تناول المؤلف فيها أحوال المجتمع والفكر عند المسلمين في شبه القارة الهندية، قد أثرت عدة عوامل التي ساعدت في تنمية الفكر اللغوي ومعطياته المعرفية والعلمية عند الفراهي. أذكر هنا بعضا منها موجزا.

العامل الديني: إن اللغة العربية لغة الدين والعبادة عند المسلمين. هي لغة القرآن الكريم ولغة الرسول ﷺ هو أفصح العرب .لا تصلح الصلاة وقراءة القرآن الكريم إلا بمعرفة في اللغة العربية. ولذا حاول المسلمون الهنود لخدمة لغة القرآن الكريم. خصوصا يلعب العامل الديني بدور بارز في تدعيم جهود الأعاجم في خدمة اللغة العربية. كان الإمام الفراهي عالما عبقريا و عاكفا مخلصا طوال حياته على تعلم القرآن وتدبره. إنه أتقن في اللسان العربي المبين ليقف على أسرار القرآن الكريم وأبعاد معاني أقوال الرسول

ﷺ. قضى معظم مدة حياته للإبداع والابتكار في الانغماس اللغوي بعمق في الثقافة العربية والإسلامية. فألف كتابات لغوية ورسائل دينية مهتما بالتفسير والتأويل وبيان جماليات اللغة العربية وأوجه بلاغتها. قد تمكن الفراهي بحسه اللغوي المرهف أن يعرف مدى البراعة في مطابقة الكلام للسياق والموقف وحال المخاطبين في النصوص الدينية من قرآن كريم وأحاديث وآثار في التراث العربي والإسلامي .قد شكل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف دافعا هاما لتنمية الفكر اللغوي عند الفراهي،كما يمثل العامل الديني مقوما أساسيا في تدعيم جهوده لخدمة اللغة العربية.

الاستبصار والاستقراء والتأمل: كان الإمام الفراهي مقبلا على تدبر دلالات القرآن الكريم. لما استحوذ القرآن الكريم على فكره ونظره ،فسخر تأملاته في العلوم المنقولة والمعقولة من آداب الأمم في أدواته اللغوية، وخدم من خلالها مصدر اللغة الأساس القرآن الكريم. فتح الاستقراء والتأمل والاستبصار آفاق العلوم لدى الفراهي ،وساعد في تنمية فكره اللغوي. قد بدأ تدبر القرآن الكريم وهو طالب في كلية عليكره. كان كتاب الله تعالى أحب الكتب إليه، وتذوق حلاوته المعنوي بالتدبر والنظر فيه أكثر لذيذة من كل ما في الدنيا. كان من عادته أن يستيقظ باكرا لقيام الليل، فقضى بعده لتدبر القرآن الكريم. ثم إنه اشتغل بالبحث والنظر والتأليف كل يوم يداوم على ذلك بعد صلاة الفجر إلى الساعة التاسعة صباحا. كانت عادته على ذلك أكثر من ثلاثين سنة. لما استقال من وظيفة عميد دار العلوم بحيدرآباد، فعكف على تدبر القرآن والتأليف فيه. وبجهوده الدؤوبة المخلصة ، بلغ في علم القرآن شأوا لم يبلغه إلا قليل من أهل العلم. فلقبه معاصروه"بترجمان القرآن". يقول العلامة السيد سليمان الندوي: "ثم انقطع إلى تدبر القرآن ودرسه، والنظر فيه من كل جهة ، وجمع علومه من كل مكان، فقضى فيه أكثر عمره، ومات وهو مكب على أخذ ما فات من العلماء، ولف ما نشروه ولم ما شتتوه، وتحقيق ما لم يحققوه، فكان لسانه ينبع علما بالقرآن، وصدره يتدفق بحثا عن مشكلاته، وقلمه يجري كشفا عن معضلاته"[٤٦٥]. إن جهود الفراهي التدبرية الواعية والتأملات والاستبصارات ساعدت على تنمية موهبة الإمام اللغوية وصقل مهاراته اللسانية ومعطياتها في شتى منابع العلوم ومصادر الآداب والفنون في عصره.

الحفظ والتدبر: كانت عملية الحفظ من أولويات بناء الفكر اللغوي في معرفة أوجه الكلام العربي الفصيح. لعبت عملية الحفظ بدور أساسي في تكوين شخصية لغوية وثقافية التي أنتجت العلوم والمعارف لدى الفراهي. إنه أتقن في حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين، وأتمها على يد الشيخ أحمد علي. ثم إنه بذل كل الجهد لإتقان في اللغة العربية من خلال القرآن الكريم. إن ارتباطه الوثيق بالقرآن الكريم حفظا

[٤٦٥] الندوي، سيد سليمان، حياة الفراهي، الدائرة الحميدية، أعظم كره،١٩٦، ص: ٦١

وتدبرا ،شحذ قريحته اللغوية وساعد في تنمية معارف اللغة الخصبة. قضى الفراهي مدة طويلة لتعليم الناس اللغة العربية في المدارس والكليات الجامعات. يقول:"ولما كانت هذه المشاغل تمنعني عن التجرد لمطالعة القرآن المجيد،ولا يعجبني غيره من الكتب التي مللت النظر في أباطيلها،غير متون الحديث وما يعين على فهم القرآن، تركت الخدمة، ورجعت إلى وطني، وأنا بين خمسين وستين من عمري،فيا أسفا على عمر ضيعته في أشغال ضرها أكبر من نفعها .نسأل الله الخاتمة على الإيمان" [٤٦٦] . يتبين مما سبق أن الإمام الفراهي قد حصل على قوة الملكة اللغوية بمداومته على تدبرالقرآن وحفظه. هذه الملكة اللغوية محفوظة في عقليته وشخصيته. فيعد عامل الحفظ من الأساسيات التي ساعدت أن يقبل على التأليف اللغوي كما هي أثرت في تشكيل الاتجاه اللغوي.

التفكير المنهجي: انتهج الإمام الفراهي منهجا متميزا فريدا في معرفة أسرار لغة القرآن الكريم وتفسير دلالاته وتحديد تأويلاته. كان الإمام الفراهي مشهورا بتفسيره الجليل في شبه القارة الهندية. إن تفسيره متميز بالتمسك الشديد بأصلين هامين، هما نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان. هذان أصلان يدل على استيعاب الفراهي بعقليته العلمية وتطبيقاتها في حقول اللغة العربية. قد مهد التفكير المنهجي للبناء على استدعاء المنطق في تنظيم مكونات المنتج اللغوي ومعرفة أصوله. النظام يقصد به الوحدة الموضوعية عند الكتاب المعاصرين، يسميه الفراهي عمود السورة، تدور عليه بأجزائها المترابطة فيما بينها ترابطا معنويا محكما. قد اعتبر الفراهي مراعاة النظام منهاجا صحيحا لتدبر القرآن الكريم. عندما تعددت احتمالات فالنظام هو الحكم والقول المرجح وهوالذي يسلط الضوء على كنوز حكمة القرآن الكريم. إن زمرة من العلماء القدماء اعتنوا بالتناسب ،واعتبروه علما شريفا. هناك الفرق بينهما. يقول الفراهي: "أن التناسب جزء من النظام، فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئا واحدا مستقلا بنفسه، وطالب التناسب ربما يقنع بمناسبة ما، فربما يغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام، فيصير شيئا واحدا. وربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالها، فإن الآية التالية ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بعد منها. فإن عدم الاتصال بين الآيات المتجاورة يوجد كثيرا. ومنها ما ترى فيه اقتضابا بينا، وذلك إذا كانت الآية أو جملة من الآيات متصلة بالتي على بعد منها".[٤٦٧]

اعتمد الإمام الفراهي في الكشف عن نظام القرآن الكريم على القرآن نفسه قائلا أن القرآن يفسر بعضه بعضا.كان هذا المنهج يختلف عن مناهج أهل الفلسفة والمنطق أو المتصوفة. يقول رحمه الله تعالى"أجمع

[٤٦٦] الفراهي، عبد الحميد، مفردات القرآن، دار الغرب الإسلامي، بيروت،٢٠٠٢، ص: ٢٧

[٤٦٧] مفردات القرآن، ص ٢٨

أهل التأويل من السلف إلى الخلف أن القرآن يفسر بعضه بعضا، وأنه هو أوثق تعويلا وأحسن تأويلا، فنقول :كما أن القرآن يفسر آياته بعضها ببعض، فكذلك يدلك على نظام مطالبها ومناسبتها، بما يأتيك بنظائره، فتكثر الشواهد على رباط أمر مع أمر، وبذلك يحثك على التأمل في جامع وصلة بينها، ثم يأتي عليه بأمثلة كثيرة بعضها أوضح من بعض، حتي يتدرج بك على ما كان أدق وأغمض"[٤٦٨]

يتبع عامة المؤلفين في التأليف القرآني منهجا بجمع المادة أولا،ثم يتم ترتيبها في صورة كتاب.أما الفراهي يختلف منهجه عن المؤلفين الآخرين. إذا رأى الإمام موضوعا ذات أهمية وضرورة للكتابة فيها، يطيل البحث والنظر فيها أولا، ويحلل مشكلاتها. إذا تم تحقيق المسألة أو تحليل معضلة أو تحكيم بالرأي، يقيد ذلك ويضيف إلى كتابته أنها من كتاب كذا وكذا، حتي تتجلى أمامه شتى جوانب البحث ، ثم يقبل على تأليفها وتنسيقها، ولذلك كان يؤلف كتبا عديدة في وقت واحد. فواضح مما تقدم أن لغة القرآن هي السائدة في ترتيبات المواد وتنظيمات المعرفية عند الفراهي. إنه قام بجهود دؤوبة بقصد خدمة المكون اللغوي العربي، ساعده التفكير المنهجي على تنمية المهارات اللغوية،كما كان قويا في التناول المنطقي وقادرا على توظيف الحس العلمي في معالجة القضايا اللغوية وتطبيقاتها في القرآن الكريم.

العوامل اللغوية والعلمية التي أثرت في الاتجاه اللغوي

تعدد اللغة: كان الإمام عبد الحميد الفراهي عالما عبقريا ذا معرفة في اللغات العديدة. قد يسرالتعدد اللغوي سبيلا له للتطور بتوفير أرضية معرفية خصبة وبنية ثقافية، وهي التي أثرت في فكره اللغوي وأطروحاته وتداولياته اللسانية وما يرتبط بها من تمثلات معرفية وتربوية. توجد آثارها ونتائجها في السلوك اللغوي والطرح العلمي. إنه حصل على مبادئ اللغة الفارسية من الشيخ محمد مهدي الذي كان من المؤدبين المشهورين، وهو صاحب ديوان شعر بالفارسية. قضى الفراهي تسعة أشهر للدراسة، وامتلك ناصية البيان في اللغة الفارسية بتوقد ذهنه وقوة ملكته. سرعان ما قرض الشعر، حتى يعتبر من فحول شعراء الفارسية في صغر سنه. بعد ما تعلم الفراهي اللغة العربية ، توجه الفراهي إلى مدينة لكناؤ ليدرس هناك مدة قصيرة في جلسة علمية تحت رئاسة العلامة الفقيه الشهير عبد الحي الأنصاري اللكنوي (ت ١٣٠٤هـ)،كما شارك في دروس الشيخ فضل الله بن نعمة الله الأنصاري (ت ١٣١٢هـ) أحد الفضلاء البارعين في المعقولات. ثم تلقى الفراهي دروس الأدب العربي من الشاعر المفلق العلامة فيض الحسن السهارنفوري (ت ١٣٠٤هـ) الذي كان مدرسا في الكلية الشرقية بمدينة لاهور. قرأ الفراهي كتب الأدب العربي وبعض كتب المعقولات. كان

[٤٦٨] الفراهي، عبد الحميد ، مفردات القرآن ، الدائرة الحميدية،١٣٥٨هـ ،ط: ١ص ٢٩

تلميذا محبوبا ذا مكانة مرموقة لفرط ذكائه وحسن أدبه لدى الشيخ فيض الحسن. فأهدي إليه نسخة كتبها وصححها بخط يده من كتابه "رياض الفيض." وهو شرح للمعلقات السبع في ثلاث لغات: العربية والفارسية والأردية،وكان من حب الفراهي لشيخه أنه نشر ديوانه العربي سنة (١٣٣٤ھ) على نفقته، وهو أول مطبوعات دار المصنفين بمدينة أعظم كره. بعد ما تخرج في العلوم المتداولة من المنقول والمعقول وعلوم العربية، اتجه إلى دراسة اللغة الإنجليزية والعلوم الحديثة، فالتحق بثانوية (كرنل غنج) بمدينة (إله آباد) ثم بكلية عليكره التي تطورت فيما بعد إلى جامعة عليكره.

قد أتقن الفراهي في دراسة اللغة الإنجليزية، وأتم التأليف وألقى المحاضرة فيها. تمكن له أن يطلع بواسطتها على كتابات المستشرقين عن القرآن وتاريخ العرب، وعلى الأدب الإنجليزي شعرا ونثرا وبلاغة، وعلى كتب الفلسفة الحديثة وما ترجم إليها من كتب الفلسفة والآداب اليونانية، ومن آثاره بالإنجليزية مقالة في عقيدة الشفاعة والكفارة، رد بها على بعض علماء النصارى.

قد جرت حفلة سنوية لندوة العلماء في دلهي عام(١٣٢٨ھ) فأقرت الندوة إعداد ترجمة إنجليزية لمعاني القرآن الكريم،كانت التراجم الأخرى الموجودة في ذلك الحين من تأليف النصارى. فشكلت لجنة الماهرين من المؤلفين، وفيهم العلامة الفراهي والنواب عماد الملك البلجرامي والشيخ محمد صالح. فوكل على عماد الملك مسؤلية الترجمة، ويراجعها الفراهي والشيخ محمد صالح.

ارتكزت عناية الفراهي على دراسة اللغة العبرانية،لأن الظروف الاجتماعية في الهند حينئذ تدعو إلى حاجة ماسة للرد على اليهود والنصارى بتأليف الكتب يقتضي دراسة اللغة العبرانية الدقيقة. كانت جمعيات التنصير في عهده في الهند أقبلت على انتشارها. ولذا عزم الفراهي على وقوف اللغة العبرانية والدراسات المتعلقة بصحف أهل الكتاب في اللغة الإنجليزية. فحاول الفراهي للكشف عن تحريفاتهم وتبديلاتهم بنصوص كتبهم. خير دليل على هذا كتابه "الرأي الصحيح فيمن هوالذبيح".قد أتى بثلاثة عشر دليلا من التوراة نفسها للرد على زعمهم بأن الذبيح إسحاق ﷺ. ومن مؤلفات الفراهي "الطريف في التحريف"فيه محاولة المؤلف لجمع تحريفاتهم. يتضح مما سبق أن الفراهي اعتمد على دراسة اللغة العبرانية لتحقيق بعض الألفاظ في القرآن الكريم و أساليبه.

لما حاول المستشرقون لنشر الشبهات والافتراءات على القرآن الكريم، فكتب بعض المسؤولين في حكومة بهوبال إلى العلامة شبلي النعماني ليرد عليه. فلم يجد في الهند كلها من يستطيع أن يؤدي هذه المسؤولية أحق من حميد الدين الفراهي. فكتب في رسالة أخرى "يندر في المسلمين من يجيد الكتابة في اللغة الإنجليزية

(مع تبحره في القرآن) ولذلك فإن حميد الدين هو الذي يستطيع أن يقوم بهذا العمل خير قيام"يستفاد مما سبق أن عبد الحميد الفراهي مطلع على آفاق العلوم عبر مشاركته الحية مع شتى اللغات، وساهم في زيادة التواصل الإنساني بمحاورات ثقافية بين لغات الأمم والشعوب بواسطة اتقانه في لغات شتي. لعبت معرفته في اللغات العديدة دورا ملحوظا في تنمية الاتجاه اللغوي.

الترجمة والنقل والتعريب: قد استطاع الفراهي أن يجري كثيرا من الممارسات المعرفية والمضامين العلمية والفكرية من خلال إتقان في فن الترجمة والنقل والتعريب. هذا العامل اللغوي ساهم في تشكيل الفكر اللغوي وتنمية مقوماته في شخصية الإمام الفراهي. إنه اجتهد ليتبادل المضامين والموضوعات من خلال الترجمة عن اللغة الأردية والفارسية والإنجليزية والعبرية، ويدل ذلك على حيوية الفكر اللغوي الذي يمتلك الفراهي. يقول ستيفن أولمان عن دور الكلمة في اللغة " إن اللغة العربية كائن ينمو ويتطور ويتغير كذلك يبرهن ذلك على تطور اللغة العربية في ألفاظها وأساليبها مستمرا، فاللغة ليست هامدة أو ساكنة بأي حال من الأحوال"[٤٦٩]. لا تزال اللغة العربية تتطور عبر جهود محبي اللغة ، وهم يخدمون لغة القرآن الكريم عن طريق الترجمة من اللغات الأخرى. تنعكس نتائج جهودهم لنشر الدين الإسلامي الحنيف. وفي مقدمة هؤلاء العلماء العباقرة تخدم اللغة العربية ما لعب الفراهي بدور ملحوظ في توسيع رقعة معارف اللغة ومهاراتها.

القراءة والاطلاع: القراءة هي مفتاح المعرفة، تفتح به آفاق العلوم والفنون. القارئ هو الذي يكسب بالقراءة المفيدة المستمرة كنوز دقائق العلوم. كان الفراهي متقنا في ممارسة القراءة ومجتهدا لرفع كفاءاته اللغوية في حقول اللغة العربية ومعارفها وآدابها ومهاراتها. قد امتلك الفراهي موهبة فذة في شتى مناحي الفكر والثقافة والحياة بالمواظبة على القراءة والمطالعة. تمتاز شخصية الفراهي باطلاعه على علوم الشرق والغرب نادرة العصر كما يقول العلامة السيد سليمان الندوي،ولقيه العلامة الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي قبل وفاته بسبع سنوات، فوصفه في مذكراته، بأنه:" نادر في علماء العرب فضلا عن علماء الهند وانتهى إليه فقه العربية فكان فيه السابق المبرز والجوادالمبر،وأفنى عمره في تدبر كتاب الله ومدارسته، فبلغ في علمه شأوا لم يبلغه إلا قليلا من أهل العلم، ومن نظر في تصانيفه علم أنه لاحق سبق السابقين، ولم يسعه إلا أن يصدق قول القائل: كم ترك الأول للآخر،[٤٧٠] إنما يدل ذلك على استطاعة الفراهي ليأتي بالمنتج اللغوي في تصانيفه ومعطيات مؤلفاته بواسع الاطلاع والممارسة في حقول اللغة ومعارفها بشموليته وعمقه.

[٤٦٩] ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة : كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٥م،ص ١٥٦.

[٤٧٠] الفراهي، عبد الحميد ، مفردات القرآن، الدائرة الحميدية، ١٣٥٨هـ ، ط:١، ص ٣٨

اهتم الفراهي بدراسة الفلسفة الحديثة، وتعلم هذا الموضوع من المستشرق الإنجليزي الشهير (توماس أرنولد) الذي كان أستاذا في كلية عليكره .اتجه الفراهي إلى تعلم اللغة الإنجليزية والعلوم العصرية. قد ألف توماس أرنولد كتابا بعنوان "الدعوة إلى الإسلام"، وكان من غرض تأليف هذا الكتاب تجريد المسلمين من روح الجهاد. فأقبل الفراهي على انتقاد هذا الكتاب. لما كان طالبا في كلية عليكره،طلب إليه ترجمة تفسير سير سيد أحمد خان إلى اللغة العربية. فرفضها قائلا "لن أشارك في نشر هذا الإثم"، ثم درس سنتين علم القوانين الجارية (الحقوق) ولكنه كان يكره الاشتغال به ،فنبذه ولم يكمل تحصيله. يتضح مما سبق أن الفراهي صاحب القراءة الواسعة ،انعكست نتائجها على الأداء اللغوي وتنوع مستوى معارفه. لأنه رغب في إتقان ضروب متنوعة من اللغات مع اختلاف مصادرها الثقافية وممارساتها. نتيجة لذلك نضجت فيه القرائح اللغوية بحيث ينعكس الاتجاه اللغوي في الإنشاء والتأليف.

دو افع تشكيل الاتجاه اللغوي للإمام الفراهي

إن اللغة العربية لغة الدين والعبادة عند المسلمين. لذا يعتبر استقاء الأصول اللغوية من الأولويات للفهم والتأويل والتفسير. تنوعت مقومات الفكر اللغوي والمشكلات التي انطلق منها الإمام الفراهي. إنه اجتهد في فهم الدرس اللغوي، وذلك عبر ممارسات متفاعلة في تلقي اللغة بشكلها ومضمونها ومختلف مشكلاتها. انعكست مظاهرها اتجاها لغويا، فتجسدت مقوماته وخصائصه في جهوده المبذولة في الدراسات القرآنية والدراسات اللغوية. هنا أناقش عن الدوافع الهامة التي لعبت دورا عظيما في تشكيل الاتجاه اللغوي،هي التي تعتبر خصائص شخصية الفراهي الفذة.

المعالجة المنطقية : قد عالج الفراهي الموضوعات في مؤلفاته معالجة منطقية .إنه ناقش التصورات العقلية الممكنة وغير الممكنة والمباشرة وغير المباشرة بوجهة شمولية التي تساعد على جمع بين ما نطبق مع المعيار والقاعدة وما يشذ عنه. فألف "العقل وما فوق العقل"،والمنطق الجديد"، والنظر الفكري حسب الطريق الفطري"، وفلسفة البلاغة أراد بتأليفها تمهيدا، لفهم كتابه "جمهرة البلاغة. إنه اعتمد على التفكير المنطقي الذي ساعده على التأصيل لمجمل القضايا اللغوية وما يتعلق بها من مسائل وتطبيقات معرفية وعلمية. ساهمت المعالجة المنطقية في خصوبة الطرح اللغوية وتحديث مجمل المسائل اللغوية وفق معطيات الدرس اللغوية وامكانياته التخصصية وتشعباته المعرفية . قد مهدت المعالجة المنطقية سبيلا لتشكيل الاتجاه اللغوي لهذا العالم العبقري.

الطرح العلمي: كان عبد الحميد الفراهي عالما راسخا في العلوم العربية والبلاغة ، قد امتلك خبرة تامة بالعلوم الأدبية،كما أنه متضلع في أشعار الجاهليين وأساليب بيانهم. يقول صاحب نزهة الخواطر عن اتجاهه الفراهي العلمي في الدراسات القرآنية " كان من عادته أن يطلع واسعا على الصحف السابقة، كما كان عاكفا على التدبر في القرآن الكريم، ومتعمقا في معانيه وأساليبه. يعتقد أن القرآن مرتب البيان،منسق النظام،ويذهب إلى ربط الآيات بعضها ببعض، وقد بني على ذلك تفسيره نظام القرآن"[٤٧١] .وبهذا الارتباط الوثيق بالقرآن الكريم وواسع الإطلاع على الكتب الأخرى، نال قدرة كاملة في الإنشاء والترسل. فاستطاع أن يعبر عن أفكاره المبتكرة خلال التأليف والتصنيف. إنه تفوق في الحقول المعرفية المتنوعة بالطرح العلمي يمتاز به اتجاهه اللغوي. يتجلى في تأليفه وتصنيفه تنوع الحقول المعرفية والعلمية ساعده على تنمية الفكر اللغوي وتوسيع دوائره من خلال الأنشطة اللغوية. قد حقق النجاح في معالجة المسائل اللغوية ومحاور اللغة العربية بالطرح العلمي في التأليف والتصنيف. فلا شك أن هذا الطرح العلمي شكل في شخصية الفراهي الدوافع لاستخراج الاتجاه اللغوي من النصوص اللغوية.

التنوع المعرفي: يمثل التنوع المعرفي دعامة أساسية في زيادة الجهود اللغوية من خلال حشد الطاقات الإبداعية وإتقان أصول اللغة. قد ساعد هذا العامل على التعبير عما يجول في الفكر وما يكتسبه من ثقافة ومعارف وعلوم. كما يمكن أن يقرأ عن مجالات علمه في كتابه" كان الفراهي عالما ذا ثقافة واسعة متنوعة، فقد برع في العلوم النقلية والعقلية ومهر في اللغات العربية والفارسية والإنجليزية، وتعلم اللغة العبرانية، وانفرد من بين معاصريه من علماء الهند بأنه درس مع كل ذلك علوم الغرب وآدابه في اللغة الإنجليزية دراسة الناقد البصير، ثم لم يزده ذلك إلا قوة في الدين واستقامة عليه علما وعملا[٤٧٢] وبالرغم من كل ذلك أن علم القرآن هو الذي أولى اهتمام اهتماما بالبحث والدراسة .أما العلوم العقلية كانت جزءا لازما من نظام الدرس في عصره. ولذا أقبل الإمام على دراستها ، ثم درس الفلسفة الحديثة وأتم الدراسة بدرجة الامتياز من كلية عليكره. يقول الأستاذ عبد الماجد الدريابادي عن مواصلة اطلاع الفراهي على كتب فلاسفة الغرب."إن الفراهي قد درس الفلسفة دراسة واسعة عميقة جدا،وكان يقرأ أحدث ما يصدر في الغرب من كتب الفلسفة والمنطق، ولم يكتف بالاطلاع عليها، بل يقرأها قراءة بحث ونقد ومقارنة".لما قرر المنهج الدراسي لمدرسة الإصلاح، لم يعين كتب المنطق والفلسفة . فعزم على تعليم الطلاب مبادئهما ليلم بالمصطلحات المستعملة في الفنون بحيث يستفيد من كتب علماء الإسلام في أصول الفقه والكلام.كان من

[٤٧١] عبد الحي بن فخر الدين ، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر،١٢٦٧/٨.

[٤٧٢] الفراهي ، عبد الحميد، مفردات القرآن ، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائمير،هـ، :، ١٣٥٨،ط: ١، ص: ٢٢

أهم كتب الفراهي كتاب "حجج القرآن"، لم يوفق له أن يتم هذا التأليف، قضى فيه الأبواب الثلاثة الأولى لنقد الفلسفة والمنطق و علم الكلام. يتضح مما سبق أن الفراهي بلغ منزلة العالم العبقري الناقد الذي يظهر المحاسن ويبين زيف العلوم باتجاهه اللغوي وباختصاصه التنوع المعرفي. لاسيما إنه تبحر في علوم القرآن ، ولذا يشبهونه العلماء والباحثون بشيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) في ذلك.

التثقيف الذاتي: كان الفراهي ذا ثقافة واسعة متنوعة ، وماهرا في اللغات المتعددة. وبالرغم من كل ذلك أن علم القرآن الذي بلغ فيه إلى منزلة تتقاصر دونها الهمم. قد أثرت ثقافته الواسعة التي تمتاز شخصيته في تقويم الفكر اللغوي. لما واجه الانفراد من بين أقرانه من الجمع بين الثقافتين الإسلامية والغربية والتعمق فيهما، فساعد عامل التثقيف الذاتي على زيادة الكفاءة اللغوية وأطروحاتها في شتى حقول العلم والمعرفة. قد أبدع الفراهي في شتى مجالات العلوم والفنون، وهي التي أثرت على مجريات الفكر اللغوي لديه. لما ظهر التشابك والتداخل بين مقومات الفكر اللغوي والمعطيات المعرفية والثقافية في شخصية الفراهي ، فتمسك في تكوين اللغوي وتصوراته بالمنحى التطبيقي التفاعلي الذي بني على أسس تأصيلية لها فكرية إبداعية وثقافية ذاتية تجديدية في حقول العلم والمعرفة.

الفصل الرابع : انعكاسات الاتجاه اللغوي ومناهجه في الدراسات القرآنية

قد امتلك الفراهي ناصية المهارة اللغوية في الإنتاج والتأليف والطرح والتدريس. إنه قام بإتقان اللغة العربية من خلال تعلم نصوص القرآن الكريم وحفظها. قدم الفراهي جهودا حثيثة في خدمة الإنتاج المعرفي والدرس اللغوي. فمن الملاحظ أن الفراهي من الشخصيات اللغوية التي بذلت جهود عظيمة في حماية اللغة العربية وصيانتها وتعزيز مبادئ السلامة اللغوية فيها. يمكن بمعرفة جهود الفراهي في خدمة الدرس اللغوي أن يبرز قيمة ما قدمه من الاتجاه اللغوي في ضوء دراساته القرآنية. هنا أذكر عن انعكاسات الاتجاه اللغوي في مؤلفاته المختارة.

الاتجاه الدلالي : ألف الفراهي كتاب " مفردات القرآن- نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية". إنه أضاف فيه اتجاها دلاليا في معالجة المادة اللغوية القرآنية وتحديد أسرار معانيها والوقوف على دقائق دلالاتها. إن كتاب" مفردات القرآن" من الكتب الخمسة الرئيسية التي ألفها العلامة الفراهي تمهيدا للسبل إلى معرفة أسرار مفردات القرآن الكريم. لذا أن هذا التأليف الجليل يرشد القرآء إلى بواطن الحكم القرآنية الدقيقة الغامضة التي لا يكتشف عنها إلا اللبيب الحاذق البصير. يثبت الفراهي بهذا الكتاب القيم أن معرفة الألفاظ المفردة هي البداية لمعرفة المعاني المستمدة من مجموع الكلام. وهو يتجه إلى إطلاع على الحكم

والأسرار بمعرفة الألفاظ المفردة في الدراسات القرآنية. لا شك أن المعرفة بمعاني الكلمات المفردة تلعب دورا رئيسيا في فهم مقصود الآيات القرآنية. لا يقدر الإنسان على تدبر الآيات القرآنية والتوصل إلى كنه الحكم اللطيفة المختفية في طي النظام القرآني بدون العلم بمعاني الألفاظ. وبهذا السبب اتجه الفراهي إلى هذا الاتجاه الدلالي في تفسير ألفاظ قرآنية. يحتل هذا الكتاب مكانة مرموقة بين كتب الفراهي في مجال الدراسات القرآنية.

قد ظهرت في الكتاب براعة المؤلف اللغوية الأدبية، وقدرته الفائقة على الشرح والتحليل والتطبيق وشجاعته النقدية في معالجة القضايا اللغوية الدقيقة العويصة باطلاعه الواسع على أساليب الأدب والبلاغة من علم البيان والمعاني والبديع وتذوقه للكلام العربي والشعر الجاهلي، ووقوفه على تعبيرات الصحف السماوية والأحاديث والآثار وتضلعه في اللغات الأجنبية من الإنجليزية والفارسية والعبرانية. يتبع المؤلف في تأليف هذا الكتاب منهجا يمتاز بالرصانة، ويتجه اتجاها دلاليا بشرح الدلالات وجمع بين الإتقان والضبط والتدبر العميق. إن الفكر اللغوي العربي قائم على وصف المعني وتحليل أنماطه المختلفة في بعده التطبيقي. تقوم قيمة المفردات في وظائفها الدلالية. يتجه الفراهي في كتاب المفردات إلى الاتجاه الدلالي لأنه يبحث عن الألفاظ المفردة، ويكشف عن معانيها بحيث أن تتضح لها الحدود واللوازم وما يتصل بها وما يفترق عنها وما يشابهها وما يضادها ، فيحيط العلم بدلالة الألفاظ المفردة.

لم يقصد الفراهي بتأليف هذا الكتاب أن يكون معجما شاملا لألفاظ القرآن. إنما أفرده لتفسير الألفاظ التي وقع فيها نوع من الإشكال . فيتجه المؤلف بالرجوع إلى منابع اللغة الأولى في تحقيقها. هذا الاتجاه يفرضه بتتبع استعمالها في القرآن الكريم وكلام العرب القح . يمتاز هذا الاتجاه بنظرة في أصلها ومشتقاتها، واستعمالها في اللغة العبرانية وغيرها من أخوات العربية. قد وردت كلمة "الآلاء" في القرآن الكريم ٣٤ مرة. مرتين في سورة الأعراف(٦٩،٧٤) ومرة واحدة في سورة النجم(٥٥) والمواضع الباقية في سورة الرحمن. أجمع أهل اللغة وعامة المفسرين على أن معناها النعم، ولكن الفراهي يقول أن القرآن وكلام العرب كلاهما يأبى هذا المعنى. إنه يثبت بقول أن معناه : "الفعال العجيبة"ولكن الجمهور رأوا أن غالب فعال الله تعالى الرحمة، فظنوا أن الآلاء هي النعم. الرواية عن ابن عباس ﷺ حملتهم على هذا. يقول الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي عن قول الفراهي في تحقيق معنى هذه الكلمة " فكلمة الآلاء عند الفراهي تشمل في أصل معناها عجائب لطف الله تعالى وبطشه وقدرته، والنعمة ليست إلا وجها واحدا من وجوه معناها، وقد غلب هذا الوجه على الكلمة فيما بعد لأن غالب أفعال الله تعالى من الرحمة والنعمة"[٤٧٣]. قد استدل الفراهي على ما

[٤٧٣] الاإصلاحي،أجمل أيوب،تحقيق مفردات القرآن، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، أعظم كره، ط:٣، ٢٠١٢،ص: ٦٩

ذهب إليه بالقرآن الكريم وكلام العرب. بعد ذكر إهلاك الأقوام ،وردت الآية في سورة النجم ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾ ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾[٤٧٤] . جاءت الآية الكريمة في سورة الرحمن ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [٤٧٥] خلال وصف يوم القيامة وعذاب جهنم. آخرها قوله تعالى(هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[٤٧٦] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٤٧٧]. قد فسر بعض المفسرين القدماء بقول أن أصل هذه الكلمة لا يدل على معنى النعمة. روى الإمام الطبري عن ابن زيد أنه قال "الآلاء : القدرة." كما قال فخر الدين الرازي أن الآيات مذكورة لبيان القدرة لا لبيان النعمة. استدل الفراهي بالقرآن الكريم وكلام العرب لتحقيق معنى المفردات. إنه أورد بثمانية شواهد منها قول طرفة بن العبد وقول الأجدع الهمذاني وقول فضالة بن زيد العدواني وقول الحماسي في تحقيق معني الكلمة "ءآلآء" . هذا المنهج لتحقيق معنى المفردات يتجه إلى أهمية فهم النص اللغوي باعتماد على أصالة اللغة ورصانتها وقيمتها الدلالية.

القيمة الكبرى لكتاب "مفردات القرآن"، هو المنهج الذي سلكه المؤلف في دراسة الألفاظ وتحقيق المفردات. كان اتجاهه الدلالي هو الذي هداه في تفسير بعض المفردات القرآنية إلى النتائج التي ينشرح لها الصدر، وينجلى بها الغموض، فيتعين معنى النص،ويضيئ السياق. لا يقتنع الفراهي بالنقل من كتب اللغة والتفسير وتلخيص المعاني التي ذكرت فيها أو تفصيلها بل يبحث عن الكلمة وكنهها ومدلولها الحقيقي وينتقدها في ضوء آيات القرآن الكريم وكلام العرب القح لأن القرآن قد نزل بلسان عربي مبين بلغ في فصاحة وبلاغة مبلغ الإعجاز.

الاتجاه النقدي التأصيلي : يمثل كتاب "جمهرة البلاغة" للفراهي اتجاها نقديا واعيا في تجديد الدرس البلاغي العربي من منطلق تأصيلي يحمل بأسلوب قويم مبني على فهم المعطي البلاغي وتشعباته اللسانية عند العرب. يتجلى في هذا الكتاب اتجاه الفراهي في التعامل مع الكلام العربي في الاعتزاز بالعرب،لأنهم أذكى الأمم. تقتضي محاولة الفراهي حاجة إلى استقراء فلسفي يؤصل للمنتج البلاغي وجماليات مكوناته في شتى التفسيرات والتأويلات التي تطلع إلى معرفة مطابقة أوجه الكلام العربي لأحوال المخاطب ومختلف أقطاب العملية التواصلية من مبدع ونص ومتلقي. تكمن القيمة العلمية لهذا الكتاب فيما يتجه المؤلف فيه إلى نظرية ناقدة للبلاغة العربية في مثاقفتها مع الثقافة اليونانية. يبحث المؤلف في هذا الكتاب عن سياسة " الفن الجميل" يتأسس على وعي دقيق بخصوصية البلاغة العربية. يستفاد من هذا الكتاب اتجاه المؤلف

[٤٧٤] االنجم :٥٥,٥٦

[٤٧٥] الرحمن: ٣٤-45

[٤٧٦] الرحمن :43

[٤٧٧] الرحمن :45

النقدي التأصيلي في تأسيس فن البلاغة على قواعد جديدة في ضوء القرآن الكريم. يشير الدكتور أجمل أيوب الإصلاحي إلى هذا الشأن في قوله."هو كتاب نقض فيه الأساس الذي يقوم عليه فن البلاغة عند أرسطا طاليس، وهو نظرية المحاكاة، التي يرى الفراهي أن فن البلاغة العربية تأثر بها، فحار عن قصد السبيل، وانتقد في ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني مع اعترافه بجلالته. وقصد في هذا الكتاب إلى تأسيس فن البلاغة على قواعد جديدة في ضوء القرآن الكريم وكلام العرب الأقحاح"[٤٧٨]

تحدث الفراهي في هذا الكتاب عن اتجاهه البلاغي بوضع أصول جديدة في ضوء القرآن الكريم وأساليب البلغاء وفصاحتهم لفهم بلاغة القرآن الكريم. إنه يرى أن الأصول البلاغية معظمها مأخوذة من كلام اليونان الذي دخل العربية بواسطة التراجم. ولذلك لا يمكن فهم محاسن أسلوب القرآن ومزايا كلام العرب البلاغية بهذه الأصول ، لأن كل شعب له أسلوب خاص في التعبير، والعرب كانوا أرقى الأمم في أساليب كلامهم. فيؤكد على نظرية التي تدعو إلى ضرورية الرجوع إلى أصالة اللغة وأخذها من شعر العرب وخطبهم. هذا الاتجاه التأصيلي يسلط الضوء على فهم إعجاز القرآن الكريم. يثبت الفراهي رأيه في هذا الكتاب بمعالجة مشكلة الصدق والكذب في الشعر. كثير من النقاد تحدثوا عن الفن كأنه وسيلة لجلب اللذة الجسمانية وإثارة الغرائز البهيمية. أما الفراهي يخالف لهذا الرأي ويعبر عن اتجاهه باعتبار الفن وسيلة لنشر القيم الأخلاقية والتعاليم النبيلة بأسلوب ممتع جذاب. ليس الفن مجرد وسيلة للذة ولا إشباع جوع النفس. لذا يهتم الفراهي بوظيفة الأديب،فينبغي أن يقوم بدور المؤمن الناقد التقي لأجل تبليغ القيم الأخلاقية والمعاني السامية التي أرشد إليها القرآن الكريم.

يركز الإمام الفراهي في هذا الكتاب على اتجاه الاهتمام باللغة العربية ذات الخصائص التي تميزها عن اللغات الأخرى ولا سيما لغة اليونان التي استقى منها أرسطو طاليس مفهوم الشعر والمحاكاة. هو الذي يعتني بالأسلوب العربي البليغ اعتناء كبيرا. يمتاز هذا الكتاب بتقسيم مباحثه إلى قسمين: القسم العمومي والقسم الخصوصي ويلحق بهما مباحث متفرقة. يتجلى في هذا الكتاب أهم ميزة اتجاهه ربط البلاغة بالنقد واتخاذها مقياسا في الأحكام النقدية. يبدو فيه نقد الفراهي نظرية المحاكاة لأرسطو ونقد عبد القاهر الجرجاني، والتمييز بين بلاغة العرب وبلاغة العجم والفرق بين الشعر والخطابة. يلحق فيه بعض المباحث العامة التي تتصل بالنقد. لا شك أن المباحث البلاغية فيه تلبس البلاغة العربية ثوبها الجديد، يتجلى فيه اتجاهه النقدي التأصيلي يحتاج إلى الدراسة والتحقيق.

[٤٧٨] الاإصلاحي، أجمل أيوب ، تحقيق مفردات القرآن للفراهي، الدائرة الحميدية، أعظم كره، ط:٣، ٢٠١٢، ص: ٢٦

يستفاد من كتاب "جمهرة البلاغة" أن الفراهي يتحدث عن بلاغة العجم ناقدا ومتمسكا باتجاه تأصيلي،كما يقول عنها: " كما أن علماء الإسلام أقبلوا على هذا الفن لأجل الكشف عن إعجاز القرآن، فلو أنهم استقصوا كلام العرب، واقتفوا آثار المحاسن فيه،وقيدوها بالحدود، ونظموها في ترتيب،حتى يصير لهم ميزان ومحك لمعرفة محاسن الكلام، ثم نظروا في براعة القرآن ونظمه المعجز لكانوا أقرب إلى معرفته. ولكنهم لم يأخذوا من العرب، ولا من كلامهم، فإنهم أثرت فيهم علوم العجم كما خالطتهم سجاياهم، إلا الأولين منهم كالجاحظ، فإنه لا يبعد عن سنن العرب كبعد صاحب" دلائل الإعجاز".ولم يبعد هذا إلا لقلة ممارسته لكلام العرب الخالص. فلو تيسر له ذلك عرف منزلتهم في هذه الصناعة،واعترف بفضلهم على المولدين." [٤٧٩]

الاتجاه التناسبي: يرى الفراهي أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن مقاصد القرآن العالية وهدايته الشافية. فمنها ما يشتغل القارئ بمباحث الإعراب وقواعد النحو ونكت المعاني ومصطلحات البيان، ومنها ما يصرف بجدل المتكلمين وتخريجات الأصوليين، واستنباطات الفقهاء المقلدين وتأويلات المتصوفين، وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض، ومنها ما يلفته عنها بكثرة الروايات وما خرجت به من خرافات الإسرائليات. لا شك أن فنون العربية كقواعد النحو والبلاغة والمعاني ومصطلحات الأصول من الوسائل الأساسية لفهم القرآن الكريم. لذا اختار الفراهي منهجا لتفسير السور القرآنية ببذل جهوده العظيمة ليكشف عن نظم القرآن الكريم. التمس الفراهي معنى الآيات من إخواتها وكذلك استنباط نظام السورة من أعماقها ومن نفس سياقها ، ثم إنه أيد ما فهم من القرآن بالنقل والعقل. تناول الفراهي في تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" نظام سور القرآن ففسر ربط السور بعضها ببعض. يمكن أن يستخرج من تفسيره اتجاهه التناسبي الذي يساعد على معرفة النظام هو السبيل لمعرفة مقاصد القرآن الكريم. يتسع دور هذا الاتجاه إلى التأمل في النظام و يرشد فحوى الكلام إلى معرفة مقاصد كلام الله تعالى ، كما هو يكون دليلا واضحا على الوصول إلى التأويل الصحيح. النظام يفتح العيون على وجوه البلاغة في القرآن الكريم. يراد بالنظام الترابط والتناسب بين آي القرآن وسوره بعضها ببعض، فهذا الاتجاه يفرض أن يفهم آي القرآن كالكلمة الواحدة ، متسقة المعاني، منتظمة المباني.

اجتهد الفراهي في معرفة أسرار آيات القرآن الكريم وفق السياق القرآني وخصوصياته في فهم المعاني وتأويل الدلالات، وبيان جماليات مقاصد السور والأيات. فألف تفسيره تحت عنوان" نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان". وهو تفسيره الكبير الذي صدرت منه الأجزاء الأخرى، منها تفسير سورة الفاتحة والبسملة،نشر

[٤٧٩] الفراهي، عبد الحميد، جمهرة البلاغة، الدائرة الحميدية،مدرسة الإصلاح، أعظم كره،ط: ٢، ١٤٣٧،ص: ٩

مع فاتحة نظام القرآن(١٣٥٧هـ)، وتفسير سورة الذاريات،وتفسير سورة التحريم، مطبعة فيض عام عليكره، (سنة ١٣٢٦)،وتفسير سورة القيامة، صدرت من الدائرة الحميدية سنة ١٤٠٣هـ وتفسير سورة المرسلات، وتفسير سورة عبس، وتفسير سورة الشمس، مطبعة فيض عام،سنة ١٣٢٦هـ) وغيرها من السور .يعرض الفراهي في تفسيره اتجاهه عن فهم موضوع السورة بمعرفة التناسب والترابط بين آياتها. تكون آيات السورة مرتبطة بعضها مع بعض وهي أفكار مشتتة ذات عناصر متباينة في الظاهر، فيرى الفراهي أن لكل سورة موضوعا وله عناصر أجزاء تدور حول ذلك الموضوع أو الفكرة الأساسية، هو يقول: أما العمود فلا يكون للسورة إلا واحدا"[٤٨٠] يثبت الفراهي أن التدبر في كتاب الله هو الذي يكشف عن التماسك والانسجام وعدم الاختلاف في القرآن الكريم. لا شك أن علم المناسبة هو الذي يساعد على معرفة الترتيبات والروابط بين الآيات، ومن ثم تتجلى أسرار إعجاز القرآن الكريم، وهو وسيلة إلى تدبر كتاب الله وفهمه، كما أوضح الإمام الرازي: " إن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط."[٤٨١]. يعد الرازي من أوائل من تحدث عن المناسبة تطبيقيا. يمكن أن يقول بدون شك في ضوء دراساته القرآنية أن اتجاهه التناسبي، هو الذي جعل مدخلا إلى تفهيم القرآن، كما يرى أن التدبر يتضح به النظام. يقول الفراهي" إذا اتضح النظام كل الاتضاح تجلى محاسن السورة والحكمة التي هي تمام العلم والتقوى"[٤٨٢]. يبين الفراهي أن الاهتمام بالنظم والتركيب ليس هو الغاية، بل هو وسيلة لتدبر القرآن وفهم معانيه ومقاصده.

يفهم من الاتجاه التناسبي للفراهي أن الله راعى النظام الحكيم في كلامه المجيد. إن الأمر الواحد له جهات مختلفة واعتبارات شتى. فمن جهة هو يناسب بأمر ومن جهة أخرى بأمر آخر. مثلا الصلاة تناسب الحج لكونهما صورة ذكر الله لما فيهما تعبدا جسمانيا،ولما أنهما منوطتان بيت الله ثم للصلاة مناسبة بالصوم لكونهما غير مختصين بمكان ويكون الصبر مدارهما، والصلاة صوم النفس في باطنها. كذلك توجد مناسبة للصلاة بالزكاة. فأصل الصلاة ركون العبد إلى ربه محبة وخشية من الله تعالى فالمحبة أصلهما هو أساس الدين.

قد ذكر الله تعالى في سورة المائدة ما أحل من المآكل ثم من المناكح ثم الوضوء. تحتوي الآية الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة من سورة المائدة على شرائط ما يتطهر به للأكل والنكاح والوضوء. الذبح طهور للبهائم والمهر وقصد الإحصان طهور للنساء والوضوء طهور للصلاة. ثم يقول الله تعالى هذه الحقيقة في

[٤٨٠] الفراهي، مقدمة نظام القرآن،مدرسة الإصلاح، ص: ١٨

[٤٨١] الرازي ، فخر الدين، مفاتيح الغيب، (التفسير الكبير)،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٣، ١٤٢٠هـ ، ١١٠/١٠،

[٤٨٢] الفراهي، دلائل النظام، الدائرة الحميدية، بمدرسة الإصلاح، ٢٠١٣ هـ ص: ٢١

قوله العزيز﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾[٤٨٣] هنا ثلاثة أشياء مذكورة وهي طيبات الطعام والنساء والصلاة. توجد المناسبة بين الطعام والنكاح في تخصيص محلهما من المحرمات حيث قال تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾[٤٨٤] (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ)[٤٨٥] كذلك توجد المناسبة بين النكاح والصلاة من جهة أخرى. فالنكاح وجاء يمنع عن التدنس والفواحش والصلاة أيضا تنهى عن الفحشاء والمنكر كما أشار الله عزوجل في قوله ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[٤٨٦] آيات القرآن الكريم ترتبط بعضها بالبعض فقط. بل ولها نظام جامع ولكل سورة عمود ومطالبها المختلفة ترتبط به من جهات مختلفة. يرى الفراهي أن الآيات ربما تكون معترفة وكذلك ربما تكون السورة وعلى هذا الأصل يرى القرآن كله كلاما واحدا ذا ترابط معنوي في أجزائه من الأول إلى الآخر. قام عبيد الله الفراهي بالاعتناء لتفسير نظام القرآن وهو يثبت أهمية الاتجاه التناسبي قائلا في مقدمة تفسير نظام القرآن للفراهي" النظام هو الذي يعطي السورة وحدانيتها التي بها صارت سورة كاملة مستقلة بنفسها ذات عمود تجري إليه أجزاؤها. لا بد لحسن النظام من أن يكون الكلام حسن الترتيب،حسن التناسب، قوي الوحدانية".[٤٨٧]

خلاصة القول أن النظام يهدي إلى معالم الأمور وحكمها، وهذه المعالم هي الحقائق والغاية. ترك النظر في النظام ترك لمعنى القرآن ومعظمه، والقرآن حكمة ونور. وجوه البلاغة من حسن التقسيم وجمال الترتيب. ولذا يهدي النظام والتناسب بين الآيات والسور إلى زيادة المعرفة بمحاسن الكلام، وبه يزداد الشوق والمحبة في كلام الله. لذا يصح أن يقول أن النظام من دلائل إثبات النبوة وهو دليل إعجاز القرآن الكريم.

الاتجاه التجديدي : اجتهد الإمام الفراهي في إصلاح اللغة العربية. إنه عرض التجديد في الطرح والمعالجة والتناول. يبدو اتجاهه التجديدي في تناول العلوم والفنون والمعارف والآداب انطلاقا مما يكتنزه من ثقافة لغوية جعلته يتمكن من وسيلة التعبير والإبداع في صناعة المحتوى المعرفي وتشعباته في اللغة العربية. فألف كتاب "الدر النضيد في النحو الجديد"، بدأ تأليفه سنة (١٣١٥هـ) و"دلائل إلى النحو الجديد والمعاني والعروض والبلاغة". تشير عناوين هذه الرسائل والكتب إلى الإصلاحات اللغوية التي أرسى قواعدها الفراهي

[٤٨٣] المائدة ٦

[٤٨٤] النساء:٢٣

[٤٨٥] المائدة: ٣

[٤٨٦] العنكبوت: ٤٥

[٤٨٧] الفراهي، عبد الحميد، تحقيق: الدكتور عبيد الله الفراهي، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، أعظم كره، ج:١، ط:٢، ١٤٣٩هـ، ص: ٦

في حركة التأليف اللغوي في القرن الرابع عشر الهجري. فاتجه الفراهي إلى أسلوب التجديد والإصلاح من أجل تقويم الفكر اللغوي، فحاول للتسهيل والتقريب على أذهان المتعلمين.

يمثل الاتجاه التجديدي روح المسؤولية اللغوية تجاه لسان الأمة الحضاري الناطق بحاجاتها الراهنة والمستقبلية. لما اتسعت جهود الفراهي في خدمة القرآن الكريم والكشف عن المعاني والدلالات والتأويلات والتفسيرات، فبذل جهوده المتضافرة لتسهيل النحو العربي والعروض وإضافة المستجدات في البلاغة العربية وطرح نظرية وفلسفة جديدة في تفسير القرآن الكريم وفهمه. يبدو الإبداع في إثراء الدرس اللغوي من خلال الترجمة والنقل والتعريب بواسطة إتقان أكثر من لغة. لقد أدرك الفراهي أنه لا يمكنه تذوق القرآن واستكشاف كنوزه إلا من خلال العربية. كانت له ملاحظات واستدراكات في علوم النحو والبلاغة وغيرها ، كما له نظرات صائبة في ما ينبغي أن تكون عليه علوم اللغة والشريعة. لذا تحدث الفراهي عن بعض الخصائص العربية التي لم يذكرها أحد غيره.

يمتاز الكتاب "أسباق النحو"ببيان الدروس النحوية تركيزا على أساس الإعراب على اختلاف الأحوال. يعرض المؤلف الأمثلة بدلا من التعريفات، ويتبع المنهج الجديد في تعليم اللغة خلال إلقاء الدروس في هذا الكتاب. يستطيع الدارس العربي أن يفهم مبادئ اللغة بكل وضوح ودقة عن طريقة تطبيقية التي يقدم فيها المدرس الأمثلة أولا قبل بيان قواعدها الأساسية. توجد فائدة كبرى بهذه الطريقة لأن الدارس يملك قدرة على استخدام اللغة بدون أخطاء في الإعراب. وبهذا السبب صارت هذه الطريقة رائجة في البلدان العربية. يتجلى من هذا المنهج المتبع اتجاه الفراهي التجديدي .يمكن أن يفهم كيفية تقديم الدروس النحوية في ضوء كتاب المؤلف "أسباق النحو" ليستفيد منها خصائص اتجاهه التجديدي.

يعلم الإمام درس المجرورين عن طريق حروف الجر، والثاني المضاف إليه. يكتب أولا حروف الجر كما يلى: في،على، من،إلى،عن،حتى،منذ،ب،ل،ك ثم يذكر أمثلة. نقرأ هذا "سعيد ورشيد ذاهبان للتجارة من قرية إلى مدينة. سعيد جالس في عجلة ورشيد راكب على جمل. عامر وعمير مشغولان بالزراعة. سالم وسليم مريضان منذ شهر.لرشيد شغل حتى العشاء. طالب مولع بالقصص حتى الخرافات"

ثم يشرح الفراهي المنصوبات الستة وهي:١-الظرف ٢- الحال ٣- التمييز٤- المفعول به ٥- العلة(مفعول له) ٦-المصدر(المفعول المطلق) .يبحث المؤلف أولا عن الأمثلة،ثم يذكر في ضوءها القاعدة النحوية خلافا لطريقة القدماء من المؤلفين. حينما يذكر عن الظرف ينقسم إلى الزمان والمكان. أولا يقول مثلا للظرف

الزمان."زيد مشغول ليلا ونهارا. سالم مسبح بكرة وعشيا. سالم قادم اليوم صباحا أو مساء، سعيد ذاهب غدا.

ثم يتحدث الإمام عن ظرف المكان بإشارة إلى الأمثلة. حامد مع زيد،سليم عند خالد. بيت وحيد دون بيت سعيد. وسط المسجد حوض. بعد ذلك يبين منع الصرف مع الأمثلة. الجزء الثاني للكتاب يحتوي على علم الصرف، يبين المؤلف علم الصرف بذكر المادة الأصلية أولا،ثم يشرح عن الكلمات والأوزان والحروف الزوائد. ثم يقسم الأفعال ثلاثيا ورباعيا حسب عدد حروف المادة. ويقسم الأفعال في المجرد والمزيد فيه ويذكر الثلاثي المجرد والثلاثي المزيد فيه والرباعي المجرد والرباعي المزيد فيه مع ذكرتفاصيلها.

تتميز طريقة الفراهي في تصريف الأفعال عن المؤلفين الأخرين في بعض الأمور.كان مؤلفوالكتب في علم الصرف في اللغة العربية والإنجليزية يكتبون تصريف الأفعال مع أربعة عشرة صيغة للفعل الماضي والمضارع. ويكتب هكذا التصريف:كتب –كتبا-كتبوا-كتبت-كتبتا-كتبتن-كتبت-كتبتما-كتبتم-كتبت-كتبتما-كتبتن-كتبت-كتبنا. يختار الفراهي طريقة ميسرة للحفظ في تصريف الأفعال رجوعا إلى الصيغة الأصلية. فيوجد تصريف الأفعال الماضية هكذا: المفرد:فعل،المثنى: فعلا،الجمع: فعلوا،مفرد مؤنث: فعلت، مثنى مؤنث: فعلتا، جمع مؤنث : فعلن ،ثم فعلت،فعلتما، فعلتم، فعل، فعلتما،فعلتن، فعلت،فعلنا. فيمكن أن يرى التصريف في كتاب الفراهي مبدوء بصيغ المفرد ثم المثنى وفي الأخير الجمع. وكذلك يترك الصيغة المشتركة التي يستخدم في المثنى في جميع التصاريف. إنه يختار طريقة في تصريف فعل الأمر الحاضر أيضا.

كتاب آخر للفراهي في علم النحو اسمه "تحفة الإعراب".هذا كتاب ألف على طريقة "ألفية"لابن مالك في الشعر. .يحتوي هذا الكتاب على ١٢٨ بيتا وجمع فيه القواعد الأساسية لعلم النحو. ويكتفي فيه بالإشارة إلى قواعد في ضوء النماذج الشعرية. لا شك أن الإمام الفراهي مهد لنا طريقة بسيطة في تعليم اللغة بأسلوب بسيط أنيق لكي يفهم الدارسون الناشئون القواعد النحوية والصرفية في ضوء الأمثلة بدون أي تعقيد. لا شك أن هذه كلها محاولة للتجديد والتيسير في مجال الدراسة اللغوية بحيث يمكن للدارس أن يتذوق اللغة بدون عسر. ولذا اتجه الفراهي إلى الاتجاه التجديدي في كل جهوده المخلصة تعليما وتأليفا.

يمتاز الاتجاه التجديدي بالسهولة والحيوية في تعليم النحو والصرف واللغة العربية حيث يقدر الطلاب على إظهار ما في ضمائرهم بالعربية كتابة وخطابة. كانت المحاولة الأولى بترتيب مباحث الاسم والفعل أولا باسم "أسباق النحو".يقصد بهذا الأسلوب تقليل أعباء قواعد النحو والصرف على الطلاب ويسهل للطلاب

أن يتعلم القواعد خاليا من كل التعقيدات. نتيجة لذلك درس الطلاب بطريقة غير عادية بحيث يقضي مدة شهور لاجتياز المراحل،كما اعتنى بتعليم أصول الفن عناية خاصة حتى تتيح فرصة تعلم اللغة الإنجليزية والرياضيات والعلوم حسب الحاجة التي تتم استعدادا لظروف الحياة.

الاتجاه التطبيقي: يرى الفراهي أن الغاية الرئيسية لتعلم اللغة هي اكتساب موهبة تعبير اللغة وتيسير طرق تذوقها بتبليغ الرسالة الإنسانية والاجتماعية بين متناوليها. هذه الغاية تهتم بوجهة تطبيقية في فكر الفراهي اللغوي لأنه قام بالتأليف والترجمة بهذا الاتجاه التطبيقي ،كما أنه ترجم الكتاب الإنجليزي "أمثال آصف الحكيم" إلى اللغة العربية لأنه يحب منهج تأليف الكاتب ويرغب في إفادة الطريقة التطبيقية للدارسين الناشئين في تعليم اللغة العربية. يعرض الإمام منهجا متكاملا يبدو هذا في تعبير القصص والحكايات. أكثر قصصه وحكاياته تروى عن لسان الطيور والحيوانات والإنسان. وبهذا تتمكن من اكتساب اللغة على طريقة تطبيقية وطبيعية بدون أي ملل ومشقة. وضع المؤلف الموضوعات المختلفة على نماذج القصص البسيطة في هذا الكتاب وترجمها الإمام إلى العربية بكل دقتها وصحتها كما يتجلى من عناوين الكتاب. وفيه القصص تحت عنوان "أسد و فأرة"،"حمار وجندب"،"الذئب والغرنوق"،"النمل والجندب"،"ديك وجوهرة"،أرنب وغيلم وأب وأبناؤه"،فلاح و حية"،"غزال وأمه"،حمار وثعلب".

هنا قصة أو حكاية كنموذج . وهو يقول: إن أبا كان له عدة أبناء ولم يزالوا متخاصمين بينهم ولم ينجح وعظ الأب في حسم خصامهم. فعزم على أن يبين لهم عاقبة الشقاق بمثال واضح،ولذلك قال لهم يوما "أن يأتوا إليه بحبل غليظ. فلما فعلوا ذلك، وضعه في أيديهم واحدا بعد واحد وأمرهم أن يصرموه. فاجتهد كل واحد منهم بتمام قوتهم ولكن لم يستطيعوا. ثم حل طاقاته وأخذها متفرقة ووضعها في أيديهم فرادى، فكسرها بسهولة. فخاطبهم الأب بهذه الألفاظ "أساس أن تكونوا متحدى الرأي مجتمعين ينصر بعضكم بعضا،وتكونوا مثل ذلك الحبل الغليظ،لن يضركم جمع سعي أعدائكم ،وإن تمزكتم تكسرتم مثل طاقته.

وفي ضوء ما ذكر من قصته يتبين أن طريقته في التعبير متصفة بالوضوح والبيان من خلال منهجه في تبليغ الرسالة الإنسانية وتثبيت القيم الأخلاقية في أذهان الأطفال والناشئين. يستخلص مما تقدم أن منهجه في تعليم اللغة العربية تمتاز باهتمامه في تعبير القيم الروحية والحقائق الاجتماعية على أحسن صور وأقوى أثر. ومن أسمى الطرق التعليمية أنه يولى القارئ عناية كبيرة ورعاية خاصة وتقديرا فائقا. يحاول الفراهي في القصص والحكايات التي تتضمن هذه الترجمة للتعليم الدارسين بتقريب الحقائق الاجتماعية والقيم الأخلاقية في صورة مجسدة ملموسة فتحسها السامع كأنه ينظر إليها بعينيه. وبذلك تنطبع في النفس وترسخ في الذهن حتى يكون التأثير بها أقوى وأبلغ. يخاطب القراء على قدر مستوى عقولهم وبما يتوائم مع

مداركهم ويتناسب مع فطرتهم ويلقى الموعظة الحسنة لإقبال على الخيرات. يمكن أن يلخص هنا أهم ميزات اتجاه الفراهي التطبيقي في التأليف والترجمة.

١)اختيار الأسلوب الخاص الذي تمتاز بالجودة والبساطة

٢)استخدام الكلمات المعروفة في الأوساط الهندية لتسهيل إدراك النص.

٣)استعمال الكلمات الرائجة المفهومة في اللغة الأردوية مثل "أبناء" و"متخاصمين"، "وعظ"، "واضح"، "الشقاق"، "يوم"،"قوة"،طاقات"وغيرها.

٤) إتاحة الفرصة لتذوق اللغة بجمل بسيطة في القصص والحكايات.

٥) مراعاة مستوى القارئ والدارس عقليا ونفسيا ووجدانيا.

٦) التركيز على المعنى واضحة الدلالة،وصريحة الفكر وبعيدة عن التعقيد اللفظي والمعنوي.

٧) تبليغ الرسالة الإنسانية والقيم الأخلاقية النبيلة وتثبيت النظريات العلمية بتعبيراته اللطيفة والدقيقة في القصص والحكايات. تمتاز ترجمة الفراهي بأسلوب رائع بديع ذات قوة التأثير في نفوس الدارسين.

يستفاد من هذه النقاط المذكورة ميزات اتجاه الفراهي التطبيقي في التأليف والترجمة. يبدي طريقة التيسير وترويج روحها وحيويتها في تعبير النصوص برعاية مستوى المخاطبين والمتعلمين. كما أنه يمهد سبلا ميسرة للاستفادة من النص اللغوي القيم الأخلاقية والاجتماعية بوجهة تطبيقية في استخدام اللغة وتعبير نصوصها الأدبية

مناهج الإمام الفراهي في تشكيل الاتجاه اللغوي

قدم الفراهي جهودا مكثفة في خدمة الإنتاج المعرفي والدرس اللغوي،وذلك في سبيل نشر اللغة العربية بين أبناء المسلمين في شبه القارة الهندية. امتلك الفراهي ناصية المهارة اللغوية في الإنتاج والتأليف والطرح والتدريس وانتهج في التدريس والتأليف مناهجا جديدة،يمكن أن يستخرج هذه المناهج من اتجاهه اللغوي. قد لعبت هذه المناهج دورا فعالا في تشكيل الاتجاه اللغوي. هنا أحاول أن أذكرها في ضوء جهود الفراهي المبذولة.

التحقيق والتدقيق: كان الفراهي إماما في كل علم من علوم اللغة، وله تحقيقات واجتهادات واستدراكات على الأئمة في اللغة والنحو والبلاغة والعروض. يقول عمرو الشرقاوي" أن الفراهي اعتمد على منهج جديد

بالتحقيق والتدقيق في معالجة القضايا العلمية وأطروحاتها التداولية في حقول اللغة العربية ومهاراتها. ولذا تمكن له أن يبني شخصية لغوية بتحقيق آرائه الناضجة وتدقيقها وعرضها للتحليل والمناقشة. كتابه المشهور " جمهرة البلاغة" الذي نقض فيه الأساس الذي يقوم عليه فن البلاغة عند أرسطاطاليس، وهو نظرية المحاكاة".[٤٨٨]. تأثر الفراهي بفن البلاغة العربية، فجار عن قصد السبيل، وانتقد في ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني معترفا بمكانة علمه. إنه أتم تأليف هذا الكتاب بقصد تأسيس فن البلاغة على قواعد جديدة في ضوء القرآن الكريم وكلام العرب الأقحاح. لما أرسل الفراهي فصولا من جمهرة البلاغة إلى العلامة شبلي النعماني أعجب به إعجابا جعله يلخص مباحثه المهمة وخاصة نقده لنظرية المحاكاة في مجلة "الندوة" التي كان يصدرها باللغة الأردية.. يعد النعماني من أشهر النقاد والكتاب، إنه أقبل على نشر هذا الكتاب بعد وفاة المؤلف، ولم يمكن إرساله إلى البلاد العربية، ونفد قبل أن يصل إليها. لا شك أن هذا الكتاب تأليف جليل الذي نال الذيوع والنشر ونفاد الطبع، قام الفراهي بخدمة جليلة فريدة في تاريخ البلاغة العربية بتأليف هذا الكتاب القيم. قد استخدم المؤلف الفراهي في هذا الكتاب الجليل منهج التحقيق والتدقيق للتوجيه والنقد والتصحيح.

ألف الفراهي ديوانا شعريا لطيفا في العربية، طبع سنة (١٣٨٧هـ)، وقد ذكره الدكتور تقي الدين الهلالي رحمه الله، فقال في مذكراته: "وللشيخ المذكور ديوان شعر، سمعته منه، بليغ مؤثر في استنهاض همم المسلمين وبث الحياة في قلوبهم، وذكره عداء الإفرنج لهم، وذكر حرب طرابلس والحرب الكبرى، والرجل فصيح في التكلم لغاية"[٤٨٩] يمكن أن يقول بكل صراحة في ضوء هذه التأليفات أن الفراهي امتلك عمق الطرح في الفكر اللغوي بمقومات علمية وأبعاد منهجية لها تطبيقاتها بالتحقيق والتدقيق في حقول المنتج اللغوي وتداولياته. إنه نجح في استخدام ملكته التعبيرية واستحضار اتجاهه اللغوية في التوثيق والمعالجة العلمية الهادفة.

التخفيف والتيسير: يمثل عامل التخفيف والتيسير في حيوية الفكر اللغوي عند الفراهي. إنه بذل جهودا كبيرة لتدعيم أسس اتجاهه على منهج التخفيف والتيسير. هنا جدير بالذكر ما ألف الفراهي لتيسير تعليم النحو العربي وتبسيط علم العروض الخاص بأوزان الشعر ونظمه. إنه أضاف بعدا تجديديا في فهم البلاغة العربية بمحاولة وضع اتجاه التخفيف والتيسير في انتاجاته العلمية وأطروحاته الفكرية. أوضح الفراهي في

[٤٨٨] عمرو الشرقاوي، مقالة كتبها بعنوان" الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، مجلة الهند، عدد خاص، ج:٢، ٢٠١٨م، يناير-يونيو ص: ٦٨-٧٥

[٤٨٩] الفراهي، عبد الحميد تحقيق: أجمل أيوب الإصلحي، ، مفردات القرآن، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٢٦

كتاباته ضرورية المنهج الممتاز بالسهولة والبساطة والوضوح يضمن التفوق العلمي في مستوى الدارسين،كما أوجب في أسس النظام التعليمي الفترة القصيرة. قد عرض الفراهي المنهج الموزع والمرتب على مراحل مختلفة في مدرسة الإصلاح، فمثلا: مولوي، عالم،كامل،فاضل وهكذا. هذه النظرية مؤسسة على مبدإ التخفيف والتيسير للحصول على شهادات حسب المراحل المختلفة حيث يتم به النظام حيويا. كذلك إنه زود الفرص للطلاب أن يتعلم صنعة من الصناعات حسب الظروف والضرورة. هذه النشاطات كلها باتجاهه ومنهجه لتمهيد الفرص وتيسير السبل لكسب العيش حسب متطلبات العصر بعد التخرج. اتخد الفراهي طريقة التيسير والتخفيف في تعليم النحو والصرف مع بيان الأمثلة إضافة إلى التمارين والتدريبات، لأن تعليم اللغة واجب لتيسير فهم علوم الدين الحنيف. علاوة على كلها تعليم القرآن بالتعمق في كل إعجازاته الخالدة، لا تتم إلا بمعرفة عن تيسير قواعد اللغة وتخيفيف علومها.

التقويم والتفكير النقدي البناء في إرساء الإصلاحات: كان الفراهي مجتهدا في استخدام فكره المنطقي وقدرته العقلية في النقل، لم يتجه إلى التقليد في النقل عن غيره. إنه اعتمد على منهج التقويم والتفكير النقدي في إرساء الإصلاحات، ولذا تمكن له أن يضيف مستجدات في الدرس اللغوي والبلاغي من نواحي تطبيقية وتربوية هادفة.إن هذا المنهج ساعده على تنمية قدرته اللغوية على معرفة أصول المعطيات اللغوية في التراث العربي والإسلامي. قد حاول الفراهي محاولة مستمرة للتجديد على مستوى الأسلوب وعرض المحتوى والمضمون في حقول العلم والمعرفة من خلال قدرته على التفكير النقدي .نتيجة لذلك إنه اكتسب معرفة قيمة المنتجات المعرفية والعلمية بتمييز صحيحها وسقيمها. التبصر في الدين هو الهدف الأساسي من التعليم عند الفراهي. لذا إنه أظهر منهجه التعليمي بوجوب العوامل التي تساعد على تربية النفس وإرشادها إلى سعادة الدارين. أما الأخرى تابعة لهذا الهدف،ومنزلتها ثانوية لدى الفراهي. يستفاد من نظريته التعليمية في مدرسة الإصلاح أنه اتخذ منهجا مناسبا ممتازا بالتقويم والتفكير النقدي البناء في ضوء دراساته القرآنية. إنه اعتبر القرآن أصلا وأساسا لجميع العلوم في المنهج. فتكون العلوم الأخرى تابعة له تسهل الطرق لفهمه وتدبره على أحسن صورة. يتضح من اتجاهه في الدراسات القرآنية منهجه التقويم والتفكير النقدي. قد صرح الإمام بضرورية تدريس القرآن عن طريق التفاسير، بل يجب أن يعتمد على أساس من العلم والتحقيق. فتتفوق قدرة الطلاب على الاستفادةوالاستنباط منه. وبهذا المنهج يتمكن أن يدرك الأحكام والعلوم القرآنية بحيث يصبح كلام الله مقياسا للقبول أو الرفض. كما أنه أكد على تعليم الحديث خاليا من تعصب المذاهب الفقهية، فينبغي أن يدرس الحديث تابعا ومبينا للقرآن في ضوء الأحكام المذكورة فيه.

الابتكار: امتازت عقلية الفراهي بعامل الابتكار في استدلالاته المعرفية وتدريسه اللغوية. إنه أضاف تجديدات لغوية التي تختص بمراميها ومغازيها في تبليغ أصول الكلام العربي الفصيح. انتهج الفراهي منهج الابتكار لفهم رسائل الكلام وتأويل دلالاته،لاسيما في كشف عن أسرار كلام الله وفهم عجائب علومه ومعارفه. يقول محقق كتاب "مفردات القرآن" الدكتور محمد أيوب ا

لإصلاحي: "تفسير ألفاظ القرآن،ويحفل بنظرات جديدة وتحقيقات بارعة واستدراكات قيمة على كتب اللغة والتفسير، ولو لم يتضمن إلا تفسير كلمة (الآلاء) لكفاه شرفا وتميزا عن أمثاله من كتب غريب القرآن"[٤٩٠] قد وظف الفراهي قدرته المنطقية الفائقة في معرفة الأصول ودراسة المكونات التخصصية للمعطى الديني واللغوي، واجتهد على منهج الابتكار ليعرف عدة أبعاد المعاني، خصوصا في مفردات قرآنية. كل هذه المحاولات تدل على نظراته الجديدة واتجاهاته الفريدة في الفكر اللغوي وارتباطاته المعرفية كتأليف رسالة "القسطاس"، وهي رسالة في علم جديد، وهو منطق العمل وميزان الارادات وأساس الحكمة العملية[٤٩١] . يتضح مما سبق أن الإمام الفراهي مجتهد في تدعيم أسس الفكر اللغوي السليم بتوظيف الوعي المنطقي والعقلية الابتكارية، ولذا استطاع له أن يقيم ضمان حيويته على الساحة اللغوية والمعرفية في الهند والعالم العربي والإسلامي. يستفاد من نظريات الفراهي التعليمية في مدرسة الإصلاح ميزة الابتكار في منهجه التعليمي. إنه يرى مواد التعليم القديمة والحديثة سواسية بدون تفرقة كلاهما تدرس في آن واحد، لكن الأولوية تجدر للعلوم الشرقية القديمة. فمن الملاحظ أن يذكر قوله بحسن جمع طرق التعليم القديمة والحديثة في العملية التعليمية وفقا لاحتياجات المجتمع الاسلامي بأفضل طرق.

[٤٩٠] الفراهي، عبد الحميد، مفردات القرآن، الدائرة الحميدية، المطبعة الحميدية، سرائمير، ١٣٥٨هـ، ص ٥

[٤٩١] المصدر نفسه، ص ٣٨

خاتمة البحث ونتائجه

تمت بعون الله العلي القدير وتوفيقه العظيم كتابة هذه الأطروحة حول "الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية لعبد الحميد الفراهي" في ضوء الوثائق العلمية المتوفرة.

هذه الرسالة محاولة متواضعة لاكتشاف الاتجاه اللغوي من الانتاجات المعرفية التي يستنبط من الدراسات القرآنية لعبد الحميد الفراهي. إن هذه الدراسات تسلط الضوء على مكانة اللغة العربية وقدرتها الفائقة على احتواء المضامين ذات أبعاد فكرية وثقافية. تكون مؤلفاته القرآنية ،إن كانت - مطبوعة أو مخطوطة- شاهدة على قوة اللغة العربية و أصالتها و رصانتها ومرونتها ،وفق هذا العالم العبقري الفذ أن يتقنها ويوظفها في خدمة الكنوز العربية والإسلامية في شبه القارة الهندية. وهو الذي قام بمسئوليته العلمية باتجاه لغوي في الدراسات القرآنية حيث تجعل إنتاجه العلمي يمتاز بالجودة اللغوية والخصوبة المعرفية في الطرح والمعالجة. لذا يمكن لكل من يخوض في البحث عن مساهمات هذا العالم العبقري أن يقول بكل صراحة أن عبد الحميد الفراهي عالم موهوب فذ نجح بطاقاته الإبداعية في تنوير خواطره اللغوية التي في أذهان المجتمع غير العربي.

تميزت اللغة العربية بميزات عديدة في النواحي التاريخية والدينية والثقافية،فضلا عن الجوانب اللغوية من أصوات وصرف ونحو ودلالة وبلاغة. تعتبر اللغة العربية من اللغات العريقة،بل إنها من النواحي التاريخية أم اللغات وأقدمها. ومن النواحي الدينية والثقافية، تعد العربية لغة مقدسة في الأديان السماوية السابقة لدين الإسلام. كما أنها لغة القرآن الكريم، وهي الوسيلة المؤثرة لحماية التراث العقائدي والثقافي للأمة العربية الإسلامية. لا تزال تقوم هذه اللغة أساسا متينا في إثبات الدلائل والبراهين لصحة هذا الدين الحنيف. وبهذا السبب اعتنى الفراهي بحراسة لسان الدين مستخدما أساليبها ومتجها إلى أصالتها ورصانتها في كل تأليفاته القرآنية. قد امتلك الفراهي زمام المعرفة اللغوية في الإنتاج والتأليف والطرح والتدريس عن طريق تعلم نصوص القرآن الكريم وحفظها. ولذا قدم الفراهي جهودا حثيثة في خدمة الإنتاج المعرفي مؤمنا بأن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي لمعارف اللغة والفنون.

كان الفراهي مجددا في اللغة العربية ببذل جهوده في تكثيف حركة التأليف اللغوي في القرن الرابع عشر الهجري. وكان مفخرة البلاد الهندية، العلامة المفسر،اللغوي الأديب،المؤلف النابغ، جمع بين التدبر في القرآن والاشتغال به، والتذوق الصحيح لفن البلاغة والمعاني والبيان في اللغة العربية. تبدو في إنتاجاته العلمية سمات التأثير بدراسة بعض اللغات الأجنبية والصحف السماوية القديمة وسلامة الفكر ورجاحة العقل والتعمق. اختار الباحث للدراسة التحليلية من بين مؤلفاته تفسيره نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان،ومفردات القرآن،وأسلوب القرآن،جمهرة البلاغة،التكميل في أصول التأويل، وتحفة الإعراب ودلائل النظام، وأقسام القرآن،و حجج القرآن وحكم القرآن.

قد فصل الباحث في الباب الأول الاتجاهات التي تقوّم الفكر اللغوي وترتكز في علم الدلالة والبلاغة والأسلوب. نشأ الاتجاه اللغوي في عصر الصحابة والتابعين . أوضح الباحث هذه النشأة مع بيان مكانة الاتجاه اللغوي وأسلوبه في الباب الثاني. كما يذكر في الباب الثالث عن حياة هذا العالم العبقري وآثاره العلمية ثم يحلل جهوده في الدراسات القرآنية. في الباب الرابع أخيرا يتم هذه الأطروحة بإيضاح اتجاهه اللغوي في الدراسات القرآنية مع بيانات عن عوامله ودوافعه ومزايا منهجه في التأليف والترجمة.

وقد اعتنى الباحث قدر المستطاع أن يكمل هذا العمل مستوفيا كل متطلبات الموضوع العلمية رغم تعمقه وتشعب نواحيه.

نتائج البحث

وصل الباحث إلى نتائج في ختام هذه الأطروحة، والتي تم استنتاجها من الأبواب السابقة من خلال المنهج الوصفي التحليلي. تم تلخيص هذه النتائج إلى نقاط كما ذكرت أدناه :

- قامت الاتجاهات المختلفة بوظيفة مهمة في تطور الدراسات اللغوية. تطورت الدراسات اللغوية عن طريق الاتجاهات، هي التي ترتكز على علم الأصوات وعلم الصرف والنحو وعلم المعجم وعلم الدلالة وعلم البلاغة والدراسة الأسلوبية بكل أبعادها ومناهجها.
- إن الدراسات اللغوية مع التركيز على الاتجاهات المختلفة، تساعد على تقويم الفكر اللغوي العربي قديما وحديثا،وهي تزود قوة الإدراك بالنظرية اللسانية.
- كانت بداية الدراسات القرآنية من كتابة الوحي قام بها الكتاب الماهرون في أيام الرسول ﷺ ثم تطورت الدراسات تطورا تدريجيا، فبرز نفوذها فيها منهجيا ومعرفيا.
- الذوق السليم اللغوي وفهم علوم اللغة من الأركان الأساسية التي ينبغي أن يتحققها لتكون الدراسة القرآنية مثمرة. هذه الأركان تمهد طريقا لنيل الغاية المقصودة في الدراسة القرآنية من التلاوة والتدبر والتأمل والتعلم والتعليم والعمل بالقرآن في الحياة.
- العلوم التي تتصل بالقرآن الكريم،وهي خادمة للقرآن بمسائلها أو أحكامها أو مفرداتها كعلم التفسير وعلم التجويد وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم الفقه وعلم التوحيد وعلم الفرائض وعلم اللغة وعلم التاريخ، هذه كلها توسع مجالات الدراسات القرآنية.
- كانت بداية الاتجاه اللغوي في التفسير في عصر الصحابة، ثم اتسع منهجا هاما في عصر التابعين. تعتبر قواعد تركيب الجملة العربية من ثمار الاتجاه اللغوي في التفسير،كما يعتبر علم النحو من أهم أجزاء اللغة.
- قد بدأت النشاطات القرآنية في شبه القارة الهندية دراسة وفهما وتفسيرا وتعليما منذ دخول الإسلام فيها.

- كان عبد الحميد الفراهي أحد أفذاذ العلماء الهنود البارزين ، الذين جمعوا بين الثقافتين الإسلامية والغربية. قد برع في مختلف العلوم والفنون، ولكنه ركز على دراسة القرآن الكريم والتدبر فيه، وجعل القرآن محور أفكاره وأشغاله ومواقفه ونظرياته واتجاهاته.
- جعل الفراهي جل اهتمامه وهدفه في الدراسات القرآنية التدبر في كتاب الله. إنه رسم خطة شاملة بالتركيز عل الترابط الفكري في الدراسات القرآنية والتفسير. يبقى تفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" خير دليل على اتجاهه التناسبي بإثبات أهمية التدبر في فهم النص القرآني.
- بذل الفراهي أقصى جهده للكشف عن دقائق المفردات وسرها باحثا عن الأصول. يبرز في كتابه "مفردات القرآن" الأصول التي اعتمد عليها في تحقيق المفردات وبيان مدلولها. منها انتقاد مدلول الكلمات في ضوء القرآن الكريم و تحقيق المفردات بالاعتماد على أساس معرفة اللغة العبرانية والسريانية وعدم الالتفات إلى المعنى الشاذ والاهتمام بالموقع والمحل وعمودالكلام والأخذ بأثبت الوجوه اللغوية.
- يمتاز منهج الفراهي في التفسير بأمور هامة. منها تفسير القرآن بالقرآن والرجوع إلى الأحاديث النبوية والعناية بنظم الكلام والاستفادة من أهل الكتاب.
- قامت عبقرية الفراهي في تعدد اللغات وملكته الفذة في الترجمة والنقل والتعريب ومداومته في القراءة والبحث بدور فعال في تشكيل الاتجاه اللغوي وتنميته.
- يمثل العامل الديني مقوما أساسيا في تدعيم جهود الفراهي لخدمة اللغة العربية،كما ساعدت الاستبصارات والتأملات والجهود التدبرية الواعية في معرفة أسرار لغة القرآن الكريم على تنمية المهارات اللغوية وتقوية الاتجاه اللغوي للفراهي.
- كان للفراهي اطلاع واسع على أساليب الأدب والبلاغة والشعر الجاهلي. كونت هذه المعرفة والإلمالم في شخصية الفراهي اتجاها لغويا.
- التعبيرات القرآنية في مؤلفات الفراهي تمتاز بالإيجاز في الكتابة والتركيز على المعنى،فهي من ثمار الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية للفراهي.
- يعرض الفراهي في كتاب "مفردات القرآن" نظرات جديدة في تفسير ألفاظ القرآن بمعالجة المادة اللغوية القرآنية وتحديد أسرار معانيها ووقوف على دقائق دلالاتها. يمكن أن يسفيد من مباحث هذا الكتاب الاتجاه الدلالي للفراهي في فهم معاني المفردات في القرآن الكريم.
- اجتهد الفراهي في معرفة أسرار آيات القرآن الكريم بالاتجاه التناسبي،فهو يتنوع في التناسب الصوتي والتناسب اللفظي والتناسب المعنوي والتناسب التركيبي بمراعات السياق القرآني

وخصوصياته في فهم المعاني وتأويلات الدلالات. يدل هذا الاتجاه على أهمية معرفة جماليات مقاصد السور والآيات.

- لم يكن الفراهي مقلدا في البلاغة العربية وتطبيقاتها، وكان مبدعا في إضافة النظرية الجديدة بترك نظرية المحاكاة لأرسطو. وهو الذي أسس نظريات البلاغة على قواعد جديدة في ضوء القرآن الكريم وكلام العرب الأقحاح. يعرض الفراهي هذه النظرية الجديدة في كتابه القيم"جمهرة البلاغة"
- ينعكس في كتاب الفراهي"جمهرة البلاغة" الاتجاه التأصيلي النقدي،لأنه يؤكد على نظرية بأخذ أصالة اللغة من شعر العرب وخطبهم ويتجه إلى نظرية ناقدة للبلاغة العربية في مثاقفتها مع الثقافة اليونانية.
- حاول الفراهي للتجديد في مناهج تعليم اللغة العربية ببذل جهوده التي تجدد في طرح المعارف وتناول العلوم وعرض القواعد ونظام المناقشة. ينعكس هذا الاتجاه التجديدي في تأليفه "دلائل إلى النحو الجديد والمعاني والعروض والبلاغة". "الدر النضيد في النحو الجديد"و"سليقة العروض" و"أسباق النحو".
- قد تمكن للفراهي لتسهيل الدروس النحوية وتقريبها على أذهان الدارسين باتجاهه التجديدي من أجل تقويم الفكر اللغوي.
- تمتاز طريقة الفراهي باتجاه تطبيقي في التعبير والترجمة. توضح ترجمة الكتاب الإنجليزي"أمثال آصف الحكيم" للفراهي أن الغاية الرئيسية لتعلم اللغة هي اكتساب موهبة تعبير اللغة وتمهيد طرق تذوقها بتبليغ الرسالة الإنسانية والاجتماعية بين متناوليها. وبهذا الاتجاه تتمكن من اكتساب اللغة طبيعية بدون أي ملل ومشقة.
- كان الفراهي مجتهدا في تدعيم أسس الفكر اللغوي السليم بتوظيف الوعي المنطقي والعقلية الابتكارية. هذه الميزة بارزة في نظريات الفراهي التعليمية في تأسيس مدرسة الإصلاح.

أرجو أن يكون هذا البحث مفيدا للباحثين والدارسين في مجال الأدب العربي والدراسات القرآنية. لا أدعي أن هذه الدراسة كاملة شاملة بل أرجو أن تكون خطوة مفيدة للراغبين في الدراسات القرآنية ولمن سوف يبحثون في الاتجاه اللغوي في الدراسات القرآنية والتفسير.الباحث هنا يقدم بعضا من المقترحات و التوصيات حيث تنفع للذين يريدون مزيدا من الدراسة و البحث في هذا المجال.

المقترحات والتوصيات

يريد الباحث أن يقدم بعضا من الاقتراحات والتوصيات التي ستكون نافعة جدا. وهي:

- تمهيد الفرص لتطبيق الاتجاه اللغوي المركز على الدراسات القرآنية في تعليم اللغة من مدارس عامة.
- التحريض على دراسة اللغة العربية من المصادر الأساسية، أولى المصادر القرآن الكريم، خصوصا في تحقيق المفردات بالعودة إلى أصالة العربية، وطرق أساليبها البديعة.
- إدماج بعض المؤلفات القرآنية الهامة للفراهي في المنهج الدراسي على مستوى المدرسة والكلية والجامعة للدراسة اللغوية .
- التشجيع على البحث والتحقيق في ضوء كتاب مفردات القرآن وجمهرة البلاغة للفراهي بقصد الاستفادة منها اتجاهات لغوية وقيم أدبية ونقاط بلاغية.
- ضرورة إلى دراسة علم المناسبة في الآيات والسور ومنهج التفسير المتبع عند الفراهي ، والبحث في هذا الموضوع يفيد لاستخراج منها الاتجاه اللغوي.
- مقارنة آراء الفراهي في نظم القرآن مع آراء المفسرين، مثل الإمام البقاعي،لعل هذا يفتح مجال البحث الجديد.
- المفاهيم القرآنية في أشعار الفراهي يفتح مجال البحث والتخصص لكل محبي لغة الضاد.

قد وفقني الله تبارك وتعالى لإتمام هذا البحث،وله الفضل أولا وآخرا، وعليه التكلان، وأسأله تعالى أن يوفقني فيما يحبه ويرضاه. بذلت جهدي حسب طاقتي، النقص والخطأ فمن نفسي، والصحيح فمن الله المنان، وأسأله تعالى للقبول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر

١. القرآن الكريم

٢. الفراهي، عبد الحميد ،جمهرة البلاغة، ط:١،م:١، الدائرة الحميدية، أعظم كره،يوبي، الهند، ١٩٦٨م.

٣. الفراهي، عبد الحميد الفراهي، الإمعان في أقسام القرآن، ط:١،م: ١، دار القلم،دمشق، ١٤١٥هـ.

٤. الفراهي، عبد الحميد، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان،ط:١ م:١، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، يوبي،الهند، ١٤٠٣هـ.

٥. الفراهي، عبد الحميد، (١٣٤٩هـ)، إحكام الأصول بأحكام الرسول، ط: ١، م:١، إعداد: عبيد الله الفراهي، الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، الهند، ١٤٣٢هـ.

٦. الفراهي، عبد الحميد، أسباق النحو، الجزء الأول والثاني، مكتبة الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، ٢٠٠١م.

٧. الفراهي، عبد الحميد، التكميل في أصول التأويل،ط: ٤، م:١، جمع هذه الرسائل بدر الدين الإصلاحي، الدائرة الحميدية،سرائ مير، أعظم كره،يوبي، الهند، ٢٠١٣هـ.

٨. الفراهي، عبد الحميد، الدر النضيد في النحو الجديد، نسخة خطية منه الدكتور أورنك زيب الأعظمي، الجامعة الملية الإسلامية ،دهلي، الهند.

٩. الفراهي، عبد الحميد، الرأي الصحيح في من هو الذبيح،ط: ١،م:١، دار القلم دمشق، ١٤٢٠هـ.

١٠. الفراهي، عبد الحميد، الرائع في أصول الشرائع، ط:١، م: ١، إعداد: عبد الله الفراهي، الدائرة الحميدية، سرائ مير، الهند، ١٤٣٢هـ.

١١. الفراهي، عبد الحميد، الرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ، ط: ١، م:١، إعداد عبد الله الفراهي، الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، الهند، ١٤٣٢هـ.

١٢. الفراهي، عبد الحميد، القائد إلى عيون العقائد، ط:١،م:١، الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، يوبي، الهند، ١٤٣١هـ.

١٣. الفراهي، عبد الحميد، أمثال آصف الحكيم، مكتبة الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، ١٩٨٥م.

١٤. الفراهي، عبد الحميد، تعليقات في تفسير القرآن الكريم، ط: ١،م:٢، (الجزء الأول والثاني) ابتداء من سورة الفاتحة لغاية سورة النور، اعداد عبد الله الفراهي، الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره،يوبي،الهند ١٤٠٣هـ.

١٥. الفراهي، عبد الحميد، تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، فاتحة نظام القرآن بثلاثة عشر مقدمة، ثم فسر فيه هذه السور: تفسير سورة الفاتحة، الذاريات، التحريم، القيامة،المرسلات، عبس، الشمس، التين، العصر، الفيل، الكوثر، الكافرون، اللهب، ط:١،م:١، الدائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم كره، يوبي، الهند، ٢٠٠٨م.

١٦. الفراهي، عبد الحميد، حجج القرآن، الحكمة البازغة والحجة البالغة،ط:١،م: ١، الدائرة الحميدية، أعظم كره، الهند، ٢٠٠٩م.

١٧. الفراهي، عبد الحميد، حكمة القرآن، ط: ١، م:١، سراي مير، أعظم كره، الهند، ٢٠٠٧م.

١٨. الفراهي، عبد الحميد، دلائل النظام، ط:٤،م:١، جمع بدر الدين ا

١٩. الإصلاحي، الدائرة الحميدية، سراي مير، أعظم كره، يوبي، الهند، ٢٠١٣هـ.

٢٠. الفراهي، عبد الحميد، ديوان حميد (باعتناء: محمد إبراهيم خان الأكبرابادي)،مطبعة شنمسي، حيدراباد، الدكن، ١٩٠٣م.

٢١. الفراهي، عبد الحميد، في ملكوت الله ، الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، يوبي، الهند، ١٣٩٥هـ.

٢٢. الفراهي، عبد الحميد، مفردات القرآن، نظرات جديدة في تفسير ألفاظ القرآن الكريم، ط: ٢، م: ١، تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.

٢٣. الفراهي، عبد الحميد،أساليب القرآن، ط:٤،م: جمع هذه الرسائل: بدر الدين الإصلاحي، الدائرة الحميدية،سرائ مير، أعظم كره، يوبي،الهند، ٢٠١٣

٢٤. الفراهي، عبد الحميد،رسائل الإمام الفراهي، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، سرايمير، أعظم كره، ط:٢، ١٤١١هـ.

٢٥. الفراهي،عبد الحميد، تفسير سورة الكوثر، ترجمة: أمين أحسن الإصلاحي،ط:٢، الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، ١٩٥٨م

المراجع

٢٦. ابن أبي الأصبع المصري، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر العدواني(المتوفي:٦٥٤هـ)،بديع القرآن،ط:١م:٣، تحقيق:حفنى محمد شرف، مكتبة نهضة، مصر،١٣٧٧هـ-١٩٥٧م.

٢٧. ابن الفارس، أحمد بن زكريا الرازي، أبو الحسين(المتوفي: ٣٩٥هـ)،معجم مقاييس اللغة،ط:١، م:٣، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٢٨. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفي ٧٥١هـ) ، زاد المعاد في هدى خير العباد،ط: ٢٧، م:٥،مؤسسة الرسالة، بيروت-مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٤١٥هـ.

٢٩. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفي:٧٦٢هـ)،مجموع الفتاوى،ط:١م:٣٧،تحقيق، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة، والمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،١٩٩٥م.

٣٠. ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٣١. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، ط:١، م:٣، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٣٢. ابن عباس، اللغات في القرآن، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٣٣. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (المتوفي: ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ط: ١، م: ١٥،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد)،دار الكتب العلمية،بيروت، ١٤٢٢هـ.

٣٤. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفي: ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، ط:١، م: ١٥، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧ هـ،

٣٥. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفي:٧٧٤)، تفسير القرآن العظيم، ط: ١، م:٨، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون- بيروت، ١٤١٩هـ.

٣٦. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الريفعي، الافريقي (المتوفي ٧١١هـ)، لسان العرب، ط: ١، م:١٥، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٣٧. أبو جعفر الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٤١٠هـ.

٣٨. أبو منصور عبد الملك، الإعجاز والإيجاز، دار الغصون، بيروت، ١٤٠٥هـ

٣٩. أبوبكر النيسابوري، كتاب تفسير القرآن ، تحقيق: سعد بن محمد السعد، دار المآثر، المدينة المنورة، ط:١، ١٤٢٣هـ.

٤٠. أرسطو: فن الشعر، ترجمة وتقديم وتعليق : إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،

٤١. الإصلاحي، بدر الدين ، المعلم عبد الحميد الفراهي، ديوان المعلم عبد الحميد الفراهي، مدرسة الإصلاح، سرائ مير، أعظم كره، ط: ٢، ١٩٨٩م.

٤٢. الإصلاحي، الشيخ أمين أحسن، تدبر قرآن، تاج كمبني،دهلي، ١٩٨٩م.

٤٣. الإصلاحي، الشيخ أمين أحسن، تدبر قرآن،فاران فاؤنديشن، لاهور، ١٩٨٣م.

٤٤. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسينى (المتوفي: ١٢٧٠هـ)،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،ط:١،م:١٥(تحقيق: علي عبد البارى عطية)، دارالكتب العلمية، بيروت،١٤١٥هـ

٤٥. امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي،من بني آكل المرار(المتوفي: ٥٤٥م)، ديوان امرئ القيس،ط:٢،م،١،(اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي،دار المعرفة،بيروت،١٤٢٥هـ.

٤٦. الباقلاني، إعجاز القرآن،تحقيق: السيد أحمد صقر،دار المعارف،مصر، ط:٥، ١٩٩٧م.

٤٧. البخاري،محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (المتوفي: ٢٥٦هـ)،صحيح البخاري،ط:١،م:٩،تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،دار طرق النجاة،٤٢٢هـ.

٤٨. البقاعي،إبراهيم بن عمر بنحسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفي:٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،ط:١،م:٢٢،دار الكتب الإسلامي، القاهرة.

٤٩. بنت الشا طئ ، عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م.

٥٠. البيضاوي،أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفي: ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ط١،م:٨ (تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي)،دار إحياء التراث، بيروت،١٤١٨هـ

٥١. الترمذي،محمد بن عيس بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي،أبو عيسى(المتوفي: ٢٨٩هـ) من الترمذي،ط:١،م:٦(تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر: الجزء الأول والثاني)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي، مصر،١٣٩٥هـ

٥٢. الجاحظ،عمرو بن بحر بن محبوب الكناني أبو عثمان، كتاب الحيوان، ط:٢،م:٧، دار الكتب العلمية،بيروت،١٤٢٤هـ.

٥٣. الجاحظ،عمروبن بحر بن محبوب الكناني أبو عثمان (المتوفي:٢٥٥هـ): البيان والتبيين،ط:١م:٣،دار وممكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢هـ.

٥٤. الجراح، عامر خليل: التفكير البياني عند العرب، قراءة تداولية، دار السنابل، اسطنبول، ط:١، ٢٠١٩م.

٥٥. الجراح،عامر: البلاغة الحية بين القيم الأسلوبية والتداولية،فنون البيع نموذجا،كلية العلوم الإسلامية،جامعة ماردين أرتوقلو ٢٠٩م.

٥٦. الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

٥٧. الحسني، عبد الحي بن فخر الدين (المتوفي:١٣٤١هـ) الأعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بنزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر،ط: ١،م:٨،دار ابن حزم،بيروت، ١٤٢٠هـ.

٥٨. الحسني، عبد الحي بن فخر الدين (المتوفي: ١٣٤١هـ)، الثقافة الإسلامية في الهند،ط:٢،م:١،مجمع اللغة العربية،دمشق، ١٤٠٣هـ.

٥٩. حسين درواشة، مطالعات في اللغة العربية، مكتبة الطالب الجامعي،ط:١، غزة، ٢٠١٤

٦٠. خطابي، محمد، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط:١، ١٩٩١م.

٦١. الدكتور إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، إبراز المعاني بالأداء القرآني،دار الحضارة للنشر والتوزيع،ط:١، ١٤٢٨هـ.

٦٢. الدكتور تمام حسن، اللغة العربية: معناها ومبناها،دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ.

٦٣. الدكتور حسن ظاظا،اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللفة، دار القلم، دمشق، ط:٢، ١٤١٠هـ.

٦٤. الدكتور حسن كزار، اللسانيات الإجتماعية في الدراسات العربية الحديثة التلقي والتمثلات،دار الرافدين،لبنان، بيروت، ط:١ ٢٠١٨

٦٥. الدكتور سعد الدين صالح، العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث، دار الصفاء، ١٩٩١م.

٦٦. الدكتور شرف الدين الإصلاحي، ترجمان القرآن مولانا حميد الدين الفراهي، معارف فروري ١٩٩١م.

٦٧. الدكتور شرف الدين الإصلاحي، ذكر فراهي، الدائرة الحميدية، أعظم كره، ٢٠٠١م.

٦٨. الدكتور صالح بن حسين العايد، نظرات لغوية في القرآن الكريم، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط:٣، ١٤٢٥هـ.

٦٩. الدكتور صبحى صالح،مباحث في علوم القرآن، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٢م.

٧٠. الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني،دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط:١، ١٤٢١هـ.

٧١. الدكتور عباس حسن، النحو الوافي، مكتبة المحمدي، بيروت لبنان، ط:١، ١٤٢٨هـ.

٧٢. الدكتور عبد الستار حمدون الجبورى، تطور العرب عبر التاريخ ،الجزيرة العربية موطن العرب ولغتهم العربية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط:١، ١٤٣٥هـ.

٧٣. الدكتور عبد العظيم بن إبراهيم المطعنى،خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة،ج:١:ط:.١، ١٤١٣هـ.

٧٤. الدكتور عدنان محمد زور، علوم القرآن، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:٢، ١٩٨٤م.

٧٥. الدكتور على عبد الواحد وافي، علم اللغة،نهضة مصر للطباعة والنشر، ط:٩ ، ٢٠٠٤

٧٦. الدكتور فاضل صالح السامرائ، التعبير القرآني، دار ابن كثير،٢٠١٥

٧٧. الدكتور فهد الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، مكتبة التوبة، بيروت، ط:٨، ١٤٢٨هـ.

٧٨. الدكتور محمد بركات حمدى أبو على، مناهج وآراء في لغة القرآن الكريم، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط:، ١٩٨٤

٧٩. الدكتور محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٦م.

٨٠. الدكتور محمد رفعت أحمد زنجير،مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم، سلسلة الدراسات القرآنية، جزء ٢، ٢٠٠٧

٨١. الدكتور محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، الجزء الخامس، دار الشروق ٢٠٠٦م.

٨٢. الدكتور محمود عكاشة،التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة،دار النشر للجامعات،ط:٢، ٢٠١١م.

٨٣. الدكتور مساعد الطيار، فصول في أصول التفسير،دار ابن الجوزي،ط:٣، ١٩٩٩م.

٨٤. الدكتور مساعد بن سليمان بت ناصر الطيار،التفسير اللغوي للقرآن الكريم،دار ابن الجوزي، ط:١، ٢٠١٠

٨٥. الدكتور مصطفي رجب،فيض المنان في علوم القرآن، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ٢٠٠٠

٨٦. الدكتور مناع القطان، مباحث في علوم القرآن،مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.

٨٧. الدكتور يوسف القرضاوى،كيف نتعامل القرآن العظيم؟، دار الشروق، القاهرة، ط: ١، ١٤١٩هـ.

٨٨. الدهلوي، ولي الله أحمد بن عبد الرحيم ، الفوز الكبير، (ترجمة سلمان الحسيني الندوي)، كلية الشريعة،ندوة العلماء،لكناؤ،١٩٨٤م.

٨٩. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن حسين اليمي الرازي الملقب بفخر الدين خطيب الري (المتوفي: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير،ط: ٣،م:٣٢، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٤٢٠هـ.

٩٠. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم (المتوفي: ٤٠٣هـ) المفردات في غريب القرآن،ط:١، م:١تحقيق: صفوان عدنان الدوادي،دار القلم، بيروت، ١٤١٢هـ.

٩١. الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس،م:٦، طباعة دار الكويت، ١٩٧٢م.

٩٢. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، عيسى البابى الحلبي وشركاؤه، ط:٣، عام الطباعة غير مذكور.

٩٣. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن هادر، البرهان في علوم القرآن،ط:١، م:٤، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعرفة، بيروت، .لبنان، ١٤٧٦هـ.

٩٤. الزركشي،بدر الدين محمد بن عبد الله بن هادر (المتوفي: ٧٩٤هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، ط: ١، م:٨، دار الكتب، عمان، ١٤١٤هـ.

٩٥. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، (المتوفي: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط:٣، م: ٤، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٤٠٧هـ.

٩٦. زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح بن قرة بن الحارث بن الياسن (المتوفي : ٦٠٩م)، ديوان زهير بن أب سلمى، ط: ١،م: ١، تحقيق: علي بن حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٩٧. سيبويه،الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:٣، ١٤٠٨هـ.

٩٨. السيوطي،جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر،بيروت،لبنان،١٣٦٨هـ.

٩٩. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللحمي الغرناطي الشهير (المتوفي: ٧٩٠هـ)، الموافقات، ط: ١،م:٧، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ.

١٠٠. الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس المطلبي القرشي المكي (المتوفي: ٢٠٤هـ) ، الأم، ط:١، م:٨، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ.

١٠١. الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس المطلبي القرشي المكي، الرسالة، ط:١، م:١، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبة الحلبي، مصر، ١٣٥٨هـ.

١٠٢. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفي: ١٢٥٠هـ) ، فتح القدير، ط: ١، م: ١٠، دار ابن كثير،دار الكلم الطيب دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٠٣. صوفي، شوكت أحمد، الإمام عبد الحميد الفراهي حياته ومآثره، مكتبة إحسان، مدينة لكناؤ، ط:١، ٢٠١٥م.

١٠٤. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد أحمد الطوسي، أبو حامد، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ، تحقيق: (بسام عبد الوهاب الجابي، ط:١، الناشر: الجفان والجابي، قبرص ١٤٠٧هـ.

١٠٥. فرحات،أحمد بن حسن، معاجم مفردات القرآن(موازنات ومقترحات)، ط:١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١هـ.

١٠٦. الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفي: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، ط: ٨، م: ١، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ.

١٠٧. قدامة بن جعفر: نقد الشعر، محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت،

١٠٨. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ط:٢، ١٣٨٧هـ،دار الكتب المصرية.

١٠٩. قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي (المتوفي: ١٣٨٥هـ)، في ظلال القرآن، ط١٧، م:٦،دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٤١٢هـ.

١١٠. الكامل، المبرد، تحقيق: محمد أحمد دالى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

١١١. كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.

١١٢. محمد تقي الأميني،حكمة القرآن،ندوة المصنفين، دلهي، ١٩٨٦م.

١١٣. محمد فريد راوي ، الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، دار الشاكر سلانجور،ماليزيا،ط:١، ١٤٣٦هـ.

١١٤. محمد لطفي الصباغ،بحوث في أصول التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:١، ١٤٠٨هـ.

١١٥. الندوي، أبو الحسن علي الحسني (المتوفي: ١٤٢٠هـ) المسلمون في الهند، ط: ١، م:١، دار ابن كثير،بيروت، ١٤٢٠هـ.

المجلات

١. أوراق أعمال الندوة الدولية حول تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث، قسم اللغات العربية والفارسية والأردوية،جامعة مدراس، تشنای، يناير ١٠، ١١، يناير ٢٠١٢.

٢. الهند مجلة فصلية محكمة،المجلد:٦، الأعداد: ١-٤، يناير ديسمبر ٢٠١٧م، العدد الخامس عن حياة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله تعالى.

٣. الهند، مجلة فصلية محكمة، المجلد:٨،، العدد:٢، إبريل- يونيو ٢٠١٩م، العدد الخاص بسيرة وأعمال الإمام الفراهي رحمه الله تعالى.

٤. الهند مجلة فصلية محكمة، المجلد:٧، العدد:٣، يوليو- سمتمبر ٢٠١٨م. العدد الخاص عن حياة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله تعالى

٥. المجلة الدولية لعلوم القرآن والسنة الصادرة عن جامعة برليس الإسلامية بماليزيا، المجلد: ١٨ العدد:٥، يوليو- ديسمبر،١٩٨٩

٦. الإصلاح، مجلة شهرية صادرة عن الدائرة الحميدية- بمدرسة الإصلاح، المجلد :١، العدد:٨: ١٩٣٦م

٧. الجامعة العراقية مجلة علمية محكمة نصف سنوية ، يصدرها مركز البحوث والدراسات الإسلامية، المجلد:١٨، العدد ٢٧: أبريل- يونيو ١٤٣٢

٨. البعث الإسلامي مجلة إسلامية شهرية صادرة عن دار العلوم، ندوة العلماء لكناؤ، العدد: ٨ المجلد: ٦٣،يناير- فبراير ٢٠١٨م

٩. البعث الإسلامي مجلة إسلامية شهرية صادرة عن دار العلوم، ندوة العلماء لكناؤ، العدد:٢، المجلد: ٦٦، مايو ٢٠٢٠م

١٠. الندوة مجلة للدراسات القانونية شهرية صادرة عن قسنطينة- الجزائر، شهر ديسمبر ١٩٦٥، المجلد: ١٦، العدد: ٨

١١. الجامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية مجلة علمية محكمة، تصدرها الجامعة الشارقة، المجلد :٣، العدد: ٢ جمادى الأولى،١٤٢٧هـ

١٢. عالم الفكر" مجلة دورية تصدر أربع مرات في السنة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون، دولة كويت، العدد:١، المجلد:٤٢، يوليو- سمتمبر ٢٠٠٣

١٣. كتاب الأمة،سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.العدد:١، جمادى الأولى ١٤٢٥هـ.

المراجع في الإنجليزية

1. Aristotle, poetics, translated by: S.H. Butcher part 1(wikisource.org)
2. Coherence in the Qur'an A study of Islahi 's concept of Nazm in Tadabburul Qur'an Author: Mustansir Mir American Trust Publication 1986
3. Linguistic Approaches to Literature, Edited by Sonia Zyngier, Joanna Gavins (University of Sheffield, John Benjamins Publishing Company, Germany 1988
4. Vocabulary of the Holy Qur'an, Dr Abdullah Abbas Nadwi, Iqraa publication. Mumbai 1999
5. Wisdom of the Holy Qur'an, Dr Aurang Zeb Azmi, Adam publisher, New Delhi, 2005.

المو اقع الإلكترونية

1. https://tafsir.net/article/5184/aswl-at-tfsyr-wmqasd-al-qr-aan.
2. https://shamela,ws/index.php/author/1179
3. https://www.alukah, net/ sharia/0/99812/ixzz6N1aOc
4. http:// www.al-eman.com/islamlib/asp.BID=230
5. https://ar.wikipedia.org/wiki /عبد_الحميد_الفراهي
6. https://islamonline.net/ / الفراهي-وتدبر-القرآن-الكريم
7. https://naqeebulhind.hdcd.in/العلامة-حميد-الدين-الفراهي-واسهاماته
8. https://naqeebulhind.hdcd.in/ / مفردات-القرآن-للعلامة-حميد-الدين-الفراهي
9. https://www.rewity.com/forum/t183565.html
10. https://midad.com/article/224011/الاتجاه-اللغوي-في-تفسير-القرآن-الكريم
11. https://www.islamweb.net/ar/article/237505/عبد-الحميد-الفراهي -حياته-وآثاره

CERTIFICATE

This is to certify that the thesis entitled " **LINGUISTIC APPROACH OF ABDUL HAMEED AL FARAHI IN HIS QURANIC STUDIES**"submitted by **RAJEESH CK** for the award of the degree of Doctor of Philosophy in the faculty of Language and Literature,University of Calicut dosen't require any modification as no adjudicator has recommended for the same.Hower,the typographical errors and other linguistic missing have been rectified to the maximum and the contents in the thesis and the soft copy are one and the same.

Dr.SAJITH E.K
Associate Professor & Research Guide
PG & Research Department of Arabic
Farook College(Autonomous)
Farook College, Calicut, Kerala. India.

Dr. SAJITH.EK

Associate Professor&

Research Supervisor

PG&Research Department

Of Arabic, Farook College

(Autonomous)

FAROOK COLLEGE (AUTONOMOUS) CALICUT 673 632 P.O. FAROOK COLLEGE

Place: Farook College

Date: 3/6/25

CERTIFICATE

This is to certify that this thesis titled "**LINGUISTIC APPROACH OF ABDUL HAMEED AL FARAHI IN HIS QURANIC STUDIES**"submitted to the University of Calicut,in partial fulfilment of the requirements for the award of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature,is a bonafide record of research work carried out by **RAJEESH.CK**. under my supervision and no part of the thesis has formed for the award any degree earlier.

Dr SAJITH. EK
Associate Professor&
Research Supervisor
PG&Research
Department Of Arabic
Farook College
(Autonomous)

FAROOK COLLEGE (AUTONOMOUS) CALICUT 673 632 P.O. FAROOK COLLEGE

Dr.SAJITH E.K
Associate Professor & Research Guide
PG & Research Department of Arabic
Farook College(Autonomous)
Farook College, Calicut, Kerala. India

Place: Farook College

Date: 3/6/2025

DECLARATION

I **RAJEESH.CK** hereby declare that the work presented in thesis entitled "**LINGUISTIC APPROACH OF ABDUL HAMEED AL FARAHI IN HIS QURANIC STUDIES**" is based on the original work done by me under the guidance of **Dr SAJITH E.K** and has not been included in any other thesis submitted previously for the award of any degree.The contents of the thesis are undergone plagiarism check using **iThenticate** software at **C.H.M.K.Library**, University of Calicut, and the similarity index found within the permissible limit. I also declare that the thesis is free from AI generated contents.

RAJEESH.CK

Researcher

Dr: SAJITH EK

Associate Professor&
Research Supervisor

PG& Resesrch Department of Arabic

Farook College (Autonomous)

Place: Farook College

Date: 3/6/2025

LINGUISTIC APPROACH OF ABDUL HAMEED AL FARAHI IN HIS QURANIC STUDIES

Thesis Submitted to the University of Calicut in Partial fulfilment of the requirements for the award of the **DEGREE OF DOCTOR OF PHILOSOPHY** in Arabic Language and Literature

By

RAJEESH C K

Under the supervision of

Dr. SAJITH E K

Associate Professor& Research Supervisor
PG& Research Department of Arabic
Farook College (Autonomous)

UNIVERSITY OF CALICUT
KERALA, INDIA **2024**

FAROOK COLLEGE. (AUTONOMOUS)
CALICUT
673 632
P.O. FAROOK COLLEGE